

فاتيح حمص

القسم الاول

منذ نشأتها الاولى الى ظهور الاسلام

سنة ٢٣٠٠ ق م - الى ٦٢٢ م

توزيع مكتبة السائح

طرابلس شارع الراهبات

هاتف: ٦٢٥٧٥١ - ٦٢١٥٠٩ - ٦٢٧٠١٠

المنشورات الجامعة

١٩٨٣



Bibliotheca Alexandrina



0098160

956.91

اصح

٧١

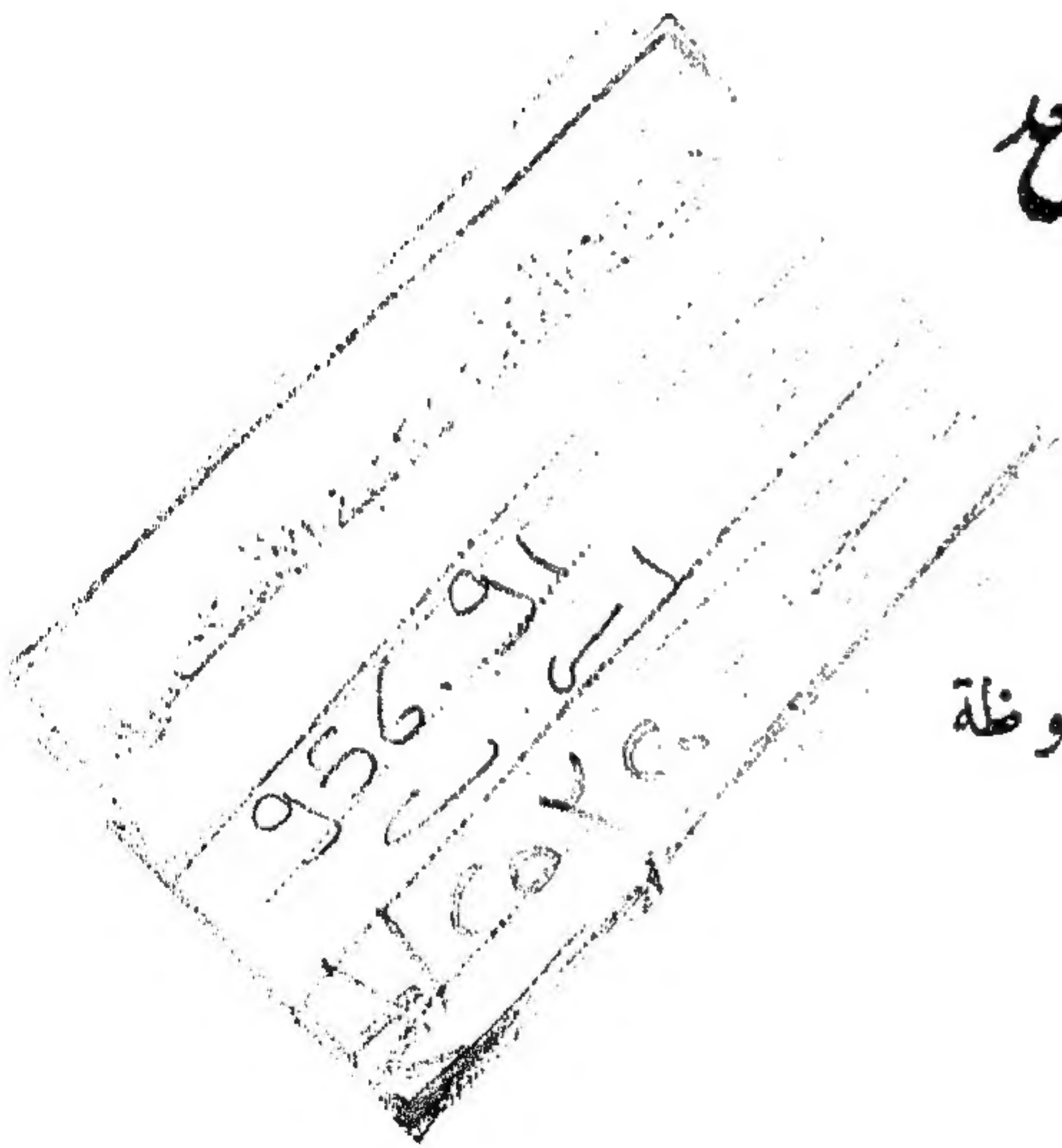
فاتيح حمص

منه اقدم ادوارها الى الابد او تاريخ اربعة الاف سنة وبف
منه سنة ٢٣٠٠م الى سنة ١٩٤٠م

استخرج مكنوناته وجمع مشوراته والف مفرداته

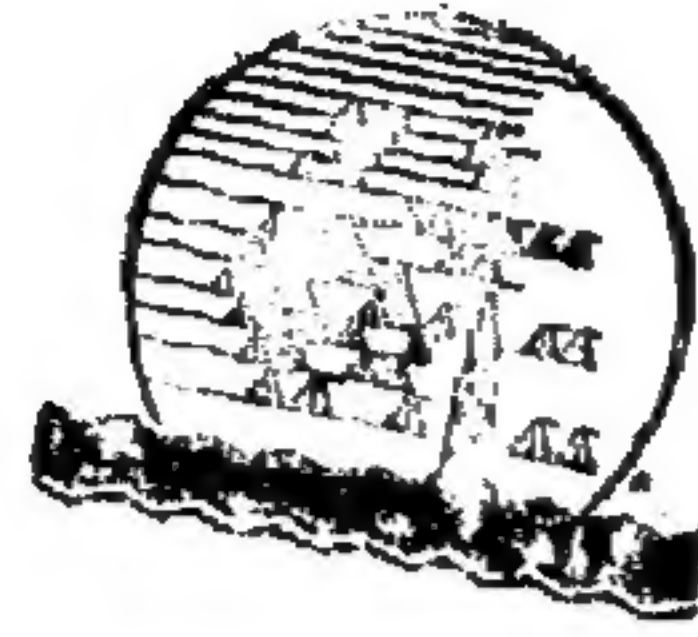
الحوري عيسى اسعد

حقوق الطبع محفوظة



احترم مجد المؤسسين القديم ، وشيخوخة الانسان
المكرمة ، وقداسة المدن العريقة
أدب الاكرام للآثار القديمة ، والاحترام للأعمال
العظيمة ولا تحقرن الاساطير
لا تعبت بخصوصيات احد ولا تردد شيئاً من
مقامه او حرите او مباهاته بذاته لانك لم تسبر غور
شيء مما ذكر

بليبي



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Beit el-Hayat el-Alexandria

تقديم الكتاب للتخاديم

البيكم يا من علا كعباها تربة الوطن المحبوب ، فسبقا
باستشهادها صديقتها الى العالم الآخر . اقدم تاريخ ما سلف من
حوادث بلدكم المحبوب . ليرى السلف الصالح الاقدم ، الصورة
الجميلة للسالفين الحديثين غير المنسيين من صحيحي الوطنية

ع

في ٢٣ ايار سنة ١٩٤٠

ناتج من حمص

القسم الاول

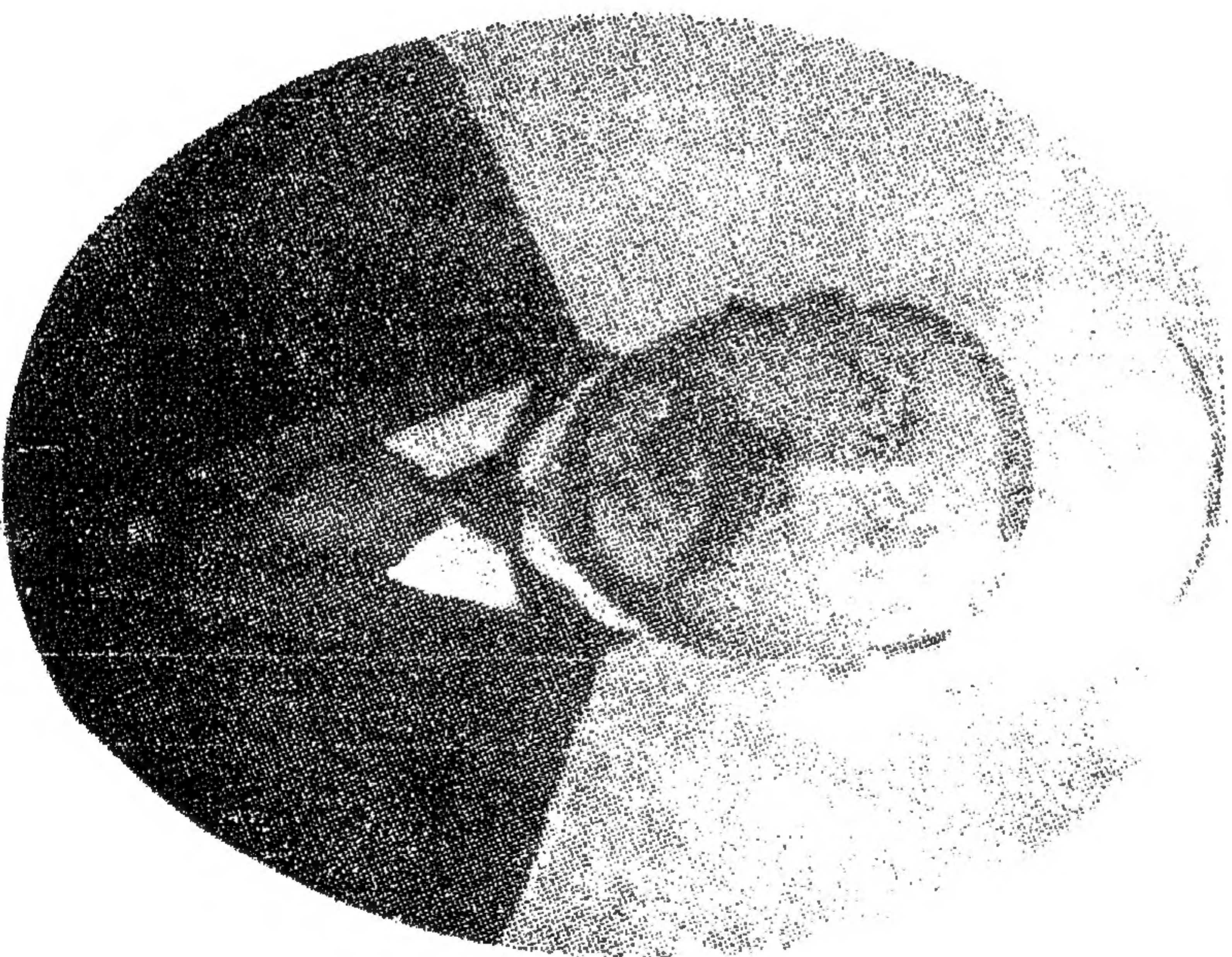
منذ نشأتها الاولى الى ظهور الاسلام

سنة ٢٣٠٠ ق م - ٦٢٢ م

شهيد الوطنيت الحبيب



الذي القواد رفيق دزق سارو



الامامة عبد الحميد الزهر اوي

﴿ فاتحة الكلام ﴾

حداً لمن لا يدركه القدم ، ولا تصل اليه عوامل العدم .
وبعد فهذا ما تأقت اليه نفوس المحصنين من عهد بعيد ، تبغي معرفة ما
طوي اثره من بلدهم القديم ، بعدما حاول اكثر من واحد باوغ شاطىء العرفان
فيه . فحيل بينهم وبين ما أرادوه بوعورة المسالك وندرة الدلائل . فقول الحظ
كاتب هذه السطور (على ما فيه من قصور) : يا اوتيه من صبر واجتهاد ان يخرج
غوامضه من حنادس الخفية ويرسم له صورة ان لم تكن كاملة بزخرفها ورقشها
فقد جاءت بطبيعتها مهونة على رجال المستقبل اصلاح ما فيها من تنوء او املاء
ما فيها من فراغ . ولا مزية في ان تزيين الموجود اسهل من ايجاد المفقود .
وخير ما يصور للقارىء الكريم مسلكي لنيل هذه الامنية العزيزة تريد
ما نشرته في الاذاعة التي لفت فيها الانظار الى ما تم تجهيزه :
يسهل على المرء ان يجلس منفرداً على شاطىء بحر ، او تحت شجرة في
ليلة مقمرة ، ويمحوك من مخيلته افكاراً ، يبرزها الى العالم نسيجاً لامعاً . فينال
حظه من اطراء لما يُرى فيها من جميل الشكل وحسن الوشي .
ولكن المؤرخ لا يستطيع ان يكون ذلك الرجل . لان موضوع بحثه
ليس ابتكار فكرة ، او استحداث خيال ، وانما يرجى منه دقة شعور ، وحسن
نظر . يستطيع بهما ان يرد الحوادث المروية الى بواعثها الاصلية ، في صور
جديدة ينطلق قلبه في احسان وصفها بعد ضبط حقيقتها .
يحظر على المؤرخ الاستسلام الى التخيلات فلا يسوغ له ان يضم ما يتخيله
الى ما رواه من سبقه من المؤرخين عن حوادث الكون . بل يجب عليه ان
يعتمد الى المجلدات والاسفار يقلب صفحاتها . وان يحتضن المجلات والطوامير
ينقب في ثناياها ليعثر على المادة التي يكون منها هيكل مؤلفه .
ليس هذا فحسب ، بل يجب عليه ايضاً بعد التقاطه نثار ضالته ، ان
يحصها ويغربلها ويعرضها على النظر الدقيق لتمييز صحيحها من فاسدها . ثم ينظم
ما تيقن انه در ، قلادة لجيد الدهر . يرتاح اليها الناظر ، ويطمئن اليها الخاطر .

وليس هذا فحسب ؛ بل يجب عليه بعد النقد والتمحيص ، والربط والتأليف ؛ ان يعتمد الى التنسيق والتبويب . بحيث يسهل على المطالع استيعاب ما نضده ، وتمثيل ما هضمه ، فلا يصاب باكتظاظ حينما يدفع اليه طبق المرويات صبرة واحدة . ولا تعاف النفس تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم فيهمل ويذهب التعب جزافاً .

وليس هذا فحسب ، بل على المؤرخ ان يستخرج من مروياته النتائج والعبر التي هي هدف التاريخ الحقيقي . والمؤرخ الراسخ القدم في موضوعه ؛ التزيه في ما يرويهِ ، يقضي ردحاً من الزمن في المراقبة والتفكير . ليقدّم الى العالم مجهودات كبيرة في سفر صغير . قد يطالعه القارىء في بضع ساعات ، ولكنه لا يطوي آخر صفحة حتى ترسم في خيلته صورة واضحة لحوادث الدهر تنير سبيله لاقتفاء ما حسن من الاثر وتجنب ما في ارتياده من الخطر .

.....

تلك افكار ساورتنا ؛ حينما حجب الينا اصدار تلويخ لبلدنا المحبوب . وشغفنا بمسقط رأسنا ، سهل علينا اقتحام تلك العقبات . ولكننا ما كدنا نخطو بضع خطوات ، حتى اصطدمنا بعقبات اخرى في اساس الموضوع . في حين ان تلك اذا تلامس الموضوع بعد تهيئة المواد للبناء .

وجدنا ان النصوص التي في متناول اليد قليلة جداً . وكلها او جلها اذا يرد فيها ذكر « حمص » عرضاً . اذ ليست الهدف الذي ريشت اليه سهام اولئك المجتهدين . وليس لدينا من انباء العصور القديمة ، الا ما يمكن استقطاره من الاساطير ؛ واعتصاره من الآثار . ومن عانى هذه المباحث يشعر بمخاطرة تخطيها . ثم اصطدمنا ونحن نتابع البحث بانقطاع سلسلة التاريخ اكثر من مرة ؛ ولا سيما في القرون الوسطى . اذ كُتبت الافواه ؛ وقصفت اسنة الاقلام ، دون التصريح بالواقع . فاذا اراد احدهم تدوين حادث ، اعطاء صورة مشوهة واحياناً مقاوبة . فيطرىء من حقه الدم ، ويُنقفي ما حقه الظهور . وصار ما دعوه تاريخاً عبادة عن ترضية للطغاة ، وزلفى للكبراء . او مخدراً للغافلين ، وألهوة للضعفاء .

على ان هذا لم يطرحنا في لجة اليأس ، بل رأينا ان ما لا يدرك كله لا

يتروك جله . وبالرغم من كل هذه الصعوبات ؛ حصلنا على مادة جديدة بالمطالعة .
تصلح ان تكون اساساً الى ما نرجو ان يستخرجه المنقبون ؛ بعد ما مهدنا
لهم السيل . وخطنا وان لم يكن حديدياً تسير عليه قطرات الافكار آمنة ،
لكنه على كل حال درب يسهل على من ينبغي نيل امنية عزيزة ؛ السير بين
ادغال المرويات ، وابار الغوامض والخفيات .

.....

يؤلف بعضهم لنيل الشهرة - وهم كثيرون في الشرق والغرب - ويؤلف
بعضهم بغية الربح - وعددهم ليس بقليل في الشطر الغربي - ويؤلف بعضهم
لشعورهم بثغرة في احدي نواحي المعارف . فتشوك رؤيتها نظارهم ؛ وتأتى عليهم
مروءتهم الرضا ببقاء تلك الثلمة تشوه هيكل عمرانهم . فيدفعهم هذا العامل
- وحده - الى ابراز ما خزنته ذاكرتهم اقامة لدرية وسداداً لثغرة .

من هذه الفئة القليلة العدد - كاتب هذه السطور - الذي لا يدعي مسامحة
اساطير التاريخ . ولكن راقه اجتهاد اولئك في تنقيبهم واخلاصهم في مباحثهم .
فلقي اقتراح الخالص من محبي التاريخ من المواطنين ، صدى في نفسه . فالتقى دلوه
بين الدلاء . ليقدّم لابناء وطنه رشقة تبرّد ما في نفوسهم من ظمأ .

وبالرغم من ان ما اقدمت عليه شاق جداً . فقد تابعت التنقيب في ما اجتمع لدي
من الاسفار . ونقلت ما نثر في المخطوطات العربية والمطبوعات الافرنجية بقلمي او
يواسطة اصدقاء لهم صلة بالمكاتب الاوربية والاميركية الشهيرة . فاجتمع عندي اضاير
ما تبعثر في مطاوي تلك الاسفار جعلته مادة لما فوّهت عنه

واني لتارك الحكم على ما انتجته ان خصوا بمثل هذه المباحث . كما
اترك لهم تقدير ما جنحت فيه عن راي العامة ، بعد رجوعي الى مصادر يوثق
بها من عربية وافرنجية .

وآن لي الآن الاعتراف بان رهطاً كريماً من افاضل السادة والاخوة والتلامذة
اعانوني بما وصل اليه اجتهادهم . وشجعوني بتابعة البحث والتنقيب لباوغ النتيجة
التي تطالت اليها اعناق المحصين خاصة وقراء الضاد عامة . وخص بالذكر من
هؤلاء الافاضل اربع شخصيات كبيرة لها وزنها في قسطاس العلم والتاريخ . اثنان
منهم امدوني بمعلوماتهم الثمينة لاجل القسم الاول بتقصي المراجع القيمة المختلفة

للتثبت من صحة ما نقل عن قدماء المؤرخين • وترجمة ما رواه الاثريون على تعدد مناحيهم • واثنان منهم آذروني لأجل القسم الثاني باختباراتهم السديدة وما خزن في ذاكرتهم القوية وحافظتهم الواعية مما حذر تدوينه في ما سلف •

فالاولان هما بطريركا الشرق الارثوذكسي العلامتان الكبيران : السيد الكسندروس الثالث البطريرك الانطاكي للروم الارثوذكس الحامل اعلى شهادة لاهوتية علمية • والسيد افرام الاول البطريرك الانطاكي للسريان الارثوذكس الممتاز بتنقياته الكثيرة ومطالعاته الوفيرة • اللذان (حفظهما الله) منذ اتصل بهما ما اقدمت عليه وعرفا ضالة المراجع التي قد الموضوع ؛ رافقا فكري حرسا على مكانة بلد توطناه • فلقنا نظري في حالي القرب والبعد الى كل ما وقع نظرهما عليه من مخطوطات او مطبوعات عربية او افرنجية لها صلة بتاريخ حمص • وكثيرا ما كنا ينقلان الي ما يجدان فيه فائدة ؛ او يبعثان الي بالسفر نفسه هدية غارية ، لدرس ما ورد فيه ، واستخراج النتائج المرجوة منه • وهو عطف اقدره لصاحبي القبطية الجليلين •

اما الفريق الثاني فاخص بالذكر منه شخصيتين كبيرتين لهما في تاريخ حمص يد طولى اولهما سليل بيت الافتاء من الاسرة الاتاسية الكريمة • صاحب الفضيلة ابراهيم افندي الاتاسي • الذي وعى في ذاكرته القوية حوادث قرن ونصف من اخبار حمص الهامة مما حبس عن التدوين • وقد اخذ بعضه عن اسلافه ذوي الاطلاع الواسع والخبرة الوافية • وبعضه الآخر عما رآه بعينه وسمعه باذنه منذ درج وشب الى الان • وثانيهما المنقب المجتهد الواسع الاطلاع والدقيق في تحرياته المرحوم محمد طه السكاف • الذي وعى في ذاكرته المنة ادق حوادث حمص مقرونة بتعليل صحيح ينطبق على العقل السليم والذوق المستقيم • ويرد الروايات المتشعبة والمعلومات المتباينة الى مجرى واحد • فاقدر لكليهما ما اسدياه الي من فضل راجيا لفضيلة الاول عمرا مديدا ولاجتهاد الثاني ذكرا مجيدا •

وهاءنذا اقدم ما ألفت هدية - والهدية على قدر مهديها - لحيي التاريخ من الناطقين بالضاد عموما وللسوريين منهم خصوصا وللحمصيين بنوع اخص • فان اصبحت في ما سعيت اليه فذاك ما يطمح اليه البصر والا فلست باول سار غره القمر والسلام •

﴿ مقدمة عامة ﴾

قبل الدخول الى حديقة التاريخ الحمصي ونخص ما فيه من غراس • ورؤية ما نال بعضها من نضارة وسموق وبعضها الآخر من ذبول وانحلال ؛ لا نرى بدأ من تمهيد السيل للرائي لاستيعاب ما يمر به • واخذ صورة عامة يسهل على الدهن الاحتفاظ بها • وذلك بوسيلتين الاولى تقسيم التاريخ قسمة طبيعية آخذ بعضها برقاب بعض والثانية تلخيص التطورات التي مرت بهذا البلد منذ نشأتها حتي الآن •

(١) تقسيم التاريخ الحمصي

اما في الاولى فقد قسمنا التاريخ الى قسمين ضمنا الاول تاريخ حمص منذ نشأتها الاولى الى ظهور الاسلام وفيه حوادث ثلاثين قرناً ؛ والثاني تاريخها منذ الاسلام الى الآن وفيه من الحوادث ما وقع في اربعة عشر قرناً • ومع ان مدة الثاني لا توازي نصف مدة الاول لكن وفرة موادها ، وتعدد مصادرها ، وقرب عهدها ، جعلها اسهل منالاً على المؤرخ واوسع مجالاً • وقد جزأنا كلا من القسمين الى عشر حقب ، بترتيب يسهل للقارىء الاطاحة باجرياتها كما يلي :

القسم الاول

حمص قبل الاسلام

من اوائل القرن الثالث والعشرين قبل المسيح الى ظهور الاسلام

مدة العمالة والامورين

٢٣٠٠ ق م — ١٩٠٠ ق م

(١)

- (٢) مدة المطانيين والحشيين
١٩٠٠ - ١٢٢٥ ق م
- (٣) حص في زمن الفينيقيين والآراميين والعبرانيين
١٢٢٥ - ٧٣٢ ق م
- (٤) في زمن اشور وكلدة وفارس
٧٣٢ - ٣٣١ ق م
- (٥) في ايام السلوقيين
٣٣١ - ٦٤ ق م
- (٦) في زمن آل سميسفرام
٦٤ ق م - ٧٩ ب م
- (٧) في زمن اسرة باسيان القبطرية
٧٩ م - ١٩٣ - ٢٣٥ م
- (٨) في زمن آل سميدع التدمريين
٢٣٦ م - ٢٧٣ م
- (٩) في زمن تألق النصرانية
١ م - ٤٥٠ م
- (١٠) حص قبيل الاسلام
٤٥٠ م - ٦٢٢ م



القسم الثاني

ممن بعد الاسلام

منذ ظهور الاسلام سنة ٦٢٢ م - الى الآن ١٩٤٠

- (١) حصص في صدر الاسلام
 $٦٢٢ - ٦٦١ = ١ - ٤١ هـ$
- (٢) في ايام الامويين
 $٦٦١ - ٧٤٩ م = ٤١ - ١٣٢ هـ$
- (٣) في ايام العباسيين الاولى
 $٧٤٩ - ٩٠٣ = ١٣٢ - ٢٩١ هـ$
- (٤) ايام الدول الاخشيدية والحمدانية والفاطمية والمرداسية
 $٩٠٤ - ١٠٨٠ م = ٢٩١ - ٤٧٣ هـ$
- (٥) ايام آل سلجوق وطفتي وزنكي وايوب على الصليبيين
 $١٠٨٠ - ١٢٣٩ = ٤٧٣ - ٦٣٧ هـ$
- (٦) زمن المغول والمماليك
 $١٢٣٩ - ١٥١٦ = ٦٣٧ - ٩٢٣ هـ$
- (٧) في العهد العثماني الاول
 $١٥١٧ - ١٦٨٧ = ٩٢٣ - ١١٠٠ هـ$
- (٨) في العهد العثماني الثاني
 $١٦٨٧ - ١٧٨٧ = ١١٠٠ - ١٢٠٣ هـ$

العهد العثماني الثالث

١٧٨٧ - ١٨٧٦ = ١٢٠٣ - ١٢٩٣ هـ

اواخر ايام العثمانيين والدور الجديد

١٨٧٦ - ١٩٤٠ = ١٢٩٣ - ١٣٥٩ هـ

(٢) تطورات حمص

(١) غزوة بوكالزاغيزي الكلداني ملك اوروك في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد . التي هيأت الافكار لمنطقة حمص في سوريا الشمالية . ويرجح ان مهاجرات العموريين كانت في هذه المدة .

(٢) اصطدام سرجون الاول خليفة بوكالزاغيزي بالاموريين في اثناء ضبطه سفن الفينيقيين لاجل غزوة قبرص . واهتمام هولاء بما يقيمهم الطوازي في المستقبل .

(٣) نشأة حمص الاولى على التل المعروف الآن بالقلعة وهو دور بداوة المحصين الاولين في القرن الثالث والعشرين

(٤) قدوم المظانيين الى هذه البقعة في القرن الثاني والعشرين وبنائهم قطنة (حيث قرية المشرفة الان) وقطعهم خط الاتصال بين حمص والشرق وهو دور البناء زحف كدرلاعومر على سوريا في القرن العشرين او قبيله . وما تركه من الاثر في سوريا الشمالية حيث حمص الآن .

(٦) قدوم الحثيين الى حمص وغزوة سيزوستريس الثالث (١٨٨٧-١٩٥٠ ق م) وهو دور الحياة العسكرية .

(٧) حثيو حمص يشتركون مع فصائل الحثيين بغزو مصر واحتلالها مدة غير قصيرة . واستسلام من بقي في بقعة حمص الى الدعة والهدوء

(٨) اهتمام المحصين بصد غارات المصريين من الجنوب الغربي [توميس الاول (١٦) والثالث (١٥) ورعمسيس الكبير (١٤) ورعمسيس الثالث (١٣) .]

- (٩) اهتمام الحصين بصد هجمات الاشوريين من الشمال الشرقي [تغلث فلاسار ،
ازيربال ، سلمناصر ، هددنيري]
- (١٠) اتحاد مملكتي صوبا (حمص) ودمشق الاراميتين لصد هجمات العبرانيين
[شاول وداود وسليمان الخ .]
- (١١) استهداف حمص لحملات الاشوريين في ايام سرجون وسنحاريب واسرحدون
واسوربانيال .
- (١٢) سقوطها تحت سيطرة الكلدان في ايام مجتنصر .
- (١٣) خضوعها لسيادة الفرس وراحتها من عناء الحروب
- (١٤) انتعاشها في ايام الساوقيين حيث عرفت انثذر باسم اميسا . ولما قسم
الساوقيون الشام الى قسمين جنوبي وقاعدته عكا وشمالى وقاعدته انطاكية
كانت حمص اهم مدن الشمال
- (١٥) ازدهارها في ايام آل سمسيفرام الوطنيين .
- (١٦) ازدياد نفوذها واتساع نطاق عمرائها في ايام القياصرة الحمصيين . وقد
جعلها سيفروس قاعدة سوريا الفينيقية . التي تضمنت الشطوط البحرية
وشرقي لبنان الى البرية . وضمن هذا القسم دمشق وبعبك وتدمر
- (١٧) اهمية موقفها ابان الحركات التدمرية
- (١٨) مقاومتها المسيحية لاول ظهورها ثم انصياعها لها وظهور مبادئ اهلها
السامية ابان النكبات الكثيرة التي المت بها .
- (١٩) في اواخر ايام الرومان قسمت الشام الى خمسة اقسام فكانت القدس
قاعدة الجنوب الاقصى ، وطبرية الجليل ، ودمشق الغوطة ، وحمص
فينيقية ، وحلب الشمال .
- (٢٠) وفي اوائل الاسلام قسمت الشام خمسة اقسام سميت اجناداً وهي فلسطين
والاردن ودمشق وحمص وقنسرين
- (٢١) وفي ايام الامويين ضمت قنسرين وكورها الى حمص وظل ذلك الى
زمن يزيد الذي جعل قنسرين وانطاكية ومنبج جنداً واحداً
- (٢٢) وفي ايام العباسيين انفردت قنسرين وجعلت مع حلب وكورها جنداً
واحداً وذكر المقدسي (٨٣٧٥) ان الشام كانت ست كور حمص احداها

(٢٣) وفي القرن الخامس الهجري كانت الشام خمس ممالك صرخد والزبداني وحمص وحماة وحلب

(٢٤) وفي أيام المماليك قسمت الشام قسمين جنوبي وقاعدته دمشق . وشمال وقاعدته حلب . وجعل الأشرف سنة ٧٦٨م حلب اكبر من دمشق فتبعته حمص .

(٢٥) وفي القرن الثامن الهجري قسمت الشام اربع مناطق :
الاولى - الغربية الساحلية - وفيها عشر نيابات منها غزة والقدس .
وخمس ولايات منها الرملة واللد .

الثانية - القبلية - من نياباتها صرخد وعجلون . ومن ولاياتها بيسان وبانياس واذرعات وحسبان والسلط وبصرى .
الثالثة - الشمالية - فيها نيابة بعلبك ولايات البقاع وبيروت وصيدا .
الرابعة - الشرقية - نياباتها حلب وطرابلس وصفد ولاياتها تبنين وهونين والشقيف .

وذكر الفلقشندي (٧٥٦ - ٨٢١) ان قواعد الشام ست وهي دمشق وحلب وحماة وطرابلس وصفد وكرك (من هذا الوقت اخذت حمص تتضائل) .

(٢٦) وفي القرن التاسع عدّ الظاهري (٨١٣ - ٨٧٢) سبع ممالك في الشام دمشق والكرك وحلب وطرابلس وحماة وصفد وغزة .

(٢٧) وفي أيام العثمانيين (من أيام السلطان سليم الى احمد) قسمت الشام الى ثلاث ايالات .

(١) دمشق - وفيها عشرة الوية اهمها القدس وغزة وطرابلس ونابلس وصيدا وبيروت وتدمر .

(٢) وطرابلس - وفيها خمسة الوية طرابلس وحماة وحمص وسلمية وجبله .

(٣) وحلب - وفيها تسعة الوية تتناول سوريا الشمالية كلها عدا عين تاب .

(٢٨) وسنة ١٠٢٠ هـ (١٦٦٠) احدثت الدولة ولاية جديدة لمراقبة الجبل وهي ولاية صيدا .

(٢٩) وسنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٤) قسمت الى ايتين دمشق وصيدا وسنة ١٢٨١

(١٨٦٤) اخذ لواء الرها من الجزيرة ولواء مرعش من الاناضول والحقا بحلب فجعلت ولاية براسها . وجعل باقي الشام ولاية اخرى قاعدتها دمشق فكانت حمص من حصة دمشق .

(٣٠) بعد خروج المصريين سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) كانت القدس تابعة لصيدا فجعلت سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) لواء مستقلا وسنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) استقلت الكرك عن القدس وجعلت مع وراء الاردن متصرفية براسها وسنة ١٢٩٥ (١٨٧٨) جعلت بيروت ولاية مستقلة عن دمشق واضياف اليها عكا ونابلس واللاذقية وطرابلس وصور وصيدا ومرجعيون .

(٣١) في اواخر ايام الترك كانت الشام مقسومة الى ثلاث ولايات دمشق وحلب وبيروت وثلاث الوية مستقلة القدس ولبنان ودير الزور .

(٣٢) بعد جلاء الترك جعلت المدن الاربع (دمشق وحمص وحماة وحلب) دولة واحدة وجعل جبل الدروز منطقة مستقلة قاعدتها السويداء والبلاد العاوية قاعدتها اللاذقية ولبنان قاعدته بيروت .

(٣٣) في ابان الانتداب الافرنسي على المنطقة السورية رأى دهاقين رجال السياسة الافرنسية ، ان حمص اجدر المدن السورية بان تكون القاعدة . لموقعها الطبيعي في وسط البلاد السورية ونقطة الاتصال بين الشمال والجنوب والشرق والغرب . وقد قدم تقرير بذلك سنة ١٩٢١ .

(٣٤) سنة ١٩٣١ على اثر الثورة السورية توحدت المناطق الثلاث الشام وجبل الدروز والبلاد العاوية وجعلت دمشق عاصمة الدولة السورية الموحدة .

مقدمة خاصة

للقسم الاول من تاريخ حمص

- الينابيع التي ارتشفنا معلوماتنا منها -

نوطه

الذي يقدم على كتابة تاريخ حمص منذ نشأتها الاولى ؟ يصطدم بعقبة كاداء. حالما يمسك القلم . ولا يستطيع اجتيازها حتي يجد جواباً على هذه الاسئلة (١) متى وجدت حمص ؟ اهي من المدن السورية المشهورة بقدمها ام هي احدث عهداً من تلك ؟

(٢) من وضع اسمها الاولى ؟ امن نسل سام ام من نسل حام ؟ ما هو الاسم الذي وضع لها ؟ هل اشتق اسمها من اسم اول واضع حجراً في اساسها او عن معنى يتضمنه موقعها ؟

(٣) كيف كانت معيشة قاطني هذا الصقع ؟ ومن استمدوا نظام مجتمعاتهم ؟ امن دين تمسكوا به ام من سياسة كانت تدير شؤونهم ؟ ما هو ذلك الدين او تلك السياسة ؟

تلك اسئلة تبدو للخطر لاول وهلة تمر به نشأة حمص الاولى . ولا بد له من الوصول الى يقينية معرفتها او ترجيحها . والا تطرق الشك الى صحة ما يرويهِ المؤلف . وقد يُظن انه من الساجين في جو الاوهام . لا يهجم اصاب ام اخطأ في ما يكتب . شأن الكثيرين ممن يعجزهم التحقيق ويضنكهم السأم لحراجه المباحث التي يعالجونها ، فينصرفون عنها الى مروج من الخيال اللذيذ يلهون به القارئ . وعلى الحقيقة المستازمة الصبر والتجلد والسلام .

ان تاريخ هذه البقعة ظل مغموراً بالحفاء ، لعدم الاهتمام بتمزيق الستور

الصفيفة التي حجبتة عن ابصارنا مدة طويلة . ومن سعى اليه لم يفلح لانه لم ينصب - كما قال احد الاثريين - في طريقه اعلاماً يستطيع ان يحدد بها المسافات التي يجتازها ، لتعين المدد المنقضية التي يحوم حولها طائر الريبة ، الذي اثاره ويشيره ذور الآراء غير الواضحة . اذ احاطوا الحقيقة التاريخية بنطاق من الظلمات الكثيفة ضلت بها العقول النيرة لكثرة المناقضات التي طرحوها . ويشجعنا على اقتحام هذه العقبة ، آثار اكتشفت حديثاً فارسلت نوراً بدد حنادس الريبة عن كثير من زوايا التاريخ القديم .

قلنا ان استكنا ما ير بالحاطر من الاسئلة الموردة اعلاه امر لا بد منه لانها الاساس الذي يشاد عليه صرح هذا البناء التاريخي . ولكن الوصول الى هذه البغية ليس بالامر السهل المثال . لان الوصول الى مكتوبات تعاصر الوقت الذي بنيت فيه امر متعذر . (اذ بنيت - كما ستري - في عصر سابق للتاريخ) . فلا بد اذن من اللواذ الى وسائل اخرى تنيلنا هذه الامنية . فهل لدينا ما يملأ الفراغ الذي خلت منه المكتوبات ؟

اجل اننا وان تعذر غلبنا الوصول الى مؤلف يشرح لنا ما نريده ، الا اننا لم نعدم وسائل اخرى تنيلنا ما نتمنى ، ان لم يكن بطريق يقينية فبما هو قريب من اليقين وهذه الوسائل ثلاث :

(١) الآثار القديمة المكتشفة حديثاً .

(٢) اساطير الامم وتقاليدها بعد تنقيتها من ملابساتها .

(٣) ما نشر في الاسفار التاريخية القديمة .

ففي الآثار لم نجد ذكر حمص بصورة صريحة لكننا وجدنا فيها ما يستطيع معه استنتاج عراققتها في القدم بقدم عمران منطقتها . ولنا امل عظيم بان المستقبل سيكشف الغطاء عما غمض من آثارها الخاصة . واهم الآثار التي استطعنا السير بنورها لكشف معنى نشأتها الاولى ، انما هي آثار دولتي اشور ومصر اللتين كان لهما احتكاك بهذه البقعة . وقد وجد من آثار الاولى ما تصل انبازه الى القرن الاربعين قبل الميلاد (ادي شير) والثانية امتدت انباء مكتشفاتها الى ما قبل القرن العشرين .

اما الاساطير فهي وان لم تصح ان تكون اساساً حقيقياً للتاريخ ولكن

من الامور المسلمة انها بواسطة الاشخاص الذين تحجب عنهم ؛ والمآثر التي تنسبها اليهم ، تعطينا صورة حية ولو مصغرة لنشأة البلد الاولى . على ان الاساطير ليست برمتها تخيلات كما يظن البعض ، بل هي تتضمن تحت نقاب من الاوهام حوادث تاريخية صحيحة . ولذلك قال احد العلماء الذين يركن اليهم : ان كل الاساطير القديمة وجد لها اساس صحيح . ولكن المتوسعين في الروايات اضافوا اليها ما خطر لهم فافسدوا مظهرها (تاريخ لبنان صفحة ٣٢٧) فاذا لم نتخذها اساساً للتاريخ فلا يسوغ اهمالها لانها المصدر الوحيد للعصور القديمة واحياء الاخبار الحقيقية المنسية . وقد كانت في ما سلف مقبولة ومعتبرة في كل الاصقاع كتاريخ غير مشكوك فيه فلا بد والحالة هذه من درسها مع الاحتراس من خلط التاريخ بالخيال كما قال لوسيان (اثار لبنان صفحة ١٩٥) .

واذا اضفنا الى الوسيلتين المذكورتين ما حوته التواريخ القديمة وقابلنا المصادر الثلاثة احدها مع الآخر استطعنا ان نستخرج التاريخ المطروب بصورة مأمونة او قريبة من اليقين .

لدينا عدا اسفار التوراة جمهرة من الاسفار القديمة العهد نقلت عن هوميروس وهسيود وهيرودوت وكتازياس وباروز ومانبتون وسنكونياتون وبطليموس وسترابون وبليني وسواهم .

وثمة اسفار حوت مع تاريخها الخاص كثيرا من الاساطير . ونطقت بكثير مما اكدته الان الآثار القديمة وان وجد احيانا بينها بعض التباين الذي تتجلى حقيقته بالمقابلة ودقة النظر .

فيكون كلامنا نافصاً ان لم نصف هذه المصادر ولو بوجازة ، وصفاً يصورها للقارىء العزيز كما هي لا كما يريد فريقاً « محبي تصديق كل رواية » او « الشاكين بكل ما يقال » .

المصنف الاول

لتاريخ حمص القديم

(١) الامار [ارخيلوجيا]

ارخيلوجيا لفظ يوناني مركب من كلمتين «ارشوس» ومعناه القديم و«لوغوس» ومعناه الكلام ومعنى اللفظين معاً الكلام عن القديم . و اراد به واضعوه في الاصل معرفة الاثر القديم او الامة القديمة . وبهذا المعنى سمي ديونيسيوس الهاليكرناسي كتابه التاريخي «ارخيلوجيا» .
لكن هذا الاسم تحول عن معناه الاصلي وصار يطلق الآن على علم قانوني يراد به معرفة الآثار والابنية القديمة والاستدلال بها على حقيقة التاريخ الذي عاصرته .

وعلم الآثار المعروف الآن من العلوم الحديثة التي لم يزد عمرها عن قرن الا قليلاً . غير انه مع هذا ضارح باهميته العلوم الاخرى القديمة العهد . بل احتلّ فيما بينهما مكاناً رفيعاً . اذ يتوقف عليه تحقيق شؤون كثيرة لا يمكن الجزم بصحتها بدونه .

وقد كشف هذا العلم غوامض كثيرة كانت مغمورة بظلام داس وشك عميق . فلما اتسعت دائرة الارخيلوجيا انكشف الغطاء عنها وظهر التاريخ في المظهر الذي يوجب الاحترام وكبرت الآمال بامكانية انقشاع الشك عن امور كثيرة بواسطة الاكتشافات الحديثة .

واول من باشر البحث العلمي في الارخيلوجيا الحديثة - على ما نعلم - شاب افرنسي يدعى فرنسوى شمبوليون وفق الى ذلك يجهد عظيم بذله في الحادثة التالية :
سنة ١٧٩٩ عثر احد الضباط الافرنسيين على حجر قرب مدينة «رشيد»

الواقعة على المصب الغربي لنهر النيل طوله ٤٥ قيراطاً وعرضه ٢٨ وهو من الرخام الاسود عليه كتابات بثلاث لغات .

نسخت تلك الكتابات ووكل الى اثنين حل رموزها . الاول انكليزي وهو الدكتور يونغ اشتهر بدقة نظره وسعة خبرته . والثاني فرنسوي وهو شموليون المشار اليه اعلاه . بجاهد الاول مدة اربع سنوات فلم يتوفق بعد هذا الجهد لاكثر من معرفة تسعين كلمة . اما الثاني فقد وفق الى حلها كلها وانه ما تمنى حادث سابق .

فانه رأى مسلة مصرية كتب على قاعدتها باللغة اليونانية ان المسلة للملكين بتولائيس وكايوباترا وعلى بدن المسلة كتابة هيروغليفية فرأى بذلك انه لا بد من وجود اسمي الملكين بالحروف الهيروغليفية على بدن المسلة . ولما عثر على الاسمين اخذ يقابل بين الحروف المؤلف منها اللفظان مستنتجاً ان الثاني من لفظ كليوباترا يماثل الرابع من بتولائيس والخامس الاول والرابع الثالث و١٠٠٠ الخ فصح استنتاجه وتكن بتابعة البحث بمقابلة هذا الاسم مع اسكندر فعرف ١٢ علامة هيروغليفية فاعلن اكتشافه هذا للأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٢٢ وتمكن :ا عرفه ان يقرأ حجر رشيد . وقبلما ادركته الوفاة سنة ١٨٣٢ الف كتاباً في صرف ونحو اللغة المصرية القديمة وقدم بعمله هذا خدمة للعلم لا تشمن (براستد عدد ١٣٣ ص ٧٢ والاصداء ص ٨٥ - ٨٧)

اما الخط المماري فاليك كيفية اكتشافه : ان في مقاطعة - كرمانشاه - على الحدود الغربية من بلاد الفرس صخر يدعى بهستون ارتفاعه نحو ١٨٠٠ قدم حفرت عليه بحروف مسبارية كتابات بثلاث لغات بابلية وفارسية ومادية ووجد بين عمال الشركة الهندية الشرقية ترجمان انكليزي اسمه هنري رولنسون انتظم في سلك الجيش الفارسي سنة ١٨٣٥ وعمره آنذ ٢٥ سنة فنسخ الكتابات المذكورة بصعوبة شديدة ثم اخذ يعمل على فهمها بتعريف الحروف المسبارية . وبعد درس ١١ سنة تمكن من حل رموزها وفهم انها اذاعة امر بحفرها داريوس سنة ٥١٦ لشر انتصاراته في القرن السادس قبل المسيح (٥٢١ - ٤٨٤) ولما تيقن فهم الكتابة ، نشرها في اللغات الحية سنة ١٨٤٦ ، النشرة سنة ١٩٢٥ ص ٥١٤ والاصداء ص ٩) ودائرة البستاني ص ٦٤٠

فبعد تعليقاتنا على ما تقدم علينا ان نعرف الآثار التي لها صلة بتاريخ حمص
ومن الممكن ان يوجد في المستقبل ما لم نجده الآن غير اننا نعلم بما عرفناه
وندع للمستقبل كشف ما جهلناه جلاء لغوامض التاريخ او تفصيلاً لما أجمل فيه
ونظرنا الى هذه الناحية بصورة مجملة يرينا مصدرين من الآثار التي لها صلة
بالبلاد الشامية ومنها نستطيع ان نجد ينابيع معرفة نرتشف منها ما يبرد بعض الظما

المصدر الاول

الآثار الاشورية

ان الفضل الاعظم باكتشاف الآثار الاشورية يعود للعلامة جورج سميث
الانكليزي (١٨٣٥ - ١٨٧٦)
في اوائل العقد الثامن من القرن التاسع عشر اهتمت لجنة الحفريات
الانكليزية بالتنقيب على الآثار الاشورية حيث مدينة نينوى الخربة . وانتدبت
لهذه المهمة الشاقة العلامة جورج سميث . فباشر عمله برغبة حارة وهمة عالية وكان
سروره عظيماً حينما عثر على كسيرة فيها كلمات قليلة عن حوادث سبقت التاريخ
فهمه الامر واخذ يفتش عن اجزاء اخرى يتم بها الحديث . فوجد في اوقات
مختلفة عدة قطع ملاء بها الجزء الاعظم من العمود الثاني . فازداد نشاطه وتابع
التنقيب فوجد اجزاء نسخة ثانية من البحث نفسه . فاشهر اكتشافه هذا سنة ١٨٧٢
في اجتماع لجنة الآثار القديمة فكان اثر ذلك عظيماً في النفوس المحبة التحقيق .
فطلب اليه المستر ارنولد ان يتابع تنقيبه على نفقة جريدة الديلي لتعرف
بنية وجود الاقسام المفقودة فسافر الى جهات كوينجك وباشر الحفر فعثر على
قطع جديدة ملأت فراغاً كبيراً في القصة الكلدانية . وكسر اخرى ساعدت
على اتمام الصفحة .

وفي السنة الثالثة توجه ثانية الى اشور موفداً من قبل وكلاء معرض التحف في لندن فنجح واحضر قطعاً عديدة جديدة الى وطنه .

وفي سنة ١٨٧٥ اعاد الكرة لارتياح البقعة الاشورية ولكنه قضى في هذه السفرة لشدة ما عاياه من الجهد . غير ان ذلك افادنا بما لا بد من معرفته لتاريخ حمص . وخلاصة ذلك في ما يلي : بينما كان العلامة سميث سائراً الى نينوى مرّاً بجلب واجتمع فيها بالمستر سيمكان قنصل انكلترا فيها . فاخبره هذا انه وجد على ضفة الفرات الغربية خرائب مدينة كبيرة ذات اسوار منيعة ويدعى هذا الموضع عند العرب جرابلس . فذهب سميث بذاته الى ذلك الموضع وتفحص خرابيه ونسخ الكتابات التي وجدها فظهر له من البحث فيها ان تلك المدينة الخربة العظيمة ، انما هي كركيش عاصمة الحثيين في الشمال ، التي سماها اليونان « هيرابوليس » (المدينة المقدسة) فكتب الى انكلترا يخبرهم بوجوده كركيش عاصمة الحثيين . وكان لهذا النبأ اثر عظيم عند المحققين .

وفهم اخيراً ان ما وجد في الحفريات انما هي اللوح التي ضمنها مكتبة اشور بانينال في القرن السابع قبل المسيح . وبعد ما ظن سميث لاول وهلة انها منذ الفين وخمسمائة سنة عاد واستدل بدلائل وجيهة انها من القرن السابع عشر قبل الميلاد . ومن ادلته (١) ان كتاب اشور بانينال استعمالوا حروفاً قديمة جداً في كلمات لم يدركوا معناها وانما صوروها تصويراً (٢) ان الرواية اختلفت في احدى الفقرات عما وجد في غيرها من اللوح مما دل على ان بعضها قد اخذ عن اصل قديم جداً (٣) ان العلامة بيسيونت مورغان حفظ في مجموعته بعض قطع يرتقي تاريخها الى السنة الحادية عشرة للملك اميسادوكا البابلي وهي سنة ١٩٧٣ ق م على رأيه ، او سنة ١٨٦٨ على رأي هياوكيت . وثبت ان الروايتين مأخوذتان عن نسخ اصلية اقدم منهما ايضاً (اصداء التوراة ص ٦ و ٣٦ و ٣٧ و ١٤٥-١٤٨) دائرة البستاني ١٠ ص ٨٢ والدبس ١ ص ٨٠ و ١٩١) .

المصدر الثاني

الأثار المصرية

ان الآثار المصرية اغنى بالمعلومات التي تهينا من الآثار الاشورية . وانما قدمنا الاولى بالذكر لان مروياتها اقدم عهداً من الثانية واذا اغضينا عن آثار تل اليهودية التي اكتشف فيها سنة ١٨٨٦ حصن بساماتييك ومدينة تحفنجيس وخرائب تل بسطة الذي ذكره هيروودوت (المقتطف ١٢ ص ٨٣-٨٧ و ١٤ ص ٣٠٣-٣٠٩) بواسطة الاثري الشهير ادوار نافيل فاننا لا نرى بدءاً من تلخيص ما اتصل بنا عن الآثار المكتشفة بتل العمارنة سنة ١٨٨٨ لشدة صلتها بتاريخنا » ان تل العمارنة عبارة عن مزرعة صغيرة بازا. واد. موقعه الى الجنوب من مدينة المنيا في الصعيد مسافة ٨٠ كيلو متراً عند ضفة النيل الشرقية . وفي هذا الوادي المحاط بالصخور بقعة واسعة تمتد من قرية « الشيخ قنديل » وكان على وجه البقعة المذكورة اطلال ابنية قديمة تهدمت وفي الصخور المجاورة مدافن قديمة حفرت في الصخر عليها نقوش وكتابات هيروغليفية .

ففي احد شهور سنة ١٨٨٨ كان احد الفلاحين يعمل في تلك البقعة فعثر على صناديق خشبية فيها قطع من الابج مكتوبة على الوجهين بسطور متلاصقة فسر الفلاحون من بيع ما اكتشفوه اذ كان ربحهم عظيماً . ودفعهم الجشع الى كسر اكبر هذه الألواح ليزيد عددها والربح منها . ولكان جهلهم اودى بهذه الكنوز الدفينة لولا معرفة الحكومة بذلك . فضبطت ما وجدته للحال وحالت دون تلف شيء منه . واعطي المتحف البريطاني احسن تلك الألواح وعددها ٨٠ قطعة كبيرة . واخذ المتحف المصري ازبد من ستين قطعة . وابتاعت دار العاديات في برلين ١٨٠ قطعة صغيرة . كما ان بعض الخاصة حصلوا على عدة قطع صغيرة احتفظوا بها .

ولما درس العلماء هذه الألواح رأوها كتابات مسمارية بابلية وعت . مكاتبات

ماورك الشام الى امنوفيس الثالث والرابع في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .
ومن المدن المذكورة في هذه اللوح دمشق (دمشق) وكاتنه (المشرفة)
التي ظننا الاب لامنس قطنه قرب دمشق غير ان الاكتشافات الاحداث عهداً
من تلك دات على انها بلدة قامت في ضاحية حيث قرية المشرفة التابعة لحمص .
وتكرر ذكر مدينة تدعى « نخاسا » ذهب العلامة تبيور الى ان موقعها
في الشمال الشرقي من لبنان لكن الاب ديلاتر رأى انها قريبة من حمص .
وخلصة هذه الرسائل المشار اليها استجد كاتبيها بفرعون مصر لينقذهم
من الحثيين الغزاة واهميتها تقوم في انها كتبت قبل عصر موسى وفيها تفاصيل
ببسط ما اقتضته التوراة وسننقل ما يهمننا منها حيث لها صلة بالموضوع ان شاء
الله (انظر آثار لبنان ص ٧٢ ومجلة الكلية ٨ ص ١٩٩) .

ولا نرى بدأ من لفت نظر القارئ الى ان الآثار القديمة مع اهميتها
- لعدم قابليتها التحريف بالنسخ كالمكتوبات القرطاسية او ملايسة افكار سقيمة
او خواطر وهمية بالتقليد كالاساطير - لكنها في كل الاحوال قد كتبت او حفرت
بامر ذي شأن ليغادر بها الاجيال القادمة . فلا يجوز قبولها على علاتها بل لا بد
من اعمال النظر فيها لاستجلاء حقيقتها . ولا سيما اذا قوبلت على اثرين كل
من صاحبيها يدعى الانتصار على الآخر . ومن استرشد العقل وسار في جور يعاو
ال عاطفة الخاصة أمن العثار .

المعين الثاني

لتاريخ حمص القديم

(٢) الاساطير [ميثولوجيا]

ميثولوجيا لفظ يوناني مركب من كلمتين « ميثوس » ومعناها « اسطورة » ،
حكاية « ولوغوس » ومعناها الكلام . ومعنى الكلمتين معاً الكلام عن

الاساطير . وهي قصص از حكايات كانت ذات اصل صحيح . ولكن تداول الالسنه اياها زمناً جعلها عرضة لان يدس فيها ما لا اصل له . فتكيفت بالصّور التي اخذتها من البيئات التي وصلت اليها . ثم تجرأ بعضهم فاضاف اليها بعض الغرائب لاغراء الناس على سماعها ؛ والبشر عشاق الغرائب . فتشوه الاصل بكثرة ما اضيف اليه . وخرجت القصة من دائرة التاريخ الى حقل الخرافات . فاعرض عنها المحققون زمناً طويلاً لعدم رؤيتهم فيها ما يستدعي الاهتمام .

غير ان اولي التفكير — من عهد غير بعيد — رأوا لهذه الاساطير اصلاً صحيحاً لا يجوز اهماله ، وعدم اخراجه من بؤرة الحكايات الموضوعة . فاهتموا بالتنقيب عن ذلك الاصل وتجريده من التلبيس الذي حجب حقيقته عن الدارسين . غير ان هذا المقصد لم يكن من السهل تحقيقه . بل لا بد فيه من دقة نظر وسعة اطلاع ، لاستخلاص الحقيقة من برائن الاوهام والخيالات . فاخذوا يقابلون ما يحكى على ما نقله ثقات الرواة . وما حفظ من آثار العصور القديمة في باطن الارض او في مصون من الاوضاع .

ولم تذهب هذه التحقيقات لحسن الحظ عبثاً . بل تجلت حقائق كثيرة في متون الاساطير . فاحتفظوا بما بقي آملين ان يكشف لهم الزمن عما غمض عليهم الآن . وكشفت بواسطة الاساطير غوامض كثيرة في تاريخ الانسان تعذرت معرفتها بادىء بدء لاقتضاب في روايتها ، ولاحتمالها اكثر من معنى واحد في الفاظها . وما يرحوا يتابعون بحشمهم مقابلين بين الميثولوجيا والارشولوجيا وما دون من التواريخ . وكلهم آمال في استجلاء ما غمض ومعرفة ما جهل . وبما اكد ان للاساطير اصلاً صحيحاً ، ان الامم كادت تتساوى في ما تناقلته منها . وبعضها يقرب كثيراً مما تروييه الاخرى . والاختلاف يكاد يحصر في التفاصيل او الاسماء دون المسميات .

ففي بلادنا الشامية تجد إضبارة من الاساطير من اهمها عليون وزوجته واولاده . وادونيس او ثوز موجد نهر الكلب . وصيدون منشى صيدا وزوجته . وهرمونية زوجة قدموس (منشى الحروف) ونرسا (منشى عكار) وديونيس (معبود دمشق) وتيفون (موجد العاصي) . وفي اشور يتردد على مسامك كثيراً هذه الاسماء شيشيت وغلجاموس وبعل

وترغال ونبو ومرودوخ وسيراميس .
وفي مصر تطن اذنك اكثر ما تسمع بذكر اوزيريس وامون وايزيس
وبانو وابو الهول وثور واجييت .
وفي الاساطير اليونانية ما كاد يتعذر حصره منها . ومن اشهرها جينون
واياون وديانا ومنيرفا وفولكان واسكولاب وسايس وباخوس الخ .
ولا بد من تلخيص بعض هذه الاساطير لمعرفة كيفية استخلاص الاصل
من الخرافة التي لبسته لافتين الانظار الى ان هذه الحكايات ليست برمتها تاريخية .
غير أن بعضها حوت ذرات من الحق والبعض الآخر وردت فيه حوادث حقيقية
بطريقة غير واضحة كما اشار الى ذلك العلامة مايار (عدد ١١٥٠) واليك
نودجات منها :

فمن اساطير الكلدان

- قصة شيشيت -

هذا يسميه اليوناني « كيثوستروس » وهو الذي حدث الطوفان في ايامه
وخلاصة قصته كما يلي :

لما كثرت الناس اراد الآله بيل ان يحجو البشر بالطوفان فظهر لشيشيت
وامره ببناء سفينة لينجو فيها واصفاً فيها بذور حياة الكائنات فاطاع شيشيت
الامر وبني السفينة . ولما دخلها ظهرت سحابة سوداء واعد الآله هود في السحابة
وانار ترغال الزوبعة فصارت الارض بحيرة وفي اليوم السابع انقطعت الامطار وفتح
شيشيت الشباك فرأى الارض مغمورة بالمياه فبكى .

واستقرت السفينة على جبل فردو وبعد ستة ايام اطلق شيشيت حمامة فلم
تجد مقراً فعادت . ثم بعث السنونو فطارت وعادت ايضاً . ثم اطلق غراباً فرأى
المياه قد غاضت فعاد الى السفينة ناعقاً ومصفقاً بجناحيه ثم غاب ولم يرجع .

فاخرج شيشيت الحيوانات الباقية من السفينة وقرب قرباناً فسر الآلهة كلامهم
لنجاة الانسان ما عدا بيل الذي ابتغى اهلاك من كانوا في السفينة . ولكن

شيشيت سكرن غضبه فامسك بيده واخرجه مع امرأته من السفينة واخذهما الى مصب الانهر حيث تألهآ . ثم امره بالذهاب الى سيار لاستخراج الاسفار المدفونة فيها ففعل ثم انشأ هياكل عديدة . وبني بابل الجديدة وحاولت ذريته بغرورها اقامة برج عال ينطح السحاب فارسلت الآلهة عليهم ريحاً شديدة هدمت البرج وبلبلت الستهم (ادي شير عن بيروس) .
فهذه القصة متى خلصت من شوائبها رأيت لها اصلاً تاريخياً .

ومن اساطير مصر

- قصة انبو وبانا -

انبو وبانا شقيقان اكبرهما انبو كان يعامل اخاه الصغير بانا معاملة الابن ببحران فائق وكان هذا يرعى ماشية اخيه ويساعده بجراته الارض واستئثار الحقول . ففى احد الايام بينما كان بانا مع اخيه فى الحقل يذر البذار فى الارض فرغت الجعبة ، فارسله اخوه ليحضرتمة البذار بسرعة . فوجد امرأة اخيه فى البيت تسرح شعرها فرأته وقد احمر وجهه من الركض فراقبتها هيأته فراودته فنفّر منها وقال لها انك بمثابة أمي ، واخي رباني صغيراً فهو بمثابة اب لي . فكيف اخونه ؟ فاخات سايه واكبتها اذ خافت ان ييوح بسرّها لاخيه تناولت شجراً حتى علت حرارة جسمها . وتظاهرت بالمرض واخذت ثن انيناً شديداً عند مجي زوجها متهمة اخاه بالتصدي لها وضربه اياها ضرباً مبرحاً لعدم مطاوعتها اياه على الخيانة .

فاستشاط انبو غيظاً من اخيه ولما حضر شهر عليه السكين ينبغي قتله ففر بانا منه فتعقبه ولما كاد يدركه استغاث بانا بالاله « راهرختي » ففصل بينهما بنهر مملوء بالتاسيح ولما أمن الصغير فتك الكبير افضى اليه وهو على الشاطئ . المقابل بما جرى على حقيقته . فبكى انبو وقتى رجوع اخيه اليه ولكن حيل بينه وبين اخيه بالما . فأمله بانا بالعودة اليه بصورة اخرى ، وهو انه يذهب الى وادي الاكاسيا حيث يعلق روحه فى ازهارها . فعلى اخيه ان ينتظر وقوع زهرة منها فى كاسه فيجيا ثانية ويعود اليه . فعاد الكبير الى البيت فذبح امرأته ولبث

ينتظر عودة الهناء الى نفسه بواسطة زهر الاكاسيا .
وفي الاسطورة كثير من الغرائب التي حصلت لاختيه في وادي الاكاسيا
ثم وصلت اخيراً بذرة الاكاسيا الى اختيه بواسطة النهر فالتقطها ووضعها في كاس
ماء فعادت اليه الحياة . وبعد تفاصيل ميثولوجية طويلة وصل بانا الى عرش مصر
حيث حكمها ٣٠ سنة ولما مات خلفه اخوه (النشرة سنة ١٢٨ ص ٣١٤ و ٣٣٢)
هذه الاسطورة موجودة في المتحف البريطاني مكتوبة على البردي وقد
اصفر لونها لكثرة ما مر بها من السنين ويمكن الاثريون من حل معانيها
بعد جهد عظيم فتشروها مطبوعة بعد ان ظلت مطوية على الارض ٣٢ قرناً
واستنتجوا ان تاريخها يعود الى عهد السلالة التاسعة عشرة وقد دونها كاتب
مصري اسمه انا .

فاذا جردت هذه الاسطورة من ملابساتها الغريبة رأيت لها اصلاً تاريخياً
كثير الشبه بقصة يوسف وهي كما تعلم تاريخية . وفي الاسطورة اشارة واضحة
الى اعتقاد المصريين القدماء بخلود النفس والقيامة بعد الموت .

ومن اساطير اليونان

- قصة بروميثيوس -

وخلاصتها ان الاله جابت (اورانوس) تزوج كليمنيا (اسيا) فرزق منها
عدة اولاد منهم بروميثيوس فصنع هذا انساناً من طين رآته ميترفا اعجبها
فعرضت على بروميثيوس كل ما يريده ليكملها فاقترح عليها اصعاده الى السماء
لاختيار ما يناسب فيها لاجل تجميله ففعلت فاخذت من السماء النار التي تلهب
الاجرام السماوية فغضب جوبيتر واستردها فرفعته ميترفا ثانية فاخذت من السماء اشعة
الشمس فغضب جوبيتر واستردها ايضاً ولكي يتخلص من هجومات بروميثيوس
امر الاله فولكان ان يصنع امرأة تجمع كل المحاسن لتغوي بروميثيوس ويترك
الانصياع لميترفا فلم يقع بروميثيوس في شرك صنعة فولكان ولكنها لم تكن
من اغواء اختيه اذ اخذ منها علبة حوت مع ما فيها من العطورات سحابة من
الآلام انتشرت حالما فض العلبة . ولم يكف هذا لارضاء جوبيتر اذ استصعب جداً ان

يقول بروميثيوس من يده قامر عطارد ققيده بسلسلة ووضع على قمة جبل
قوه قاف الشامخ وسلط عليه النسر ابن تيفون (العادي) ليضم كبده فكان هذا
يفعل ما امر به ولكنه لم يستطع بلوغ النتيجة المتوخاة وهي اهلاك بروميثيوس
باتلاف كبده لان الكبد كانت تعود الى ما كانت عليه ببقا جزء منها وظل
الامر على هذا المنوال ثلاثين سنة واخيراً جاء هرقل منقذ الاغريق فقتل النسر
وكسر قيود بروميثيوس وانتقذه مما ألم به . ولما نجا بروميثيوس اصطاح مع جوبيتر .
وانت ترى ان هذه الاسطورة مع ما لابسا من الخرافات مطوية على
اجمل المعاني وادق الرموز . اذ مثلت الشمس القوة التي لا تقهر خاضعة لنا موس
الطبيعة . وان البشر لما انحرفوا مع الميول النفسية ذلوا وتقيدوا ولكنهم لم يموتوا
فاقتضى الامر حضور منقذ يصلحهم مع الكائن الاعظم الخ

اذن يسوغ لنا ان نستخرج من الاساطير في كثير من الاحيان حقائق
تاريخية وادبية حجبها عن نظرنا الملابس الوهمية التي البستها اياها الاجيال .
فان حرب طروادة (١١٩٤ - ١١٨٤ ق م) ظل الى عهد بعيد يعتبر محور خرافة
الى ان اظهرت تنقيبات هنري شليان سنة ١٨٧١ - ١٨٧٣ حقيقتها وانتهى الجدل
الذي قام بين المحققين مدة ستين سنة (براسد ص ١٨٦ والنشرة سنة ١٩٣١ ص ١٣١
و ٦٥٧ والمباحث ١٦ ص ٣٨٤) .

وكذلك قيل عن الغزوة الدورية سنة ١١٠٤ ق م التي اعتبرها الناس خرافة
الى ان دلت الآثار عند مسيني سنة ١٨٧٦ انها صحيحة حتي جاهر الاستاذ
مانت ان هذا الاكتشاف اهم بناء تاريخي في الزمن الحاضر اذ حقق ان الاساطير
القديمة التي روت ان مسيني كانت قبل عصر الدوريين مقر سلالة ملكية غنية قوية ، مبنية
على اساس صحيح (ما بار عدد ١٢٠ -) .

قال هورن : كلما رجعت القهقري تظهر لك الآثار في التقاليد المتسلسلة
حياة قوية ونشاطاً شديداً . ولا سيما في تلك البلدان التي كانت قريبة من
مصدر العمل المروي . ولو كانت هذه الاخبار كلها مجرد حكاية مخترعة وغير
واقعة لحدث الامر بالعكس ، اذ يكون التاريخ اذ ذاك لا محصوراً في دائرة

خليفة فحسب ، بل كنا كلما تعمقنا في البحث ضعف النور امامنا اه (الاصداء . ص ٤١)

مكتبة

المعين الثالث

لتاريخ حمص القديمر

(٣) قدماء المؤرخين

كان القدماء في ما سلف ، يتعرفون الى الحوادث التي سبقت عهد التاريخ بواسطة قدماء المؤرخين ، على قلة عددهم وعدم معاصرتهم للحوادث التي رووها ، او تكلموا عنها ، فكانت اقوالهم عرضة للنقد والشك معاً . فلما نشأ علما الميثولوجيا والارشولوجيا قوبل ما روتاه يتابع المعرفة الثلاثة (الاساطير والآثار والتاريخ) فتميز بها الغث من السمين ، والصحيح من الفاسد ، فرفت ما حقه الرفت ، وخلص من الشك ما كان صدقاً في الاصل .

ولذلك قدمنا بالذكر العلمين المشار اليهما وهما نحن نورد الآن اقطاب القسم الثالث الذين كانوا الى عهد غير بعيد ، المصدر الوحيد للمعلومات التاريخية . وذونك جدولاً باسماء قدماء المؤرخين مورداً على حسب ترتيب وجود كل منهم :

(١)	يوسف العفيف	= ١٧٤٥ - ١٦٣٥
(٢)	ايوب الصديق	= ١٦٦١ - ١٥٢١
(٣)	موسى النبي	= ١٥٧١ - ١٤٥١
(٤)	يشوع بن نون	= ١٥٣٦ - ١٤٢٦
(٥)	صموئيل النبي	= ١١٢٠ - ١٠٦٠
(٦)	هوميروس الشاعر	= بين القرنين ١٢ و ١٠

(٧)	هسيود	=	اوائل القرن الثامن
(٨)	اشعيا بن آموص	=	٧٧٤ - ٦٩٠
(٩)	بيساندروس الرودسي	=	٦٥٠
(١٠)	هيكاثاوس	=	٥٥٠ - ٤٧٤
(١١)	ارميا	=	٦٢٨ - ٥٨٦
(١٢)	مردخاي	=	اواخر القرن السادس
(١٣)	حزقيال	=	٥٩٥ - ٥٧٥ ق م
(١٤)	عزرا	=	٤٥٦
(١٥)	نحميا	=	٤٣٤
(١٦)	هيرودوت	=	٤٨٤ - ٤٠٦
(١٧)	توسيديديس	=	٤٧١ - ٣٩٥
(١٨)	زنفون	=	٤٤٥ - ٣٥٥
(١٩)	كتازياس	=	٤٠٥ - ٣٥٩
(٢٠)	سكوتياتون البيروتي	=	بين القرنين العشرين والرابع ق م
(٢١)	مانيتون السمنودي	=	اواسط الثالث ٢٨٥ - ٢٤٧
(٢٢)	بيروز الفارسي	=	بين ٣٣٠ - ٢٨٠
(٢٣)	ابيدن المصري	=	اواخر الثالث
(٢٤)	يوليب الاغريقي	=	٢٦٤ - ١٤٦
(٢٥)	ابلودر النحوي	=	نصف القرن الثاني
(٢٦)	بوسنيدون الافامي	=	١٣٣ - ٤٩
(٢٧)	سلسيت اللاتيني	=	٨٦ - ٣٤
(٢٨)	نقولا الدمشقي	=	٧٤ -
(٢٩)	بولييستور اليوناني	=	٧٥ -
(٣٠)	ديونيسيوس الهاليكرناسي	=	٧ ق م
(٣١)	سترابون الجغرافي	=	٦٠ ق م - ١٤ م
(٣٢)	ديودور الصقلي	=	١٤ م
(٣٣)	اوييد الشاعر الروماني	=	٤٢ ق م - ١٨ م

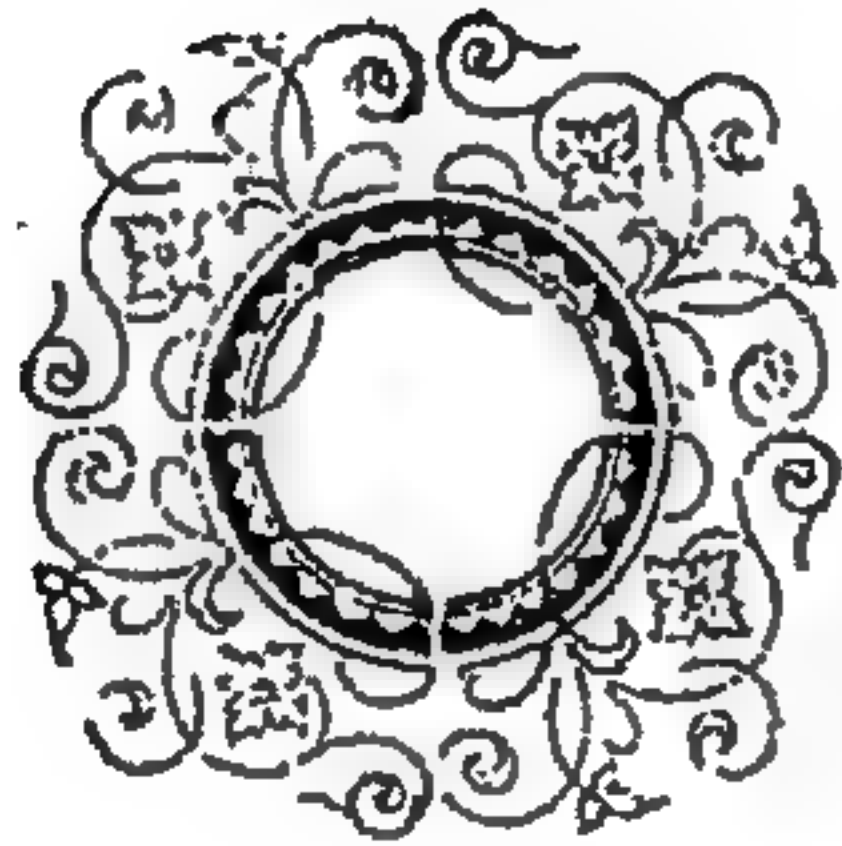
(٣٤)	فيرون الجبيلي	في القرن الاول الميلادي
(٣٥)	ليفى الروماني	= ٥٩ ق م - ١٧ م
(٣٦)	بليني	= ٢١ م - ٧٩
(٣٧)	يوسيفوس اليهودي	= ٣٧ - ١٠٣
(٣٨)	ناسيت	= ٥٤ - ١١٧
(٣٩)	بلوطرخوس	= ٤٨ - ١١٨
(٤٠)	ابولودور المؤرخ	= ١٣٠ -
(٤١)	سوبتونيوس	= ٧٥ - ١٥٠
(٤٢)	لوكيان السيساطي	= ١٢٠ - ٢٠٠
(٤٣)	بطليموس الفلكي	= ١٤٠ -
(٤٤)	اثينيوس	اوائل الثالث
(٤٥)	دبون كاسيوس	القرن الثالث
(٤٦)	اوسابيوس القيصري	= ٢٦٥ - ٣٤٠
(٤٧)	اليان مرشليينوس	= ٣٤٠ - ٤١٥
(٤٨)	داماس	= ٤٨٠ - ٥٣٣ فما بعد
(٤٩)	بروكوب البيزنطي	= ٥٠٠ - ٥٦٥
(٥٠)	افاغريوس الحموي	= ٥٣٦ - ٥٩٤ فما بعد
(٥١)	يوحنا الاسيوي	= ٥٠٧ - ٥٨٥

هؤلاء نخبة المؤرخين القدماء الذين استعنا بهم على استخلاص تاريخ حمص القديم . ولعل القارئ الذي يطالع هذا الجدول يظن ان العمل لاستخراج التاريخ اصبح سهلاً وقد ألمّ به جمهرة المؤرخين ولكن استسهاله هذا يزول او يضعف متى عرف (١) ان اسفار هؤلاء المؤرخين تبعثرت واصبح كل منها في ناحية من الارض يتعذر على أي امرئ مهما عظم شأنه ان يحويها كلها (٢) ان غير الدهر قد المت بكثير من الموضوعات المشار اليها ولم يبق منها سوى فقرات حفظها كتاب آخرون احدث عهداً منهم بالوجود (٣) ان مكتوباتهم لم يكن هدفها « حمص » ولم يتعمدوا ذكرها وانما ورد شيء عن ضمن اعراض اخرى

تاريخية كانت هدف تأليف كل منهم فيستطيع المنقب ان يضم ما يستفيد منها الى معلوماته المأخوذة عن مصادر اخرى اتماماً لنظم هذه المنشورات في عقد التاريخ المرغوب فيه تقليداً لجيد الدهر في القرن العشرين .

ويحضرنا بهذه المناسبة ان احد المحصين -الذين شغلهم وطنهم الاصلي حياً- كتب اليّ بجرارة يسألني لم طال الاملد على صدور تاريخ البلاد الطيب ؟ ظنا منه ان ثمة اوقيانوس من المعلومات تتأوج مياهه لدى الناظر فيستطيع ان يفترف منها حاجته لاملاء بحيرة التاريخ المنوي اصداره . فاجبته بلطف بما ملخصه :

« انما يشعر بشقة عمل من يتولى اصدار «تاريخ حص» من يتمثل امامه رجلاً في صحراء يريد ان ينضد اكمة من حصي ولا صلة بينه وبين الساحل . فليس له في موقفه هذا سوى اجهاد قواء كثيراً والسير طويلاً ليجمع ما يريد . مادة لعمله وليس ثمة ما يؤمله بنيل بغيته سوى العبد الطويل والحلم الجزيل .



تاريخ حمص

القسم الاول

- حمص قبل الاسلام -

من ٢٣٠٠ ق م - ٦٢٢ م

الحقبة الاولى

حمص في ايام الرومان والعلمانية والاموريين

٢٣٠٠ - ١٩٠٠ ق م

١ - نشأة حمص الاولى

دلت عاديات مصر واشور انه كان في موقع حمص الحالي ، مدينة كبيرة وحصينة ، اعتبرها المصريون مفتاح اسيا الوسطى . ونظر اليها الاشوريون نظرتهم الى حصن منيع يرد عادية الاجانب (لبنان القديم صفحة ٣٤٩) . وتضافرت شهادة الآثار عن قدم مدينة قادس ووجودها قبل القرن العشرين الميلاد . ولكن الآثار لم تذكر حمص باسمها الحالي الا حوالي الميلاد . فهل سبقتها قادس في الوجود ؟ ام هي نفس قادس ؟ كما ظن البعض ، ام هي اقدم منها كما يرى غيرهم من المحققين ؟ . تلك اسئلة تتوارد على الخاطر حالما نذكر قادس حصن بقعة العاصي الحصينة . أن يوجد حصن قادس قبل المدينة التي اتخذته مترسة لها ، امر غير معقول . وان يكون هذا الحصن نفس حمص ثم تحول الاسم الى حمص امر لا يتفق « الفيلولوجيا » فضلاً عن التاريخ . لان قادس ظلت

تذكر باسمها حتي بعدها ذكرت حمص في التاريخ . فبقي اذاً ان المدينة التي تسمى الآن حمص هي غير قادس .

متى وجدت حمص اقبل قادس ام بعدها ؟

الذي يبدو لنا جواباً على هذا السؤال ان حمص وجدت قبل قادس . ويؤيد ذلك نظرياً ، طبيعة كل من الصقعين اللذين وجدت فيهما المدينتان . فان موقع قادس انا هو موقع حربي يراد به دفع الاعداء عن بقعة عامرة . بينما موقع حمص يستدل منه على موضع يصلح ان يكون هرباً لمؤونة القاطنين في تلك البقعة . وموضع كهذا اجدر بان يسبق الى الوجود من ذاك . لان المرء انما يطلب لاول وهلة الوجه الايجابي للحياة . ثم يفكر في الوجه السلبي . يعني ان اول ما يسعى اليه الانسان انما الحياة ثم يهتم بدفع الخطر عنها .

لا ريب في ان السهل الحصب المتسع المتد امام حمص . والمنافع الجمة التي تنتظر من قربها الى مجرى العاصي ، اغرت المؤسس على اختيار هذه البقعة موقعاً للمدينة وميل الجماعة الحديثة النشأة لصيانة نفوسهم من الوحوش الضارية جعلتهم يلوذون بالتل الكائن في تلك البقعة . حفروا حوله خندقاً واضعين التراب المستخرج فوق الالكمة فكانت لهم قلعة تم تحصينها في ما ولي ذلك من الزمن وبسبب وقوع المدينة في طرف البادية على طريق التجارة الاسيوية ، وقيامها في اول سهل عظيم غير بعيد عن العاصي وعن المتسع الذي شكل بحيرة يرفيها النهر ، وجب ان يكون لها منذ تأسيسها اهمية كبيرة كما وجب ان تكون مطيحاً لانظار الفاتحين (الاب مرتين ص ٣٩٣)

واستدل الاثريون من وجود هيكل في حمص لعبادة الشمس ، كما هو في بعلبك - التي كانت معبداً عظيماً للشمس - وان فريقاً من الجبابرة كانوا يتعبدون فيه (الاب مرتين ٣٨٨-٣٩٢) ، ان حمص نشأت بارتباط شديد مع بعلبك - مدينة بعل - وان قادس لا تختلف بروحها عن حمص التي كانت مدينة الشمس المقدسة . وان المدن الثلاث بعلبك وحمص وحماة اللاتي خصصت لعبادة الشمس نشأت في وقت واحد معاً ، غير ان المحققين اختلفوا في ما نسب الى حمص من القدم .

(١) فذهب بعضهم الى انها كانت بلداً صغيراً تابعاً لقادس او لحماة ثم عظم شأنه على عهد الساسانيين وقام فيه ماولك او امراء يديرون شؤونه الدينية والمدنية ، وأيد صاحب هذا الرأي قوله بعدم تجاوز النقود المضروبة في حمص سنة ٦٥ ق م (المقتطف ٥٣ ص ٥٣١) ويظهر ضعف هذا الرأي من وجهين :

الاول - ان موقع حمص الطبيعي اهم بكثير للعمران من موقع قادس الحربي . فلا يعقل ان توجد قادس في وسط العاصي دون ان يكون بالقرب منها مدينة تمدها بما تحتاج اليه . واذا كانت المعقل تشاد لاجل العواصم فلا يارى بان قادس انما كانت حصن « حمص » قديماً نظير كرونستاد ازاء بطرسبرج وجناق قلعة ازاء الاستانة اليوم .

الثاني - ان عدم العثور على نقود مضروبة في حمص قبل سنة ٦٥ ق م لا ينفي ضربها قبل ذلك العهد . ولعل الاكتشافات الحديثة تقوم بازالة هذه الشبهة التي هي حجة سلبية ليس الا .

(٢) ورأى آخرون ان اسم حمص احدث عهداً من انشائها . وانقسم هؤلاء الداهيون الى فرق .

فذهب بعضهم الى انها ذات قادس القديمة ، لكن الاكتشافات الحديثة قضت على هذا الرأي اذ ظهر ان قادس قامت في الموضع المعروف الآن « بتل النبي مند » .

وذهب غيرهم الى انها « لعش » التي ذكرت في مسألة قديمة اكتشفها القنصل الفرنسي يونيون ، لكن مجرد الظن لا يكفي لتأييد قضية هامة كهذه . ولا سيما وان البعد بين لفظي « لعش » وحمص ظاهر .

(٣) وظن آخرون انها صوبة المذكورة في التوراة . واذا كان لا بد من التسليم بان حمص اقدم عهداً من اسمها ، فهذا الرأي اقرب الراء الى الصواب . على ان هذا الرأي قد جودل فيه اذ انكبر بعضهم ان تكون صوبة المذكورة في العهد القديم هي حمص واهم اعتراضاتهم اثنان :

الاول - وهو رأي مرتين اليسوعي - ان صوبة هي تدمر . وهذا وان كان ارجح الراء لامكانية تطبيق بعض ما ورد في العهد القديم على تدمر لكن يرد ، ان تدمر احدث عهداً من صوبة . بدليل ان التوراة صرحت ان

سليمان بنى تدمر في البرية بعدما تغلب على « حماة صوبا » (٢ اي ٨ : ٣ و ٤) .
 الثاني - وهو قول ياقوت (٣١٢ : ٢) ونقله عنه البستاني (١٣٥ : ٧) ان
 صوبا هي قنسرين . ولكن مراجعة كتابات القدماء تدل على ان قنسرين كانت
 تابعة لمملكة صوبا (حمص) ولهذا سميت صوبا احياناً . فقد ورد في نخبة الدهر :
 ان سوريا كانت على عهد الروم مقسومة الى اربعة اقسام ، الشام وقصبتها دمشق
 والارزن وقصبتها طبرية وفلسطين وقصبتها القدس وقسم قصبته حمص وقنسرين
 تابعة لحمص اه ، وهذا القول ايده ياقوت نفسه (٧ ص ١٦٨) بقوله : كان فتح
 قنسرين سنة ١٢ وكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً .

اما القول ان مملكة صوبا هي ذات مقاطعة حمص فزيد بعبارة التوراة
 التي تنطبق على حمص وحدها دون سواها فانها :

- (١) احدي ممالك ارام (عدد ٢٣ : ٧ واي ١٧ : ١) .
- (٢) واقعة في شمالي سوريا (٢ صم ١٠ : ٦) .
- (٣) بين شمالي فلسطين وحماة (٢ صم ٨ : ٩) .
- (٤) هي غير تدمر (٢ اي ٨ : ٣) .
- (٥) غير دمشق (٢ صم ٨ : ٥) .
- (٦) ملكها كان يتد احياناً الى الفرات شرقاً (١ اي ١٨ : ٣)

بتأثير ما اشرنا اليه من آيات الكتاب المقدس قال المطران يوسف الدبس
 (عدد ٢٦٤) ان مملكة صوبا كانت في شمال سوريا المجوفة تمتد من شمالي لبنان
 الشرقي نحو حمص وحماة وحلب ، وفي شرقي لبنان المذكور حيث يبرود والنبك
 وحدود القريتين الى تدمر والفرات اه .

فالقول اذاً ان صوبا هي حمص هو اقرب ما ذكر من الآراء الى الصواب
 وتحل به مشاكل اثرية كثيرة .

اخذنا ما ذكر من الوجهة السلبية اما من الوجهة الايجابية فن ادلته ان
 رحوب والد هدد غزر ملك صوبا بنى مدينة رحوبوت السقي قال روبنسون انها
 نفس سامية فتأمل .

٢ - منه وضع اسرها ؟

وصلنا الآن الى القضية الثانية وهي : من وضع اسس حصص الاولى ؟ والوصول الى جواب هذا السؤال يستلزم معرفة القليلة التي انتشرت في هذه البقعة في عصورها الاولى . وهي احدى القضايا الهامة في التاريخ . وفيها اشكال لا بد من كشف القطاء عن غلمضه . فان المعروف بالتسلسل ان ذرية سام بن نوح اتخذت اسيا موطناً لها . وذرية يافث اوربا . وذرية حام افريقيا . غير ان الآثار دلت على وجود بعض ذراري حام في هذه المنطقة . وكنعان وجد بصورة لا مرء فيها . واستناداً الى التقليد المذكور اعلاه قال الاب مرتين (ص ٣٩٣) في بحثه عن الاصول التي تناسلت منها اهالي المنطقة ما ملخصه :

« اما حصص فقد قيل ان ارام بن سام اسسها بذاته . واذا صح ذلك فقد بقيت حصص خاملة الذكر مدة طويلة اذ حجبت شهرتها مدينة قادس ذات الاهمية العظيمة . ولا شك ان هذه المدينة بنيت تحت حماية بعل . فان اسمها على الحقيقة احد ألقاب الاله « الشمس » باللغات السامية وهيكلها يضاهي بعلبك بعظمته اه » ان التوراة وهي اقدم تاريخ مكتوب وصل اليها ، تذكر استيطان عدة قبائل في سوريا المجوفة (التي من اهم مدنها حصص) منهم الاراميون والقينيون والقثيون والفرزيون والقدمونيون والعمالقة والعموريون والحثيون والحويون الخ . ويكاد يتفق المؤرخون على قدم وجود الجبابرة في سوريا . واليونان يؤكدون ذلك ، ويستندون الى الفيلولوجيا لوجود اسماء غريبة لعشائر اولئك الجبابرة . وكل هذا يدل على ان الكنعانيين انما قدموا الى هذه البلاد في وقت متأخر . غير ان الاب مرتين (ص ٤٠٢) جادل في هذه القضية واعتبر دلالة الاسماء واهية . بل ادعى انها سامية الاصل وان الجبابرة انفسهم من اصل كنعاني . وان الاسماء التي يحملونها انما تشير الى عظمة وشدة وهول المذكورين (ص ٤١٢) .

والذين يرون ان اول من استوطنها انما هم ذرية سام ، لا يفكرون بوجود ذرية كنعان فيها . ولكنهم يذهبون الى ان نوحاً وهب الشام لسام ثم غصبه ايها كنعان . وسواء أصبح هذا الرأي (الذي لا دليل عليه في التوراة) ام لم

يصح ، فما لا شبهة فيه ، ان الجبارة او العاقبة استوطنوا هذه البقعة . وفي ما حفظه المؤرخون العرب من التقاليد ما يشير الى ذلك . فقد روى ياقوت في معجمه الجغرافي (٣ ص ٣٣٩) ان حمص بلد بناء رجل يقال له حمص بن مهر بن جانا بن مكنف . وقيل حمص بن مكنف العماليقي اه .
على ان بعض مترجمي التوراة القدماء ومفسريها « كارونيموس » (تلك ١٥ : ١٨) ينسبون الى ذرية صمار عاشر اولاد كنعان ، تأسيس مدينة حمص . مستندين الى تقليد قديم وصل اليهم متضمناً هذه النسبة . وقد وجد في بعض الترجمات القديمة « ايديسا » بدل « اميسا » لكن البناديكتين (ص ٦٣) جزموا بخطأ المترجم . ونتيجة ما ذكر ان باني حمص هو احد اولاد كنعان وهو صمار العاشر او حمت الحادي عشر من اولاده كما يأتي قريباً .

٣ - اسم حمص

بقيت مشكلة اخرى لا بد من التعرض لها وهي : ان لفظ حمص لم يرد في التوراة ولا في الآثار القديمة قبل القرن الرابع ق م . مع ان آثار المدينة نفسها تدل على انها اقدم عهداً من ذلك بكثير . لذلك كانت هذه القضية من اهم ما بحث عنه الاثريون وتضاربت في ذلك اقوالهم .
(١) فخل الى بعضهم ان كلمة حمص مأخوذة من لفظ حث وهو اسم القبيلة التي توطنتها مدة ليست بقصيرة . ولكن الآثار المكتشفة حديثاً دلت على انها اقدم عهداً من الحثيين وان هؤلاء انما سكنوها بعد عمرانها . فلا يمكن ان يؤخذ اسمها الاصلي عنهم .
(٢) وذهب روكاو الى ان هذا اللفظ محول عن لفظ اميسا اليوناني غير ان المعروف والمسلم به ان حمص اقدم عهداً من وجود اليونان في هذه الاصقاع فلا تصح نسبة التسمية اليهم .
(٣) وذهب بعض الاقدمين ان لفظة حمص ارامية ومعناها الارض اللينة الوطء . وانها انما سميت بذلك لوقوعها في سهل ، ولكن لا يوجد ثمة دليل على ان هذا اللفظ وجد في ايام الاراميين .

(٤) وذهب ياقوت الرومي ان اسمها مشتق من الحماسة لانها مدينة الاقوياء ،
وان بانيتها رجل عماليقي اسمه حمص فنسبت اليه وسميت باسمه . ولكن هذا رأي
حديث لا يثبت طويلاً لدى التحقيق .

فلا بد اذن من الرجوع الى اراء الفيالولوجين من ان اسم حمص وحماة
مشتق من اضل واحد . وان الاراميين اعتادوا ان يبدلوا الاء صاداً . وأيد
هذا الرأي يوسيفوس اذ روى ان سمث بن كنعان بنى المدينتين وسماهما كلتيهما
باسمه . وميز القدماء بين الالفتين باللقب اذ لقبوا حمص سمث الكبرى ، وحماة
سمث الصغرى . ثم بدلت الالسة ثاء حمص صاداً اه .

ولمعترض ان يقول : اذا صح هذا القول فلم يختفى هذا اللفظ نحو
عشرين قرناً ثم ظهر ؟ وجواب هذا الاعتراض الذي لا يستخف به يمكن استخراجه
من التوراة وقرائن الحال .

فانه يستخلص من المعلومات التي تلقاها العارفون ان اول ما استوطن
من حمص انما هو التل الذي اصبغ بعدئذ قلعة . والحصن يدعى بلغة قدماء
الشرقيين « حامات » ثم ولما بنى بعضهم المساكن في المنبسط الموازي للقلعة ،
دعيت تلك المنازل « صوبا » وهي باللغات السامية « محلة » . فلما ازداد عدد
المنازل وصارت بلداً اهم من القلعة ، صارت القلعة مضافاً والبلد مضافاً اليه
فدعيت « حامات صوبا » . وذكرت بهذا اللفظ نفسه في التوراة (٢ اي ٨ : ٣)
ولما صار هذا اللفظ المركب علماً للمدينة . نحتته الالسة فصار حميصوبا . واقتصر
العبرانيون على شطره الاخير فقالوا « صوبا » واختار اليونان الشطر الاول وخففوه
فصار « اميسا » . واخذ الشرق معظم معاوناته عن اليونان ومنها هذا اللفظ الذي
عربوه فصار « حمص » .

والتعليل المذكور اعلاه تؤيده الآثار فقد وجد في الحفريات المصرية اسم
مدينة « ميزوبا » وظل الاثريون مسدة يبحثون عنه فلم يعرفوا مسماه مع انهم
اهتدوا الى معرفة مسميات كل الاسماء التي قرأوها . ولو تنبهوا الى هذه النقطة
لعرفوا انه الاسم القديم لحمص المنحوت من الاسم المركب « حماة صوبا » .

٤ - قدماء المحصين

وصل بنا البحث الآن الى النقطة الرابعة ، وهي : كيف كانت معيشة قاطني هذا الصقع الاولين ؟ ومن استمدوا نظام مجتمعهم ؟ والوصول الى هذا الجواب لا بد من معرفة قاطنيه الاولين ، ثم الاستدلال من آثارهم على درجة مدنياتهم وديانتهم الخاصة .

ليس من سبيل الى التيقن من معرفة اصل المحصين القدماء . لان المكتوبات في عصر بنائها لم تصل اليها اليد . والآثار التي برزت الى الوجود حتى الآن ، لا تكفي لتعيين الارومة الاصلية بالضبط . غير ان تحريات علماء الآثار ، وما ضبط من تقاليد الاساطير القديمة في بطون تواريخ الاقدمين ، حفظ لنا اسما ثلاث قبائل قطعت هذه البقعة وهم :

الروثان والعمالة والاموريون

الروثان

اول مرة تنبعت فيها افكار الباحثين الى الروثان ورود هذه اللفظة على صحيفة وجدت في مدينة « صان » بمصر وقد كتب عليها بثلاث لغات اسم سوريا . فكان في اللغة الهيروغليفية روثانو ، وفي اليونانية سوريا ، وفي المصرية اسار او اسور (الدبس عدد ٦) ولم يوجد من ياري من علماء الآثار بان كلمة روثانو انما يراد بها ساكني سوريا الشمالية لا سوريا كلها . وقد وردت في الصحيفة المذكورة من قبيل تسمية المحل باسم الحال فيه . فمن هم الروثان هؤلاء ؟

الذي يلخص من اقوال الاثريين ان روثان مصحف كلمة لودان . والمراد بهم ذرية لود بن سام ولود هو اخو ارام وبنا ان ذرية الاخوين لود و ارام سكنت في اواسط سوريا ثم امتدت ذرايعهم الى الشمال والشرق ، واختلطت احدهما بالآخرى . لذلك اطلقت عليهم الآثار المصرية ترة اسم روثان او لودان وترة اسم اراميين (لرهان) .

وذهب دي كارا ان قبيلة الروثانو كانت منتشرة في سوريا الشمالية على عهد ابراهيم الخليل وظلت آثارها الى زمن الدولة الثامنة عشرة المصرية ، حينما اخذ الحثيون ينتزعون منهم املاكهم شيئاً بعد شيء . كما دلت على ذلك الآثار الهيروغليفية المنقوشة على جدار هيكل الكرنك .

وقد وهم قدماء النسابين (كما روى ابن حزم عنهم) ان لاوذ (لود) هو ابن ارام بن سام والحقيقة انه اخوه لا ابنه . وقد قسمت الآثار المصرية الروثان الى قسمين دعت احدهما روثنان المغرب وهم سكان دمشق . والثاني روثنان المشرق وارادت بهم قاطني شمالي سوريا ، وغربي ما بين النهرين . وانما دعيتهم روثنان لاستسهال المصريين تحريف اللام بالراء وهم يسمون انفسهم روث او لوت من لوديم جد هم ابن مصر ايم بن حام .

وقال ابن خلدون (٢ ص ٧) عن ابن اسحق ان سام كان له خمسة اولاد وهم ارغشاد ولاوذ (لود) وارم (ارام) واشوذ (اشور) وغليم (عيلام) . . . وكان للاوذ (لود) اربعة من الولد وهم طسم وعمليق وجرجان وفارس (قال) ومن العماليق أمة جاسم فمنهم بنو لف وبنو هزان وبنو مطر وبنو الازرق ومنهم بديل وداحل وظفار ومنهم الكنعانيون وبرابرة الشام وفراعنة مصر (يريد الرعاة) . . . وكانت طسم والعماليق وأميم وجاسم يتكلمون بالعربية اه . هذا ما اتصلت بنا معرفته عن « روثنان » ولعل اكتشافات جديدة تزيدنا بياناً عن هذه القبيلة التي توطنت في سالف الحقب في منطقة حمص .

العماليق

والعمالقة من الامم العريقة في القدم التي يكتنفها كثير من الغموض وذكرت لأول مرة في التوراة في سفر التكوين (١٤ : ٧) في القرن العشرين قبل الميلاد . اما من هو عماليق جد هذه القبيلة ؟ فقد سرّ بك ما قال عنه ابن اسحق كما روى ذلك ابن خلدون . وفي رواية الى الفداء عن ابن الاثير انه ولد للاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعماليق الذي هو ابو العماليق ومنهم كان الجبابرة بالشام والفراعنة (الرعاة) في مصر اه (ابو الفداء ١ : ١١ وابن

الاثير ٢٧:١ و ٢٨) وقد قال فيهم احد المحققين : ثبت من البحث العلمي ان
العائلة شديدة الحجل يحبون العزلة سريعو الغضب والغيرة . وروى احدثهم انه
وجد في ملعب بارتوم المشهور عملاق يدعى جوستين طوله متران ونصف وكان
على قوة بدنية رهيبية . وقد اشترك قبل ان يعرض نفسه في الملاعب في الحروب
الروسية وبلغ في الجيش الروسي رتبة كابتن في المدفعية . ولكنه كان سريع
الغضب ضيق الصدر . وهو في الوقت نفسه ميال الى العزلة والانفراد .

واعترض بعضهم عل وجود العائلة في الصقع الحمصي في اواخر الالف الثانية
قبل المسيح ، بان عيسو جد عماليق (تك ٣٦ : ١٢) انما برز الى الوجود بعد
مرور ١٦٤ سنة من الالف الثانية ق م . ولكن المحققين اكدوا ان العائلة المذكورين
الذين عاشوا في سوريا الشمالية ، لم يكونوا من ذرية عماليق بن اليقاز بن عيسو ،
بل من ذرية عماليق احد اولاد لاوذ (لود) بن سام الاربعة ، كما نقل ابن
خلدون وابن الاثير عن ابن اسحق . ويؤكد ذلك ان العائلة كانوا موجودين
في ايام ابراهيم جد عيسو (تك ١٤ : ٧) وقد سماهم بلعام « اول الشعوب »
(عدد ٢٤ : ٢٠) وكلا النصين لا ينطبقان على ذرية عماليق بن اليقاز بن عيسو
بل يتقدمانها زمناً .

قال بعض المؤرخين ان هذه القبيلة كانت قديماً على خطوط خليج العجم .
فقاومها الاشوريون وجاوها عن مواضعها . فتركت الشطوط واتجهت غرباً الى بركة
الفرات (تك ١٤ : ٧) واقام كثيرون منها حيث نشأت حمص . ولما قضت الظروف
بتغير الحالة في المنطقة ، هجروها الى اواسط فلسطين (النشرة ١٨٩٦ : ٥٠) .

وورد في شرح التكرين (١٢ : ٣٦) : نرى من كلام عاموس (١ : ٦)
ومن كلام بلعام (عدد ٢٤ : ٢٠) ان العائلة شعب سام شغل كل البلاد من
شور على حدود مصر الى ارض الحويلة في اليمن .
ويظهر من قول حزقيال (١٦ : ٣ و ٤٥) لاورشليم : ابوك اموري وامك
حثة ان صلة الحثيين بالامورين لم تكن بعيدة .

الاموريون

اما الاموريون فهم ذرية اموري او عموري رابع اولاد كنعان وكانوا

اقوى القبائل في البلاد السورية وكانوا حيث حلوا يبتغون المرتفعات . وقد من الله على الاسرائيليين اذ نصرهم على الاموريين (عا ٢ : ٩) لما عرف بهم من شدة البأس ويظهر من قرائن الاحوال انه لما قدم الحثيون الى هذه المنطقة ضيقوا شيئاً فشيئاً على العمالة والاموريين فترحوا من هذه المنطقة الى جنوبي سوريا وكان ما كان من اصطدامهم بعد ذلك بالاسرائيليين ذاك الاصطدام الذي كانت له اهميته . اذ فتك الاسرائيليون بسبحون ملك الاموريين وعوج ملك باشان المتحالفين ضدهم . وقد استقطع كاتب التوراة ضخامة هذه الامة اذ روى ان عوج ملك باشان وهو الوحيد الباقي آنذر من ذرية الجبابرة الرفائين كان سريره من حديد طوله تسع اذرع وعرضه اربع (ثث ٣ : ١١) .

ومن مبالغة القصص ما نقله ابن خلدون عنهم اذ زعموا انه كان يتناول السمك من البحر ويشويه في الشمس لطول قامته . ورووا ان موسى لما اراد قتله انتبض سيفاً طوله ثلاثة اذرع وقفز عن الارض ثلاثة اذرع وضربه بالحسام فاصاب كاحل رجله . فتأمل !!! فالناس عشاق الغرائب .

على ان علماء الكتاب جزموا بان الذراع المذكور في التثنية انما هو المدعو عند العبرانيين ذراع الرجل وقياسه من طرف الاصبع الوسطى من الكف الى المرفق (تفسير التثنية ص ١٧١ ومرشد الطالبين ص ٥٣٦ وذخيرة الالباب ص ٧٨٩) .

وقد انكر بعضهم وجود هذه القبائل ولا سيما الاخيرتين في منطقة حمص لان التوراة لم تذكرهم فيها وانما اشارت الى وجودهم في فلسطين . قلنا ان وجودهم في فلسطين في اواسط الالف الثانية قبل الميلاد كما في الحوادث التي اقرن ذكرهم بها في التوراة لا ينفي وجودهم حيث منطقة حمص لاسيا وان الآثار والتقاليد المسطورة ايده . ومن ادلة ذلك :

ان بعض اهالي حمص سنة ٩٢٨ عثروا في الجهة الشرقية من المدينة اثناء الحفر ، على اثر انسان متحجر غريب الشكل جداً طوله نحو ثلاثة امتار وطول قبره يزيد عن اربعة . وله جمجمة كبيرة جداً توازي قدر جمجمتين من الجماجم العادية . ونابه بطول الاصبع يقطن انه من آثار اقدم العصور المعروفة في التاريخ (الشجرة ١٩٢٨ : ٢٧٩ والمجلة السورية لقرآلي ٣ : ٣٤٤) .

ان هذا الشاهد المحسوس يؤكد صحة النظرية بسكنى العمالة والاموريين في البقعة الحصية قديماً قبل زمن التاريخ وقبل نزوحهم الى جنوبي سوريا . على ان نفس ما ورد في التوراة وصفاً لحادث متأخر عن العهد الذي نتكلم عنه يحقق ما رأينا ، ففي التثنية اشارة الى ان عوج كان الوحيد الباقي من الجيايرة . وفي سفر العدد (٣٤ : ٢١) ويشوع (١٠ : ٩ و ١٣ : ١٢) اشارة الى ان الاموريين الذين كانوا اقرباء طوال القامات كانوا في باشان حين غلبهم موسى ، وان رئيسهم امري . ورأى بعضهم ان ذكرهم في هذه المواضع يدل على انهم اقدم من سكن تلك الارض . وانه لم يكن من الاموريين ثمة سوى ملوكهم فتكون الامورية طارئة عليهم (شرح التوراة ١١٩ و ٣٧١) .

على ان الآثار المصرية ذكرت فصيلة امورية ضربت في جهة قادس الى نبع العاصي شمالي بعليك (الدبس ١ : ١١٣) .

ويسند هذا الرأي العلامة الاثنولوجي (باتون) الذي يرى ان الاصل السامي في سوريا مسبق بجنس آخر . بدليل ان الآثار التي ظهرت في سوريا لم تكن من سكانها الساميين ، بل من شعب يمت الى نسب آخر قد قطنها قبلهم . وكثير من اسماء الاماكن القديمة مأخوذ من غير اللغات السامية (المباحث ٢٤ : ٣٠٩ و ٣٥١) . ويرى علامتان المؤرخان ونكار وباتون ان المهاجرة الامورية الى سوريا بدأت في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد . فلعل هؤلاء وجدوا مضارب واكراخ العمالة منصوبة في البقعة الحصية فازجروهم ، واوسع هؤلاء لهم مجالاً فيما بينهم . والبدو اذا اتسع نطاق المراعي لمواشيهم لا يجدون معرة في قبول من ضافهم . اما الزمن الذي قدم فيه الاموريون الى سوريا من خليج العجم فيرى لانزمان انه حدث ما بين سنتي ٢٢٥٠ - ٢٣٠٠ ق م وهذا يطابق زمن ثورة العيلاميين على الكوشيين في بابل . ولعلها السبب في تلك المهاجرة (الدبس ١ : ٢٥٨) .

قال براستد (ص ٧٩) شرع الساميون منذ ثلاثة آلاف سنة يهجرون البادية ويقيمون عند الطرف الغربي من الهلال الخصب . وحوالي سنة ٢٥٠٠ ق م نجدهم ساكنين مدناً مسورة . فهؤلاء هم الكنعانيون اسلاف العبرانيين . والى الشمال منهم اقامت قبيلة اخرى شديدة الحول تعرف بالاموريين . وحوالي

سنة ٢٠٠٠ قم كان جميع هؤلاء الساميين الغربيين قد بلغوا درجة من المدنية لا يستخف بها اه .

من هذا نرى ان جميع الانبا . القديمة تكاد تتفق على ان ذراري لود وارام ابني سام وكنعان بن حام كانت منتشرة في هذه البقعة في اقدم عصورها التاريخية ، اما كيف كانت حضارتهم لاول عهدهم في الوجود ، فذلك اسئلة ليس من السهل الاجابة عليها لولا ان بعض الآثار القلت شعاعاً خفيفاً على ظلمة القرون الاولى الخالكة .

٥ - سيرة الحمصيين في النشأة الاولى

بعد الاطلاع على ما تقدم صار في امكاننا رسم صورة حياة الحمصيين القدماء . ومن مراقبة ما تقدم وما سيأتي من الغزوات التي مرت بالمنطقة يستدل ان حياتهم كانت حياة بساطة بالغة . ويكفي في وصفها ان نذكرها بعبارة البداوة . ويسوغ لنا استصواب رأي من قال : ان القبائل التي انتشرت في منطقة حمص لاول عهدها بالوجود انما اتخذت لسكنائها الخيام والكهوف ولم يخطر في بال احد منهم بناء منازل من اجر او حجير . وانما اكتفت بسكنى الاكواخ والمغاور . لان من كان يعيش من ضروع المواشي ولا عمل له سوى السهر على ماشيته وايرادها مراتع الحصب لا يحتاج الى اكثر من ذلك .

وقد اشار الى ذلك سترابون (٢ : ١٦ و ٢٠) ويوسيفوس (١٥ : ١٠) . كما ان التوراة اشارت الى اتخاذ القدماء الغيران والكهوف في السفوح مباءة لهم وملاذاً يتقون بها دواعي الاذى (قض ٢٠ : ٦ واصم ١٣ : ٦) . ولكن مما لا شبهة فيه ان تكاثر ذرية القاطنين في هذا الصقع استلزمت بعدئذ ، ان يهتم الاهلون بجراثة الارض . وان يتهنوا الحرف التي لا بد منها لاجل الحياة العامة ، من حدادة وبناء وما اشبه .

اما الديانة الاولى التي ملكت قلوب ساكني هذه البقعة ، فانما استرشدوا الطبيعة اليها . ودلت الآثار على ان ما فطر عليه الانسان من احترام كائن اعظم منه . فيه قدرة على الغنم والغرم ، مالت بالحمصيين القدماء الى عبادة النسيدين

العظيمين الشمس أولاً والقمر ثانياً . واثنا عبدوا الشمس لما رأوه من قوتها وقاوتها .
فانها حياة الحيوان والنبات وغاية الجمال الطبيعي . فزعموا انها رب الطبيعة
ومصدر بها الكائنات . فقدموا لها عبادتهم باجل ما خطر لهم من الاساليب .
فصوروها بهيئة انسان تحيط بوجهه الاشعة . ونقشوا رسمه على الحجارة واخذوا
يقيمون لها السواري الحجرية على المرتفعات . وفي المواضع ذات المناظر الجميلة
ويقدمون لها الضحايا .

وقد وجدت كتابة اثرية ذات قيمة يونانية اللغة في حمص ترسل اشعة
على معبودات حمص القديمة . حفرت هذه الكتابة تحت اربعة تآثيل اثنان منها
بهيئة جنديين يمثلان الالهين عجبول وبييلوس ، كتب فوق رأس احدهما (زيفي
كيرافنيوس) أي صاحب الصاعقة (او المشتري) . وبين الالهين المذكورين هيئة
امرأة كتبت فوق رأسها اثينا . وهي الهة قديمة لم يبق من اسمها سوى حرفين
ونصف . وذهب من الحجر قسم ضاع معه الاله الرابع الذي بقي منه بعد
المتفتت اسمه السامي « يرحبول » في حف الاثر (المشرق ١١٣٤٠٤) .

ويستطيع القارىء ان يستنتج مما تقدم ان حياة الحمصيين القدماء كانت
طبيعية وفيها الكثير من الهناء وراحة البال لولا ما ساورها بعد مدة من اطماع
الغزاة مما جعلهم يفتقون من غفلة الهناء ويستعدون بوسائل جديدة لمكافحة
الطواري .

٦ - موارث هذه الحقبة

ليس للحمصيين في هذه الحقبة حوادث خاصة لما عرفت من طرق معيشتهم
التي تبعد بهم عن الاصطدام بسواهم . واثنا نذكر ما له صلة بهذا الصقع وان
بعدت . ولانه يكشف حالة العصر الذي نشأت فيه حمص . وهو مما يهينا استجلاء
غوامضه بقدر الممكن . وفي ما يأتي خلاصة عن كل منها :

(١) - غزوة لوكازاغيزي

في القرن الاربعين قبل المسيح كانت البلاد التي عرفت بعدئذ ببلاد

الكلدانيين تحتوي على عدة ممالك صغيرة منها : أكد وبابل وكوت وكيش في الشمال . ولاغاش وأوروك وأور ولارسام في الجنوب . وحصل نزاع شديد على الحدود بين مملكتي كيشو ولاغاش . وبعثاً تدخل ملوك كيش بينهما فلم تفلح وساطتهم الا الى حين ، ثم عاد الخلاف بصورة اشد وطال امده . وكانت الحرب سجالات بين الفريقين في مدة عدة ملوك . واخيراً عنت كيشو لسطوة لاغاش في مدة ثلاثة ملوك . ولكن قام بعدئذ في كيشو ملك عظيم الهيبة كثير الطموح يدعى «لوكازاغيزي» تمكن بقوة بأسه من كسر نير ملوك لاغاش ثم بسط سيطرته على كل البلاد الواقعة بين خليج العجم وبحيرة وان ، (ادي شير ٢٣) .

ولما تم له الفوز بما اراده في الشرق ، اتخذ اوروك قاعدة لمملكته . ثم وجه طموحه نحو البلاد الواقعة عبر الفرات فكان له ما اراد . فكان اول غازي - عرفه التاريخ - للبلاد السورية وكانت غزوته هذه قبل القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد (بورتير - الكلية ٣ : ٢١٢) .

ومما لا مرية فيه ان هذا الغازي مر في سوريا الشمالية التي هي جسر الاشوريين الى هذه البلاد . ووطئت قدماء منطقة حمص قبل ان تظهر المدنية الى عالم الوجود . غير ان ذرية لود كانت منتشرة في ذلك البر الفسيح ومسرورو قواته اوجدت في ادمغة هؤلاء . فكرة جديدة ، وميلاً خاصاً لتوحيد الجماعات المتباعدة ، لايجاد قوة تقف ازاء تيار الغزاة هي البذرة الاولى التي القيت في حقل حمص الاجتماعي .

ويستنتج من انباء هذه الغزوة . مع التي تلتها ان عدداً ليس بقليل من قاطني هذه المنطقة ، نزحوا منها ولاذوا بالجنوب اتقوا خطر الاصطدام بالغزاة الاشوريين .

(ب) - غزوة سرجون الاول

بعد غزوة لوكازاغيزي بمدة غير بعيدة ، قام ملك آخر ذو سطوة وشجاعة يدعى «سرجون» هذا بسط سيطرته ايضاً على أكد وبابل وسبارا وكيش ونيبور في شمال كلدنة ، وعلى سائر مدن كلدنة الجنوبية ولما اطمان على

فتوحاته في الشرق عبر الفرات كسابقه ففزا سوريا الشمالية الى غابة فينيقية ،
وجزءاً من بلاد العرب . وترك آثار هياكل وقصور دلت على كبر مداركه
ومما يستغرب من هذا الملك القدير انه في ما كتبه على تمثاله اعترف بضعة
اصله وان امه ولدته خفية وطرحته في النهر فرباه رجل سقاً علمه البستنة .
واكن الهه نظر اليه نظرة عطف فاوصله الى العرش وملك ٤٤ سنة (ادي شير ٤) .
وقال فيه بعضهم لم يتسع ملك دولة بابل في عصر ما ، كما اتسع في ايام
سرجون الاول . ولذلك رفعه البابليون الى مصاف الالهة . وقد خلف هذا القائد
العظيم عدة ابناء بواسل حكموا الى سنة ٢٢٠٠ قم (براستد ٩٠) .
ومن آثار هذا الملك انه في غزوته هذه اخذ سفن الفينيقيين وقطع بها
البحر ليغزو قبرص . ومن آثار هذه الغزوة تسمية سوريا الشمالية بلاد الامورو
اي الاموريين . مما دل على ان الاموريين كانوا آنذاك في هذه البقعة . وهم من
السابقين لسكانها . وكانت سيادتهم حيث التقى بهم اولئك الغزاة (الكلية
٢١٢ : ٣) .

ج - كدر لاعومر

فهم من اسفار الكلدان وآثارهم ان بلاد عيلام كانت موازية لمساكن
الكلدان شرقي الدجلة وكانت ممتدة الى بلاد مادي وكانت قاعدة عيلام مدينة
شوش الشهيرة . ففي سنة ٢٢٩٥ قم اغار كدر ناخوندا ملك عيلام على كلدة
واستولى عليها واخضع بابل وسلب آهتها نانا شفيعة اورورك . ووضعها في
هيكل شوش .

فلما مات خلفه الملك سيميئشيل خاك فولى ابنه كدر مابوغ المقدام على
يوتبال (ايات بعل) في عيلام فلما مات سيميئشيل وخلفه كدر لاعومر اقر كدر
مابوغ على ولايته . ثم بعث به الى سوريا غازياً فذهب باسم سلطانه واخضع
سوريا الجنوبية لدولة عيلام . فخنعوا مدة اثنتي عشرة سنة ولكنهم في السنة
الثالثة عشرة رفعوا رأسهم ، فساد عصيانهم وجهر حملة قوية لاذلالهم واقتحم
بلادهم في السنة الرابعة عشرة يصحبه اصرافل ملك شنعار واريوك ملك الأسار

وتدعال ملك جويم . فضرِب الرافائيين في عشتاروت قرنيم والزوزيين في هام والاييين في شوي قربتائيم والخوريين في سعي . ثم جاؤوا الى عين مشفاط (قادس) فضربوا العالقة والاموريين المقيمين في حصاصون تمار . فخرج لصدِّهم خمسة من ملوك سوريا الجنوبية وهم : بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك ادمه وشثيتير ملك صبوئيم وعلى ملك بالع ، ولما اشتعلت لظى الحرب في غور السديم قرَّ ملك سدوم وعمورة وسقط كثير من جندهما في آبار حمر وانهمز الباقون الى الجبل . فغنمت جيوش كدر لاعور جميع الاسلاب واخذوا عدداً كبيراً من الاسرى فيما بينهم لوط ابن اخي ابراهيم .

فلما درى ابراهيم بالفاجعة جرد جميع حشمه وعددهم ٣١٨ وصحبه من حلفائه الاموريين عازر واشكول وممرا . وجدَّ في أثر الغزاة الى دان وبعدما طوقهم هاجمهم في الليل بغتة مع عبيده فهاهم الامر وتقهقروا فكسروهم شر كسرة واسترد منهم الاسلاب ولوطاً ابن اخيه بعدما طردهم الى صوبة شمالي دمشق . وكانت هذه المعركة سنة ٢١٣٧ ق م حسب رأي الاب مور الذي قال ان شخوص ابراهيم الى الشام كان سنة ٢١٤٥ (الدبس ٢: ٢٥٠) .

غير ان بعضهم يرون ان غزوة كدر لاعور كانت في القرن العشرين مستتجين ذلك من آثار اشور بانيال الذي يقول انه فتح سوزا ودمرها في القرن الثالث عشر لغزوة كدر لاعور وبما ان اشور بانيال كان في القرن السابع ق م . يستنتج ان غزوة كدر لاعور كانت في القرن العشرين والله اعلم بالاصوب . وفي هذه الغزوة مطال كثيرة يستطيع ان يرى من خلالها وجود حمص . ولكن مجيئها على غير ما رُسِخ في اذهان المقلدين من مفسري التوراة والرواة يجعلنا نتأني في التبسط بها قبل ان يجتمع لدينا بينات كافية لتعديل التقليد المتسلسل والجزم بصحة ما نراه . ويكفي قارئنا الآن ان يحفظ في ذاكرته اسماء كثيرة وردت في هذه الحادثة ولها صلة بتاريخ حمص منها قادس ، وصوبة ، وعمايق ، والاموريين ، وسواها . وهي وان اعطاها الشراح وصفاً يبعدها عن حمص ، لكن التأمل الدقيق في ما ذكرته التوراة مع الالمام بالتطورات التي مرت بهذه البقعة تجعل البعيد قريباً والمستحيل ممكناً .

(د) - حمورابي

في اواسط القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، نشطت ذرية ارام ودفعوا رقيهم المدني الى التوسع فبسطت سيطرتها على اراض واسعة . وكان صدر الدولة البابلية الاولى بل رأسها « سامواي » الذي اتخذ بابل قاعدة لسلطته . وتتالى بعده خلفاء من ذريته ملكوا نحو ثلاثة قرون (٢٤٦٠-٢٠٨١) وعدد هم ١٦ ملكاً سادسهم حمورابي الشهير .

ناهض حمورابي العيلاميين في الجنوب وقهر ملكهم كدر لاءومر وهو لا يزال في الثلاثين من عمره وقضى على الدولة العلامية وجعل بابل سيدة مدائن البلاد وحسب حمورابي ثاني ملك قدير (بعد سرجون الاول) انجبه الرافدان (براستد ٩٥) . روى ادي شير (٣٠) انه بعد انتصاره على العيلاميين تابع فتوحاته فاصبحت مملكته واسعة جداً شملت بلاد الكلدان واشور وسائر ما بين النهرين وسوريا . وبلغت في ايامه درجة ممتازة في الثروة والرقى الادبي . وما برحت شرائع حمورابي المكتشفة حديثاً من انصع الادلة على ما اوتيته هذا الرجل العظيم من العبقرية وما وجد منقوشاً على قطعة اجر مايلي :

انا حمورابي القدير ملك البابليين الضابط ازمة الاقطار الاربعة القاهرة كل مناوى . لمروودوخ الهى ونصيري . ان الالهين بين وبعل ايل قد قلداي الملك على سومير واكد وافعا يدي يجزى هذه الطوائف . وقد كريت نهر حمورابي الذي هو سعادة البابليين وبلغت به ارض سومر واكد . فامرعت فيه الفلوات القاحلة وكل بقعة لا ماء فيها اذ اوجدت في المدن والساكن بقعاً خصبة . وانشأت لهم من البلاقع الغامرة مروجاً رائعة وخمائل يانعة . وقلت لهم اقيموا في الرغد والخصب وسيموا في مراتع النعيم فهذه ارضكم ارض ريع وسعادة . انا حمورابي الملك الهام خليل الاله الاكبر اني وفاقاً لما اوعد به اليّ مروودوخ الاله القدير قد شيدت عند منفجر نهر حمورابي أطماً شامخ الرأس وشحنته بالبروج العظيمة ونميت هذا الصرح - دار سينموبليت - لأخلد ذكر الي (المقتطف ٤ ص ١٥٢) . ومن آثار شرائع حمورابي في حصر ما لم تمحه القرون المنقضية . فانها

ما برحت مع سائر الاصقاع السورية تحفظ اسما، سبعة شهور من ايامه وهي نيسان وايار وآب وياول وتشرين وشباط واذار . على ان اهم اثر لازمها انما هو اسم المعبودة الخاصة بامته وهي « نينان » ويراد بها السدة المقدسة التي وجدت في ضاحية قرية المشرفة حيث نقب الباحثون عن آثار مدينة « كاتانا » التاريخية كما سترى .

ومن الاشارات المتوالية في الكتب التي جاءت من حمورابي الى التجار والمهاجرين الاموريين ، تظهر الصلات المتينة بين وادي العاصي وروادي الرافدين (دجلة والفرات) ويلفت النظر بنوع اخص ان حمورابي يدعو نفسه في احدى كتاباته « ملك الاموريين » (جغرافية الكتاب اكنت ص ٨٦ والعصور القديمة ص ٩٤) . كما ان نظامه يمتد ببحق البنين ما يرح اثره ماثلاً في حمص رغم الشرائع الكثيرة التي تداولها الاهلون . ومن خصوصياته حرمان الابن من ميراث ابيه لغضب الاب عليه . واعتبار الولد الذي تزوج في حياة ابيه قد استوفى حقه من التركة . ومنح الابن العازب حق العروس او المهر فوق سهمه من الميراث فيها اذا توفي ابوه قبل زواج الابن المذكور . الى غير ذلك (انظر خلاصة الشرائع في العرب قبل الاسلام ص ٤٤-٤٨) .

اما المدة التي حكم فيها فقد روى مسبيرو انها من سنة ٢٢٨٧-٢٢٣٢ ق م ، غير ان براسد ص ٩٤ يرى انها بدأت سنة ٢١٠٠ ونحن نميل الى الوجه الثاني لان كثيرين من المحققين رأوا انه اسرافيل الوارد ذكره في حرب كدر لاعوس . ومن قال بهذا الرأي كلاي العلامة الشهيد (١٢٧) وحجته تقارب اللفظ والمعنى . لأن حمورابي تكتب امورابي وامورافي والاثريون يلقبون شور الى شينار او شنعار بسهولة . فلا عجب ان يكون امورافي هو اسرافيل . ولاسيا وان الزمن متقارب بين الملكين .

(ه) - سميرام

ذهب اكتازياس المؤرخ اليوناني كما روى ديودور الصقلي ، ان نينوس منشي . الدولة الاشورية بنى مدينة نينوى واهتم بجعلها اعظم مدينة في العالم

فأسكن فيها عدا الاشوريين اقواماً غريبة . وامتدت بعدئذ سيطرته حتى اخضع لسلطانه بابل وارمينية ومادي وسائر البلاد الواقعة بين بحري الهند والروم . وفي اثناء محاربته بقطريانه التي بسميرام امرأة حنون ملك سوريا وكانت قد خرجت مع زوجها للحرب فأخذ بجهاها وشجاعتها فعمل على استخلاصها من زوجها الشيخ واختصها لذاته بعدما اشركها معه بالملك .

فاظهرت سميرام منذئذ من العبقرية ما استغربه البعض وحسبوه ضرباً من الخرافة اذ سورت بابل بسور شاهق دعامته بابرار عديدة ورصفت مسافة ٣٠ كيلو على جانبي الفرات مادة فوقه جسراً عظيماً . وجرت المياه بترع وجداول الى المنازل لري الجنائن والاراضي الفسيحة . وبنت الجنان المعلقة التي كانت مرتفعة ارتفاعاً شاهقاً فوق ابرار رفعت اليها المياه من نهر الفرات . وقيل انها وضعت في هيكل بلوس ثلاثة تماثيل ذهبية . وانشأت في باحته برجاً فاق اهرام مصر . وما برحت آثار هذا البرج الى الآن معروفة بآثار برج بابل او بيلوس .

ولما ترددت بلاد مادي وجهت جيشاً عليها فخذت شوكتها واعادت الى الطاعة . ثم اقتحمت ارمينيا وفارس ومصر والحبشة فبسطت سيطرتها على الجميع ودفعها طموحها الى اقتحام الهند ولكنها لم تتوفق . اذ فشل جيشها امام قوات ستراتوبانيس ملك الهند فعادت الى بلادها وانصرفت الى تحسين داخلتها .

ومما نقله الرواة عن لسانها ما تلخصه في مايلي : اجل ان الطبيعة اوجدتني امرأة لكن هذا لم يجل دون قيامي باعمال اعظم الرجال . وحسبي اني ذبرت شؤون مملكة نينوى العظيمة حسناً . ولم يرو احد قبلي اربعة اوقيانوسات وجعلت الانهر تجري حيث شئت فارويت الارض العطشى بمياه انهرى . وكسرت الصخور لتمهيد الطرق الجبلية الوعرة . وفتحت لعجلاقي ممراً لم تسلكه الوحوش من قبل . على ان هذا لم يجل دون تنعمي بما احبه اه .

اخيراً شعرت سميرام بمؤامرة دبرها ابنها نيني عليها فاعتزلت الملك فألهها قوما وزعموا انها تحولت الى حمامة .

ويرى بعض المؤرخين انها نبغت في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد

وانها ملكت ٤٢ سنة (٢٠٠٤-١٩٦٢ ق م) .

هذا ما يمكن استخلاصه مما يجوز ضمه الى التاريخ اما الرواة فقد بالغوا في تعظيمها مبالغته اخرجتها من دائرة التاريخ الى الاساطير .
 زعموا انها ابنة غير شرعية لأم اشورية وأب سوري تركتها امها في القفر فور ولادتها ، فعطف عليها سرب من الحمام البري دفأها البعض باجنحته ونقل البعض الآخر لها الحليب بمنقاره . ولما كبرت واحتاجت الى غذاء اقوى اخذ الحمام يحضر لها الجبن من مذاود الرعاة ، وشعر الرعاة بنقد الحمام الجبن والذهب به فتبعوه الى مستقره . واذا بهم يرون فتاة لم يخلق مثلها بالجمال فحملوها الى كونهم ثم ساءرها لناظر الحيل الملكية . ففرح بها لانه كان عقياً فاحسن تربيتها وسماها سميرام (ام الحمام او حمامة الجبل) ولما ادركت سن الرشد رآها حنون او (اوانيس) رئيس شيوخ الشام . فسباه جمالها فطلبها من الناظر فازوجه اياها فولدت له ابنتين هيابات وهيوسب .

فلما وقعت الحرب مع البكتريان ذهب زوجها بالجيش الملكي الى المعركة فرافقته سميرام وهناك التقت بنينوس وهو في ضيق فافرجت عنه فاحبها على كبر سنه وتزوجها فولدت له تينوس ثم مات بعد قليل مورثاً لها العرش واذ كانت طموحة الى المجد قامت باعمال عظيمة فاقت بها كل من تقدمها وملأت البلاد من آثارها العجيبة ثم تحولت اخيراً الى حمامة واستقرت في منازل الآلهة (اساطير الاولين ص ١٣٠ و ١٣١ وتاريخ لبنان ص ٣٠٨ - ٣١١) .

ومن الروايات التي يرتاب بها المؤرخون طلبها من بعلها ان يسلمها الملك دقيقة واحدة فلما لمي طلبها امرت فوراً بقتله واستأثرت بالعرش .

ومبالات الرواة جعلت رهط العلماء ينكرون وجودها لكن المحققين لا يرون في المبالغات موضعاً للشك في الاصل التاريخي (انظر ادي شير ١ ص ٤٦ والمقتطف ٤ : ٢٣١) ولا سيما وقد ذكرها هيرودوت وديودور وبلوطرخوس .

وصلة سميرام التاريخية بحمص انها سورية الدم وانها مرت بحمص يوم رافقت الحملة الى بكتريانة والمحاصيون الاقدمون رأوا فيها مثالا للاقدام الذي اورثوه الى ذرائعهم الى امد بعيد جداً مما لا ينكره المنصفون .

(و) - سنوهي المصري

في الآثار المصرية قصة بطل مصري نشأ في أوائل الألف الثانية قبل الميلاد كتب ملخص حوادث حياته على قطعة آجر اكتشفها الاثريون وترجموها ونشرتها مجلة الهلال في عدد مايو سنة ١٩٣٦ ص ٧٩٧ واذ لها صلة بقدماء المحصين نلخصها لتنوير غوامض التاريخ في مستقبل الايام ، قال سنوهي ما ملخصه :
في اليوم التاسع من الشهر الثالث (هاتور) للفيضان من السنة الثلاثين الملك « آمن - ام - هت » دخل افقه (اي مات) وكان قد ارسل جيشاً الى ارض « نيميجو » يقوده ابنه الاكبر سيروسريس فقفل غافلاً . ولكنه وهو جاثد درى بالفاجعة فكر كالصقر الى يلاذه . غير ان رسالة وصلت الى احد اشقائه تدعوه الى العرش اخافته ففر الى سوريا ومكث في قديني (شمالي بيروت) نصف سنة ، وعندئذ اخذه تنش بن عامر امير روثانيو العليا (سوريا الشمالية) فبقى عنده سنوات كثيرة . وتزوج كبرى بناته ورزق منها اولاداً . فكبروا وصاروا رجالاً اشداء . وفي اثناء وجوده عند الروثان بارز رجلاً منهم فقتك (هو) به فجزع مما جرى .

ولكن الملك المصري درى بامرء فاستقدمه اليه ليدفن بعد شيخوخته في وطنه الاصلي . وبني له هرمًا من حجر ضمن حدود الاهرامات التي اقيمت حول قبر الملك ، قام ببنائه رئيس البنائين .

كتبت هذه القصة منذ ٣٨ قرناً اعني في اوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد وفيها ما يؤكد وجود الروثان ذرية لود في منطقة حمص . وعرف من اسماء امرائها تنش بن عمرو . وعمو من الالفاظ التي يريد بها المصريون ذرية سام وقد صوروهم بوجوه تميل الى الصفرة (الدبس ١ عدد ٥٩ ص ١٦٥) وذرايعهم كانت العشائر الوحيدة التي جاورت مصر في ايام دولتها الثانية عشرة (الدبس ١ عدد ١٠٢ ص ٢٥٧) فاحفظ هذا ايها القارىء ولا تنسه .

٧ - عمرانه المنطقة

بعدما رسخ قدم الحمصيين القدماء في هذه المنطقة وعلمتهم الحوادث التي مرت بهم انهم بحاجة الى ما يقيهم اخطار لصوص البادية وهجمات الجيوش الغازية . أخذوا يجوسون خلال الديار لاختيار المواضع التي تفي بهذا الغرض فبنوا عدة مدن ارشدتنا اليها آثار الحقب التي ولدت هذه الحقبة . ودلتنا اهميتها على دقة نظر الذين خططوها وحسن اختيارهم المواضع التي انشئت فيها . وبما اتصلت بنا معرفته من منشآت هذه الحقبة قادس وجبيل وماريامون (مريين) وقطنه (المشرقة) وفي ما يلي خلاصة ما عرفناه عنها :

(١) - قادس

مدينة حصينة بنيت فوق تل (يعرف الآن بتل النبي مند) (لامنس) برزت في وسط سهل مكسو بنضارة العشب النابت فيه . تحترقه الجداول والاقنية المتفرعة من العادي . وتكتنفه مياهه من كل الجهات . فيرى عن بعد جزيرة في وسط الماء . وانا شكل العادي دائرة لان المياه الجارية من ينبوعه الاصلي تلتقي قبل وصولها الى ذلك التل بياه اخرى انبجست من ينابيع غير بعيدة عن التل . فطوقته هذه من جهة وتلك من الجهة المقابلة . بحيث لا يستطيع احد الوصول اليه دون اجتياز جسر انشئ . لهذه الغاية .

وقد اكتنفت هذا السهل روابي لبنان وجبال عكار التي تعطي ساعات النهار الوانا متعددة من زرقة وحمرة ووردية الخ . . . وهذه الوضعية الطبيعية اكسبت هذا الحصن مناعة جعلت اقوى الحصوم يرتدون عنه خاسئين واعترف المؤرخون القدماء له بانه اعظم حصن قام في ذلك العهد .

(٢) - جبيل

هي مدينة جبيل الحالية التي زعم اسطفانوس البيزانطي انها اقدم مدينة في العالم . وعدل هذا القول الاب مرتين (ص ٣٧٥) فقال انها اقدم مدينة في

لبنان . ومع ان هذه الدعوى يتعذر اثباتها لاسباب لا محل لذكرها هنا ، لكن
لامرية في انها بنيت قبل العهد التاريخي . وذهب سترابون (٢ : ٢٦) انها سميت
جبيل لانها بنيت على جبل صغير .

وقد صرح الاب مرتين (ص ٣٦٤) ان الذين انشأوها انما هم قاطنوا
السهل الواقع بين حماة البقاع طمعاً بالانتفاع من السكنى قرب البحر . ومجاورة
الاراميين الذين بنوا شرقي لبنان تدعو الى الظن بان احدى قبائلهم جاءت
فمنصبت خيامها الى الشاطئ الشمالي واقامت في الجبل الصغير حيث بنيت جبيل
ويؤيد هذه الفكرة الوحدة الدينية بين الفريقين فان اكبر آله عند الجبيليين
انما هو ايل وهو اسم الآله عند ذراري سام كلها .

وقد ظهرت فيها آثار كثيرة اهمها سور المدينة وقلعتها وكلاهما من آثار
العائلة الذين نعتهم التاريخ بالجبابرة القدماء (لامنس) .

وسارت جبيل مع حمص على ولاء مدة الحقبة الاولى ولكنها اختلفت
مع الحثيين بعد ذلك واستقلت وطأهم فلاذت بالمصريين ضدهم كما ستري :

(٣) - مريامون

بلدة قديمة العهد جداً موقعها الى الغرب من مدينة حمص في سفح جبل
الحلو في موضع القرية المدعوة الآن مريين كائنة في وسط غيضة نضرة تروض
الناظر الى قحولة السهل الممتد ازاءها . وهي من اقدم المدن السورية ردد ذكرها
التاريخ كثيراً .

ومن رأي الاثري دوسو ان عهد بنائها يرجع الى ما قبل الميلاد بالني
سنة . وقد ذكرت الاسفار المصرية الباحثة عن قادس ، وكانت في ايام الفينيقيين
متاخمة املاك ارواد . وهي من احكم المشارف على وادي العاصي بين حمص
وحماة (دوسو) .

وبناء الحصين القدماء هذه المدينة في موقعها المعروف يدل على حسن
تخطيطهم لانها من خير الماقل لرد غزاة الغرب .

(٤) قطنة

مدينة تاريخية موقعها الى الشرق من حمص في الموضع الذي قامت فيه قرية المشرفة الآن وقد تلي في اكاديمية الآثار تقرير الموسيو دوميستيل روبيسون عن مدينة قطنه المبنية سنة ٢٢٠٠ ق م التي دمرها الحثيون سنة ١٤٠٠ ق م ودلت الآثار على انها كانت مدينة عظيمة ذات اسوار وابواب كبرى وقصر ملكي وهياكل عظيمة (الزهراء) واليك التقرير :

« التقرير »

الذي نشره العالم الاثري الكونت ميسنيل دي بوليون القائم باعمال التنقيب في قرية المشرفة من اعمال حمص (عن جريدة حمص عدد ٤٢ الصادر في ٢٥ آذار سنة ١٩٢٨) .

اما وقد انتهت الدورة الثانية لاعمال التنقيب في المشرفة ، فيسوغ لنا الآن ان نضع تقوياً لما حصلت عليه من النتائج التاريخية .
ففي سطح من الارض تبلغ مساحته كيلومتراً مربعاً محاطاً بمخارج ترابية اعتاد القرويون ان يسموه ساحة او عرضي المشرفة ، ظهرت جلياً آثار مدينة « كاتنا » التي ورد ذكرها مراراً في الواح الآجر المشوية المكتشفة حديثاً هناك .
وقد قرئت هذه الالواح بواسطة الموسيو فيرولو مدير الآثار في سوريا .
ان مدينة « كاتنا » المذكورة اصبحت الآن معروفة جيداً لورود اسمها مراراً في بعض الآثار المصرية وعلى الاخص في الالواح التي اكتشفت في تل العمارنة والالواح المذكورة تتضمن الاخبار السياسية التي تبادلها الفرعونان امنهوتب الثالث وامنهوتب الرابع مع ملوك سوريا اتباعهم . وفيها نرى ملك « كاتنا » المدعو « اخيش » يطلب مساعدة مولاه ملك مصر عندما هاجمه الحثيون واضطروه ان يحاصر .

غير ان هذا الطلب على ما يظهر قد ذهب صرخة في واد لان الالواح المكتشفة في بوغازكوي عاصمة الحثيين الشمالية تصرح ان ملكها المدعو

سوبيلوليوما كان موقفاً في حملته على سوريا وعاد وهو يحرق مطارف الفخر حاملاً كنوز مدينة « قطنا » الى عاصمته وهذا الحادث جرى نحو سنة ١٣٧٣ .

والحفرات الحديثة تؤيد هذه الرواية بصورة مدهشة فالانتقاض الكلاسيكية المحجوبة بالرمال وانحباب الالهة المحطمة وأكوام العظام البالية الى آخر ما هنالك من الآثار تمثل بوضوح ايام خراب قطنا العvisية .

وعلاوة على ذلك فان سالي كنوز المدينة قد أبقوا آثارهم في الهيكل الكبير الخاص بالهة المدينة العظيمة « نينغال » الذي كشف مؤخراً وهو عبارة عن فناء مربع يبلغ اتساعه خمسين متراً قد وصفت ارضه بحجارة ضخمة وفي نهاية هذا الفناء بناء مستطيل الشكل ضيقه وهو الهيكل او قدس الاقداس . وهنا كان على ما يظن التمثال الذهبي لالهة المدينة حيثما تحفظ ايضاً التقادم الثمينه التي يتألف من مجموعها الكثر المقدس .

ويؤيد هذا الظن وجود بعض قطع ذهبية ولازوردية عثر عليها مع الاشياء الاخرى المحطمة والملقاة على الارض بين بقايا التماثيل كالكؤوس وموائد الرخام المحفورة على الطراز المصري واخصها صفائح ذهبية استعملت للتفشيية . كل ما مر معنا يرينا الحقيقة التاريخية بكاملها فان الوالي الحثي مذ قام بتمثيل دور القاهر تجاه المقهور الضعيف . . . اتلف ما تبقى من الآثار القيية ، واعمل معول الهدم في قصور المدينة ، وجعل الهيكل فريسة للنار ومحا كل اثر يذكر الخلف باجداد السلف . . .

ولكن بالرغم من هذه الطواريء بقي عدد من الآثار لم تقو النار ولا معول الهدم على ابادته . غير ان معظم هذه الآثار لا يمكن الوقوف منها على نتيجة مرضية . واهمها تمثال كامل لأبي الهول المصري اهدته للمدينة احدى اميرات السلالة الثانية عشرة (٢٨٥١ - ٢٦٠٠) المدعوة « إيتا » وهي ابنة الفرعون امنمحات الثاني وذلك نحو سنة ١٩٠٠ ق م ثم اللواح التي وجدت مكسرة ومجزأة الى ما يقارب اربعمئة قطعة وقد اعاد هذه القطع الى نظامها الاول المسيو فيرولو مدير الآثار العام في سوريا وقام بحل رموزها الهيدروغرافية الموسيو آ : مورين عضو اكاديمية الخطوط الاثرية .

اما تمثال ابي الهول فتعتبر اهميته من وجبين الاول انه اقصى الآثار المصرية

والثاني ان تاريخه يرجع الى اقدم عهد معروف للمدينة حتى الآن .
ولكن هذا لا يعني ان تاريخه مقترون بتاريخ انشاء المدينة . وبصرف
النظر عما حصلت عليه من المعلومات بهذا الشأن فان الموسيو دوسو عضو
الأكاديمية والاختصاصي الكبير في الآثار السورية كافة ، حاول ان يجدد تاريخ
بناء الهيكل استناداً الى ان الهة المدينة هي سوسرية الاصل وانها نفس الالهة
التي اكتشف هيكلها مؤخراً المستر دولي في مدينة اور . ويرجع تاريخ بناء
هيكل اور الى عهد السلالة الثالثة الكلدانية اي الى الشطر الثاني من الالف
الثالثة قبل المسيح وهو العهد الذي عرفت فيه عبادة هذه الالهة . ومن المرجح
ان تكون « نينغال » هذه رمزاً الى الزهرة التي كان يعبدونها احد ملوك هذه
السلالة بنوع خاص وقد اقام لها نصباً اسطوانياً من البازليت . فانهم وجدوا
في بعض آثار الملك المذكور كلاً نقش عليها رسم نجمة ذات ستة اشعة .
اننا الآن امام تاريخ امة سدل الدهر عليها حجاب النسيان منذ ثلاثة
آلاف سنة ونيف . وكل ما حصلنا عليه الآن ليس الا طائفة يسيرة من الاسماء
والتواريخ ما كانت الا لتريدنا رغبة في الوقوف على خفايا الماضي . ومقصودنا
الجوهري الآن هو الاهتداء الى المقر الملكي ليتسنى لنا معرفة الدين اوصالوا
المدينة الى هذه الدرجة من الرفاهة والعمران .
ويجد المتقربون الآن صعوبة في متابعة الحفر لسبب التشويش الحاصل في
الطبقة الصخرية السفلية وما يعترضهم من الاخاديد والآبار المنقورة في الصخر .
ويرجح ان هذه الآبار كانت تستعمل لحزن الماء وللقمح ايام الجذب والقحط على
مثال ما حدث في « سني البقرات العجفاء السبع » .
ولكن الامل عظيم بالاهتداء الى المقر الملكي قريباً في الدورة القادمة
ان شاء الله . واقل ما يقال في حفريات قطنة (المشرقة) انها جعلت املنا
بالمستقبل كثيراً اه .

(٥) - العاصي

بعدما اتينا على ما انبأنا عنه الآثار من منشآت هذه الحقبة في منطقة

حص نرى اننا ننقص التاريخ اذا لم نورد ما ذكرته الاساطير عن اصل العاصي .
وهذه المرويات وان لا يستلها اوهاام فتجربدها يكشف بعض غوامض التاريخ
القديم .

قال الاب مرتين اليسوعي (ص ٣١٥) ان مجرى العاصي الذي يبتدى .
في ما حوالي بعلبك كانت له حكايات تتفق تماماً مع حكايات هذه المدينة . . .
فقد ذكر اصحاب الاساطير بعض امور من قصة اباون جزموا بحدوثها في حص
او البقاع . من ذلك ان مرسيا احد الخذاق بنفخ الشبابه ، فاخر اباون بالنفخ
فاستاء منه اباون وبعدها غلبه سلخه حياً لتواقحه عليه . وقد جرت هذه
الحادثة على ضفة نهر دعي بعدئذ مرسيا باسم من تجندل عنده . وصرح بلييني
بوجود نهر في سوريا المجوفة باسم مرسيا خلافاً لزعم اهل فريجيّة ان الحادثة
جرت في بلادهم . غير ان استرايون ويوليب عينا موقع نهر مرسيا بقرب خلكتيس
(عين الجر) القريبة من بعلبك .

وفي سبب تسميته تيفون زعموا ان تيفون تين هائل داهمته الصاعقة ففتح
في الارض اثلاماً واسعة ليختبيء فيها فكان منها مجرى العاصي ولما بذل جهده
ليغوص في الارض تفجرت الينابيع فلات المجرى ماء واخذ النهر اسمه منه .
اما سبب تسميته اورانتس فزعموا ان جباراً هندياً بهذا الاسم تصدى
لديونيس اثناء حملته على الهند فكسر جيشه شر كسره . ولكن ديونيس وجد
ساحته مكنته من دهورته في العاصي فسماي النهر باسم اورونط ام .

هذه رواية الاساطير ويستفاد منها بعد غربلتها ان الاقدمين دعوا نهر
حص الكبير بعدة اسماء وهي مرسيا وتيفون واورنط وسواء صحت الاسباب
التي اتخذوها دعامة لهذه الاسماء ام لا ، فيهم الحمصي ان يعرفها حتي اذا مرت
تحت نظره في مكتوبات الاقدمين او ما نقل عن الاساطير يعرف المراد منها
على ان تنقية ما روته الاساطير تجعل ما يستخلص منها قريب الامكان .

اما الرجالون ومنهم ابو الفداء فقد قال فيه : نهر الارنط ويسمى النهر
المقاوب لجريه من الجنوب الى الشمال . ويسمى العاصي لان غالب الانهر تسقي
الارض بغير دواليب ولا نواعير بل بانفسها تركب البلاد ونهر حماة لا يسقي الا
بنواعير تنزع منه الماء . وهو يجري بكليته من الجنوب الى الشمال . وارله نهر

صغير من ضيعة قريبة من بعلبك تسمى الرأس في الشمال عن بعلبك على نحو مرحلة عنها . ويسير من الرأس شمالاً حتى يصل الى مكان يقال له قائم الهرمل بين جوسية والرأس . ويمر في واد هناك وينبع من هناك غالب النهر المذكور من موضع يقال له مغارة الراهب . ويستدير النهر المذكور ويرجع ويسير جنوباً ومغرباً ويمر على سور انطاكية حتى يصب في بحر الروم عند السويدية اه .

٨ - لغة الحميريين الاقدمين

بقي معنا مبحث من مباحث هذه الحقبة وهو باذا كان يتفاهم سكان هذه المنطقة ؟ وهل بقي من آثار تلك اللغة شي . ؟
وسؤال كهذا لا سبيل للإجابة عليه بطريق الجزم . لان الحميريين كثيرهم من اجناس البشر القدماء . لم تكن لهم في فجر تاريخهم لغة تكتب . يهتدى بآثارها الى حقيقة تلك اللغة . وانما كانت لهم لغة يتحدثون بها وهذه انما تعرف متى عرف الذين قطنوا في تلك المنطقة . ولأجل التثبت من ذلك لا بد من المرور بما يلي :

ان كثيرين من علماء الآثار والتاريخ ارتأوا ان سوريا كانت مأهولة قبل التاريخ بشعب غير سامي . ومعتمد في هذا الرأي وجود آثار في سوريا تعود الى عصر الظوان . في حين ان اللغات السامية تدل على ان ابناءها بلغوا شأواً بعيداً من المدنية قبل تفرق فئاتها في اسيا الغربية .

وجاءت الابحاث الاثنولوجية مؤيدة الآثار . فان النقوش المصرية والاشورية القديمة مثلت السوري في معظم رسوماها بسمرة اللون واسوداد الشعر . ولكن وجد بضعة رسوم تمثل اشقر اللون احمر الشعر . فيستنتج من هذا ان الشعب الذي قلت رسومه سبق الساميين في سكنى هذه البلاد . وهي أمة انقرضت بزحف الساميين ، او هاجرت هذه المنطقة ، او مازجت النازلين فيها بالتراج فتعذر بعد ذلك معرفة اصولهم .

وذكر ابو الفداء (٩٨:١) ان العالقة لما تبلبت الالسن نزلوا بصنعاء اليمن ثم تحولوا الى الحرم واهلكوا من قاتلهم من الامم وقطن بعضهم بالشام

وقال بورتز في تاريخه عنهم (ص ١٩١) انهم من العرب البائدة وهم من ذرية عماليق بن لود بن سام .

وقد رأيت في ما سلف ان الاموريين سبقت لهم السكنى في هذه المنطقة مع العالقة والروثان . والاموريون بحسب رواية التوراة (تك ١٠: ٦) من اصل سامي لانهم ذرية الابن الرابع لكتنان بن حام . وقد ثبت ان انتجاعهم الشام كان قبل محبي . اميرهم اليها . ويرى لاثمان ان حلولهم في سوريا حدث في سنتي (٢٢٥٠-٢٣٠٠ ق.م) لثورة عيلام على كوش في هذه المدة . فهل يوجد ذلك مشكلة لمعرفة لغة هذا الصقع ؟ ولا سيما وان العالقة والروثان من اصل سامي بخلاف الاموريين . ان هذه القضية المعقدة حلها علماء اللغات بهذا الشكل .

قال الدكتور سميت (ص ١٩٠: ١) ان الكتانين تكلموا باللغة السامية ولكن التوراة جازمت بانهم حاميون . واثبت ذلك المؤرخون الوثنيون الذين قرروا ان وطنهم الاصلي الارض المجاورة للاوقيانوس الهندي . ولعلمهم هاجروا من هناك لمضايقه الساميين لهم . وكانوا قد الفوا لغتهم . فلما اتوا الشام ودأوا اهلها يتكلمون بالسامية شاركهم بها لألقتهم ايها من قبل .

وذهب لاثمان (١: ٣٣٠) ان اللغات الحامية والسامية من اصل واحد بدليل ان نحوها وضمائرها وصيغ التأنيث والجمع ونحو نصف اصول الكلمات واحد في اللغتين . ويظهر من انفصال الحامية عن السامية قديم جداً سبق تقدم اللغات وتحسناً .

وجاءت البحوث الاستاذ كلاي مؤيدة ذلك لان الاموريين كانوا يتكلمون لغة سامية . ولكنها لغة حديث لا لغة كتابة . ومع ان دولة الاموريين دالت في القرن العشرين قم لكن اللغة التي تكلموا بها ظهر اثرها في اللغات البابلية والآرامية والعبرانية حتي اعتبرها الاستاذ امأ لهذه اللغات الثلاث . واثبت درس الاعلام فيلولوجياً وجود اسماء امورية كثيرة فيها .

ومن القرن الثالث والعشرين الى القرن الثامن عشر قم كانت سوريا الشمالية ذات صلة قوية بالكتابات البابلية . وسمي اهل البلاد فيها «مارثو» (الهلال ٣١ ص ٢١٨ و ٣٣ ص ٢١٨) ولكن هذه اللغة لم تكن لغة العامة بل لغة السياسة والتجارة .

اذن نستطيع ان نرجح ان لغة قدماء الحمصيين في نشأتها الاولى كانت لغة سامية مع وجود قبيلة كنعانية فيها . وجزم الدكتور حتي (الكلية ٨) ان اللغة السامية الاولى المحكية في هذه البلاد انا هي اللغة الامورية ولزيادة التثبت نلخص ما قرره علماء اللغات الشرقية .

ان اللغات السامية مقسومة الى قسمين كبيرين شمالي وجنوبي .
فمن الجنوبي العربية والسوقطرية والحبشية .

ومن الشمالي (وهو الذي يهمننا الآن) الامورية والاشورية والكنعانية (بفرعيها العبراني والفينيقي) والآرامية بفرعيها الشرقي (الكلداني) والغربي (السرياني) والنبطي والتدمري .

ويظهر ان فرع الكنعانية الاول (العبرانية) كان لغة فلسطين والثاني (الفينيقية) لغة السواحل . وهذه كان لها ثلاث لهجات الجبيلية وهو الاقرب الى العبرانية . والصيداوية وهي اكثرها انتشاراً والبونية وهي لغة من أم افريقيا .
اما عدم وجود اثر لهذه اللغة في حصص نتائج من ان قاطني هذه المنطقة لم يكونوا لاول عهدهم بحاجة الى الكتابة اذ قصروا اهتمامهم على رعاية المواشي والاقتيات بلبانها والاكتساء بصوفها ولم يحتاجوا الى تصوير افكارهم بالكتابة قبل الحقبة الثانية وما يليها .

﴿ خلاصة ما تقدم ﴾

ان هذه المنطقة كانت مأهولة قبل عمرائها بعدة قبائل متبدية انتشرت في سهلها الواسع منها اللوديون الذين تسميهم الآثار الاشورية « مارثو » والمصرية « روثنو » . والعبالة الذين ترحوا من اعالي جزيرة العرب . والاموريون الذين قدموا من جهات خليج العجم . ولاسبيل لتعيين اقدم هذه القبائل في هذه البقعة لتقارب العهد بين هذه العشائر . والامر المتفق عليه انهم تمازجوا بعد وجودهم وتفاهموا وكانت اللغة الامورية وسيلة هذا التفاهم . والفرق القليلة بين

لهجاتهم سهلت على بعضهم التفاهم مع غيرهم . وجمعت بين الجميع حياة البداوة البسيطة التي لذت لكل منهم . وكان مرتفع مواشيهم وادي العاصي الواسع النطاق ، سبباً لعدم تنازعهم على المراعي فيما لو كانت البقعة ضيقة .

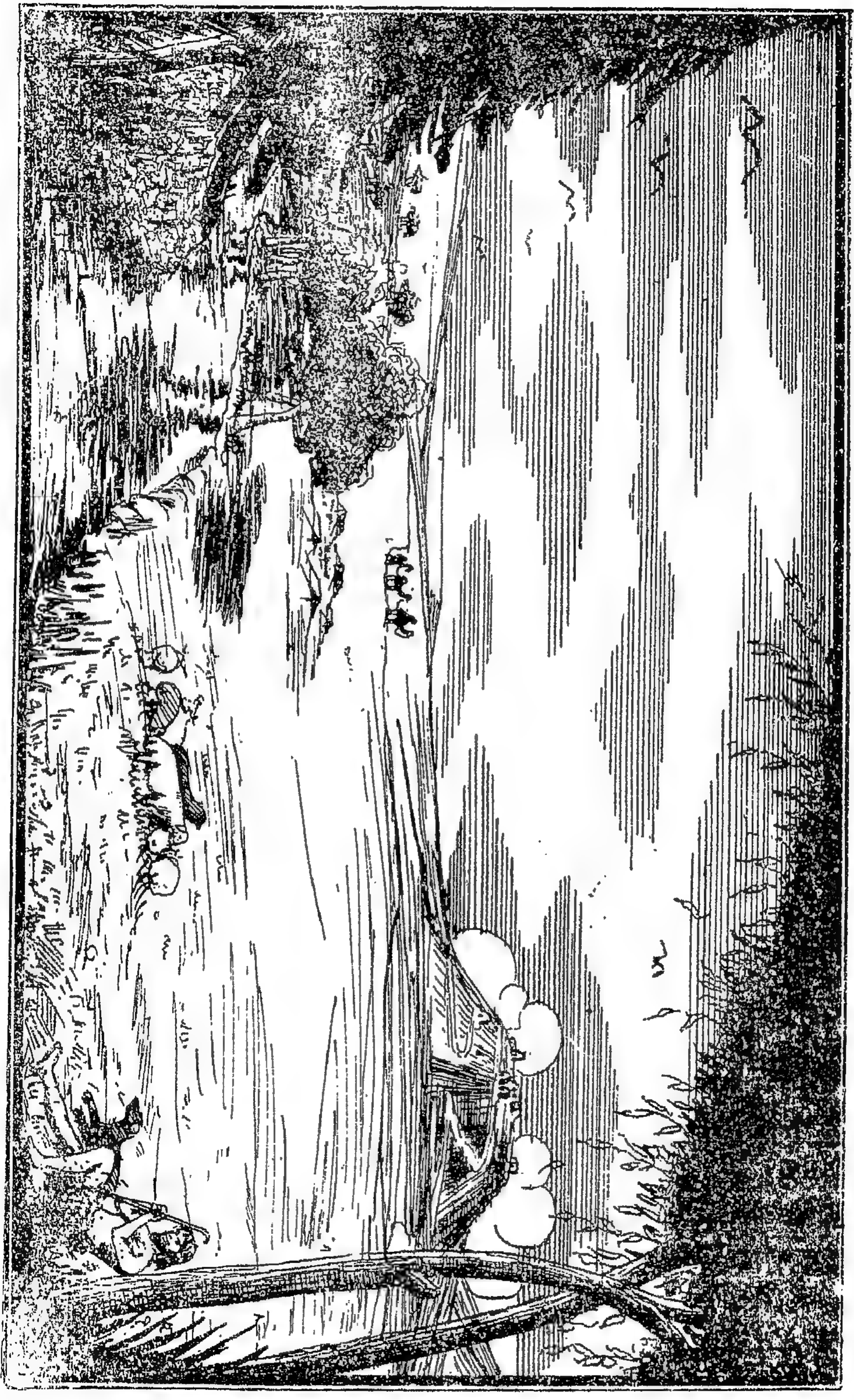
آوى هؤلاء في اول الامر الى الكهوف والخيام . وبعضهم عملوا اكواخاً من قش ونصبوها فوق التل الكائن في ذلك المنبسط ، المعروف اليوم بالقلية . يرتادونها ليلاً للنوم وينحدرون منها في الصباح لأجل رعاية المواشي .

فلما مرَّ بهم الغزاة الاشوريون نظير لوكالزاغيزي وسرجون الاول شعروا انهم بحاجة لاتقاء اخطار المقتحمين . لان عددهم فضلاً عن انه لا يكفي لصد الغزاة . فهو لا يحول دون وقوع عدد من مواشيهم بيد الغزاة . فخطر لهم لاول الامر الاعتصام بالتل . ولكنهم رأوا بالاختبار ان توغل تلك الاكمة ليس بالامر المتعذر فيما لو شاء الغزاة . فخذقوا ذلك التل ووضعوا المستخرج من ترابه فوق التل ، فعلا ارتفاعه ولكن هذا ايضاً لم يكن الحاجز الحصين . وكان عدد منهم ممن له صلة قريبة او بعيدة بالبابليين قد تعلم منهم صناعة البناء فاشار على قومه ببناء مأوى من حجر بدل الاكواخ القشية والخيام الشعرية والمغاور السهلة الطروق . واحاطة تلك الابواب بسور محكم البناء تجعل فيه منافذ الدخول والخروج ويحكم اقفالها كلما مست الحاجة . فيأمن الرابضون فيه غدرات الايام وطوارق الحداث . ولما نضجت هذه الفكرة ورأت لها مرتعاً في رؤوس القوم ، هيأوا المواد اللازمة للبناء ثم اختاروا الموقع

الحالي مع انحراف غير كثير الى الغرب . وكان هذا الموقع اصح بلاد الشام هواء وتربة (كما قال الاصطخري) وتم هذا في الوقت نفسه الذي بنيت فيه حماة في الشمال وبعبك في الجنوب . الا ان وجود حمص (او حماة صوباً اسمها القديم جداً) في طرف المستوى الواقع بين لبنان الغربي والشرقي جعلها عرضة للعواصف الشديدة كلما اشتد الحر في سهلها . كما يعمل الميتورولوجيون سببه ان الهواء ينخفض متى ارتفعت درجة حرارته فيعلو ويفرغ الوطأ الذي كان يشغله . فينحدر اذ ذاك الهواء البارد من الجبال ليملاً الفراغ الحادث في السهل بارتفاع هوائه بالحرارة فتحصل العواصف .

وسواء كان واضع اساس المدينة حمث بن كنعان بن حام كما ذكر بعضهم او عملاق بن لود بن سام كما روى اخرون فان زمن تأسيس المدينة لا يتجاوز القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد . وبرزت حمص بعدما كمل عهدها بالعمران مدينة ذات شأن ودل موقعها على حسن تفكير مخططيها لان الوادي العريض الواقع فيما بين لبنان وانيابنان الذي حمص مركزه ، لهو الصقع الوحيد في سوريا كما قال « تشارلس فوستر كنت » (جغرافية الكتاب ص ٨٨) الجدير بان يكون مقر تمدن عظيم ومملكة كبيرة . لانه محاط بالسهول ومحمي بسلاسل الجبال . بحيث يستسهل الشعب النشيط المستقر فيه - لا أن يأمن الاخطار فحسب بل - ان ينشر سيطرته الفعلية على الاقطار المجاورة .

وقد ولي شؤون حمص (او ميزوبا) الاموريون او العمالة المدعوون الجبابرة الذين دلت بقايا بعضهم على طر قاماتهم وضخامة



نشأة حصن الأولى - التل عاصم من الوحوش ، والسهل مرعى الماشية انظر ص ٢٨ و ٢٩

ابدانهم . قال مسبيرو : عندما هاجم الجيش المصري سوريا لم يكن بين سكانها الاقدمين سوى بعض القبائل المشهورة بهيكلها العظمي الكبير . منهم العماليق والزمزيم وكلهم من الرجال ذوي الطول الخارق العادة اه .

عاش الاهلون في هذه البقعة حياة يستطاع حسابها حياة رخاء لانها الحياة الطبيعية . فكان لسا كنيها من حبهم العمل ما يدفع عنهم غائلة البؤس ، ومن شدة بأسهم ما يقيهم تعدي المجاورين . ومست الحاجة في مدة القرون الاربعة التي طوتها هذه الحقبة . ان يمارس الحمصيون - عدا رعاية المواشي وحرثة الارض - بعض المهن الضرورية لمجموعهم كالحداة والبناء درءاً للاخطار واطراراً للأمن .

وتحسنت حالة المجتمع بمجاسة افراده اعظم ملوك الشرق . نظير كدر لاعومر وحمورابي وسنيرام . ونهبت هذه الغزوات افكارهم لتشييد عدة حصون في مشارف المنطقة ، لاستطلاع اخبار الغزاة والعمل على دفع اذاهم عن المدينة . فكانت حماة في الشمال وقادس في الجنوب وقطنه في الشرق ومريامون في الغرب وجبيل على الساحل .

ويرى بعض الاثريين ان الحمصيين اخذوا عن الاشوريين عبادة الشمس . ولكن آخرين يرون العكس . وانما كان ميل الحمصيين الى هذه العبادة طبيعياً فيهم . غير انه لم يظهر جلياً الا في الحقبة الثانية .

﴿ الملمعون الى هذه الحقبة ﴾

لم نجد في تضاعيف مطالعاتنا من عاصر هذه الحقبة من كتاب التاريخ لندكره في ختامها ، لان هذه الحقبة سبقت عصر التاريخ . ولكن المؤرخين الذين وجدوا بعد هذه الحقبة ، حفظوا لنا من مكتوبات سنكونياثون ما كشف الغطاء عن كثير من تاريخ وعادات البلاد السورية في هذه المدة . فنأتي على ما اتصل بنا عنه اشارة لسيل من يريد استجلاء غوامض التاريخ .

سانكون ياووثون

سنكون ياووثون او سنخونياووثون حسب لفظ الاقدمين او يتن اتباعاً للهجة من يختصرون الاسماء . هو رجل فينيقي الاصل ، ولد وعاش في بيروت (بيروت) وقيل انه ولد في صيدا او صور . الف كتاباً باللغة الفينيقية عن تاريخ فينيقية واعتقاداتها وألم ايضاً في ما كتبه بعقائد المصريين لصلتهم بفينيقية . وقد جمع كتابه هذا من التقاليد الفينيقية وسماء (فينيكيكا) وترجم هذا الكتاب الى اليونانية هيران فيلون الجبيلي . ولسوء الحظ فقد الاصل الفينيقي ولم يبق من ترجمته سوى اجزاء حفظتها اسفار يوسفوس واوسابيوس وبرفيريوس الصوري ويوحنا الدمشقي وسواهم .

على ان هذا الباقي نال اعتبار اهل العلم لاعرابه عما حدث في الحقب العريقة في القدم . والاخبار التي نقلها عنه يوسفوس واوسابيوس ، انما اخذها سنكونياثون عن مؤرخين سابقين ، فقدت مؤلفاتهم وهي تطابق ما رواه موخ واردام تلميذ ارسطو .

وقد تداولت ايدي المؤرخين على اختلاف آرائهم فقرات يتن واطلع على كتابه اوريجان وكليس الاسكندري واسطفان البيزانطي ويوحنا الليدي وسواهم . اما ائمن الذي نشأ فيه هذا المؤلف فيتعذر الجزم به . فقد ذهب بعضهم الى انه نشأ في القرن العشرين قبل الميلاد ولعله من مبالغات من يهتمون القدم كثيراً . ووضعه بعضهم في مصاف رجال القرن السابع عشر ، وكلا الفريقين

يذهبون الى معاصرتهم اسطورة سبهرام على اختلاف المؤرخين في تحديد زمنها .
واكتفى بعض محبي القدم بالقول انه عاصر موسى في القرن الخامس عشر قبل
الميلاد . وذهب غيرهم الى انه عاصر جدعون في اواسط القرن الثالث عشر ،
وقال غيرهم بل عاش في عصر حيرام في اواخر القرن الحادي عشر .

اما الذين لا يرون للقدم ميزة فذهبوا الى انه حديث العهد . وبالعكس بعضهم
في حداثة عهده حتى قال انه اذا نبغ وقت ميل الوثنية الى التلاشي . غير ان
هذا الزعم لا يؤيده اسلوب الكتاب ولا مروياته التي تدل على انها اقدم عهداً
بكثير من ذلك . ولو كان حديث العهد لألمّ بذكر شيء عن اسلافه . على
ان بعضهم ارتأى من نسق تأليفه انه نبغ بعيد فتوحات الاسكندر . وهؤلاء
انما نظروا الى ما ترجم عن الاصل لا الى الاصل ذاته .

وكيفما كانت الحال فما ورد في الكتاب قديم العهد جداً . وكتابته
تدل على ان الكاتب مخلص فيما رواه ، وانه كتب ما كتبه عن اعتقاد .
وهذا يكفي للدلالة على قدم عهده . ولذا نُسب فيلون الى عصر سبهرام الاشورية
ونسبته اثينيوس وبرفيريوس الى ما قبل حرب تروادة .

غير ان جماعة من المحدثين اشتبهوا في حقيقة وجوده كما اشتبهوا بكثير
من القدماء . وزعموا ان الكتاب برمته من وضع فيلون الجبيلي . ولكنهم لم
ينكروا ان ما نسب اليه لا يخرج من القيسة والاعتبار في ذاته ، لانه مبني
على قصص وحكايات كانت جارية على السنة القوم في الازمنة الفائرة . وهذا
رأي معظم المحققين في هذه الايام ، بل ان اشهرهم اقروا بوجود « يتن » مثل
ايفلد ودينان وسواهم .

على ان نسبة السفر الى فيلون ينقضه ان ما بقي من منشآت فيلون
يختلف عما ترجم عن يتن . فلا مناص من الاعتراف بانه ترجمة عن اصل آخر
لسواء . وظل بهذا يتن معتبراً اشهر من كتب عن فينيقية . كما اعترف له بهذه
الميزة سويداس واثيناس وموخ وغيرهم .

والمعروف عن سنكونياتون انه تفقد الهياكل الفينيقية القديمة واستعان
بكهنتها على قراءة الكتابات السرية المنقوشة على اعمدتها وحل رموزها .
ودون ما استفاد في كتاب خاص ، ترجمه فيلون اخيراً الى اليونانية واعتمد

هذه الترجمة يوسيفوس واوسابيوس وبرفيريوس من القدماء ، وبوشار وسامدن وسكاليجر من الحداثاء .

وجاهر بعضهم بأن « يتن » لم يكن اقدم مؤرخ فينيقي فحسب ، بل هو اعظم مؤرخ عالمي . لان كل ما يتصل بالبشر من اخبار العالم القديم انا اقتبس من مضامين بقايا كتاباته .

ان ما حفظ من تاريخ يتن في كتاب الاستعداد لاوسابيوس قد ترجمه ونشره كبرلاند الى الانكليزية وذيله بملاحظات تاريخية وافية وطبع في لندن سنة ١٧٢٠ .

ونشر اورالي القطع اليونانية وطبعها في ليبسك سنة ١٨٢٦ . ونشر فريدريك واجنفلد سنة ١٨٣٧ في برلين كتاباً ادعى انه تاريخ « يتن » اليوناني الاصيل . ولكن البحث الدقيق اظهر عدم صحة هذه الدعوى (البستاني ١٠ : ١٣٠) . ويحسن بنا في ختام الحديث ان نورد ما قاله اوسابيوس فيه : ان هذه الامور عني بشرحها سنكونياتون . وهو مؤلف قديم جداً يقال انه كان قبل حرب ترويا (تروادة) ورووا انه كتب التاريخ الفينيقي متحريراً الصدق . ونشر فيلون الجبيلي جميع ما صنفه هذا المؤرخ بعدما ترجمها الى اليونانية . وذكر ذلك خصمنا المعاصر (برفيريوس الصوري الذي الف ١٥ كتاباً ضد النصرانية) .

وروى اوسابيوس عن برفيريوس هذا ان سنكونياتون يرويقي الوطن . وانه اخذ مادة تاريخه عن هيرودوت بعل كاهن الآله ياهو . وقدم كتابه لابيميل ملك بيريت فسر به . وانه كان قبل حرب ترويا كما يظهر من تاريخ الفينيقيين اه . هذا هو سنكونياتون الذي اخذنا معلومات كثيرة عنه لاجل تاريخ حمص القديم ولاسيما الحقبة الاولى منه التي نجمل ذكره مسك ختامها .



الحقبة الثانية

حمص

في ايام المصريين والهيكسوس والحثيين والميتانيين

١٩٠٠ - ١٢٢٥

المم سوريا القديمة - نوطه

لا يستطيع من يكتب شطراً من تاريخ سوريا كاملاً او مجزئاً ، افهام قارئه ما يكتبه ، ان لم يلم بتعريف الأمم التي قطنتها والتي كانت لها بها صلة . سواء كانت تلك الصلة صداقة او عداوة . ولذلك لا نجد بداً ونحن نبني الاحاطة بتاريخ جزء من هذه البقعة من ارسال شعة على خبايا هذه الامم لكي لا يؤدي الاغضاء عنها الى غموض ما نريد جلالة من تاريخ حمص فنقول . ان لتاريخ حمص صلة بامم كثيرة قديمة بعضها ممن قطن في سوريا في عصور متفاوتة كالاموريين والعمالة . وبعضها ممن اقتحمها لبسط سيطرته عليها او لينثار من قاطنيتها كالمصريين من الجنوب الغربي والاشوريين والكلدان من الشمال والجنوب الشرقي . وقد سبقت انا كلمة عن الاولين في الحقبة الاولى . ونتكلم الآن عن المصريين والرعاة والحثيين والميتانيين .

(١) - المصريون

مصر منطقة واقعة في الشمال الشرقي من افريقية ، تمتد على جانبي النيل في وادٍ متعرج بين سلسلتين من الجبال ، احدهما جبال العرب وهي الشرقية

منها والثانية جبال لوبيه وهي الغربية . ويحد مصر من الشمال بحر الروم ومن الجنوب السودان ومن الشرق البحر الاحمر وبلاد العرب والشام ومن الغرب طرابلس والصحراء . وتقسم مصر الى قسمين قبلي وهو يمتد من الحدود الجنوبية الى القاهرة ويسمى الصعيد ايضاً . وبحري وهو البقعة الواقعة بين فرعي النيل ويسمى الدلتا ايضاً لان شكله يشبه الدلتا اليونانية .

والمصريون من اصل حامي خالطهم في الازمنة القديمة اقوام ساميون جاؤوا من اسيا عن طريق برزخ السويس . والامة المصرية من اقدم الامم مدنية . ولذلك يضعها مؤرخو العصور القديمة في طليعة الامم القديمة التي يتولون تاريخها . واقدم مؤلف كتب عن مصر خاصة باسهاب انما هو مانيتون الكاهن المصري الذي نبغ في القرن الثالث قبل الميلاد وألم بتاريخ مصر القديمة ناقلاً مروياته عن السجلات الرسمية لدولها الاحدى والثلاثين التي ندون في مايلي خلاصة عن اهم حوادث ايامهم .

فاشهر ما حدث في ايام الدولة الاولى بناء مدينة منف التي انشأها مينيس اول ماوكها وتحويل النساء الجالوس على العرش بامر بينوتريس احد ماوك الدولة الثانية .

وبناء تمثال ابي الهول في مدة الدولة الثالثة .

واهرام الجيزة التي انشأ اكبرها خوفو احد ماوك الدولة الرابعة .

ومقبرة سفارة التي احدثت في ايام الدولة الخامسة .

والرسوم المتقنة التي وجدت في ايام الدولة السادسة .

واحسن عصور مصر كانت في مسدة الدولة الثانية عشرة اذ انضمت

آنذاك اقسام مصر كلها تحت لواء واحد قاعدته طيبة ، ومن مآتي احد ماوكها

الحسنة ارواء الفيوم بمياء بحيرة مورس ومن آثار ماوكها مسلة المطرية .

اما الدول ١٥ و ١٦ و ١٧ فهاوكها غرباء قدموا من اسيا فدعاهم

البعض عمالقة ورأى بعضهم انهم عرب وقال البعض الآخر انهم حثيون ولعلمهم

كانوا لفيقاً ممن ذكر ومن لم يذكر . اقتحموا الاراضي المصرية بداعي القحط

لايجاد مراعي لمواشيهم ومكنتهم الفتن الاهلية من احتلال قسم من مصر ثم

اتوا احتلال الباقي في ماولي ذلك من السنين . ويظن ان طلائعهم قدمت في

مدة الدولة الرابعة عشرة كعارة ولكنهم وطدوا اقدامهم في مصر بعدما استولوا على مراعي الدلتا النضرة . وانشأوا ثمة دولة عرفت بعدئذ بدولة الرعاة (الهكسوس) وفي ايام دولتهم الثانية (وهي الـ ١٦ من الدول المصرية) قدم عدد كبير من السوريين والعرب الى مصر فاكروهم الرعاة وجندوا منهم جيشاً استعانوا به على الفتح وجعوا اواريس معسكراً لهم . ومن ملوك هذه الدولة « راكان » الذي يسميه العرب الريان بن الوليد وفي ايامه بيع يوسف للعبودية . يلي ما ذكر السلالات الـ ١٨ و الـ ١٩ و الـ ٢٠ و الـ ٢١ وتعرف في تاريخ مصر بدول مصر الحديثة ، ومن مشاهير ملوكها توتمس الثالث الملقب اسكندر التاريخ المصري . وامنهوتب الرابع وكلاهما من ملوك الدولة الثامنة عشرة . وساتي الاول ورعمسيس الثاني الملقب بالكبير الذي اضطر الاسرائيلين ان يبنوا له مدينتين اطلق على احدهما اسمه ، وفي ايام ابنه منفنح خرج الاسرائيليون من مصر ، وصلات دول مصر الحديثة قوية بتاريخ حمص . وفي ايام الدول الـ ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ بدأ الوهن في حكومات مصر فتسنى للاشوريين ان يسيطروا سيطرتهم عليها سنة ٩٥٠ ق م ونشأت منهم الدولة الـ ٢٢ و سادها الايثوبيون ايضاً وانشأوا فيها الدولة الـ ٢٥ . ولكن تمكن الامير بساماتييك في اواسط القرن السابع قبل الميلاد ان يطرد الغزاة وينشئ الدولة الـ ٢٦ فكانت ايام هذا الملك عصراً جديداً لمصر . واقتدى نحو الثاني بانيه المذكور فهاجم الاشوريين وصرع يوشيا ملك يهوذا لوقوفه في طريقه (٢ اي ٣٥ : ٢٠ - ٢٥) ثم مرّ بقادش وكركيش وبلغ الفرات ، ولما نزل بجبات حمص بلغه تردد اليهود فعزل يهوذا ملكهم وولى اخاه يهوياقيم وعاد الى مصر . وسمى نبوخذنصر لاسترداد سوريا بعدما خرب نينوى سنة ٦٢٥ فحصلت بينه وبين نحو معركة عند الفرات سنة ٦٠٥ انكسر فيها نحو ومات بتأثير هذه الكسرة بعد سنين . وخلفه ابنه بساماتييك الثاني سنة ٥٩٦ فاخضع ايثوبيا سنة ٥٩١ وقضى نجبه . وخلفه ابنه حفرع سنة ٥٩٠ فاستنجد صدقيا على نبوخذنصر فانجده فنقم عليه نبوخذنصر لانه بعدما قتل صدقيا سنة ٥٨٦ استعد لغزو مصر فاغار عليها سنة ٥٧٢ وقتل ملكها وساق اليهود الذي استوطنوها الى الشرق .

وفي أيام آخر ملوك هذه الدولة اقتحم كبيز الفارسي مصر ، فأسر بساماتيك الثالث ابن أحس سنة ٥٢٧ وانشأ في مصر الدولة السابعة والعشرين . فعند المصريون للفرس مدة ١٢١ سنة . ثم توردوا في أيام داريوس أوخوس فطردو الفرس ونشأت الدولة الثامنة والعشرون المصرية (٤٠٦-٣٩٦) .

وبعد ست سنوات ثار المصريون على اميرثيوس منشيء هذه الدولة لاز لم يكن من سلالة ملكية . وتوات العرش اسرة اخرى عرفت بالمنديسية وهم الدولة التاسعة والعشرون (٣٩٣-٣٧٨) عاهد ثالث ملوكها الفينيقيين على الفرس ثم تسلمت العرش اسرة سمودية (٣٧٨-٣٤٠) وهي الدولة الثلاثون قام منها ثلاثة ملوك ثالثهم اهاج الفينيقيين على الفرس فاستاء الاخيريون وبعد كسروا الفينيقيين هاجوا مصر فكسروا جيشها الكبير وفر ملكها الى كوش وعادت مصر بعد استقلالها ١٦ سنة للخضوع الى الفرس ثماني سنوا (٣٤٠-٣٣٢) وهي مدة الدولة الحادية والثلاثين ، وفي أيام ثالث ملوك كوددمان (دارا الثالث) ضعفت دولة الفرس وعلا نجم اليونان بظهور اسكتا المكدوني الذي ثل عرش الفرس واستولى على مصر سنة ٣٣٢ .

٢ - الهكسوس (الرعاة)

مرّ بنا ان قد اقتحم مصر في العصور القديمة زحف بدوي احتل بمقاطعاتها . ثم توصل الى العرش فكان من هؤلاء الزاحفين ثلاث دول (١٦ و ١٧) وما كنا لنعرض لذكرهم لولا ان لهم صلة بتاريخ البقعة المحصية فوجب ان نلم بما تمكن معرفته عنهم لبلوغ الهدف الذي سعينا اليه .

من هم الهكسوس ؟

متي احتلوا مصر ؟

ما هو اثر احتلالهم في بلادنا ؟

من هم الهكسوس ؟ اختلف الباحثون في اصلهم فذهب البعض الى احدى القبائل الرحل التي كانت ترعى السائمة في الجهة الشرقية من مصر وذهب آخرون الى انهم عرب متبدون اقتحموا البلاد المصرية التماساً للـ

فيها لاجل ماشيتهم . وذهب غيرهم منهم من القبائل الامورية والحثية ضاقت
بقتهم بذاربيهم فالتمسوا سعة في القطر المصري

وهناك من زعم من الحدباء انهم من الكلدان القدماء الذين طردهم
اليلاميون امروا مصر لائذين فوجدوا موطناً فاستقروا فيه .

ويتعذر الجزم باصح الآراء . ولكن كيف كانت الحال فما لا شبهة فيه
ان المذكورين اما ان يكونوا من منطقة حمص او من المارين بها لبلوغ هدفهم .
ولذلك كانت نقمة مصر على حمص شديدة بعد طردها الرعاة .

ان الفئة المشار اليها دخلت البلاد المصرية واحتلت ارباضها ، ثم تسمنت
ذروة العرش . وقام فيها ملك قاسر اثار برسائله الشديدة حماسة احد الامراء
المصريين ، فشق عصا الطاعة في ايام الدولة السابعة عشرة . وحاربها فكانت
الحرب بينهما سجلاً وظل الامر كذلك الى ان قام رئيس وطني اسمه احمس
جمع كلمة مواطنيه ، وحارب الرعاة فتغاب عليهم ، واعاد الملك الى المصريين .
وهو اول ملوك الدولة الثامنة عشرة التي بلغت مصر في ايامها اوج مجدها .

وتبسط المرحوم جرجي زيدان (العرب قبل الاسلام ص ٥٢) في شرح
هذا الحادث التاريخي الهام فازال بدقة بحثه ما اكتنفه من غموض ونحن نلخص
عنه ما يهم الاطلاع عليه في ما يلي .

« كان المصريون يسمون اهل البادية من الساميين « شاسو » اي البدو .
وكان هؤلاء الذين أقوا مصر من الشرق بطريق السويس يتنقلون في
بادية مصر الشرقية بين النيل والبحر الاحمر . كما كان بدو الآراميين يتنقلون
غربي وادي الفرات ويسطون احياناً على المصريين في مدنها .

ففي اواخر ايام الدولة الثانية عشرة بعد وفاة امنمحات ، فر ابنه سنهات
الى فلسطين - من وجهه اوتسرتسن الذي خاف اباه - وتزوج ابنة ملاصها
« عموانشي » وتولى بعض اعمال الشام . فلما شاخ (سنهات) نال عفو ملك مصر
وعاد الى بلاده فحسنت بذلك الصلات بين مصر والشام .

وفي عهد اوتسرتسن الثاني شخص الى مصر ملك عربي اسمه ايشع وزار
احد امراء ولايات مصر الوسطى فزاد ذلك في تحسن الصلات .

ولكن اوتسرتسن الثالث الذي كان ذا بطش حمل على فلسطين ببغى

اذلال ملكها . فتقم الساميون على المصريين واغتتم العمالة هذه الفرصة فوثبوا على مصر السفلى واحتلوها بضعة قرون في نفس الوقت الذي ملك العرب بابل . وفتح العمالة الوجه البحري الى منف وتقهقر الفراعنة الى الصعيد في اواخر القرن الثالث والعشرين ق م وظلت مصر في حوزتهم الى اواخر القرن الثامن عشر (٢٢١٤-١٧٠٣) وعرفت دولتهم بدولة البدو وسماهم اليونان هيكتوس والعرب عمالة .

ومن سرديات العرب ان بعض ملوك مصر استنصر ملك العمالة بالشام لعبد واسمه الوليد بن دومانغ ، فنصره وملك مصر واستعبد القبط . ويقال ان من هذه الدولة فرعون ابراهيم (سنان بن الاشل) وفرعون يوسف (الريان بن الوليد) وفرعون موسى (الوليد بن مصعب) .

ونقل يوسفوس عن مانيتون المصري مايلي : اتفق على عهد تياوس احد ملوكنا ، ان الآله غضب علينا فأذن لقوم لا يعرف اصلهم جاؤوا من الشرق وتجاسروا على محاربتنا . فغلبونا على بلادنا واذلوا ملوكنا واحرقوا مدننا وهدموا هياكلها . وساموا الناس ذلاً وخسفاً ، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والاولاد . ثم نصبوا عليهم ملكاً منهم اسمه سلاطيس اقام في منفيس وضرب الجزية على مصر اعلاها واسفلها . واقام الحامية في المعقل لدفع الاشوريين عن وادي النيل متى طمعوا به . وبني مدينة اواريس في ولاية صان لهذه الغاية . وحصنها بالابراج والقلاع والاسوار . واكثر من حاميها حتى بلغ عددهم ٢٤٠ الف . وكان سلاطيس يأتي اليها في الصيف لجمع الخنطة ودفع رواتب الجند وتقرينهم على الحرب . وعين مانيتون مدة الملوك كما يلي - سلاطيس ١٣ سنة بيون ٤٤ ابا خناس ٣٦ ابونيس ٦١ يانباس ٥٠ اسيس ٤٩ ومجموع مدة حكمهم ٢٥٣ سنة .

(٣) - الحثيون

قال الدكتور بين سميث في تفسير سفر التكوين (٢٣ : ٢) : ان الحثيين قبيلة كبيرة قويت . ابان تغرب الاسرائيليين في مصر وصارت مملكة عظيمة شديدة حتى انها استطاعت ان تحارب المصريين . وكانت عاصمتهم حمص وهي

مدينة في شمالي سوريا وقد عرف تاريخها اليوم من اخبار المصريين التي وجدت على بعض عادياتهم ووجد في حماة حجارة سود منحوت عليها كتابات طويلة في اللغة الحثية اه .

ذكر الحثيون في عدة مواضع من التوراة وهي اقدم المكتوبات التاريخية ولكن هذا لم يكن كافياً لكشف النقاب عن غامضات تاريخ هذه الامة . وظل امرهم مكتوماً حتي نبشت آثار كثيرة اسفرت عن معرفة الكثير مما جهله قدماء المؤرخين وهو يلخص في ما يلي :

ان الحثيين من عرق آري . وجدوا لاول عهدهم بالتاريخ في جبل اللكام ثم انحدروا نحو السهل في القرن الحادي والعشرين بسبب تكاثر عددهم . فذهب فريق منهم الى كبادوكية غرباً . وانتشر فريق آخر في الشرق الجنوبي ما بين الفرات وحلب وحماة وحمص . ولما تكاثر عدد هؤلاء انحدروا بعضهم الى الجنوب مستوطنين البقعة الجنوبية من سوريا . ومن احد هؤلاء (عفرون الحثي) ابتاع ابراهيم الحليل مدفناً لاسرته .

ويظهر ان الحثيين كانوا اقوياء الشكسية ذوي بأس في الحروب . فقضوا بصولتهم على كثير من العناصر السامية . واجتاحوا بلادها وشادوا فيها مملكة قوية منذ الالف الثانية قبل الميلاد ، وارشدتنا الآثار الى عدد من ملوكهم هذه اسماهم واهم حوادثهم .

(١) اول ملك عرفناه منهم هو « بيحوشتي » وهو الذي كسر غيتا خصم آبائه واسترد ما اخذه الكوثريون .

(٢) تورهايا الذي نبغ في القرن التاسع عشر ووسع حدود الحثيين فكانت لهم اربع عواصم حاثوشا وكوثر ونازا وزايا .

(٣) تلابارتا وهو ملك عظيم وسع حدود المملكة الحثية كثيراً . ودوخ مملكة توريشاندا . واخذ قتل الشعوب التي سيطر عليها حتي صار اسمه لقباً للملوك حث كقيصر للروم وكسرى للفرس .

(٤) حاثوشيل الاول الذي اقتحم سوريا الشمالية وبسط سيطرته على حلب الحصينة واولاها عناية خاصة تباغت بها على المدن المجاورة .

(٥) مورسيل الذي خضع شوكة حلب لما رآها طامعة الى توسيع حدودها

وزحف على بابل في القرن الثامن عشر وعاد منها بغنائم وافرة الى حاتوشا .
(٦) تلويينو النابغ في القرن السابع عشر الذي قضى مدة ملكه كلها
في قمع الفتن الناشئة في شمالي مملكته .

بعد هذا انقطعت اخبار الحثيين من سنة ١٦٨٠—١٤٥٠)

(٧) بعد الفترة ظهر تورهاالي الثاني الذي استرد حلب سنة ١٤٢٠ بعد
خروجها من ايديهم مدة طويلة .

(٨) حاتوشيل الثاني الذي فاز بعدة معارك في سوريا الشمالية .

(٩) تورهاالبا الثالث الذي منى بانكسارات متواترة حملت ابنه على قتله
لانقاذ المملكة من الخراب .

(١٠) سوبيلوليوما (١٣٨٧—١٣٤٧) وهو اعز الملوك الحثيين شأنًا امتدت
فتوحاته الى الدجلة وطوق مملكتي الحوريين والميتامين وحرر غربي الفرات ودانت
له كركيش فجعلها قاعدة الشمال ودمر قطنه (شرقي حمص) واستولى على قادس
ولولا فتن الاناضول (١٣٧٨—١٣٥٨) لغزا مصر .

(١١) مورسيل الثاني بن سوبيلوليوما الذي اظهر نزاهة في شؤون الاسرة
(١٢) حاتوشيل الثالث الذي استغفر الالهة لموت جدته وامه موتاً غير
طبيعي معتذراً عن الخوول دون ذلك بصغر سنه .

(١٣) مواتعلو بن مورسيل (١٣٢٠) الذي حدثت في ايامه حرب سالي
الاول (١٣١٨) ورعسيس الثاني (سنة ١٢٩٤) .

(١٤) اورخي نحشوب (١٢٩٢—١٢٨٥) الذي رأب الصدع الذي احدثه
المصريون في المملكة .

(١٥) حاتوشيل الثالث سنة ١٢٨٥ الذي ظهرت في ايامه مطاعم سلمناصر
الاول الاشوري (١٢٨٠—١٢٦٠) فاضطر بسبب ذلك ان يعاهد رعسيس سنة
١٢٧٨ ويؤوجه ابنته .

بعد هذا كثرت العراك بين الحثيين والاشوريين. مما ندع تفصيله للحقبة
الثالثة ، وخلاصة ما تقدم ان الحثيين في هذه الحقبة كان لهم اربعة مراكز
حربية كركيش في الشمال الاقصى ، وياتن عند مصب العاصي ، وقادش في وادي
العاصي ومجدو في سهل بزرعيل (مرج ابن عامر) .

ومن شاء التوسع فليطالع ما كتبه السيد قيصر صادر عضو العاديات
الاسيوية في المقتطف ٧٩ ص ٥٥٤ و ٩٠ ص ٦٤ و ١٩٨ الخ .

(٤) - الميتانيون

ظلت هذه الامة مجهولة الاثر احقاباً طويلة وكادت تدخل في عالم الفناء .
لولا ان الحفريات الحديثة كشفت الغطاء عن تاريخها منذ القرن الخامس عشر
ويؤمل ان متابعة الحفر تظهر تاريخها القديم برمته ، وما اكتشف حتي الآن
نالت حص حظاً منه اذ له صلة بتاريخها القديم كما ستري .

ان بعض المستندات المأخوذة من اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد دلت
على وجود شعب قوي كان في شمال الجزيرة ورث الحضارة السومرية وشاد
حضارته على انقاض تلك . وظهرت قوة هذا الشعب في الالف الثانية ق م اذ
وجدت عدة اسماء مأخوذة من اقته الصعبة .

كانت هذه الدولة متاخمة للدولة الحورية في الشمال اذ كانت قاعدة
الحوريين ارفا وقاعدة الميتانيين شوكاني . وكانت مصالح الدولتين مرتبطة احدهما
بالاخرى ارتباطاً وثيقاً ، وكثيراً ما اتحدتا اتقاء للاخطار . غير ان الحوريين
تضاءلت قوتهم في الالف الثانية وخبا ذكركم . اما الميتانيون فقد تألق نورهم
واتسع نطاق مجدهم بعد ذلك . وانبسطت سيطرتهم على مجاورتهم مدة ليست
بقصيرة . ويظن انها المدة التي انقطعت فيها اخبار الحثيين (١٦٨٠ - ١٤٥٠) .

وبلغ من سؤددهم انهم مدوا سيطرتهم حتى بلغوا شواطىء الفاصي
وكان مما حصونه مدينة « قطنه » التي كشفت اثارها من عهد قريب في موقع
قرية المشرقة شرقي حمص . ووصلوا الى درجة من الترف جعلت ملكهم
سوزارطا (في اواسط القرن الخامس عشر) يعمل لعاصمته ابواباً من فضة
وذهب . واعترف الفراعنة ان الميتانيين صدوا غارة توتمس الاول . ولكنهم
يذكرون ان توتمس الثالث كسرهم في حملته المشهورة على سوريا واسر منهم
٥٥٠ جندياً . غير ان هذه العداوة بين المصريين والميتانيين انقلبت صداقة
وصارت مملكة ميتاني في مقدمة الممالك الموالية لمصر . وفي مسلة امنونيس الثاني

ضرورة لكبراء الميتانيين يقدمون له الجزية . ولعل هذه الصداقة نتجت عن معاداة الميتانيين للحشيين اذ سلبهم هؤلاء ما اقتطعوه من وادي العاصي وتعززت اواصر الصداقة بين المصريين والميتانيين بزواج توتس الرابع ابنة ملكهم ارنظاما كما ان ملك الميتانيين سوطارنا قدم ابنته جيلوهيا حطية لامنوفيس الثالث . على ان هذه المصاهرة اساءت سيلوليوما الحثي فاخذ يطوق المقاطعات السورية الخاضعة لنفوذ الميتانيين ويحتلها بالدهاء . واحدة بعد الاخرى ، حتى دانت له كل البلاد الواقعة غربي الفرات . فثار الميتانيون على ملكهم توزارطا سنة ١٣٧٠ فقتله ابنه اخنأداً للفتنة . واستنثا ابنه الصغير ماتيعوذا بسيلوليوما فأيده واسترد له عرش ابيه وزوجه ابنته على شرط ان يكون عرش ميتاني للولودين منها دون ذراري نسائه العشر . ولكن حظ ماتيعوذا اقل بوفاة حميه سيلوليوما سنة ١٣٤٧ اذ شعر الاشوريون بضعفه فهاجموه واستولوا على منطقته كلها ضامين اياها الى البلاد الاشورية . فباد ذكر الميتانيين من تاريخ الامم في اواخر القرن الرابع عشر (المقتطف ٩٣ : ٤٢) .

اما الوقت الذي نشأت فيه الدولة الميتانية فيستدل مما اورده تشارلس كنت في جغرافية الكتاب (ص ٨٧) انه كان حوالي تول الكاسيتيين في بابل من جبال الشمال الشرقي الى ما بين النهرين ، في نفس الوقت الذي ثبتت اشور استقلالها . اذ ذاك تولت سلالة آرية تعرف بالميتاني من الشمال وتسلطت على سهول الجزيرة وانشأت هناك مملكة عظيمة اه .

ووجدت في خرائب توزي الواقعة الى الجنوب من كركوك حيث ينابيع الزيت الموصلية نحو مئة لوحة توضح مدنية الحوريين والميتانيين حيث حكموا قبل اكتساح الاشوريين بلادهم (النشرة ٩٢٨ : ٤٣٩) .

وفي العصور القديمة (براسد عدد ٢٠٨) ان الاشوريين لما حاولوا التوسع غرباً اصطدموا بشعب ذي صلة بالجنس الهندي الاوربي الشمالي ، عرف بالميتاني كان يعبد الآلهة التي عبدها بعدئذ ابطال الآريين الذين فتحوا الهند . وكانت ميتاني في القرنين ١٥ وال ١٤ ق م دولة على جانب من القوة والسؤدد . فعبزت الفرات واجتاحت اشور وآبت منها بالاسلاب والغنائم . ولكن تواتر الغارات من الجوار (الحشيين) اضعف شأنها فخرت ما بقي لها من قوة في منازلة الاشوريين اه .

ويرى بعض الاثنولوجيين ان الميثانيين احد فرعي ارام الكبارين الذي قطن في ما بين النهرين (المباحث ٢: ٢٩٨) .

اهم موارث هذه الحفنة

لا نخطئ . اذا دعونا الحفنة الثانية الحفنة العسكرية . لانها بالحق كانت مدة حروب وغزوات متواصلة . من اول القرن العشرين الى اواخر القرن الثالث عشر ، لا تصكاد تجد فيها هدنة . بدأت باقتحام غزاتهم البلاد المصرية واستقرارهم فيها في مدة الدول الثلاث (١٥ و ١٦ و ١٧) ثم بهجمة المصريين لها في ايام الدول الثلاث (١٨ و ١٩ و ٢٠) ثم غزو الميثانيين هذه المنطقة في اثناء توقف المعارك الناشبة . ومقاومة الحثيين اياهم مقاومات سياسية وعسكرية انصبغ فيها تراب هذه الارض بالدماء . مما نلخصه وزنته لاستيعاب الذهب اياه مستمدين معلوماتنا عنه من الآثار المصرية كما رواها ثقات نشير اليهم في ذيل ما نزيه .

اولاً - زحف الحثيين على منطقة حمص

وقف بنا الحديث في الحفنة الاولى عند اواخر القرن العشرين . وفي هذه المدة وصل زحف الحثيين من الشمال الى المنطقة الحصينة بعدما اجتاحوا منطقتي حلب و حماة . فوجدوا في وادي العاصي مرتعاً خصباً لماشيتهم . وضاق مستوطنوا هذه البقعة بهم ذرعاً ، وحاولوا الحؤول دون نزولهم فيها ، ولكن حدثهم اخيراً انفثات لثلاثة اسباب :

الاول - ان الوقوف في وجه الحثيين وهم من شدة الشكينة وكثرة العدد والتدرب على المعارك ما لا تسهل معه مقاومتهم .

الثاني - ان ظواهرهم دلت على انهم قدموا لارتياح مراعي لمواشيهم . فقد يجدون منطقة اخرى اوسع نطاقاً من وادي العاصي يستقرون فيها .

الثالث - ان بقاء بعضهم في هذه المنطقة لا يضيرها بل قد يعزز مكانتها ويدفع عنها اذى الطامعين فيها .

كل ذلك يستلزم عدم الاسراع لمبادأتهم العداء . ولذا لان جانب الروثان لضيوفهم . كما ان هؤلاء رأوا في هذا الصقع الزراعي وفي ما وجدوه من مواقع حصينة بطبيعتها كقادس مثلاً ، ما ارتاحت اليه خواطريهم ، وحجب اليهم السكنى والاستقرار حيث حلوا . فرأوا من الحكمة مسالمة الالهين واطهروا استعدادهم للعمل معهم في سبيل المصلحة المشتركة . فاستقر قدمهم في المنطقة ، ولم يمر وقت طويل حتي جمعت المصلحة بين الفريتين . فتصاهر العنصران ونشأت منهم ذرية موحدة المقاصد كثيرة الانعام قوية الجانب . بعضها يعمل لجلب الرزق بالطرق المشروعة . والبعض الآخر لرد عوادي الدهر . وعظم شأن المنطقة بتوثيق الصلات بينها وبين البلاد المجاورة التي بسطت فيها سيطرة الحثيين كحلب وحماة وسواهما .

ثانياً - الى بقعة أون

(تك ٤٥:٤١ وار ١٣:٤٣ وحز ١٧:٣٠)

في تلك الآونة اتصل بمسامع حثي حمص ان رهطاً من متبديهم مع نفر من بدو العرب والعمالقة ، قصدوا البلاد المصرية فرأوا فيها مرتعاً خصباً ومكنتهم الظروف من امتلاك تلك البقعة بسبب نشوب خلاف بين قادة الرأي في مصر . فألقى اولئك عصا التسيار في تلك البقعة ، واتخذوها موطناً لهم دون ان يلقوا مقاومة ما . فدفعت الحماسة عدداً ليس بقليل من قاطني المنطقة الحمصية للالتحاق باولئك ومشاطرتهم حظههم فيها (سينالشتير ص ٦٨٦) فلقبهم اخوانهم في مصر برحابة صدر واتخذوهم عوناً على نواذب الدهر الممكنة الحدوث . ولم يمر وقت طويل على وجودهم هناك حتي قبضوا على ناحية الاحكام في جزء من البلاد ثم عمت سيادتهم معظم انحاء القطر ، وقام من زعمائهم ثلاث دول دعاها كاتبو تاريخ مصر الهكسوس او الرعاة واختلف المؤرخون في تعيين مدة وجودهم في مصر ، فذهب ماريت باشا الى ان مدتهم استغرقت ٥٦٤ سنة (٢٣١٤-١٧٥٠) ورأى ماسبيرو ان مدتهم ٥١١ سنة (٢٢١٤-١٧٠٣) اما مايار فارتأى ان مدتهم ٤١٠ سنوات (١٩٨٥-١٥٧٥) ويرجح بعضهم رأي الاخير ويمكن التوفيق بينه وبين سابقه بانه لم يحسب مدة النشوء الاول والمعارك الاخيرة التي استغرقت زمناً حسبه غير داخل في مدة الحكم .

ومما لا بد من الالمام اليه ان مانيتون الكاهن المصري نسب للرعاة ثلاث جنایات فظيعة : (١) حرق المدن (٢) هدم بيوت العبادة (٣) ظلم الابرياء بقسوة . ومع ان صدور ما ذكر لا يستغرب في ذلك العصر ، لكن المحققين يرون ان هذه التهم فریات تعود المغلوبون الصاقها بالفاتحين . بدليل بقاء كثير من الآثار النفيسة التي سبقت عصر الرعاة . فلو صح ما نسب اليهم لكان اتلاف هذه الآثار اسهل عمل يأتونه . واذا لم يجد منهم شي . من ذلك فما نسب اليهم لا يخرج عن حدتهم عاطفية .

وقد كانت مدة وجود الرعاة في مصر ، في مصلحة الشاميين عامة اذ كانوا يلوذون باخوانهم ابان النكبات والمجاعات . ومن امثلة ذلك ارتياد العبرانيين مصر في اواخر القرن الثامن ق م بسبب القحط .

ويرى الاثريون ان السبب في خروج الرعاة من مصر نتج عن ابالي احد ملوكهم في المدة الاخيرة أمر امير طيبة بتقديم سات اوشتخ احد معبودات الرعاة على معبودات مصر . فشق ذلك عليه ، فأثار خواطر قومه على ابالي فثارت الفتنة ووقعت الحرب بين الفريقين . وطال امدها حتى انتهت اخيراً بتخرج موقف الرعاة في مصر . فأرأوا بعد ما صمدوا للمصريين مدة طويلة ان يتفقوا معهم للخروج من مصر بصورة شريفة . فأخلوا البلاد على ان يذهبوا حيث شاؤوا آمنين المغبة . فساروا الى الشام حيث مكث بعضهم في الجنوب وتابع الفريق الآخر سيره الى الشمال حيث منطقة حمص (المقتطف ٦٠: ١١٥-١١٧ وبرااستد عدد ١١٢) .

ثالثاً - المصريون يثأرون

ما عاناه المصريون من شدة الرعاة في آخر مدتهم جعلهم يحسبون حساباً لعودتهم ويتقون خطرهم . ولذلك اهتم ملوك الدولة الثامنة عشرة بأخذ الاحتياطات اللازمة لتأمين البلاد . فقضى احمس مؤسس الدولة المذكورة وابنه امنوف الاول مدة حكمهما في تحصين الحدود وغزا الاخير سوريا الجنوبية حيث الحثيون الصغار . وتابع خليفته توتس الاول عمله ، فاخضع العشائر الكنعانية في فلسطين ،

ثم توغل في البلاد الشامية ، حتى بلغ مقاطعة دمشق بغية خضد شوكة الحثيين حتى لا يعيدوا الكرة على مصر غازين .
 وشعر الحثيون بما يجنبه لهم المصريون ، فآخذوا يستعدون للمعارك المنتظر حدوثها . فأنفوا في دور المعارك الاولى جبهة متحدة من الامارات السورية .
 ولكن هذه الجبهة تفككت عراها ازاء الهجمات القوية التي قام بها ملوك الدولة الثامنة عشرة . فاضطر الحثيون ان يغيروا الخطة وان يوجدوا من الامارات الشامية وحدة كاملة يستير قواتها نحو جهة واحدة ملك حصص فاستطاعوا بهذا حفظ مركزهم تجاه الدولة التاسعة عشر . ويظهر ان الفينيقيين الذين اتفقوا مع الحثيين في دور المعارك الاولى خارت عزائمهم فلم يشاركوهم في الدور الثاني بتقاومة المصريين ، بل عنوا لسلطوتهم وربما اعانوهم على الحثيين في بعض المعارك .
 وتفصيل هذه المعارك واحدة فواحدة ليس من شأننا فنختار منها اهمها ، وهي مما له صلة مباشرة بتاريخ حصص . واهم هذه المعارك بلا مراة معركتا مجدو وقادس . وفي كليهما وقع العبء العظيم على كاهل ملك حصص الحثي . وبين المعركتين الهائلتين مدة ارتاح فيها المصريون دون المحصين . اذ اضطر هؤلاء ان يتحملوا حملات الميتمانيين على هذه المنطقة واحتلال القسم الشرقي منها فقضوا مدة ليست بقصيرة حتى استطاعوا تخليص هذا القسم من براثن الغزاة الاقوياء . كما ترى . ولا بد لنا من لفت نظر القارى الى ان ما نرويهِ عن المعارك المقبلة مأخوذ عن الآثار المصرية التي اراد ملوك مصر ان يخلدوا فيها مجدهم . ولا يتوقع من هؤلاء ذكر ما ينقص هذا المجد . ولا يؤمن ان يكون في ما قصوه مما يشرفهم مبالغات كثيرة ، لا تفرت ذكاء القارى اللبيب .

(١) - معركة مجدو

مركزها الحربي - كانت مجدو في هذه الحقبة تكشف بها غيرها من المدن الحصينة . قامت في الجنوب الغربي من مرج ابن عامر . حيث وقف ملوك الشام المتحدون تجاه توتمس الثالث . الذي بعد فتحه هذا الحصن الحصين صار سيداً للشام الجنوبية ، وانما نالت مجدو هذه الاهمية بسبب حصانتها الحربية

وقوتها العسكرية . والاكتشافات الاخيرة دلت على ان هذه المدينة الشهيرة كانت في نفس الموضع المعروف الآن بتل المستلم . وهي احدى التلال الثلاثة الاكثر اهمية في فلسطين كلها . ومع قربها من جبال السامرة ، فهي قائمة في السهل نجداً . مستديراً هائلاً علوه ٥٠-٧٥ قدماً تشرف منه فعلاً على كل قسم من ذلك السهل الواسع حتي يجب نظرك جبل جلبوع .

فومرها العسكرية - ليست مجدو الآن سوى ركام متبدد ولكن جوانبها متحدرة شرقاً وغرباً ، لدرجة انه يستحيل على الخيل العربية القوية ان تصعد الى اعلاها من هاتين الجهتين . ويتعذر على من تعود التسلق الصعود اليها . غير ان قطعة منخفضة من الارض تصل هذا التل بجبال السامرة من الغرب تسهل الوصول اليها من هذه الجهة قليلاً . وقد اظهرت الاكتشافات الحديثة ما كان لهذه المدينة الحصينة من القوة . اذ كانت محاطة بسور عرضه ٢٨ قدماً تحرسه

ابراج لها مثل قوته . وعلى قمة التل الذي بنيت عليه ارض مساحتها عدة فدان تتسع لشعب كبير قديم . كانت بيوتها صغيرة وشوارعها ضيقة وازقتها مشتبكة لا يمر فيها شخصان معاً بدون صعوبة . اما الابنية العمومية التي اقيم فيها صرح او هيكل فقد كانت اكبر من ذلك كثيراً .

توتس ومجدو - اذا وقفت الآن على تل مجدو لا يصعب عليك تصور الواقعة العظيمة التي وصفها كتاب توتس بطلاوة وتفصيل . ومما يحمل على العجب رفض توتس مشورة قواده بالتقدم من سهل شارون ، والانعطاف منه نحو المدينة لمهاجمتها رأساً من الوادي في الجنوب الغربي . والوادي يضيق في الجنوب على



توتس الثالث ١٥٠٣-١٤٤٩

مسافة خمسة اميال معطياً فرصة للمداهم المستقل ، ان يهاجم جيشاً غازياً بسهولة .
 فالجيش المصري صعد في الوادي بدون مقاومة بسروجهم المجوهره المبهجة .
 ودليلهم النشيط سار في المقدمة يرشدهم بخطواته الى الطريق الذي يجب سلوكه .
 فلما وصل الملك الى مرج ابن عامر جنوبي مجدو ، بعث جناح جيشه الايسر ،
 الى التلال الواقعة في الشمال الغربي من المدينة . ليستلك الطرق الممتدة في الجانب
 الغربي من سهل « بزرعيل » وبهذا آمن عدم رجوع جيشه . وصار في موضع
 يستطيع فيه منع الهاربين من الفرار اذا كلفه الفوز . وهذا الموضع خوله ايضاً
 ايسر السبل لبلوغ مجدو نفسها .

المعركة الفاصلة - كان ملك حمص قد اوجد اتحاداً بين امارات الشام
 كلها . وقد اتفقت كلمة القوم على اعطائه القيادة العامة لما عرفوه فيه من الدربة
 الحربية والشجاعة الفائقة . غير ان الزعماء لم تكن مقاصدهم واحدة بل كان كل
 منهم يضر في باطنه غير ما يجول في خاطره الآخر (براستد عدد ١٠٧) ومنهم
 عدد غير قليل ولاسيما سكان الجنوب ندموا على المحالفة لتعرضهم لهجمات
 المصريين في كل بادرة تبدو . وكان ملك حمص مضطراً ان يراقب حركات
 هؤلاء الزعماء في الوقت نفسه الذي وضع على عاتقه ادارة الحركات الحربية في
 كل الساعات .

اما تومس الثالث فقد كان يقود جيشاً موحد العاية يعلم انه يارب
 لاجل نفسه ، لا لاجل غيره . ولأجل حياته وشرفه معاً لذلك جمعهم في الصباح
 الثاني وقبل الدخول في المعركة الفاصلة ، التي فيهم خطبة حماسية من اهم وأدق
 ما جاء فيها : ان ملك قادس ذلك العدو الألد قد وصل ودخل الى مجدو
 وجمع معه ملوك القبائل تجاه ملك مصر فليكن من حماستكم ما يرد العدو
 على اعقابه وثقوا انكم ان انتصرتم اليوم على اعدائكم قضيتم على الف مدينة
 وفزتم على الف ملك (المقتطف ٩١ : ٥٧١) .

يشير بهذا الى الحلف الذي تم قبيل المعركة بين زعماء البلاد تحت قيادة
 ملك حمص . وما انهى ملك مصر كلامه حتي سرت الحماسة في كل صدر
 وشعر الكل ان الفوز قريب المنال . فاج الجيش يميناً وشمالاً ينتظر الامر

الانتفاض على فريسته فاصدر الملك امره الى جناح الجيش الايسر بحفظ مركزه الحربي الى ان يتقدم الجناح الايمن الى التل الواقع في الجنوب الغربي من المدينة ، ليتمكن من النزول على قوات الشام المتحدة المنتشرة في خط من الشمال الى الجنوب امام المدينة . اما الملك البطل الذي لا يقهر فقد قاد الجيش وهو راكب في عربة مصنوعة من مزيج من الذهب والفضة وامام هذا الجيش الذي انتصر في عدة معارك دامية اهتز الكنعانيون ومادوا امام هجمات ترحزح الجبال . فتقهقروا في اول الامر بشي . من الانتظام ، ولكنهم لما اقبلوا على المدينة ، اولوا اقفيتهم للمصريين ووجهتهم المدينة الحصينة يلوذون بها . فلما وجدوا الابواب مغلقة ولا سبيل لفتحها استغاثوا بمن على الاسوار . فمد لهم هؤلاء حبالاً تعلقوا بها ورفعوهم الى السور وادخلوهم المدينة . وشغل عنهم المصريون بالاسلاب الثمينة التي وجدوها في معسكر ملك حمص المتقهقر . فاضاءوا الفرصة السانحة لفتح المدينة بسهولة .

محاصرة مجدو - اما توقس فلما درى بالواقع امر الجيش بالعودة الى العسل العسكري قبل فوات الوقت . واوجب على قواته تطويق المدينة من كل الجهات ، غير خاش من قذائف اسوارها . فان حراس الحصون اظهروا عدم مبالاة بالعدو . اعتماداً على ما عرفوه من مناعة المدينة المحصنة ظانين ان فتحها مستحيل . فلما طال زمن الحصار امر توقس عبيده ان يحصدوا حقول الحنطة الممتدة في ذلك السهل . وان يجمعوا قطعان المواشي الكبيرة المنتشرة في الجبال والاوردية الخضراء . التماساً للمرعى . ولم يكن في المدينة مؤونة تكفي للالوف المحاصرين داخلها مدة طويلة . فادرك الجوع من فيها بعد عدة اسابيع واضطروا ان يسلموا للعدو القدير . وتمكن ملك حمص ان يفتقر بعض الصفوف وينجو بنفسه ووجهته الشمال . ولكن أسرته وأسر شركائه وقعوا أسرى بيد المنتصر . والاسلاب التي وجدت في المدينة المفتوحة اظهرت غنى الحثيين العظيم لدرجة تكاد لا تصدق فقد وقع بيد المصريين ١٤٢ عربة و ٢٢٣٨ حصاناً ومئات حلة حربية وقضيب ملك حمص وصولجانه وخيمته الملكية . ومثاله المصنوع من الابنوس المطعم باللازورد والذهب . ومثال فضة يرجح انه صورة احد الالهة ومقادير كبيرة من الذهب والفضة .

كل ما ذكر روى الفاتح انه وجده في المدينة المفتوحة (شارل كانت ص ٩١-٩٤) .
ومما لا نرى بدأ من الاشارة اليه ، ان الآثار المصرية نفسها لم تكتم
بأس الحصين وحسن بلائهم في هذه المعارك . بل صرحت ان جنود مصر انما
فازت لأن خصومها كانوا اقل جنداً . ولأن طبيعة البلاد وصعوبة المواصلات
احدثت خللاً في التعاون المأمول من اتحاد البلدان السورية . في حين ان جنود
توتس الثالث كانوا أرقى جيش مصري الى ذلك العهد (تاريخ سيناء لشقير ص ٦٨٨) .

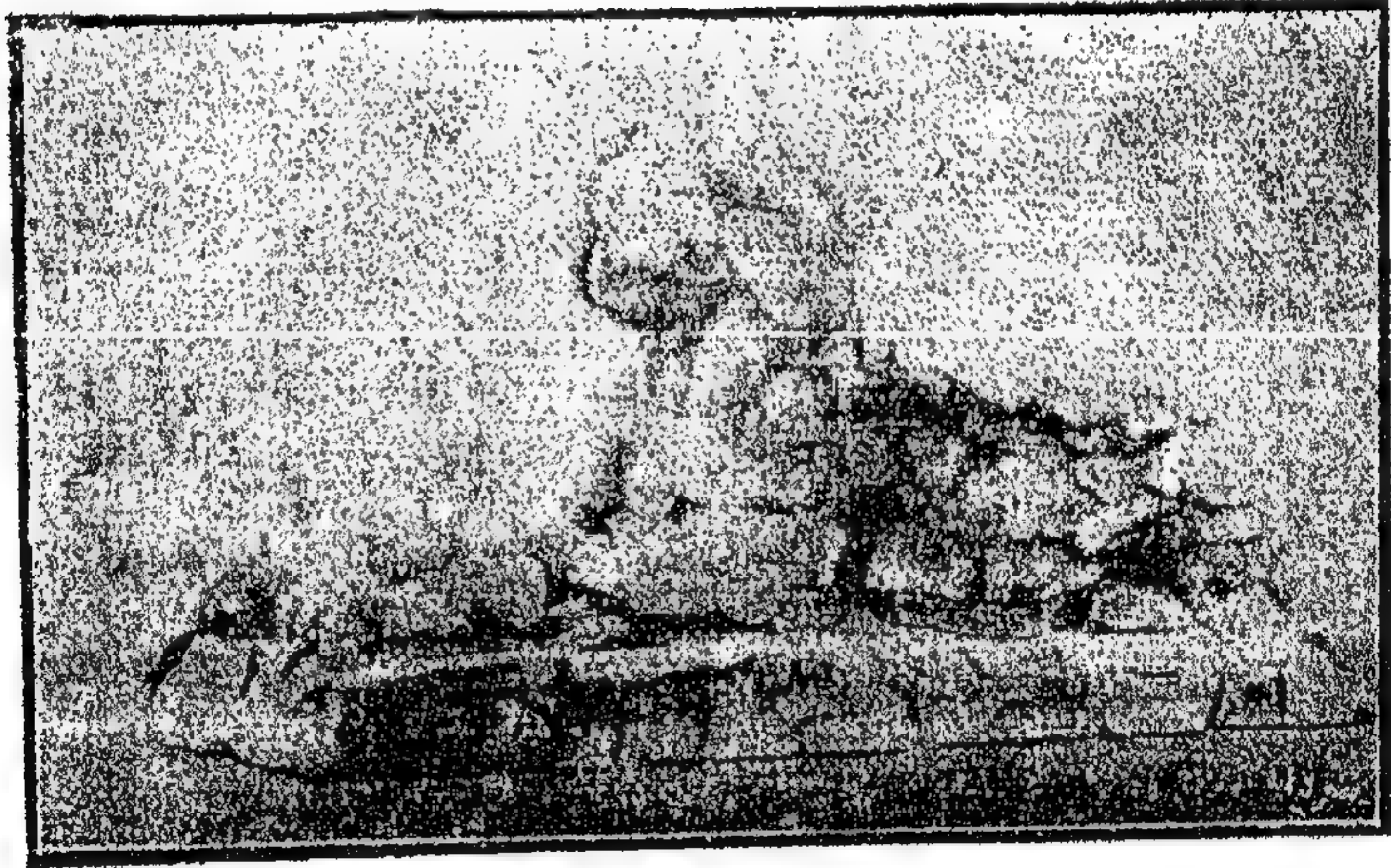
الميتانيون في منطقة ممس

صحت الآثار الحثية عن ذكر ما حدث لهم نحو قرنين أواخرها بعضهم
(١٦٨٠-١٤٥٠ ق م) وظن بعضهم انها هي المدة التي زحف فيها الميتانيون على
المنطقة الحصينة . وسواء كان الوقت المذكور هو الوقت الذي تم فيه الزحف
المشار اليه ، أم انه تم في الجزء الاخير منه - كما استنتج بعضهم - فانه لأمر
محقق ان الميتانيين اتوا بسط سيطرتهم على هذه المنطقة في الفترة التي تخللت
معركتي مجدو وقادس . والمأول ان اكتشافات اخرى تميظ النقاب عن تاريخ
هذا الحدث بالضبط ، فيتين وقته كما هو بالحقيقة . وخلاصة ما وصل اليه
اطلاعنا بهذا الشأن مدون في ما يلي :

سبقت لنا الاشارة الى ان الميتانيين نشأوا في اول تاريخهم في شمالي
الجزيرة في أوائل القرن الثلاثين قبل الميلاد وقد تركت الحضارة السومرية
- التي كان لهم صلة بها - أثراً في نفسياتهم فظهرت قوتهم في الالف الثانية
قبل الميلاد وكان الحوريون اصدقاء الميتانيين ومجاوريهم اقل عدداً منهم . وليس
لهم نشاط وجرأة الميتانيين فطمح بهم الاشوريون وكانوا كثيراً ما يتصدون لهم
ويقتطعون قسماً من مواشيهم . ولم يكن آنذاك موقف الميتانيين ~~مهم~~ منهم من
مساعدة جيرانهم لمقاومة غزاة الاشوريين فزهقت نفوس الحوريين لتوالي اعتداءات
قوم لا قبل لهم بدفعهم . وخانهم الجدد فقادروا الجزيرة واتجهوا نحو سوريا
الجنوبية حيث اتخذوا لهم جبل سعيد ملاذاً :

وخدم الحظ الميتانيين اذ اغتم الكوشيون فرصة القلاقل والفتن الناشئة

في بلاد الكلدان فانتقوا عليها واستولوا على بابل وبلاد كلدنة كلها في اواخر القرن الثامن عشر . تخمد بهذا طموح الاشوريين وشغلوا بالفاتحين عن تلك المنطقة . فانتهر الميتانيون هذه الساحة وقطعوا كل قيد يربطهم باشور . بل اقدموا على اكتساح عدة مواضع يتأيد بها موقفهم . ورأوا الحظ يخدمهم فبسطوا سيطرتهم على البلاد المجاورة . ثم وجهوا حملتهم الى ما غربي القرات . وامتد زحفهم الناجح حتى بلغ شواطئ العادي . ولم يكن الحثيون آنشد ذري موقف يخشاه الميتانيون ، بينما توقف الميتانيون لصد احدى غارات توتمس في القرات . فاهتموا بعماران المنطقة التي رسخت اقدامهم فيها وطرقوا مدينة قطنه (الواقعة الى الشرق من حمص) بسور محيطه ٥ كيلومترات بعدما جروا لها الماء باقنية خزفيه من احد منافذ السور الجنوبي ، مما لم تزل آثاره ظاهرة الى الآن . ولما شعر الميتانيون ان الحثيين خصوم لا يستخف بهم ، سالموا المصريين وحالفوهم على الحثيين وزوج ملكهم ارنظاما ابنته لتوتمس الرابع تم تجددت هذه المناسبة في ايام امنونيس الثالث الذي تحظى جيلوهيا بنت الملك سوطارنا وعبدوا ما عبده .



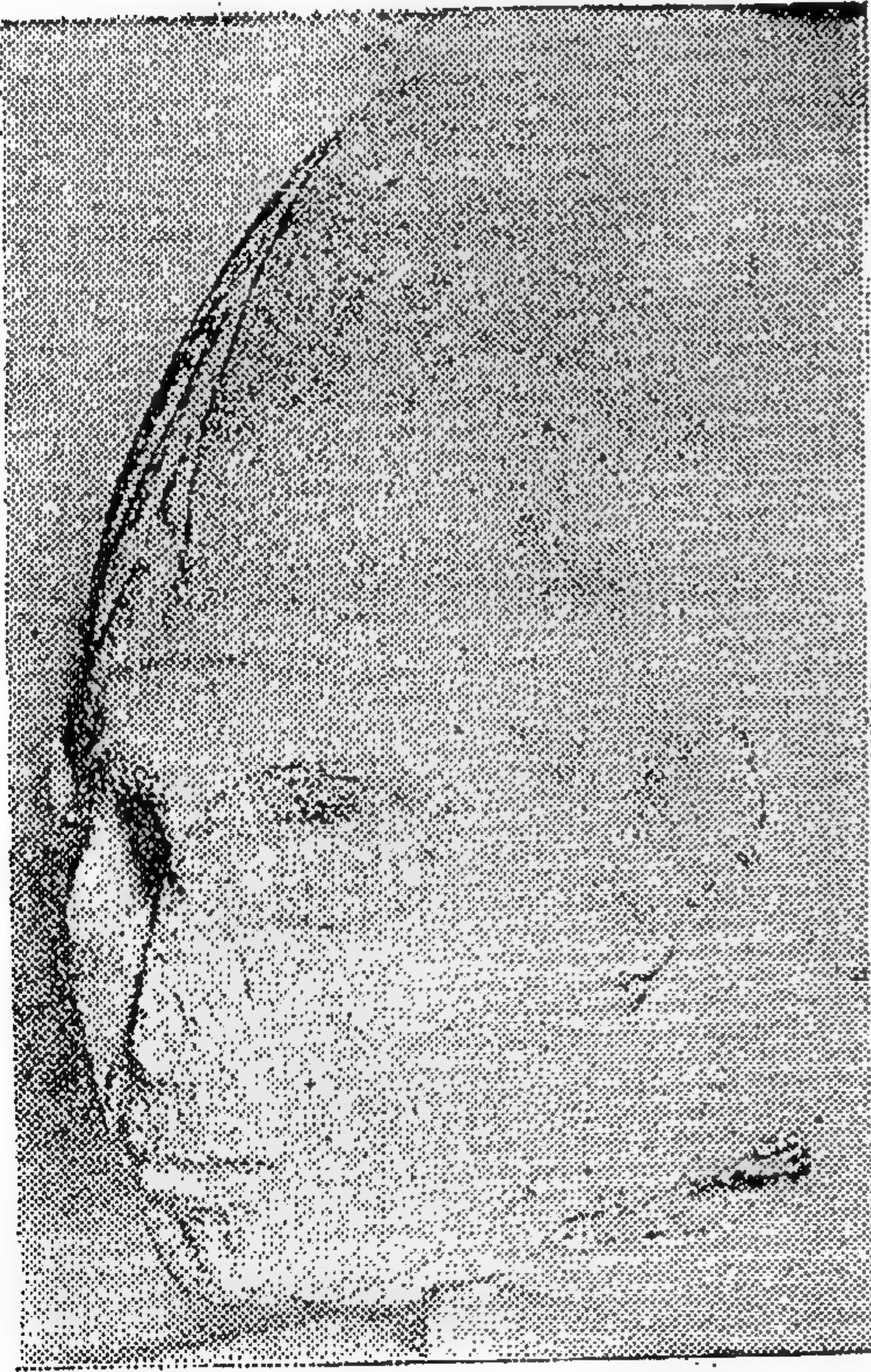
معبود مصري وجد في حفريات المشرفة وهو يشبه وجه احد ملوك الرعاة

- عن مكتبة الاستاذ عيسى المعلوف -

وظل حظ الميتانيين لامعاً حتى تسلم العرش الحثي في منطقة حمص سوبيلوليوما سابالت ، وكان من اعز ملوك حث شأناً ملك نحو اربعين سنة . غير فيها وجه

السياسة في البلاد السورية . ولا سيما ما كان منها بين العاصي والفرات . فإنه لم يكشف باسترداد قادس وتدمير قطنه التي حصنها الميتانيون ، بل امتدت فتوحاته الى الدجلة حيث طوق بلاد الحوريين والميتانيين معا . وضبط البلاد الواقعة على جانبي الفرات ، وجعل كركيش قاعدة الشمال . وكان بنوي صب جام غضبه على المصريين بعد جده رمسيس الاول - لمحالفتهم الميتانيين - ولكن فتن الاناضول (١٣٧٨ - ١٣٥٨) شغلته عن ذلك .

ولما ثار الميتانيون على ملكهم سنة ١٣٧٠ وقتلوه اغتتم هذه الفرصة وآوى اليه ابنه الصغير « ماتيعوذا » فاسترد له العرش ، وزوجه ابنته . فاصبحت الدولة الميتانية تحت سيطرة سوبيلوليوما حتى توفي . ولكن الميتانيين خسروا بوفاته ما بقي لهم من هيبة وافقدتهم هجمات الاشوريين ما كان لهم . فاصبحت المنطقة الحمصية كلها مباحة للحشيين .



رأس قتال ميتاني
وجد في الجيول « شمالي سوريا »

له جبين ضيق تكمله قبة
مخروطية الشكل ذات خطوط
كأنها قرون ترمز الى الالهية
له عينان يعالوهما حاجبان كبيران
في وسطهما انف افطس به وجه
ضعيف التركيب خددته غضون
ممتدة من المنخرين الى الشفتين
وهو رأس تحفة نادرة تصكاد
تفيض منه عروق الحياة .

(انظر المقتطف ٩٣ : ٢٠٢)

الاتحاد قوة ، والتخاذل ذل ، والانقسام موت

الانتصارات التي احرزها المصريون جعلت الكثيرين من الامراء الذين سبقت لهم مخالفة الدولة الحمصية ، ينكفثون عنها . ولاسيما فينيقية اللبنانية التي كانت حص قاعدتها وقد ارتبطت مع جبيل - التي كان اسمها جبلة - بروابط متينة . غير ان تفرق كلمة ملوك سوريا أدى الى تحاذلهم امام قوة المصريين وجنبيهم خوض غمرات الحرب تحت قيادة ملك حمص . وليس ذلك فحسب بل ان بعضهم لم يكتفوا بمسألة المصريين بل انضوا الى لوائهم . واخذوا يستعينون بهم على الحثيين الذين سعوا لتوحيد البلاد لقطع دابر التخاذل . وحفظت لنا الآثار المصرية أسماء هؤلاء المنحازين وفي طليعتهم ريب عداي امير جبيل الذي والى ملوك مصر واصبح معهم حرباً على حمص .

في هذه الظروف العصيبة أخذ الحثيون بقيادة ملك حمص يحضدون شوكة امير جبيل ، الذي دلت رسائله العديدة التي وجدت بين مجموعة رسائل تل العمارنة ، على شكواه المرة من خصم قوي بطاش يدعوه عبد الشرى ويسميه مع ابنه اريزو صاحبي اموري الشديدين . وفي احدى رسائله لأحد النظار المصريين المدعو امانيا الذي يسميه اباه الصغير ، ينطرح على اقدامه لينقذه من ايدي عبد الشرى . ويتمرر لأن ولاية المدن السورية كلها لم يعاوا بامرء ، ويتهمهم بالاتفاق مع الخصم عليه ، وبسبب ذلك استفحل أمر من اشار اليه .

ويفهم من هذه الرسالة ان هذا الناظر اشار عليه ان يرسل له ساعياً يصحبه الى بلاط الملك المصري . لاستئارة حماسته . فان اظهر الملك رضاء ارقه بقوة من الجند الدفاع عن حياته . فقبل ريب عداي هذا الرأي والتمس من امانياً ابقاء ذلك سراً بينهما خشية ان يدري عبد الشرى بالامر فتسوء النتيجة . وصرح في هذه الرسالة ان بنهامون (احد النظار المصريين) مرتش . وختم رسالته باظهار ألمه الشديد وخوفه العميق صارخاً : ويلي من ينقذني من هذه الازمة الشديدة ؟ اني اذا لم تسرع الجنود لاتقاذي مما انا فيه سأترك المدينة وانجو بنفسني (آثار لبنان ص ٧٩) .

وروى الاب لامنس ان اريزو بن عبد الشرى لما عرف عدم مبالاة ملك مصر ، بامير جبيل ، اغتتم الفرصة وغزا اياته وظل يحتل بلاده قطعة قطعة حتي ضبط كل النواحي المجاورة ، وترك له مدينته منفردة . وكان اريزو يملك البلاد الواقعة شمالي دمشق وقسماً من وادي العاصي اي البلاد المتوسطة بين بعلبك وبحيرة حمص .

ولما تفاقم الامر وبلغ مسامع ملك مصر ما جرى ، غضب وارسل يتهدد اريزو . فاجابه هذا بما يلين من ثورته . لكن فرعون لم يقتنع بجوابه فاستقدمه اليه . ويرى الاب لامنس انه ذهب الى مصر وسجن ومات في سجنه والله اعلم . قال العلامة « شارل كانت » في مؤلفه جغرافية الكتاب (ص ٦٥-٩٨) : ان السلطة المصرية حالت دون الحروب بين الامارات الصغيرة مدة ، اذ قربت احداها من الاخرى بواسطة النظام المصري . ولكن مصر اللاهية بذاتها لم تستطع موالاة ضبطها للمناطق التي احتلتها فابقت شيوخ البلاد في مناطقهم . على ان يؤدوا لها اكبر جزية يمكن استيفاؤها . وقد حال برد البلاد السورية دون سكن المصريين فيها ، فسلبت مصر ثروة الشام ودماها ، دون ان تعوضها ما يقابل ذلك . وعجز السكان عن الاتحاد على العدو العمومي ، عرض البلاد الى قوة غازية . واضطر امراء البلاد الى استنصار القبائل الغازية لكسر نير المنتصر الثقيل .

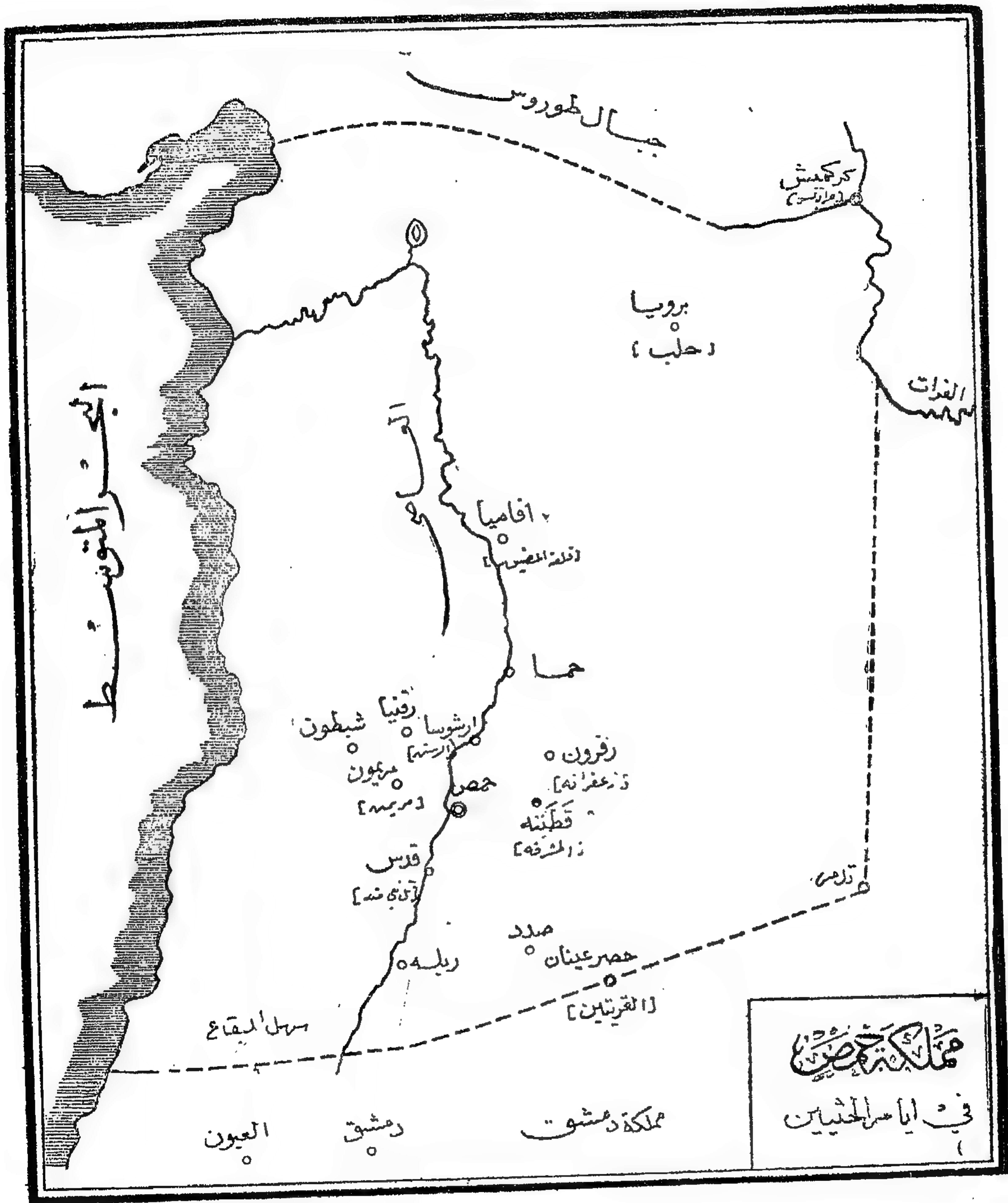
والرسائل التي وجدت في تل العمارنة بينت ان مصر في زمن امنهوتب الرابع (اخناتون) وقعت في حالة فوضى . لانهاك الملك المذكور بالاصلاحات الدينية . فضعفت سلطته على ولاياته البعيدة واغتتم هذه السانحة ملوك حث في الشمال وسعوا لتوحيد السيادة في البلاد . واذا لم يرض الامراء الوطنيون بذلك اكرهوا عليه بالقوة . فاخذ هؤلاء الامراء يستغيثون بمصر وهي لاهية عنهم . فاجابها من فتوق ومشاغب . فنمت القوة الحثية وبسطت سيطرتها على الشام كلها او جالها . وحينما خرج رمسيس الثاني لاختضاع البلاد وجد نفسه كتومس الثالث قبله بنحو مئتي سنة امام عدو قوي محصن تحصيناً عظيماً في الاودية العريضة بين لبنان وانيوليبان اه .

معركة قادس

انتهت الدولة الثامنة عشرة المصرية بهورس اوهورام هتب آخر ملوكها الذي مات بدون عقب فتسلم زمام الاحكام قائد الجيش المصري رعسيس الاول، مع ان المذكور لم يكن مصري الاصل بدليل السمات الظاهرة على وجهه ووجه ابنه ساتي الاول وحفيده رعسيس الكبير . الا ان البلاد كانت آنذاك بحاجة الى رجل عسكري شديد الصلابة يستطيع تهدئة الاعصاب المتوترة بسبب المنازعات الدينية ، ويعيد الوحدة الفكرية الى البلاد بالحزم والهيبة . وكان الحثيون قد درسوا اسباب فشلهم في المعارك الاولى وتداركوا اسبابها التي من اهمها تعدد الزعماء وتفرق الكلمة . فبسطوا سيطرتهم على سوريا الشمالية برمتها ولم يبق ثمة زعيم سوى الملك الحثي . واصبحت مملكة الزعيم العظيم سيلوليوما (سابلت) ممتدة من شاطئ الفرات شرقاً الى طورس شمالاً والبحر المتوسط غرباً ودمشق جنوباً . (انظر الصفحة التالية) .

رعسيس الاول — وعرف رعسيس الاول باستعدادات « سابلت » فغني اولاً باصلاح شؤون مصر . ولما اطمأن باله عليها جهز حملته لاعادة الشام كلها الى طاعته . غير ان خصومه هذه المرة لم يكونوا كخصوم اسلافه في الحملات السابقة يوم كانوا مختلفي المآرب والترعات ولا قيادة موحدة فيهم . اما الآن فقد ضبط القيادة ملك قدير يرؤس دولة موحدة الرأي متسعة الارزاء كثيرة الجند وفي كل منهم ميل طبيعي للحرب . سر رعسيس الاول لاول وهلة حينما اجتاز فلسطين بدون مقاومة تذكر . ولكنه لما بلغ العاصي وجد ثمة قوات لا يمكن اختراقها . وقد اضربت الآثار المصرية عن ذكر نتائج هذه الحملة ، واكتفت بالاشارة الى حدوث صلح بين المتحاربين وفي ذلك ما فيه من الدلالة على وجود تكافؤ بين الفريقين .

ساتي الاول — وتابع ابنه ساتي الاول مسعى ابيه . فدفع في السنوات الاولى للملكه ، غزاة العرب عن بلاده . وهاجم في السنة الثانية بلاد الشام فلم يقاومه الفلسطينيون والفينيقيون ، ودان له الآراميون ، وقدم له اهالي سوريا



الوسطى هدايا لاسترضائه فحسبها هو جزية . ولكنه لما بلغ قادس رأى ما لم يكن بحسبانته . اذ تعددت هناك الوقائع الهائلة ، ووقف الحثيون رقيقة الابطال ، واضطر ساقى ان يوقع ايضاً معاهدة صلح مع موتنار ملك حمص . ومع ان خطوط الكرنك لا تصرح بانخذال ساقى لكن قرائن الاحوال تدل عليه . وحسبك اقرار هذه الخطوط ببسالة الحثيين وصعوبة الانتصار عليهم .

رعمسيس الكبير ١٣٠٠ - ١٢٣٤ ق م . كان رعمسيس هذا ابناً لساقى الاول وقد اشركه معه في الحكم . ولقبه ولي العهد وفرعون الدولة ومنحه الرتبة الثانية في الاحتفالات الدينية : واوفده وهو حدث في عدة مهام بحرية ، كتب له النجاح فيها كلها . ولما طعن ابوه في السن ، فوض اليه امر الولاية على الاحكام فلما توفي استقل بالملك . وكان اهم عمل في نظره انشاء جيش منظم قوي . ولجل ذلك قسم دخل الدولة ثلاثة اقسام . ثلثه للملك ، والثلث الآخر لرجال الدولة ، والثلث الثالث لرواتب الجند . وقسم المملكة الى ٣٦ ولاية مقتطعاً من البلاد ارضاً يكفي ريعها لحاجة الجنود واهلهم واولادهم .

روى ديودور الصقلي ان هذا الجيش كان مؤلفاً من ستمائة الف رجل و ٢٤ الف فارس و ٢٧ الف مركبة بحرية و اضاف الى هذا الجيش اسطولاً بحرياً قوياً . ولكي يحفظ للجند انفتهم وعزة نفوسهم ، سن نظاماً حطرت بموجبه مقاصة الجندي بقصاصاً جسدياً . ووجب ان يكتفى بتنبهه على هفواته ، بما يثير ثخوته لاصلاح خطاه دون ان يصغر نفسه .

اشهر المعارك التي خاضها رعمسيس الكبير هي باتفاق المؤرخين معركة قادس . وقد وصفها الشاعر المصري بتأور في قصيدة مسبهة حفرها المصريون على صخور الاقصر وعلى جدران الكرنك . وخطت مراراً على البابيروس وقد ترجمها الموسير دورجه الفرنسي وملخص ترجمتها في ما يلي :

درى رعمسيس ان الحثيين قد تألبوا لمناوأة مصر . وقد انضوى الى لوائهم الحربي من الشمال اهالي كركيش وحلب ومن سوريا المجوفة الجرجاشيون والاراميون . ومن الفينيقيين الارواديون . وروي ان جيش الشمال وحده بلغ ١٨ الف جندي . اما عدد مركبات الحثيين فبلغت ٢٥٠٠ .

أما جيش مصر فما لا يدرك الطرف آخره . وقد سار بقيادة رمسيس
البطل الحازم . الذي لعبت برأسه حمية الشباب و صلف القوة . فاجتاز فلسطين
حيث اقيم الحرس المصري منذ ايام ابيه .

ولما بلغ سوريا في هذا المظهر الموجب الاكبار ، حالفه اخيرام ملك جبيل
على الحثيين . الذين سبق له استئصال واثمهم ، مع غيرة من امراء فينيقية
كمكا وصور وصيدا وبيروت . مما شدد عزيمة رمسيس وحسب ان النصر
اصبح منه قايي قوس او أدنى . فسار حتى بلغ الجهة الغربية من حمص مسافة
مرحلة منها في موضع يدعى شبطون قرب فوار دير مار جرجس الحميراء (لزمان) .
وهناك امر الحملة بالوقوف لاستطلاع حالة العدو . وكان موتنار (او موتلاً) ملك الحثيين
قد جمع بين الدربة العسكرية والدهاء . وكان لا يلجأ الى القوة الا اذا اعите
الحيلة فاوفد جواسيسه لمعرفة قوة رمسيس ، فعادوا اليه بالخبر اليقين . فرأي
ان الموقف يستلزم حسن تدبير قبل الدخول في المعركة . فاوغز الى رهط ممن يشق
باخلاصهم ، ان يكمنوا للعدو في بطن وادي خالد ، حتى اذا مرت طلائع
العدو للاكتشاف انفرد اثنان منهم ونفذوا الحطة الموعز اليهم باقامها كما يلي :
ذهب مع طليعة الجيش المصري اثنان وقابلا رمسيس وهما يتظاهران
بجوف وحقدهما . الاول لهية الملك الكبير والثاني نقمة على ملك الحثيين .
وخلاصة ما قالوا : اننا من رؤساء القبائل الموالية لملك حث الحثيس ، الذي
اتزوى في حاب لحوفه من بطش الملك العظيم واهمل شأننا ، بعدما وعدنا بالغنائم
وبسطة اليد . ومع اخلافه بما وعد قد فر لينجو بنفسه ويدعنا غنيمة بيد من
نازعهم السلطة . فلما رأينا هذا اقبلنا اليك ايها الملك العظيم راجين قبولنا بين
خدمك . فانخدع رمسيس بما سمع وعقد مجلساً حريباً اصدر فيها امره لفرقة «رع»
لتتقدم من جنوبي شبطون وتحيط بالبحيرة وفرقة «سوت» لتكون قلب الجيش .
وامر ان ترافقه نخبة المركبات الحربية عن طريق الوادي (حيث كان الكمين الحثي)
قصد ان يعبر العاصي من مخاضة هناك ، بان اشتغال العدو بمقاتلة الفرقتين المذكورتين .
حيث يتسنى له اذ ذاك اخذ قادم من الشمال الغربي . اما فرقة «آمون» فامر ان توافيه
في طريق اخرى الى قادم ، لتمده بقوتها عند الحاجة . كما ترك فرقة «فتاح» وراء
الجناح الايسر ، لاستمداد معونتها متى شعر بحاجة اليها .

بات الجيش في تلك الليلة يستعد للحرب ، وكاه آمال بالفوز القريب . وأمر الملك حافظ أسوده ان يمنع الطعام عنها لتزيد شرستها عند اطلاقها على الاعداء . وقبل الفجر جلس الملك في هودج يقله ٢٥ شاباً من الاشراف . وحملت امامه تاتيل آلهة مصر . وطاف يتققد الجيش فلما رآه الجنود خروا امامه سجداً وقبلوا التراب بين يديه . ثم أمر فसार الجيش حسب وصيته ، المشاة اولاً ثم المركبات ، وفي مقدمتها مركبة الملك محلاة بالذهب . وعلى جانبيها صندوقان مرصعان بالحجارة الكريمة فيها قسيه وسهامه . وعلى كل من الجوادين عدة من الارجوان مرصعة بالجواهر ، وعلى رأسيهما اكليان مزدانان بريش النعام . وكان الملك لابساً درعاً من الزرد تحيط بها منطقة من الارجوان . وعلى رأسه اكليل مصر العليا والسفلى . ووراءه سائق مركبته حاملاً الترس يمينه لوقاية الملك . وممسكاً العنان بيساره لادارة الخيل ووراء مركبة الملك مركبة الاسود مطبقة وهي ذات اربع عجلات . سار الملك يتقدمه الدليل (الحثي) وامامه فرقة الآله « رع » بقسيها وسهامها ثلاثه كشاف . فوصلوا الى بطن واد مفتوح يئنه ويسرة ، وتحيط به الجبال من سائر جهاته . واذا باصوات ابواق قد ملأت الفضاء . فاجفل الملك وتناول فأسه من منطقتة وقال : ما هذه الاصوات ؟ قال له السائق ان الاعداء داهمتنا يا مولاي . فامر باطلاق الاسود ولكنه لم يكده يفعل حتي رأى طبيعته قد تمزقت شذراً وولت الادبار . فانكششت الاسود وثبت امام مركبة الملك مزبجرة مزبثرة . وسارت مركبة الملك وراءها نحو الهاربين . وأخذ الملك يستوقفهم فلم يصيخوا سماعاً له . لان الاعداء في أثرهم تفتك فيهم فتكاً ذريعاً . واختفى الدليل من امام عيني الملك ولم يتقف له أحد على أثر .

فصاح الملك صيحة دوت لها الجبال . وضع كذلك حرسه فوقف الفارون مذعورين لاول وهلة . ولكنهم لم يستطيعوا صبراً على طعنات العدو القتالة . فعادوا الى الفرار منهزمين شر هزيمة . وسمع الملك من خلفه صوت الاعداء يردد نداء رفاقهم من امامه . فالتفت واذا بمركباتهم قد أطبقت على قواته من شعب هناك فخطمت افرادهم . وفصلت بينه وبينهم قبل ان يتسنى له الانضمام اليهم . فاصبح محصوراً بين مركبات الاعداء . من امام حيث يرى رجاله يقعون صرعى بسلاحهم . وسمع من ورائه صياح الابطال وصلصلة السيوف وأنين الجرحى

وحشرجة المحتضرين .

فتناول الملك قوسه وجعل يرمي الاعداء بالسهم . وحامل ترسه يقيه ما يراش عليه . حتى تكاثر الاعداء عليهما ، وتطايرت السهام حولهما من كل جهة ، واضطر السائق ان يدافع عن نفسه . فاطلق العنان واقتحم العدو وبقي الملك وحده . وقد فارقه الانصار والاعوان . فتناول فأسه وهجم على الاعداء والاسود تتقدمه فترب الخيول وتفرق الفرسان عنه . وبينما هو في هذه الازمة الخائفة ، واذا بمدد وصل اليه فأفرج عنه . ورد الحثين على اعقابهم الى العاصي وبحيرة قادس . وأرخى الليل سدوله فتفرق المتقاتلون .

وفي اليوم الثاني عاد الحثيون الى القتال وارسلوا فرقة من جيشهم لتسد على المصريين الوادي . وفرقة اخرى تهاجمهم من وادٍ واقع في طريقهم ، فلاقاهم رعميس بجيشه . واشتبك القتال بينهما واشتد الصدام واستقتل الحثيون في ذلك اليوم ، وحاربوا حرباً يشيب لها الاطفال ، وترعد منها فرائص الرجال . لكنهم انهزموا في النهاية بعدما قتل جماعة من اشهر ابطالهم واشرافهم ، منهم مؤرخ ملكهم المشهور . وفتح المصريون قادس وامتلكوها بحمد السيف . بعدما كادت تدور الدائرة عليهم ، وأوشك رعميس ان يقع اسيراً في ايدي خصومه (المقتطف ١١ : ٣٢١-٣٢٦) .

هذه خلاصة ما روته الآثار المصرية . والمطالع الرشيد يلمح من خلال الكلام ان رعميس لم يوفق كل التوفيق في هذه المعركة الهائلة . ولو دونها الحثيون واهتدينا الى ما كتبوه لرأينا غير ذلك . وما من شيء يلفت انظارنا الى حقيقة الواقع مثل قصيدة بنتاؤور شاعر الملك رعميس التي ورد فيها عن لسان الملك ما ترجمته باليجاز :

من قصيدة بنتاؤور - كنت وحدي لا يصحبني رئيس ولا قائد ولا آمر ولا ضابط . انهزمت الجنود والفرسان ولبثت أحارب العدو منفرداً . فصرخت حينئذ : أين انت يا أبت آمون ؟ هل ينسى الاب ابنه او يهمله في ضيقته ؟ هل أقدمت على عمل ما دون رضاك ؟ وهل مشيت او وقفت دون ان أرفع نظري اليك ؟ هل خالفت أوامر فك او نبذت مشوراتك ؟ يا إله مصر المذل من يعصاه . هل تحتمل ان يذل ملك مصر وسيدها

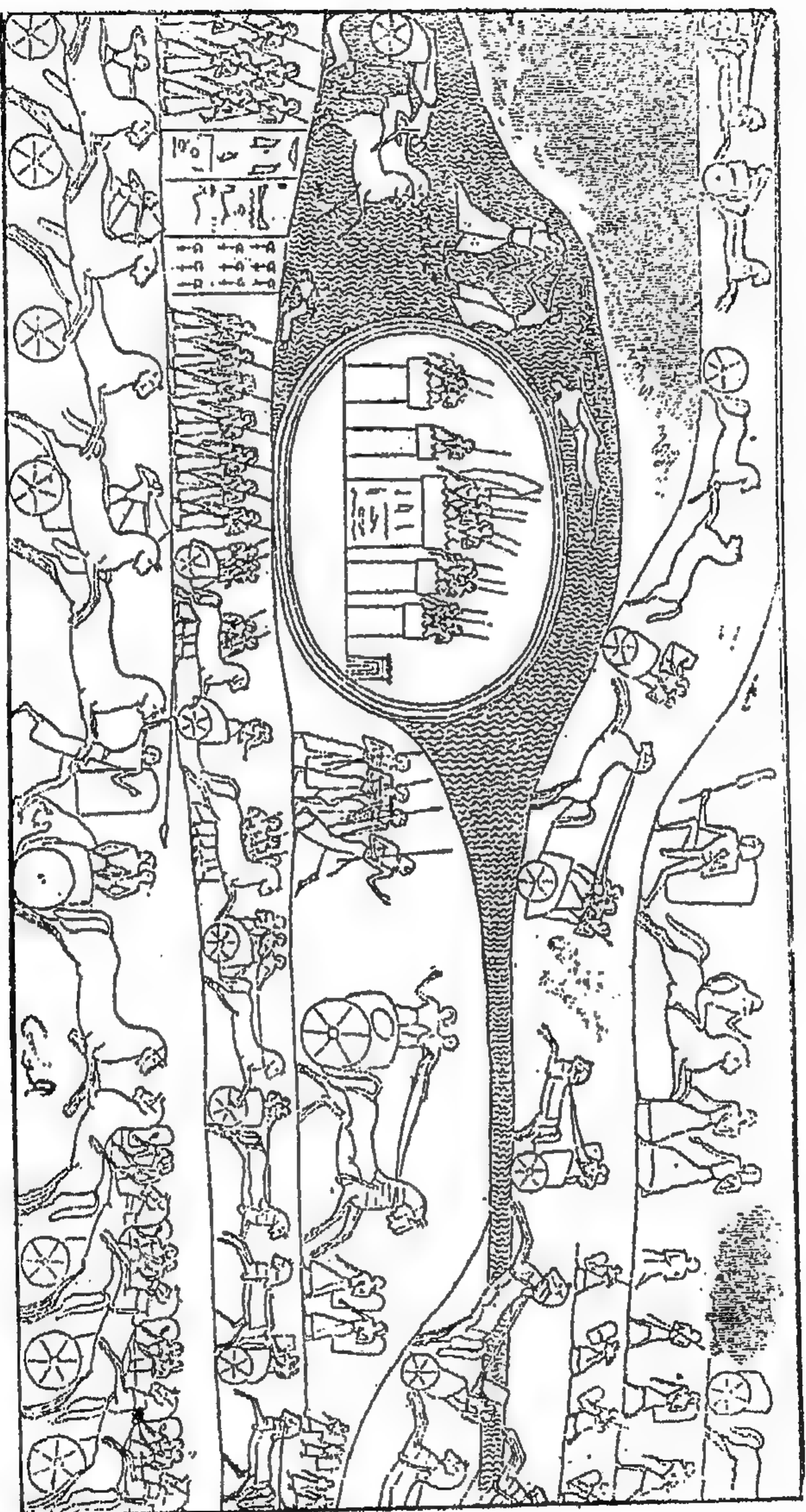
امام شعوب يعاندونك ؟ من هؤلاء العمو (يريد الاسيوريين) ؟ بعيشك يا آمون
بدد الدين لم يقرؤا بالوهيتك .

اما شيدت لوجهك آثاراً لا عدد لها ؟ اما افعمت هياكلك بالغنائم التي
احزمتها من الاعداء ؟ اما بنيت لك معابد تدوم الوف السنين ؟ فبك استجير
واياك ادعو يا ابت آمون . قد احدثت بي جماعات لا اعرفها . وتألبت علي
قبائل كثيرة وانا وحدي وليس معي أحد . تركني ابطالي ، دعوتهم فلم يسمع
احد منهم صوتي . لكنني موقن ان آمون خير لي من الوف جنود تجتمع معاً .
بعد هذا يذكر الشاعر ان آمون استجاب نداء رعمسيس ونصره على الاعداء ،
(ملخصة عن الاستاذ سايس الاثري المقتطف ١٣ : ١٧٨) .

تدعي الآثار المصرية ان الحثيين انهزموا وقتل حامل سلاح الملك وقائد
المشاة ورئيس الحصيان وكاتب الوقائع الرسمي . وحاول بعض المنهزمين اجتياز
النهر سباحة فغرقوا . منهم ملك تيتا وملك حلب ولكن الاخير اخرج
من الماء وفيه رمق . ويرى في رسم لهذه المعركة معلقاً برجليه والماء يتدفق من
فمه . (انظر الصفحة التالية) .

وفي الآثار المذكورة ان ملك حث استطاع ملك مصر فرنف به وعقد
معه صلحاً لم يكن الا هدنة مؤقتة ، لان الحثي اثار عليه قبائل الجليل ،
فاضطر رعمسيس ان يجهز حملة لردهم الى طاعته . وحصلت هذه المعركة عند بحيرة
ميروم (الحولة) وجبل تنبور في السنة الثامنة لملكه .

كما ان فلسطين تمردت في السنة الحادية عشر فاضطر لتجهيز حملة اخرى
تمكن فيها من استرداد عسقلان بعد حصار شديد ثم اورشليم والكرمل
وظلت هذه الحروب متواصلة مدة ١٥ سنة ، ولم تحمد جذوتها حتي اغتيل
موتنار ملك حمص في احدى هذه المعارك . وحصلت هدنة نحو سبع سنوات
وهي المدة التي تسلم فيها العرش الحثي اورخي نحشوب (١٢٩٢ - ١٢٨٥) فلما
خلفه خيتاسار (حاتوشيل الثاني) بن مورسيل (موراسيرا) بن ساباليل (سيبوليوما)
العظيم ، وقد امتدت اطماع سلعناصر الى بلاده رأى ان يعقد معاهدة مع ملك
مصر ليتفرغ الى صد زحف الاشوريين . (البستاني ٨ ص ٦٧٠ وبورتر ص ٢٥) .



مركبة قادن

بين الحثيين من اليمن والمصريين من الشمال — مأخوذة عن هيكل الاقصر في مصر

منذئذ خيم السلام على المملكتين فوقف رعمسيس في اسيا عند حده
والحيثيون عند حدهم . وبعد ابرام المعاهدة بنحو ثلاث عشرة سنة (حوالي سنة
١٢٥٩) زار ملك الحيثيين مصر وحضر الاحتفال بزفاف كريمة الكبرى الى
رعمسيس الثاني فقبل بحفاوة عظيمة في القصر الملكي واختلط الحرس الحيثي
بالجند المصري بعدما كانوا اعداء اعداء .

خاتمة المطاف

وصلنا الآن الى نهاية المعارك التي دارت بين الحيثيين ملوك حمص وبين
المصريين . بعد مرور نصف قرن تقريباً على المعاهدة التي عقدت بين الفريقين
في ايام رعمسيس الكبير وخيتاسار الحيثي . واسباب هذه المعركة التي كانت خاتمة
المطاف على ما روت الآثار المصرية ، ان قاطني سوريا الشمالية اتفقوا مع اهالي
الاناضول على غزو البلاد المصرية فقاد الحملة ملك حمص ، ووجهته الوجه البحري
من الديار المصرية . وكان رعمسيس الثالث اول ملوك الدولة العشرين المصرية
الذي اهتم كثيراً بتقدم بلاده ، والقضاء على الثورات الناشئة في اطراف المملكة .
درى بما يمكنه له الحيثيون الذين استنجموا فرصة الاضطرابات في مصر فاقتحموا
البلاد المصرية كأنهم يريدون تجديد عهد الرعاة . غير ان حملتهم هذه لم يقارنها
التوفيق ، والبغي مرتعه وخيم . فان رعمسيس الثالث قابلهم بجيوشه التي اعدّها
لهذه المعركة . وممكنه اسطوله العظيم من اغراق سفنهم واهلاك الكثيرين منهم
واسر عدد من الزعماء بينهم ملك حمص . وقد نقش اخبار هذه المعركة على
الرواق الاول من معبد آبو . ثم بنى سوراً بالقرب من السويس لحماية مصر ممن
يقصدها باذى . وامر بزيادة القرايين لآمون شكراً على توفيقه اياه لفوز لم
يكن من السهل الوصول اليه . وكانت هذه المعركة حوالي سنة ١٢٢٥ ق م (سينا
لشقيص ص ٦٩٣) .

ومن غرائب الصدف ان هذه المعركة حصلت بين قائدين كبيرين كل
منهما كان آخر مشاهير أمتة فان رعمسيس كان آخر مشاهير ملوك مصر . كما
ان ملك حث كان آخر مشاهيرهم في سوريا ، ويقال انه اسر حياً ومات في

اسره ، ولم تذكر الآثار المصرية اسمه . وبعد هذه المعركة اخذ الحثيون ينصرفون الى الشمال حيث وطنهم الاول واتخذوا كركيش قاعدة لهم . ولم تعد لهم الاهمية التي كانت لهم يوم كانت قدس قاعدتهم الحربية كما ير بلك .

الحالة الاجتماعية في هذه الحقبة

الآن وقد انتهينا من الكلام على موقف منطقة حمص السياسي ، يجمل بنا ان نلتقط من منشورات التاريخ ما نستطيع معه ارسال شعاع ولو ضئيل على الحالة الاجتماعية في هذه الحقبة وان قلت مبالاة الاقدمين بهذا البحث - ويساعدنا على نيل بعض امنيتنا ما تركه من الاثر مستوطنوا هذه البقعة .

قسم الاثريون فنون الحثيين وصناعاتهم الى عصرين العصر الاسيوي والعصر السوري ، وبين العهدين تفاوت كبير . عرف الاثريون بالاختبار ان العهد الاول استمد صناعته من الفن السوري اذ قد كثرت وجوه التشابه بينهما . اما العهد الثاني فقد ازداد بروزاً مع التاريخ حتى نفذ منه الى الصميم وظهرت عليه مسحة الفن الاشوري . على ان هذه المؤثرات لم تضع ميزات الفنون والصناعات الحثية التي ظال لها طابع خاص (المقتطف ٩٠ : ٣٢٥) .

البناء - فن ميزات البناء الحثي استقامة خطوطه الساذجة وضخامة قواعده وتوسط ارتفاعه ، وما برحت روح هذا الفن متبعة في حمص الى عهد قريب . اذ انهم كانوا يهتمون بايصال اسس البناء الى الارض الصخرية او الصلبة المعروفة بالسكدان مها بلغ العمق . ويهتمون ايضاً بغلظ القواعد واستواء « المداميك » مها طال مداها . والاكتفاء بطبقة واحدة حتى تدر وجود الطبقتين فيها .

وقد اظهرت الاكتشافات الحديثة براعة الحمصيين الاقدمين بفن البناء . ودل عليه قصر ملكهم الذي كانت واجهته مؤلفة من سدة في الوسط مرتكزة على عمودين . وعلى جانبيها برجان مربعان . وقد نقل هذه السدة عظماء ملوك اشور ثم نقات الى بلاد الفرس (براسد عدد ٣٦٣) .

الخدادة - ومن أشهر ما مهر به الحمصيون الاقدمون ، صناعة الخدادة والفضل في ذلك للحشيين الذين اعتبرهم الاثريون ، الموزعين الاولين للحديد على العالم ، وقد احاوله محل البرونز (براستد ١٢٨ و ٣٦٦) وحسبك اعادة الفكر الى عجز وعميس الكبير عن اخراجهم من سوريا لان لسلحة جيشه كانت من البرونز واسلحتهم من الحديد .

العبادة - معلوم ان الاقدمين الذين لم يكن بين ايديهم وحي آلهي يرشدهم الى الآله الحقيقي الجدير بالعبادة كانوا يسترشدون الطبيعة . غير انهم لم يحسنوا التفكير او بالاحرى لم يطلبوا التأمل لمعرفة ما هو حق . فمع ان الفطرة ترشدهم الى وجوب عبادة كائن اعظم ، فقد تعددت السبل التي استدلوا بها على هذا الكائن العظيم . وانقسموا الى فرقتين بعضهم رأوه في ما هو اكثر منفعة وبعضهم في ما هو اقدر على الضرر . وكان الحمصيون الاقدمون من الفريق الاول . اذ عبدوا الشمس لرؤيتهم فيها اعظم المنافع ، على ان هذه العبادة قادتهم بعد لأي الى الاعتقاد بالبعث . وقد ارشدتهم الشمس نفسها الى هذه الفكرة . اذ رأوا في بزوغها صباحاً ، وبلوغها معظم القوة نصف النهار ، وانحدارها عند الزوال ثم اصفرارها وغيابها عند الغروب . ما يشبه ظهور الانسان في مولده ، وقوته في شبابه ، وانحداره نحو الضعف في اواخر كبرهاته . ثم انحلال قوته في وقت موته . ثم استنتجوا من ظهور الشمس في اليوم الثاني ان الانسان سيعود الى الظهور بعد احتجابه ، وذلك ما دعي بهئاً او قيامة . وقد رسخت هذه العبادة في اذهان الحمصيين بمخاطبتهم المصريين والحشيين . اذ كان هذان الشعبان لاول عهدهما بالوجود من عباد النير الاعظم . على انها لما اتسع نطاق الحكم في كل منهما ظهر الشرك فيهما كليهما معاً . اذ اضطر الحاكم العظيم ان يالى . محكوميه ويقيم لكل آله من معبوديهم نصباً يسترضيهم به . على انهم اعتبروا آله الشمس ملك الآلهة كلها ورب الارباب . وفرضوا عبادته على سائر المقاطعات المتحدة ليعبد مع معبوداتهم الخاصة (المقتطف ٢٤ : ١٨٩) .

ورجح ان الحمصيين انتظموا في سلك من ذكر اعلاه ببعض الاعتدال في الانحراف . اذ روى لوكياغوس اليوناني انه رأى معبداً في القرن الثاني من

آثار الحثيين في الشمال مبنياً على شكل هيكل سليمان . مؤلفاً من دار خارجية وهيكل داخلي مفصول عن باقي المعبد بحجاب كثيف . وعلى جانبيه عمودان مخروطيا الشكل . وفي الدار الخارجية مذبح كبير من النحاس وعلى شماله صورة آلهة . ومن ورائها حوض ماء . فسيح يسبح فيه السمك المقدس . وداخل الهيكل ترس للشمس وبقربه تائيل أخرى معظمها منتصب على اسد او على ظهر ثور (المقتطف ٩٠ : ٢٠٠) .

نعم التفاهم — لا شبهة في ان الامة التي تسود صقلاً ما ، تعمل على نشر لغتها في اوساطه ، ويتلقى الاهلون لغة السائدين بسهولة بعضهم ترفلاً اليهم وبعضهم بغية التفاهم معهم سداً لحاجة . هكذا كان الامر مع الحمصيين الاقدمين يوم سادت القوة الحثية في وسطهم . وقد سبق للحمصيين الاحتكاك بالمصريين ايام غزوة الرعاة . فوجدت في لغة هذه الحقبة كلمات مصرية ظن بعضهم انها نتيجة سيادة اللغة المصرية في هذه المنطقة . لكن المحققين من علماء الفيلولوجيا يرون ان اللغة الحثية هي التي سادت في هذه الحقبة دون تلك . وان الالفاظ المصرية انا دخلت بعد هذه الحقبة .

والذين درسوا ما وجد من الكتابات الحثية رأوا ان القلم الحثي لم يكن استعارياً او مقتبساً من الجوار ، بل هو نشأة حثية صرفة وانه هيروغليفي (مصور) .

والذين ظنوه مقتبساً انا بنوا ظنهم على ان المصري اسبق في الوجود . ولكن هذه الحجة لا تكفي لتأييد هذا المدعى . اذ ليس كل ما هو احدث عهداً مقتبس من القديم . وقد وجد الدارسون ثلاثة فوارق بين القلمين تدل على استقلال كل منهما عن الآخر .

الاول — ان الآثار المصرية المكتوبة وجدت كتابتها مسفورة على الصفحة اما الحثيون فقد كانوا يبرزون حروف الكتابة بطرقهم الصفيحة من خلفها كما وجد ذلك على الصفحة الفضية التي نقش عليها العهدتين رعسيس وخيتاسار .

الثاني — ان الكتابة الحثية تقرأ من اليمين الى اليسار ثم من اليسار الى اليمين في السطر التالي وهكذا على التوالي . وهو الاسلوب الذي اتبعه اليونان

القدماء ويظن المدققون انهم اقتبسوه من الحثيين .
الثالث - ان القلم المصري التصويري كان يرسم الاشكال الحيوانية
كاملة بخلاف الحثي فانه يكتفي برسم الرأس فقط .
هذه الاسباب وما ماثلها جعلت الاستاذ سايس يعتقد أن كلاً من القلمين
المصري والحثي مستقل عن الآخر .

ومن هذا يستدل ان الآداب المصرية زاحمت الحثية في هذه الحقبة في
المنطقة الحمصية واكنها لم تنل السيادة فيها . بدليل وجود عدة امكنة ما برحت
تجمل حتى الآن اسما حثية مثل الشاغور وجسر الشغور وكفر حاتا وتل حتى الخ .

﴿ خلاصة ما تقدم ﴾

عاش الحمصيون نحو اربعة قرون بعد انشاء مدينتهم في رخاء
عيش الا بعض النوازل الطبيعية التي ليس في مقدور الانسان
دفعها . وهذه مدة الحقبة الاولى . ولكن في اواخرها او في طلائع
القرن العشرين انحدرت قبائل حث من جبل امانوس (اللكام)
الى سوريا الشمالية وضربوا خيامهم في الجنوب الغربي من الفرات ،
فاستقل اهالي المنطقة الحمصية - وهم آنئذ اموريون وروثان -
وطأتهم لاول عهدهم بهم . غير ان تعودهم الحياة العملية ، وانصرافهم
عن اعمال الغزو والقتال ، ورؤيتهم كثرة عدد رجال هذه الامة
وما اتوه من شدة البأس ، جنح بهم الى الرضى بمساكنتهم . وما
طال الوقت على مقدم الحثيين حتى تمازج الشعبان واصبعا كأنهما
سلالة واحدة .

وبعدما اقام الحثيون مدة في هذه المنطقة ، اتصل بزعمائهم
حدوث اختلال في السياسة المصرية . وان بعض القبائل المتبدية

وجد منفذاً لحياته فيها . فتألف من مغامريهم عدد ليس بقليل قصدوا الديار المصرية ، واحتلوا قسماً منها . ثم تابعوا الزحف حتى امتلكوا القسم الأكبر من القطر المصري . لاشتغال قادة الرأي فيه ، باختلافات دينية اعطت للزاحفين مجالاً لتوطيد اقدامهم في البلاد نحو اربعة قرون .

ولما طال العهد بهم استثقل المصريون وطأتهم . فشاروا عليهم ونألبت صفوفهم ضد المحتلين . وحصلت بين الفريقين عدة معارك كان الفوز فيها سجالات . واخيراً تم الاتفاق بينهما على ان يخرج « الرعاة » باموالهم ومواشيهم آمنين . فبرحوا البلاد وكان عددهم ٢٤٠ ألفاً بقي قسم منهم في فلسطين والقسم الآخر قصد سوريا الشمالية .

وقد سببت هذه الغزوة الطويلة الأمد المعروفة في التاريخ بغزوة الرعاة ، ضرراً عظيماً للبلاد السورية . لأن المصريين بعدما اتحد زعمائهم ، وتسلم القيادة ملك واحد . اخذوا يقتحمون البلاد السورية لا ليثأروا ممن غزاهم فحسب ، بل ليحولوا دون اعادتهم الكرة على مصر .

فنشبت معارك عديدة بين مصر والشام كان لها اثرها في التاريخ . ومن المعارك المشهورة التي كبدت منطقة حمص اعباءً ثقيلة . معارك توقس الاول والثالث والرابع وساتي الاول ورعمسيس الثاني والثالث . وقام بهذه مشاهير الدول الثلاث المصرية (١٨١١ و ١٩ و ٢٠) التي قامت بعد دول الرعاة الثلاث (١٥ و ١٦ و ١٧) ومن اهم الغزوات حملات توقس الثالث من الدولة ١٨١١ ورعمسيس

الثاني من الدولة الـ ١٩ ورعسيس الثالث من الدولة العشرين .
على ان هجمات المصريين لم تقتصر على الشام بل تخطتها الى
اشور واستمرت هذه الحملات نحو قرن (١٦٦٥ - ١٥٥٩) فان
توتمس الاول فتح بابل . ولما تورد الاشوريون بعد وفاته جدد
توتمس الثالث الفارة عليهم وولى على بابل من وثق به . وظل الامر
فيها للفراعنة الى سنة ١٣١٤ فكانت مدة ولايتهم ٢٤٥ سنة
(المقتطف ٤ : ١٨١) .

وكانت الحرب بين المصريين والشاميين سجالات يكتسب الفوز
تارة لهؤلاء وتارة لاولئك . ومن اهم المعارك التي فشل فيها
الحمزيون بقيادة ملك حمص ، معركة مجدو سنة ١٤٧٩ وتلاها
معركتان انحاز فيها آراميو جبيل الى توتمس الثالث سنة ١٤٧١
وسنة ١٤٦٠ (بلبيل ص ٤٤) .

ومن اهم المعارك التي ربحها الحمزيون بعد تجديد قواهم وضمهم
ما تشعت من القبائل في شمالي سوريا معركة قادس الشهيرة في
ايام رعسيس الكبير التي تتالت فيها الحروب مدة ١٥ سنة اضطر
في نهايتها رعسيس ان يعقد محالفة مع الحثيين وان يقرن بابنة
ملكهم .

وفي اثناء ذلك قدم الى هذه المنطقة الميتانيون من الشمال
الشرقي ، كما قدم اليها من الشمال الغربي الحثيون . وكانت المعارك
المصرية قد انهكت قوى الحثيين . فاستسهل الميتانيون احتلال
قسم من هذه المنطقة واتخذوا قطنه مركزاً لقيادة الفرقة الزاحفة
غير ان الامر لم يطل كثيراً بهم ، لان سوبيلوليوما (سابلت)

الكبير تمكن يدهانه من تقليص ظلم عن البلاد . لانه بعدما
وحد اجزاء سوريا الشمالية ، اخذ يحتل بلادهم شيئاً فشيئاً ، ثم هاجم
قاعدتهم فدمرها . وهياً الى خلفائه ذخيرة عسكرية استطاعوا معها
ان يقاوموا المصريين بقيادة اعظم ملوكهم رمسيس الكبير
(زيسوستريس) .

وتعتبر هذه الحقبة بحق حقبة عسكرية لان الحرب شغلت
الحميين كل هذه المدة فنشأوا نشأة حربية وكان سلاحهم فيها
الحديد بدل البرونز .



على ان الحثيين بعد فشلهم في محاربة
رمسيس الثالث ، اخذوا ينصرفون
نحو الشمال . واتخذوا كركيش قاعدة لهم
فبدأت الحالة في المنطقة الحصينة . وقد
استفاد اهالي المنطقة من وجود الحثيين
فيها ، وحسنت حالتهم الاجتماعية فآثروا
فن البناء والحداثة . وخسن تفاهمهم مع
الحثيين بلغتهم التي مازجها الفاظ مصرية ،
اما ديانتهم فظلت تدور حول محور
عبادة الشمس على انها مالت الى
توحيد المعبود .

تمثال ميتاني وجد بين انقاض قطنة
القديمة (المشرفة) . يظهر من
اعضاء جسمه قبضتان مطبقتان
وقدمان حافيتان وهو جالس على عرش
ملتحف برداء طويل موشى بالفرو

~~~~~



### المللمعون الى هذه الحقبة

من اقدم الآثار القلمية التي وصلت الينا ، سفر ايوب واسفار موسى الخمسة وسفر يشوع . فقد ارسات اشعة من النور ، على نواح كثيرة من غوامض التاريخ . ونلنا منها فوائد جمة لمعرفة اصول وفروع الامم القديمة . التي توطن بعضها في حمص ، في اقدم ازمنة التاريخ . فوجب ان نعرف القراء بكتائبها . وانما نعرض في ما نكتبه الآن الى الوجهة التاريخية دون سواها . ونفي حقها من البحث لانه سبيل قراء التاريخ القديم . وبما ان نفراً من المحققين ذهبوا الى ان يوسف بن يعقوب هو كاتب سفر التكوين او بعبارة اخرى هو واضع المذكرات القديمة التي تناول منها موسى معلوماته السابقة لعصره ، نعطيه الاولوية بالذكر . ويأتي ايوب ثم موسى ثم يشوع بن نون بحسب الترتيب التاريخي .

### (١) يوسف العفيف

( ١٨٦٥ - ١٧٥٥ او ١٧٤٥ - ١٦٣٥ ق م )

يوسف العفيف هو بكر يعقوب من زوجته راحيل . ولد في فدان ارام على اثر استغاثة راحيل بالله لينزع عنها عار العقرية ( تك ٣٠: ٢١ - ٢٤ ) فدعته يوسف الذي ترجمته سيزيد . اعتقاداً منها ان الله سيرزقها ولداً ثانياً . وكان لها ما تمت ( تك ١٧: ٣٥ و ١٨ ) .

كان يوسف محبوباً جداً من ابيه لوداعته وحسن سجايه . غير ان هذه المحبة التي خصه بها ابوه ، جعلته موضع الحسد من اخوته . فلما وجدوا ساحة اعتقلوه وباعوه لقافلة ذاهبة الى مصر . ولتخفيف وقع الجناية على ابيه زعموا ان وحشاً افترسه . فابتاعه في مصر فوطيفار رئيس الشرطة العام وكان برتبة تقابل ميرالاي عندنا . ورأت امرأة فوطيفار جماله الفائق فراودته على نفسه فقابل مباغتها اياه بجفاء الحريص على عفته . فنقمت عليه وشكته الى زوجها زاعمة انه حاول معها . فالتقاء في السجن وظل فيه مدة الى ان ساعدته الظروف ،

فأخرجه فرعون لتفسير احلام اخافته . فاحسن يوسف تأويلها . فوثق به فرعون ،  
ونال مكانة عنده لم ينلها سواه . بحيث صار ثاني فرعون في المالكه . وتزوج  
ابنة كاهن أون ( تك ٤١ : ٤٥ ) . ولما حدثت المجاعة العظيمة حضر اخوة يوسف  
الى مصر ينتارون قمحاً فتعرف اليهم بعد لآي . ثم استقدم اهله كلهم الى  
مصر واجتمع شمل العشيرة فيها .

وكانت هذه الحوادث الغريبة موضع الريبة عند المتسرعين بانكار كل  
ما فيه شيء غير مألوف . ولكن الآثار المصرية جعلت هذه المستغربات قابلة  
التصديق .

فقد ورد في بعضها ما يشبه قصة امرأة فوطيفار . وورد في بعضها ما يشبه  
قصة رئيس السقاة والحجازين . وورد في بعضها ذكر المجاعة التي تداركها يوسف  
بحكمته .

ويرى المحققون ان فرعون يوسف هو احد ملوك دولة الرعاة الاخيرة وان  
اسمه يوفس .

وقبما توفي يوسف اوصى ان يدفن جسده في مدافن اسرته . فدفن بعدئذ  
في شكيم بجانب بئر يعقوب ( تك ٥٠ : ٢٥ ) ثم نقلت رفاته بعدئذ الى  
حبرون حيث ووريت عظامه في مغارة المكفيلة مع اجداده .  
اما سفر التكوين الذي نسبه البعض ليوسف فيتضمن ٥٠ فصلاً وقعت  
في مقدمة وثلاثة اجزاء وخاتمة .

تضمنت المقدمة ما حدث للجدين الاولين آدم وذريته ونوح واولاده  
من ص ١-١١ : ٩ .

والجزء الاول - وطى . له بذكر سلسلة نسب سام ( ١١ : ١٠-٢٦ ) ثم  
ولي ذلك ماجريات ذرية ترح ( ١١ : ٢٧ - ص ١١ : ٢٥ ) .

والجزء الثاني - مهد له بسلسلة نسب اسمعيل بن ابراهيم ( ١١ : ٢٥-١٨ )  
ثم سردت حوادث اسحق وذريته ( ٢٥ : ١٢-٣٥ : ٢٩ ) .

والجزء الثالث - وطى . له بختلاصة عن ذرية عيسو ( ص ٢٦ ) ثم تلا  
ذلك تفصيل ما جرى ليعقوب وارلاده ( ص ٣٧-٤٧ ) .

والخاتمة - اواخر حياة يوسف ووفاته ( ص ٥٠ ) .



وقد استفدنا من سفر التكوين لتاريخ حمص فوائد قيمة عظيمة عن  
الامم القديمة عامة والحثيين منهم .

### اعتراضات على سفر التكوين

الذين يلذهم الموقف السلبي لم يصدقوا ان سفر التكوين من مرويات  
موسى او يوسف وأوردوا اعتراضاتهم بالشكل التالي :

( ١ ) انه لم يكن في ذلك العصر قرطاس ولا رق ولا حروف هجا .  
( ٢ ) ان الطوفان خرافة لا تصدق لان الموجود من الماء في الارض لا يكفي  
لتغطية الكرة كلها .

( ٣ ) ان هيرودوت صرح ان مصر لم تنبت الكرمة فكيف وجدرئيس سقاة .  
( ٤ ) ان بين آدم وموسى قرون متطاولة تجعل الوثوق بروايته متعذراً .  
واجاب المحققون على هذه الاعتراضات بما نوجزه في ما يلي :

على الاول - ان هذا الاعتراض كانت له قيمة قبل اكتشاف الآثار  
الاشورية التي امتدت بقدماها الى اربعين قرناً قبل المسيح وهي اقدم من موسى  
بزمان كثير فلا يتعذر على موسى او يوسف ما سهل على اولئك .  
وعلى الثاني - ان الطوفان لم يكن عاماً بل خاصاً بالارض التي سكنها  
الانسان الاول وهو ليس بمستحيل او متعذر .

وعلى الثالث - ان هيرودوت نفسه ذكر في موضع آخر تفاخر اهل تيمية  
بوجود الكرمة عندهم . فقله الاول اذن خاص لا عام . على ان وجود رئيس  
السقاة لا يستلزم وجود الكرمة اذ يمكن جلب المشروب من صقع آخر .

وعلى الرابع - ان رواية عن ثلاثة اشخاص صادقين فوق الكفاية  
لتصديقها . فكيف بها اذا كانوا شهوداً عيانين واخذوها كابرأ عن كابر؟ ومتى  
ذكر المعارض طول اعمار الاقدمين لا يبقى ثمة موجب للاعتراض . فان متوشالخ  
عاصر آدم ٢٤٣ سنة . وسام عاصر متوشالخ ٩٨ سنة . واسحق عاصر سام ٥٠  
سنة . فلا يتعذر على يوسف اخذ معلومات يقينية عن جده اسحق وقد عاصره  
نحو ثلاثين سنة .

وهذا يجعل مرويّات سفر التكوين ادق واضبط كل المرويّات التاريخية .  
وهذا انما نقوله من الوجهة العلمية التاريخية بقطع النظر عن انه سفر موحى  
به لانا وان كنا من رجال الدين نوجه بحثنا في كتاب تاريخي الى الهدف  
العلمي مجرداً .

## ( ٢ ) ايوب الصديق

( ١٩٢٥-١٦٧٧ او ١٦٦١-١٥٢١ ق م )

هو ابن زارح وبسورة خامس متسلسل من ابراهيم اشتهر بالاستقامة  
والتقوى . وضرب به المثل بالصبر . قيل انه عوض بكر ناحور اخي ابراهيم  
وقيل انه يوباب بن حفيد عيسو . وايد هؤلاء قولهم بما ورد عن نسبة اصحابه  
فان بلاد من ولد شوح بن ابراهيم . واليفاز من ذرية تيان بن عيسو . واليهو  
من اعقاب يوز بن ناحور اخي ابراهيم . على ان هذا استنتاج ليس الا .  
كان ايوب رجلاً غنياً بالعقار والماشية واميراً في قومه . واملاكه واقعة  
بين البحر الميت وسعير او بين ادوم والصحراء العربية . فهي في مواضع خصبة  
التربة كثيرة المياه . ومن معرفة رفاقه يستدل انه كان مجاوراً الادوميين والعرب .  
عاش ايوب قبل الشريعة الموسوية وكان يعبد الآله الحقيقي . وقد اشير  
اليه في التوراة (مز ١٤ وحز ١٤) والانجيل (يع ١١: ٥) والقرآن (ص ٤١: ٣٨-٤٥) .  
اما زمان وجوده فقد اختلف فيه المحققون فزعم هاليس انه سبق ولادة  
ابراهيم بثنة سنة ورجحه البستاني ( ٨٠٤: ٤ ) ورأى أشر ان زمنه كان قبل  
الخروج بنحو ٣٠ سنة ورجحه بوست ( ١٨٩: ١ ) .

اما سفر ايوب فقد اتفقت كلمة الكتابيين او كادت على انه اقدم  
اسفار العهد القديم . وشذ عنهم نفر من المتحذلقين . اذ رأى بعضهم مماثلة بين سفره  
وسفر اشعيا فنسبوه له . مع ان تشابه الانشاء لا يستلزم وحدة المنشئين . في  
حين ان البون واسع بين مضامين السفرين .

وذهب بعض الشراح الى ان مؤلفه موسى . ولكن خلو السفر من ذكر  
الحوادث الهامة في ايام موسى كشق البحر الاحمر مثلاً ، يدل على انه اقدم



عهداً منه . فلم يبق اذاً الا القول المتفق عليه وهو ان المؤلف هو ايوب نفسه  
اذ لا يستطيع ان يحفظ سلسلة المحاورات التي دارت بينه وبين اصحابه الثلاثة  
سواه . وان هذا السفر وقع بيد موسى عندما كان عند حميه يثرون مدة اربعين  
سنة . فوطأ له بذكر ترجمة ايوب وما اصابه من المحن . ثم ذيله ببيان ما كان  
من آخرة ايوب ووفاته دون ان يس شيئاً من تبطئه الذي حفظ فيه نفسه الخاص  
ان هذا السفر قد اغرغ في قالب بلاغة رائعة . وهو عبارة عن قصائد  
متسلسلة بلغة عبرانية لا تشوبها شائبة . وفيه من دقيق المعاني ما يبلغ درجة  
الاعجاز . ويشف عن علم سام بالفنون والمعارف ولاسيا التاريخ الطبيعي .  
ويلقي في روع مطالعه حب الفضيلة ومقت الرذيلة . مشرباً اياه معرفة الآله  
الواحد والاستسلام لمشيئته .

على ان ما وجد فيه من ضروب البيان العربي ، جعل الكثيرين يظنون  
انه ألف بالعربية . لكن هذا القول ليس بثبت . والواقع ان المؤلف كان يحسن  
اللغتين العبرانية والعربية لخاططة الامتين . فلم يتعذر عليه استعارة بعض ضروب  
البيان لتأدية المراد الذي تقصر عنه العبرية .

ومن اهم ما اورد في ايوب مما له صلة بتاريخ حمص . ذكره الجبارة «رافائيم»  
( تك ٥: ٢٦ ) وقد وردت هذه اللفظة في عدة مواضع من العهد القديم بمعنى  
الجبارة العظام ، وترجمها الاميركان بلفظ الاخيلة ( تك ٥: ١٤ و ٢٠: ١٥ و مز ١١: ٨٧  
وام ١٨: ٢ و ١٨: ٩ و ١٦: ٢١ و اش ٩: ١٤ و ١٤: ١٦ و ٢٩ ) مما يؤكد وجودهم  
في العصر الذي انشئت فيه حمص .

### ( ٣ ) موسى بن عهرا

( ١٦٨٩-١٥٦٩ او ١٥٧١-١٤٥١ ق م )

ولد موسى ابان النكبة الشديدة التي ألمت بالاسرائيليين ، اذ امر فرعون  
بقتل الذكور من المواليد وابقاء الاناث . وهو ثالث الاخوين مريم وهرون اولاد  
عهرا بن قهاث بن لاوي من زوجته يوكابد بنت لاوي . نجاته امه ثلاثة  
اشهر . ولكنها خشيت الفتنة فوضعت في سبط من البردي مطلي بالحر والزفت

والقته في النيل . ووقفت امه من بعيد تنتظر النهاية . وصدف ان ابنة فرعون  
نزلت الى النهر لتغتسل فالتقطت السفط ورأت فيه الطفل الجميل يبكي فأرادت  
استبقاءه مع معرفتها انه من اولاد العبرانيين . واستحضرت بواسطة صريم ، امه  
لارضاعه . غير عالة انها نفس والدته . فارضته ولما كبر احضرته الى ابنة فرعون  
فكان لها ابناً .

نشأ موسى وترعرع في بلاط الفراعنة . ونشأ على يد اهر المعلمين في  
كل علوم مصر وفنونها . فحصل قسطاً وافراً من الحكمة والتفنن اسرار الرئاسة  
كأها . وعرفه الناس ابن بنت فرعون . ولو بقي في مصر لنال اعظم منصب فيها .  
ولكن سبق له ان عرف انه اسراييلي فسعى جهده لانقاذ قومه من ذل  
العبودية . وقضى في الاستعداد لذلك اربعين سنة ولما باشر عمله كان في الثمانين من  
عمره فتسكن بعد جهد عظيم من اخراج الاسرائيليين من مصر بساعد رفيع .  
وتعب في السيرة مع قومه كثيراً فكتب لهم الشرائع الضرورية لاجل  
تثقيفهم بعد عبودية طويلة . وقد وعت ما كتبه اسفاره الخمسة . ثم رقد وله من  
العمر ١٢٠ سنة .

### موسى ازاء الجاحدين

لم يكن قبل عصر الشك من ارتاب بحقيقة وجود موسى . ولكن القرن  
السابع عشر الذي أثار الشك بكل ما هو قديم ، جعل بعضهم ينكر وجوده  
والبعض الآخر يهزأ بشخصيته زاعماً انه كاذب ، غير ان هذا التهور وقف بعد ذلك  
عند حد ، وحسبك ان رهطاً ممن عاصروا قرن اليهود بل كانوا من اركانهم ، قد  
انصفوا الرجل . ورفعوا عنه التهم التي لا تليق . وشتموا من هؤلاء رجلاً لا يجد  
المستسلمون الى الشك وسيلة لرد قوله .

قال جان جاك روسو في كتابة العقد الاجتماعي : القانون الموسوي الباقي الى  
الآن ، يدل على عظمة الرجل الذي املاه . واذا كانت الفلسفة المطرمة وروح  
التعصب الاعمى ، جعلت البعض يعتبر ان موسى كاذب سعيد الطالع ، فان السياسة  
الحقة تعجب بالنظم التي سنتها تلك الروح القديمة . وهي لا تزال حية بشرائعه  
الحالدة اه ( دائرة وجدي ٩ : ٥٥٥ ) .



## الاسفار الخمسة لموسى حقيقة

وليس من الانصاف ان نمر بما ذكر دون ان نذكر مستندات الزاعمين ان هذه الاسفار كتبت بعد موسى بزمان طويل .

- (١) ذكر في آخرها نبأ وفاة موسى والمرء لا يستطيع كتابة وفاته .
- (٢) لم يشر اليها في المزامير واسفار سليمان .
- (٣) اسماء اسفارها مأخوذة عن السبعينية .
- (٤) الكاتب يذكر اسم موسى بضمير الغائب .
- (٥) يمدح الكاتب موسى كثيراً .
- (٦) لغتها تشابه لغة سائر اسفار العهد القديم .

واليك الجواب الموجز جداً على ما ذكره بغية التحقيق :

(١) ان الاصحاح الـ ٣٤ من سفر التثنية كتبه يشوع ليكون مقدمة لسفره فلما ضمت اسفار العهد القديم كلها في مجلد استحسن ان يختم به سفر التثنية اتماماً لما جرى لموسى .

(٢) ان اسفار موسى ذكرت في كل الاسفار بتفصيل ولاسيا التاريخية منها ولم ينزل منها سقراً المزامير والامثال مع انها ادعية وحكم (انظر مز ٧٨ و ٩٥ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١١ و ٢٠ و ٢٢) .

(٣) ان العبرانيين سموا كلاً من الاسفار الخمسة باول لفظ ورد فيه ، وعلى منوالهم دعا المسيحيون دستور الايمان « اومن » والصلاة الربية « ابانا » ودعا المسلمون سورة الملك والنبأ « تبارك » و « عم » اما السبعون فقد اختاروا للاسفار اسماء تدل على مضمونها وهذا كما لا يخفى لا صلة له بجوهر الموضوع اذ يستطيع الانسان الاستغناء عنها وتبقى الاسفار كما هي :

(٤) ان العارفين باللغة العبرانية رأوا بين الاسفار الخمسة وسائر الاسفار الفروق التالية .

لو بلغ المعتز الغاية بالبحث لما ظهر ما ابداء .

(١) فان كاتب ختام سفر التثنية انا هو يشوع لا موسى .

(٢) ان اسفار التوراة ذكرت مراراً كثيرة جداً في كل اسفار العهد القديم بدون استثناء المزامير والامثال .

(٣) وان الاسماء لا صلة لها بجوهر الموضوع .

(٤) وان تعبير المؤلف عن نفسه بضمير الغائب كما فعل زينوفون وقيصر ويوسيفوس وسواهم لا يثبت انه المؤلف .

(٥) وان موسى في كل ما اتاه من الاعمال المجيدة لم يمدح نفسه في اسفاره بل بالعكس كثيراً ما ذكر هفواته . وانما ذكر في سفر الخروج (١١: ٤) اعظام المصريين اياه ، وفي سفر العدد (١٢: ٣) حاسه ، على سبيل بيان الواقع ليفهم القارىء كيف سهل اخراج الاسرائيليين من مصر في الاولى . وكيف صبر على تحمل اخويه عليه ، وهاتان هما المرتتان الوحيدتان اللتان ورد فيهما ما يشعر بمدحه ولم يكن المدح مراده بل مجرد بيان تعليل ما حدث .

(٦) اما الزعم بان لغة الاسفار الخمسة لا تختلف عن لغة سائر الاسفار فهو من اوضح الادلة على عدم تحري المعارض ما ابداه فقد ذكر المتبحرون في معرفة اللغة العبرانية من الفروق بين طائفتي الاسفار الاولى والاخيرة مايلي :

(١) ورود ضمير المذكور الغائب للمؤنث في ١٩٥ آية من اسفار موسى .

(٢) استعمال مؤلفها لفظ «نعر» العبراني ومعناه الشاب في ٢١ آية للشابة .

(٣) ربط الموصوف الاول بالثاني بحرف اليود .

(٤) انتهاء فعل الامر فيها بحرف النون .

(٥) صيغة المصدر فيها غير صيغته في باقي الاسفار .

(٦) وجود الفاظ وعبارات فيها لا توجد في سواها .

(٧) خلوها من الالفاظ الاجنبية سوى المصرية .

كل ما ذكر وما لم يذكر اختصاراً يدل على ان الاعتراضات ضد نسبة الاسفار الخمسة الى موسى فائلة . فضلاً عن انها واهية ولو كان التحقيق رائد المعارضين لاروا في كل صفحة من صفحاتها دليلاً على صحة هذه النسبة . اذ لا يستطيع ان يكتب ما ورد فيها ، الا من عاين وشهد الوقائع المذكورة فيها بالنظر لدقة ما ذكر من الاماكن والازمنة والشرائع . وفيها شؤون كثيرة



تستأزم ان يكون الكتّاب من احكموا تاريخ المصريين ، ومن عرف الأمم المجاورة التي مرّ بها العبرانيون وهم يقصدون ارض كنعان ، وكل هذا لا تتسنى معرفته لكتّاب جاء بعد موسى او في عصر سليمان . وحسب القارى . قضاء ان مانيتون المصري وهكاتولس الابديري ذكر ما ذكره موسى بدون ان يكون لهما صلة به . ومثل ذلك قال اربطبان وشبريمون واوبوليموس وتلثيت وسواهم من قدماء المؤرخين الذين خالفوه في مبدأه ، ووافقوه في ما رواه (تفسير الخروج ٢٩٢) .

#### ( ٤ ) يشوع بن نون

( ١٦٥٤ - ١٥٤٤ او ١٥٣٦ - ١٤٢٦ ق م )

يشوع بن نون رجل افرايى الاصل . قضى زمن حياته في خدمة موسى . ولازمه ملازمة ظله ( حز ١١: ٣٣ وعد ٢٨: ١١ ) وفي ايام معلمه ظهرت نجابته في عدة مواقف .

فقد كلفه موسى بمحاربة العمالة ففاز عليهم . مع ان الجيش الذي قاده لم يكن ممن تدرب على الحرب . وكان عمره آنئذ ٤٥ سنة . واختاره موسى لمراقبته الى الجبل وقد صعد معه الى القمة وحده دون سائر من رافقوه .

وكان احد الاثني عشر رائداً لارض كنعان . وانفرد مع كالب بتشجيع الاسرائيليين دون العشرة الباقين الذين جبنوا وثبطوا عزائم الشعب . لذلك لما شعر موسى بدنو اجله عينه قائداً للعبرانيين وعمره آنئذ ٨٥ سنة . لانه كان حائزاً جميع الصفات التي تؤهله للقيادة .

ان كثيرين ينفعون في الوظائف الصغيرة فاذا ارتقوا فقدوا مزاياهم الاولى . وخابت الآمال بهم . اما يشوع فقد قضى السنوات العديدة في خدمة معلمه فكان مثال الطاعة والامانة والشجاعة ، فلما توفي معلمه الذي كان يسترشده رأى نفسه في موقف حرج والعبرانيون على ابواب كنعان وامامه معارك هامة فاسترشد ضميره المتعلق برب موسى . فشجعه من استند الى قوته اولاً ، وطاعة الشعب له ثانياً ، ففاز بكل ما امل . اذ اجتاز الاردن وحارب الكنعانيين مدة

ست سنوات فغلبهم واستولى على بلادهم وقسم الارض بالعدل على الاسباط وكان عدد الامم التي خضد شوكتها ستاً والملوك ٣١ .

وبعدما انتهى عمله العظيم شعر بدنو اجله فجمع الشعب حوله وخاطبهم بما يؤول لخيرهم ، مرضاً اياهم على طاعة الله . ثم مات وهو ابن ١١٠ سنوات تاركاً من آثاره القلمية السفر الذي يحمل اسمه من اسفار العهد القديم ، وهو مقسوم الى ثلاثة اقسام .

الاول - من ص ١-١١ وفيه خبر الاستيلاء على ارض كنعان .

الثاني - من ص ١٢-٢٢ وفيه تخطيط البلاد وقسمتها .

الثالث - نصائح للشعب بتجديد العهد لله ثم اختتام السفر بذكر نهاية ايام يشوع التي ضمها الى السفر كاتب القضاة .

وقد ارتاب بعضهم بصحة هذه النسبة كما ارتابوا بنسبة اسفار موسى ، وادلة هؤلاء . ليست باقوى من تلك ، فلا حاجة لاضاعة الوقت بذكرها وبيان وجوه ضعفها ، وحسب القارى . قناعة بصحة هذه النسبة ، انه لا يمكن وجود شخص غير يشوع يستطيع ان يروي الحوادث التي كتبها بالضبط والترتيب الذي ورد فيها . ومن طالع ما اورده المؤلف من كلام كالب ( ١٤: ٦-١٢ ) وفتحاس ( ٢٣: ١٣-٢٠ ) وحديث يشوع ( ص ٢٣ و ٢٤ ) يجزم بدون تردد بان الكاتب انا هو يشوع ، اذ لا يستطيع سواه ايراد ما ذكره بهذا الضبط والدقة .

هذا فضلاً عن ان الكتاب ذكر ان يشوع كتب الكلام وضمه الى سفر شريعة الرب . ووجود حرف العطف في اول السفر يدل على ان كاتب الاصحاح الاخير من التثنية هو نفسه كاتب هذا السفر . وبما ان كاتب الاصحاح الموما اليه هو يشوع فالسفر اذن بلا بد تأليفه .

واستفاداتنا من هذا السفر لتاريخ حمص كثيرة يشار الى كل منها في موضعه .





## الحقبة الثالثة

حمص

في ايام الفينيقيين والعبرانيين والاراميين

سنة ١٢٢٥ - ٧٤٠ ق م

كما مهدنا في الحقبة السابقة لحداث هذه المنطقة بتعريف الشعوب الذين لهم صلة تاريخية بها كالمصريين والحثيين والميتانيين . يجدر بنا ان نذكر لمحة عن كل من الامم القديمة التي لها صلة بهذه المنطقة في هذه الحقبة .

### اولاً - الفينيقيون

فينيقية قطعة مستطيلة من البلاد الشامية تمتد من الكرمل جنوباً الى ارواد شمالاً ، ومن البحر غرباً الى مرتفعات لبنان شرقاً . ويبلغ طولها نحو ١٢٠ ميلاً ويختلف عرضها من ٢٠ ميلاً الى اقل من نصف ميل . ويكاد يكون هذا التجديد نفس تحديد بطليموس الجغرافي القديم .

وتقسم فينيقية الى قسمين البحرية وتضمن مدن سوريا الساحلية . واللبنانية وتمتد من دمشق الى بعلبك فتدور ، وتتضمن مدن سوريا الداخلية التي من امهاتها مدينة حمص كما يدل على ذلك منطوق الفيمي الكنسية الذي ما برح مستعملاً حتى الآن .

وفي تسمية هذه البقعة فينيقية اقوال . من اشهرها القول انها تسمية يونانية الاصل اطلقها عليها اليونان لكثرة النخل فيها ، وكانت قبل سيطرة اليونان عليها تدعى بلاد كنعان ، وقد ذكرت في العهد الجديد اربع مرات .

ويرجع الفينيقيون اصلهم الى الارومة السامية . ويرجع المؤصلون ان مواطنهم الاصلية كانت في سواحل خليج العجم ، نزّلوا منه في جزائر البحرين وما جاورها ثم هاجروا الى ساحل المتوسط قبل المسيح بنحو ٢٣ قرناً وانشأوا حيث حاووا عدة مدائن من اقدمها صيدا وارواد وصور وطرابلس .

ووجودهم على السواحل انشأ فيهم الميل الى الملاحة فتعاطوها وتفوقوا فيها ، وتعددت رحلاتهم التجارية بالبحر ، فانشأوا عدة مستعمرات منها قبرص ورودس وثاسوس . واقاموا عدة انزال في نوبيديا ( الجزائر ) وموريطانيا ( فاس ) وقادس ( في اسبانيا ) ولم ينقض قرن من إعمارهم قادس ، حتي تولوا اخصب البقاع واغناها في اسبانيا وهي التي عرفت بالاندلس . وبقيت لغتهم مستعملة فيها الى زمن الرومان . اما في سوريا وما بين النهرين فاتخذوا اهم المجاري النهرية مباءة لهم ، فعلى العاصي حمص وحماة ، وعلى الفرات من جهة تدمر تبسك ، وبقرب دجلة نصيبين .

وشان الفينيقيين انقسامهم الى عدة ممالك كانت صلة الواحدة بالآخرى ضعيفة جداً لضعف الروح القومية في تنظيمها . اذ كانت بعض العشائر تنضم فتؤلف دولة تسلم قيادتها الى زعيم المدينة الكبرى . فتعددت ملوكها بتعدد المدن الكبرى فيها . وكان ملوك سوريا في بادى الامر مرتاحين كل مدة وجود الهكسوس ( الرعاة ) في مصر . وكثيراً ما كانوا يلوذون بهم عند النوازل للصلة الجنسية بينهم . ولكن لما اخرج المصريون الرعاة ، سعى ملوك مصر لاذلالهم حتى لا يطمعوا ثانية باقتحام مصر . فاضحت سوريا ميداناً للقتال وانقسم الفينيقيون الى قسمين قسم يؤيد مصر وهم اهل صور واخوانهم الاراميون اهل جبيل . وقسم يؤيد الحثيين وهم اهل صيدا وارواد . وطالت الحرب بين مصر وسوريا وكانت سجالات بينهما . فوقفت حركة التجارة ووهنت القوى وظلت الحالة كذلك مدة خمسة قرون في ايام الدول المصرية الثلاث ١٨ و ١٩ و ٢٠ .

في اواسط القرن الخامس عشر دخل الاسرائيليون ارض كنعان بقيادة يشوع بن نون وقضوا على سيطرة ساكنيها . فترح هؤلاء الى جهات شتى بعضهم الى اليونان وهم جالية قدموس وبعضهم الى المغرب حيث نشأت قرطاجنة . وفي القرن الثالث عشر قم قدم الفلسطينيون الى هذه البلاد من جزر



بحر الروم وحاولوا في بادىء الامر الاستيلاء على مصر فصدّهم عنها رمسيس الثاني ( ١٢٨٨-١٢٥٦ ) فسكنوا الارض الواقعة بين مصر وسوريا حيث غزة واشدود وعسقلان وجت وعقرون . ولم يمر عليه اكثر من قرن حتى اشتد ساعدهم فضايقوا بني اسرائيل نحواً من نصف قرن ثم سيروا اسطولاً وباغتوا صيدا ففتحوها وابسلوا اهلها وقضوا على سؤددها .

غير ان الاسرائيليين خضدوا شوكة الفلسطينيين في ايام داود ( ٢ ص ٧:٥ الخ ) فعنوا لسيطرة اسرائيل كل مدة ملك سليمان ( ١ مل ٢١:٤ و ٢٤ ) فارتاح الى ذلك الفينيقيون . ولما خلت مياه البحر المتوسط من السفن المصرية اغتم الفينيقيون هذه الساحة واحتلوا المدن الساحلية فاصبحوا ملاحين ماهرين ، وراجت تجارتهم في جميع الارزاء التي توجهوا اليها . واكتشفوا الجهة الغربية من البحر المتوسط حيث اسسوا قرطاجنة التي صارت اهم بقعة تجارية وظلوا ثلاثة قرون ( ١٠٠٠-٧٠٠ ) اعظم تجار البحر المتوسط ، وصاروا الصانع الفنين لعالم واسع الاطراف يمتد من نينوى شرقاً الى اليونان غرباً . واهم ما حفظه الغرب لهم من الفضل نقلهم الحروف عنهم ( براسد عدد ٥٠٠-٤٠٩ ) . ولكن زمن راحتهم لم يطل اذ هاجم البلاد الاشوريون بقيادة تيربال سنة ٨٧٦ فاستسلم له الفينيقيون وأدوا الجزية .

وتتالت المحن على فينيقية بعد ذلك فقزاها تغلت فلاسر سنة ٧٤١ وتلاه اسرحدون الذي تزع سلطة صور عن فينيقية .

واخيراً جاء نبوخذ نصر سنة ( ٥ ) فحاصر صور ١٣ سنة ثم سلمت له بشروط وجاء كورش الفارسي ففتح فينيقية كلها وبها اسم مملكة صيدا من الوجود .

ولما قام اسكندر المقدوني حارب الفرس وانتصر عليهم ودخل سوريا فضرب صور ضربة قاضية سنة ٣٣٢ بعد حصار سبعة اشهر منتقاً من الفينيقيين لمعاونتهم الفرس على اليونان ، فرحل منهم كثيرون الى افريقيا حيث نشأت قرطاجنة ( ٨٤٦-١٤٥ ق م ) التي نازعت رومة السيادة مدة ليست بقصيرة . ولكن تقاعس الفينيقيين عن انجاد هنيئال بالذخائر لتفرق كلمتهم وطموح افرادهم الى السيادة ، جعله يخفق بعد نصرات متوالية . وادى ذلك الى تفرقهم شذر مذر ، وخضوعهم بعد ذلك الى امم شتى في بلادهم . مستسلمين الخضوع الاجئين عن الانصياع لابن

جلدتهم . فسادهم في بلادهم اليونان والرومان والعرب والممالك والاتراك وسواهم .  
حتى قال احدهم في ذلك : « ان طموحهم عن غير استعداد له اضاع استقلالهم »  
فانهم نشأوا وفيهم ميل للحرية المتطرفة جعل كل جماعة تسعى الى الانفصال  
عن الاخرى . فتؤلف قوة مستقلة وتشيد مدينة منيعة في نقطة معينة تحيطها  
بسور حصين ويرثسها احد الناهضين . فكثرت فيهم الممالك على قلة عددهم  
وضيق مساحة بلادهم فاضعت هذه التفرقة وحدتهم حتى طمع فيهم كل طموح .  
وما زالت هذه الصفة من ميقاتهم وسبب تفرقهم تحت كل كوكب ( براستد )  
واعلم ان من اعظم مدائن الفينيقيين صيدا وصور ظلت الاولى متفوقة  
الى ان اسقطها الفلسطينيون في القرن الثاني عشر فاخذت محلها صور وبلغت  
ذروة مجدها في اوائل القرن الثاني عشر وبقيت كذلك الى آخر القرن السادس ،  
وقد عني المؤرخون بتدوين حوادثها ولا سيما ميناندر الذي وضع لها تاريخاً  
خاصاً الى آخر القرن التاسع وفي ما يأتي جدول باسماء ملوكها عن لاثومان وبورترة :

|          |                        |
|----------|------------------------|
| ١١٠٠ ق م | حيرام الاول            |
|          | ابيعل كان في ايام داود |
| ١٠٢٥     | حيرام الثاني           |
| ٩٩١      | بعل عازار              |
| ٩٨٤      | عبد عشروت              |
| ٠٠٠      | شم وليه عدة مقتصبين    |
| ٩٤١      | ايتو بعل               |
| ٩٠٩      | بعل عازار الثاني       |
| ٩٠٣      | ماتان                  |
| ٨٧١      | بيكاليون               |
| ٨٢٤      | حيرام الثالث           |
| ٧٣٠      | موتون الاول            |
| ٧٣٠      | إلولا                  |
| ٧٠٤      | ايتو بعل الثاني        |



|     |                |
|-----|----------------|
| ٦٧٠ | بعل            |
| ٦٥٠ | بلك            |
| ٥٩٠ | ايتوبعل الثالث |
| ٥٧٤ | بعل الثاني     |
| ٥٦٣ | قضاة           |
| ٥٥٦ | بعل لاتور      |
| ٥٥٥ | مور بعل        |
| ٥٥١ | حيرام الرابع   |
| ٥٣١ | موتون الثاني   |

ومن بعد هذا التاريخ أصبحت فينيقية ولاية سورية خاضعة للفرس .

### ثانياً - العبرانيون

يبدأ تاريخ العبرانيين بهجرة ابراهيم الخليل في القرن الحادي والعشرين قم من اور الكلدانيين الى غربي الفرات فمصر وسوريا الجنوبية حيث مات في حبرون .

وكان لابراهيم عدة اولاد لم يلزمه منهم سوى اسحق . اما اسمعيل فانه سكن في بلاد العرب ومنه القبائل المستعربة ، وخلف اسحق عيسو ويعقوب فجلا عيسو وحل يعقوب محل ابيه ولقب اسرائيل واليه ينتسب الاسرائيليون ونسل يعقوب اثني عشر ولداً هم اسباط اسرائيل .

وكان يوسف اخب اخوته الى ابيه فحسده اخوته وباعوه لقافلة اسميلية كانت تؤم مصر للتجارة فجرت له في مصر شؤون ذات بال اختصه في نهايتها فرعون بنفسه لما رآه من نباهته ، فاعطاه المحل الاول بعده وفوض اليه تدابير الدولة . فاستقدم يوسف اليه اياه واخوته واولادهم . فأتوا وعاشوا مدة حياة يوسف ناعمين . فلما توفي وقام في مصر ملك آخر لم يكن يعرف قيمته ، عامل الاسرائيليين معاملة قاسية اذ اضطروهم ان يبنوا له الصروح الضخمة والمدن

الكبيرة، ويظن معظم المحققين ان هذا الملك هو رعمسيس الكبير بدليل ان احدى المدينتين الكبيرتين اللتين بناهما له الاسرائيليون اسمها رعمسيس . وفي اثناء اشتداد المظالم ولد موسى وطرحته امه في النهر تفادياً من الاوامر الجائرة الفرعونية القاضية بقتل كل مولود ذكر للاسرائيليين . فسخر الله له ابنة فرعون فانتشلتها من الماء واحسنت تربيته . فنشأ مصري التربية اسراييلي الميل ، اذ تولت ارضاعه بالاجرة والدته نفسها . وابنة فرعون تجهل انها امه . فلما بلغ اشدّه اخذ يهتم برفع الضغط عن امته . وظل ذلك دأبه حتى تمكن اخيراً من اخراجهم من مصر بيد قوية وساعد رفيع . في ايام منفطاً بن رعمسيس . ولكن الاسرائيليين الذين انتقلوا فوراً من الاستعباد الى الحرية ، مالوا الى الفوضى . فاعتنوا موسى في البرية بطلبات لا مسوغ لها . فأتاهم الله في البرية اربعين سنة ، فيها انقرض الجيل الذي اساء فهم الحرية . وتمكن اولاده من دخول ارض كنعان بعد تنظيم صفوفهم .

ويرى فلاسفة المؤرخين ان الحروب التي نشبت بين المصريين والحثيين ابان تقرب الاسرائيليين في مصر . سهلت لهم الخروج من مصر اذ انهكت قوى المصريين والحثيين معاً . فرضي الاولون بدراهم البلاد ، ولم يمانع الآخرون بدخولهم فلسطين . كما ان تيه الاسرائيليين في البرية اربعين سنة سهل عليهم دخول فلسطين اذ قضى على الفوضى في مدة السنين الاربعين ونشأ جيل منظم يصلح لاقتحام بلاد جديدة .

مات موسى الوطني الكبير الذي لا ينسى العبرانيون بطوالتهم امد الدهر في البرية . وخافه تلميذه يشوع فقاد الشعب الاسراييلي وفتح ارض كنعان بعد حروب شديدة ثم قسمها على الاسباط الاثني عشر .

فلما مات يشوع والشيوخ معاصروه سادت الفوضى بين العبرانيين . وثار الحروب بينهم وبين جيرانهم الفينيقيين من جهة ، والفلسطينيين من جهة اخرى وزاد في ضعفهم استقلال كل سبط في ارضه وعدم وجود رابطة اتحاد وثقى فيما بين الاسباط تجمع كلمتهم . غير ان تألمهم من الضعف الناتج من هذه الحالة اوجد فيهم افراداً جمعوا كلمة الشعب ووجدوا مقاصده للنجاة من الاخطار التي كانت تهددهم . وهؤلاء النوابغ هم القضاة الذين ساسوا الامة الاسراييلية



بنوع من الاتحاد الجمهوري ومن أهم هؤلاء الحكام : اهود البنياميني وباراق  
النفثالي وجدعون المنسوي ويفتاح الجلعاوي وشمشون الجيار الداني وعالي اللاوي .  
ولما انتقضى عصر القضاة تحولت الاحكام الى الشكل الملكي . وكان  
اول من تسلم عرش الملك زعيم مشهور اسمه شاول البنياميني . عنوا لسلطانه  
سنة ١٠٩٥ ولكن لما حدثت حرب بينه وبين الفلسطينيين دارت الدائرة عليه  
فانتحى . وقام بعده رجل باسل اسمه داود بن يسي البتلحمي الذي سبق له ان  
عاش في ايام شاول شريداً . لان هذا حسد بطولته فهدر دمه فلما مات شاول  
سنة ١٠٥٥ انضوى قومه الجنوبيون الى لوائه فظهر حنكة وبأساً في الحروب  
عقد له الفوز في عدة معارك . فأنحاز اليه الشمال الغني واتسع نطاق مملكته  
بفوزه على الفلسطينيين . وما برح العبرانيون يذكرون اعماله الحربية العظيمة  
كقائد ويتغنون بتزاميره التي بلغت فيها شاعريته اعلى درجة من رقة العاطفة  
وبلاغة القول .

فلما مات داود سنة ١٠١٥ خلفه ابنه سليمان الذي كان نظير حمورابي  
زعيم الحركة المدنية في الشرق . فتاجر بالحيل ثم انشأ اسطولاً بحرياً بالاشتراك مع  
حيرام ملك فينيقية ومكنه غناه من مصاهرة ملك مصر . وانشأ في اورشليم  
هيكلًا فخماً اتانته على بنائه صديقه حيرام . غير ان علو الجاه وعزة الملك  
استنزمت نفقات طائلة نالت بحمل عبثها كواهل الامة . فلما مات سنة ٩٧٥  
وتسلم العرش ابنه وجعاج انسلخ الشماليون بقيادة بريعام احد موظفي سليمان .  
وانقسمت المملكة الى قسمين شمالي وعاصمته السامرة وجنوبي وعاصمته اورشليم .  
وانقاد للدولة الشمالية تسعة اسباط اما القسم الجنوبي فلم يبق له سوى سبطين  
وعرفت دولة الشمال بالمملكة الاسرائيلية والجنوبية بمملكة يهوذا .

ان انقسام العبرانيين كان نتيجة طبيعية لشغفهم بالمنازعات الاهلية التي  
انذرهم بوخيم عاقبتها عاموس النبي . ولكنهم لم يرتدعوا وتابعوا تحزباتهم .  
فطمع بهم ملك اشور وأتى فدوخ اولاً دمشق لانها كانت الحاجز بينه وبينهم  
ثم زحف على السامرة فاحتلها عنوة وجلا الكثيرين من اهلها الى بلادهم . فلما  
سقطت دولة الشمال اتجهت افكار العبرانيين الى مملكة الجنوب التي ناضلت  
عن كيانها نحو قرن وربع . وفرح اليهود حينما خربت نينوى سنة ٦١٢ ظناً

منهم ان سقوطها يعيد لهم حريتهم ، ولكن جاء الامر على غير ما أملوا . لانهم انتقلوا من استعمار الى استعمار آخر . اذ جاء نبوخذنصر وانزل بهم القضاء . الذي نزل باخوانهم . فدالت دولت العبرانيين في الشمال والجنوب معاً بعدما خفق لواءها نحو اربعة قرون ونيف (براستد) .

عاشت المملكة الاسرائيلية منفردة في الشمال ٢٥٤ سنة ويعتبر ملوكها ال ١٩ اربع أسر .

- الاولى - بيت يربعام ومدتهم ٤٦ سنة ( ٩٢٩-٩٧٥ ) .
- الثانية - بيت عمري = ٤٥ سنة ( ٨٨٤-٩٢٩ ) .
- الثالثة - بيت ياهو = ١١٢ سنة ( ٧٧٢-٨٨٤ ) .
- الرابعة - بيت منجم = ٥١ سنة ( ٧٢١-٧٧٢ ) .

اما المملكة اليهودية فقد عاشت ٣٨٧ سنة وعدد ملوكها ١٧ كلهم من ذرية داود من سبط يهوذا ( باستثناء يهوآحاز ويهوياكين اللذين لم يملك كل منهما اكثر من ثلاثة اشهر ) .

وقد قضى على الدولة الاسرائيلية سلمناصر سنة ٧٢١ كما قضى على الدولة اليهودية نبوخذنصر بعدما هاجمها ثلاث مرات سنة ٦٠٦ و ٥٩٨ و ٥٨٨ ( وانسل اذ ذاك نحو ثمانين الفا من اليهود خشية الاسر ودخلوا بلاد العرب وما برحوا يرددون هذه الذكرى المحزنة في تسع آب من كل سنة .

وقد افاد هذا السبي الامة اليهودية ، اذ نبههم الى اصلاح شؤونهم ، وازال غرورهم بانفسهم ، بعد زوال الملك منهم واقفال ابواب الملاهي - التي تقادوا بها - في وجوههم . وفي ما يلي جدول باسماء ملوك الدولتين وتواريخهم :

|     |          |      |        |
|-----|----------|------|--------|
| ٩١٦ | يهوشافاط | ١٠٩٥ | شاوول  |
| ٨٩٢ | يهورام   | ١٠٥٥ | داود   |
| ٨٨٥ | اخزيا    | ١٠١٥ | سليمان |
| ٨٨٤ | عتليا    | ٩٧٥  | رجبعام |
| ٨٧٨ | يواش     | ٩٥٨  | ابيا   |
| ٨٣٨ | امصيا    | ٩٥٦  | اسا    |



|     |                   |     |       |
|-----|-------------------|-----|-------|
| ٦٤٢ | آمون              | ٨٠٩ | عزيا  |
| ٦٤٠ | يوشيا             | ٧٥٧ | يوثام |
| ٦٠٩ | يوحاز ثم يورياقيم | ٧٤٢ | احاز  |
| ٥٩٧ | يواكيم ثم صدقيا   | ٧٢٦ | حزقيا |
|     |                   | ٦٩٧ | منسى  |

|     |               |     |        |
|-----|---------------|-----|--------|
| ٨٥٦ | يهوواحاز      | ٩٧٥ | يربعام |
| ٨٣٩ | يواش          | ٩٥٤ | ناداب  |
| ٨٢٣ | يربعام الثاني | ٩٥٣ | بعشا   |
| ٧٧٢ | زكريا         | ٩٣٠ | ابله   |
| ٧٧٢ | شلوم          | ٩٢٩ | زمري   |
| ٧٧١ | منحيم         | ٩٢٩ | عمري   |
| ٧٦٢ | ققحيا         | ٩١٨ | اخاب   |
| ٧٦٠ | ققح           | ٨٩٧ | اخزيا  |
| ٧٣٠ | هوشع          | ٨٩٦ | يهورام |
|     |               | ٨٤٨ | ياهو   |

### ثالثاً - الاراميون

ارام اسم الابن الخامس لاسام . ومعناه جبل او وعرف فهو عكس معنى اشور الذي معناه سهل اطلق على ذويته اولاً ثم اطلق على البلاد التي قطنتها هذه الذرية ويراد بها غالباً البلاد الواقعة الى الشمال من فلسطين والشرق من فينيقية ممتدة الى الدجلة ، والقسم الواقع بين دجلة والفرات يعرف خصوصاً باسم ارام النهرين او فدان ارام ويطلق عليه الآن اسم الجزيرة ، حيث كان مسكن ابراهيم الخليل الاصيل ومنه ارتحل الى كنعان ، ومن هذه الرحلة يبتدىء تاريخ الانفصال الطويل العهد بين العبرانيين واخوانهم الاراميين (دائرة البستاني ٢ : ٧٦١) .

وكما قسم بعضهم فينيقية الكنعانية الى عشر ممالك هي صيدا وصور  
واكزيب واكشاف وحاصور وافيق والجلجال وارواد وقدس وحماة ، هكذا  
قسموا فينيقية الارامية الى عشر ممالك هي دمشق ورحوب ومكة وطوب  
وجشور ويطور وارجوب وباشان وجبيل وبيروت .

ويهمنا من هذه الممالك بنوع خاص مملكة صوبا التي حددها الاب مرتين  
بمايلي : كانت ممتدة من شمالي لبنان الشرقي الى التخوم الشرقية من حماة حتى  
حلب وقد مرر فضمت جميع ينابيع بادية آرام على تخوم دمشق وحماة ورحوب في  
شرقي لبنان ، وتمتد حدودها من الجنوب الى منبجس العاصي . ودلت الآثار  
المصرية على انه كان في موقع حصص الحالي مدينة كبيرة وحصينة جداً اعتبرها  
المصريون مفتاح اسيا المتوسطة . ويعتبرها الاسيويون الترس القوي لصد الغرباء .  
وكان ملكها زعيم المحالفات الارامية ( الاب مرتين ص ٣٤٩ ) .

قال بورتز ( ص ٩٢ ) في الاراميين ما ملخصه : الآراميون من بني سام  
استوطنوا الانحاء الشرقية من سوريا من عهد قديم وكانت دمشق عاصمتهم  
الخاصة . التي روى يوسفوس ان بانيتها عوض بن آرام بن سام واشتهرت في  
القرن العشرين قبل الميلاد ، ولم يذكر الآراميون في التواريخ من عهد ابراهيم  
الى داود الا قليلاً ، اما الروثان والحثيون فقد ذكروا في اخبار مصر كثيراً ،  
وانما اغضى عن ذكرهم المصريون لعدم وقوعهم في طريق غزواتهم ، اذ كانوا  
يسرون غالباً الى الشمال في طريق السواحل البحرية او البقاع الى حصص وحماة  
ثم الى الفرات ، ولما اجتازوا جانب البلاد شرقي الجبل الشرقي حيث قطن معظم  
الآراميين .

وقال براستد ( ٢ : ٢١ ) كان التجار الآراميون على جانب عظيم من النشاط  
فوسموا نطاق تجارتهم الى ما وراء حدود مملكتهم فبلغت قوافلهم حدود البادية  
وامتدت شمالاً حتى بلغت منابع دجلة .

وحاول الاشوريون توسيع نطاق نفوذهم في شمالي سوريا فباؤوا بالفشل ،  
ولكنهم في منتصف القرن التاسع بسطوا سلطتهم على الممالك الارامية لانها اقرب  
اليهم من سواها ، ثم التجؤوا نحو السواحل واجتازوا الفرات ، ولما رأيت المدن السورية  
والفنيقية انها عرضة للفتح عنوة سلمت وأدت الجزية عن يد ، درءا للفتائع التي



التي تنجم عن ذلك .

سنة ٨٧٠ بلغ اشور تزيروال ساحل البحر وهو ثاني ملك اشوري رأى البحر . فقدمت له المدن السورية هداياها ، ولكن لما جاءها بعد عشرين سنة ملك اشوري آخر اتحدت المدن السورية والفينيقية تحت قيادة ملك حمص وقاومته فاروقت زحفه ونجحت من الوقوع بيده غنيمة باردة مدة مئة سنة اخرى حتى منتصف القرن الثامن .

اذ ذاك استأنفت اشور خطة التوسع غرباً فاكتملت سوريا بالتدريج وعنت لسلطوتها فينيقية بلا مقاومة . اذ لم تستطع الاتحاد للدفاع عن حياضها وصد العدو المشترك ، وحاولت بعض مدن فينيقية - كجبيل مثلاً - شق عصا الطاعة بسبب فداحة الضرائب . ولكن اشور قمت القتنة لأول حدوثها وهدأت الثورة حال وصول قواتها بدون حرب .

ان تاريخ الآراميين الحربي يتلخص في انهم اصطدموا لأول مرة مع الحثيين ثم سألومهم ، ولما هاجم ساقى الاول المصري بلاد الشام انقادوا اليه واسترضوه باهدايا واشتركوا بالثورة على رمسيس الثاني .

ولما تضامن العبرانيون والفينيقيون بعد خراب صيدا اخذ الآراميون يوسعون تخومهم نحو الشمال فاستحوذوا على وادي العاصي من الجنوب وشمال الأردن .

واهم الغزاة التي اقتحموا بلادهم تغلت بلاسر الاول .  
وما ولي ذلك من الحوادث سيذكر في متن حوادث هذه الحقبة .

مرادف مهم في هذه الحقبة

تراجع الحثيين الى الشمال

وقفنا في الحقبة الثانية عند انخزال الحثيين في محاربتهم رمسيس الثالث سنة ١٢٢٥ قم وكانت هذه الضربة الاخيرة خاتمة الضربات ، بعدما صمد الحثيون لما هو اهم منها . ولكنهم رأوا ان عودتهم الى الشمال ضمن لسيادتهم وأبعد



عن الخطر . ولا سيما ان حصنهم كركيش اصبح اقدر على احتمال الصدمات القوية من قادس ، التي فتت مهاجمات المصريين ابراجها . والترميم الذي كان ملوك حث يسعون اليه بعد كل مرة لم يعد لها مناعتها الاولى . ففضلوا الابتعاد عن مواطن العراك وكان اقبل اسور ناصر بال اياه تغلت نيئيب سنة ١٢٤٠ ق م والخلاف الذي حدث بينه وبين اخوته . مدة ليست بقصيرة ، أثر في ذلك . اذ حول انظار الحثيين عن الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي طامعين ببسط سيطرتهم على هذه الاصقاع .

تجاه ما تقدم اخذت فصائل الحثيين ترتد الى الشمال اجدادها بعد الاخرى . وكما عرف المتأخرون ما ناله السابقون اسرع هؤلاء الى ما سعى اليه اخوانهم . فلم يضر قرن حتى غات منطقة حمص او كادت من كل حثي . وفي هذه الاثناء شغلت مواضع الحثيين الفارغة بالفصائل الآرامية التي



نحشوب  
آله الصواعق الحثي  
من آثار القرن  
الثاني عشر ق م  
مرسوم فوق ثور يرمز  
خواره الى هدير العاصفة  
شاهر بيضاء فأساً  
وييسراه رمز العاصفة  
وفي اسفله حمل حلزوني  
الشكل وعلى جانبيه  
مسلتان عليهما كتابة  
هيروغليفية وجدت  
في برسيب ونقلت الى  
متحف اللوفر ( انظر  
المقتطف ٨٩ : ٥٥٧ )



سبق لبعضها الاستيطان في شرقي انطليبان وبعضها شرقي العاصي واصبحت المنطقة المحمية بلاداً آرامية . اما الحثيون فجعلوا ديدنهم التبسط الى الشرق الاشوري وان كانوا بلغوا أمنيتهم لولا ان صدمهم تغلت بلاسر الاول وأوقف اقتحامهم عند حد .

### حملات تغلت بلاسر الاول

هو احد ابطال التاريخ القديم الذي حملت اخبار بطولته غرائب معظمها تحت الشك . ولولا وجود آثار له دلت على ما حدث لاعرض الناس عن روايتها لاعتبارهم اياها اسطورة زائفة . وها نحن ننقل عن حوادثه ما له صلة بمحصر وهي اولى حوادث هذه الحقبة .

ان هذا الملك الاشوري الذي خلف اياه اسور نيشيشي . وقد ترك هذا له مملكة زاهرة تولاهها تغلت بلاسر . واهتم بتوسيعها حتى جعلها في مصاف الدول العظيمة في ايامه . وقد غزا خمس غزوات في السنوات القليلة التي تسبى فيها العرش الاشوري ( ١١٣٠-١١١٠ ) وفي غزواته هذه اخضع ٤٢ مملكة لسلطانه كانت ممتدة من الزاب الاصغر الى سواحل المتوسط ومما له صلة بتاريخ حمص حملته الرابعة التي اتجه بها نحو سوريا بعدما وطد اقدامه في الشرق . ويستدل من آثاره ان الحثيين كانوا آنذاك ذوي سيطرة قوية في شمالي سوريا . وقد خشي جانبهم الآراميون فمالأوهم وهادوهم . وبعد معركة رمسيس الثالث جعلوا كركيش قاعدتهم . فلما قام تغلت بلاسر بحملته الرابعة غزا القبائل القاطنة في مابين النهرين واخضعها جميعها لسلطانه . ويروى انه قطع في يوم واحد البداة الكائنة ما بين زوخي ومعبر الفرات ، يقاتل كل من وقف في سبيله . فغزا الآراميين الضاربين على جانب الفرات ، وقد لاذوا بالحثيين ظناً منهم انهم يتقون خطره بواسطتهم . ولكن تغلت بلاسر اجتاز الفرات غير عاجي . بالفريقين . ونكل بن لقيه على الشاطئ . فذعر الاهلون حتى ان سناً من القرى الكبيرة فتحت له ابوابها المحصنة بدون قتال . ثم اجتاز الفرات الى سوريا الشمالية ظافراً حتى بلغ المتوسط ( ادي شير ٥٤ ) وهو اول ملك آشوري رأى البحر .

وقال في هذه الحملة صاحب العصور القديمة (عدد ٢١٥) ما يلي : حاولت مملكة اشور في مدة تغلت بلاسر الاول ان تبسط سلطتها على شمالي سوريا . فزحفت جنودها غرباً ونظرت البحر المتوسط من ارواد الواقعة على الحد الشمالي لفينيقية . اما الملك فلم يكتف بجرد النظر بل ركب زورقاً فينيقياً وجرب سفر البحر . واهدى اليه ملك مصر تمساحاً تودداً اليه وتزلفاً برضاه . وهذه هي اول مرة شاهد فيها ملك اشوري البحر العظيم . ومرت ثلاثة قرون قبل ان أعيدت هذه الزيارة . وما كانت الحملة على سوريا الا غزوة بسيطة لان الآراميين هددوا تغلت بلاسر بقطع خط الرجعة عليه . وقد انفق هذا الملك معظم ما بقي من ملكه في مقاتلة الآراميين القادمين جديداً من البادية لانهم شرعوا يغشون الهلال المخصب . وظل ملوك اشور ثلاث مئة وخمسين سنة او يزيد عاجزين عن ان يقتحوا هذه المنطقة الغربية ويبدطوا نفوذهم عليها . بسبب مقاومة ممالك آرام وفينيقية واليهودية لهم . وكانت عاقبة هذه المقاومة انهم حصروا الجنود الاشورية وراء بلادهم حتى القرن الثامن قم ام .

ومن هذا البيان للصريح يستطيع القارى ان يستنتج ان موقع حمص الطبيعي ساعدت حصاته قاطنيه على الوقوف في وجه من يريد بالبلاد شراً . وان ذلك لم يكن مستمداً من وجود الحثيين ، بل من استعداد ساكنيه أية كانت قوميتهم ، على ان يتحدوا ويخلصوا في وطنيتهم . فان الآراميين استطاعوا في هذه الحقبة ان يقفوا في وجوه خصومهم بنجاح مثل الحثيين وأزيد . وهذا سيتأكد القارى ايضاً مما يلي .

#### رابعاً - تضامن الآراميين في ممالكهم دمشق وصوبا

ذكرنا في ما مضى انه نشأ من الآراميين عشر ممالك غربي الفرات ومملكة شرقيه وهي ما عرفت في التاريخ بما بين النهرين او الجزيرة وتدعى في التوراة فدان آرام . وكان اعظم الممالك الآرامية غربي الفرات مملكة دمشق وصوبا اما دمشق فعروفة واما صوبا فهي التي اقنا الادلة في المقدمة على انها منطقة حمص . اشتهرت حمص في الحقبة الاولى باسم « حماة صوبا » ثم تطور هذا



الاسم ونحت فصار في الحلقة الثانية ايام المصريين والحثيين «مىزوبا» اما في هذه الحلقة فقد عرفت باسم صوبا وهو الجزء الاخير من لفظها الاصلي المركب . قال ادي شير ( ١ ص ٦٦ ) لم يكن لدمشق شهرة في الزمن القديم فانها خضعت للبكلدان ثم للمصريين . وسكانها الاولون كانوا اموريين ثم استولى عليها الآراميون في القرن الثاني عشر . وفي زمن داود كانت في حوزة هدد عزر ملك آرام صوبة . وكانت آرام صوبة على ما نطن في وادي العاصي الأعلى ، او في اطراف حوران ( والاول الاصح ) وظن المطران يوصف اقليس داود ان آرام صوبا كانت نصيبين في الجزيرة ( وهو وهم يبعد عن الحقيقة كثيراً ) . ثم ان داود بانتصاره على هدد عزر استولى على دمشق ايضاً . وفي زمان سليمان تسلط رجل اسمه رزون على الشام وملك فيها . ثم ملك بعده ابنه طبريون ، ثم بنهدد الاول . وهذان الملكان وسعا مملكة دمشق واخضعا حماة وسوريا المجوفة وكل النواحي التي في البادية على سواحل الفرات وصار لدمشق سيطرة على مملكتي اسرائيل ويهوذا ايضاً . ولولا الاشوريون لشكلت دمشق مملكة عظيمة قوية في سوريا ام .

هذا الكلام الجميل الذي يحتاج بعضه لبسط وبعضه لنقد سينر به القارىء قريباً ، يصور للمطالع موقف مملكتي دمشق وصوبا ( حمص ) ويبرهن السبب الذي من اجله تضامنت هاتان المملكتان اللتان رسخ الابطاء في نفوس اهليهما ، وجعلهم يتقون بهذا التضامن الاخطار التي يتعرض لها الآراميون عامة وآراميو دمشق وصوبا خاصة . وفيها عبرة كافية لمن يدرس التاريخ بغية وجود عظات فيه .

### المعركة الاولى بين حمص الآرامية والebraيين

بعد غزوة تغلت بلاسر الاول اخذت حمص تتقوى اذ حاسن الحمصيون مجاوريهم فتوثقت ربط الاتفاق بينهم وتعاضمت مملكة حمص حتى صارت من اهم الممالك الآرامية ، ومركزها الطبيعي خول ملكها حق الزعامة في ما يعقد من المحالفات الآرامية . وامتدت سطوتها بحيث لم يكن يرفع صوت من اقصى

التيه الى حدود طورس بدون معرفة ملك حمص ( اساطير الاولين : ٩١ ) .  
وظل ذلك شأنها حتى نشأت المملكة العبرانية سنة ١٠٩٥ ق م بزعامه  
شاوول البنياميني واخذت تراحم الآراميين على نشر سيطرتها .  
وشاوول المذكور اول رجل تسنم سدة العرش الملكي عند العبرانيين بعدما  
كان الحكم بيد القضاة يوم كان ملكهم الله ، والحبر الاعظم هو الصدر او  
الوزير الاول .

كان شاوول جميل الصورة لا يوجد في اسرائيل أحسن منه . وكان طويل  
القامة لا يزيد أحد عن مسامتة كتفه في الطول ( ١ صم ٩ : ٢ ) غير انه كان  
ضعيف الارادة تغلب عاطفته بصيرته في كثير من الاحيان . فهو في همته يشبه  
القضاة الاسرائيليين وفي قامته ابطال هوميروس . ولكنه في عواطفه اقرب الى  
الطفولة منه الى الرجولة . ولذلك حالما تسنم العرش الملكي أخذ يهتم بالسيطرة  
على البلاد المجاورة . فحارب الموابين والعمونيين والادوميين والفلسطينيين بنجاح .  
ثم تقدم في سهول البقاع وبعلبك نحو حمص المدعوة في التوراة صوبا . فلم تسفر  
محاربته اياها عن نتيجة حاسمة ( ١ صم ١٤ : ٤٧ ) غير ان بطولة شاوول وشدة  
بأسه اوجدت انخلالاً في الروابط بين الامارات الآرامية جعلتها مطمح ابصار  
الطامعين . ولولا ان الله سخط عليه لمخالفته أوامره بشأن العمالة ( ١ صم ١٥ : ٣ - ١٠ )  
لكان عبناً ثقيلاً على المنطقة الحمصية ، اما معركته مع حمص فكانت سنة  
١٠٨٧ ق م .

### المعركة الثانية في ايام داود

سنة ١٠٤٠ ق م كان على رأس المملكة الحمصية ( صوبا ) ملك اسمه هدد  
عزير شهد له نقولا الدمشقي العالم والمؤرخ الشهير انه كان اقوى امراء هذه  
البلاد ، وقد بسط سيطرته على جميع الامراء الآراميين من باطح ( بين حاب  
والفرات ) الى بيروتاي ( جنوب غربي بعلبك مسافة ستة اميال ) ولما تمرد عليه  
بعضهم عند الفرات جهز حملة لاختضاعهم فاغتنم داود النبي ملك العبرانيين هذه  
الساخنة ، فساق عليه حملة ليضربه من جهة الغرب ( ٢ صم ٨ : ٣ و ١ اي ١٨ : ٣ )



وذلك بعدما اخضع لسلطته الفلسطينيين والموابيين .  
فاستعرت نار الوغى بين الجيشين العبراني والآرامي وتحاذل الاخيريون  
وتقاعسوا عن نجدة كبير امرائهم هدد عزر . فكان موقفه تجاه الملك داود  
حرجاً جداً . وتأخرت نجدة آرامي دمشق المؤلفة من ٢٢ ألف جندي فوصلت  
بعد ان كسب العبرانيون المعركة . وغنموا الف مركبة وأسروا سبعة آلاف  
فارس وعشرين ألف راجل .

وجبن توعي ملك حماة ازاء بطش العبرانيين فبعث ابنه يورام (او هدورام)  
يهنئ داود بفوزه على هدد عزر ، مسترضياً اياه بالهدايا . ولم يكن ذلك منه  
حباً بـداود ، بل ليعقد معه عهدة يتقي بها الخطر الذي كان يتوقعه من خصمه  
هدد عزر ، الذي سبق له ان حاربه وأذله . فآكرم داود مشواه وقبل هداياه  
وأمنه على بلاده .

وقد أشار الى هذه المعركة نقولا الدمشقي اذ قال : كان ملكاً في سوريا كاهها  
—عدا فونيقي— ملك هو أقوى أمراء هذه البلاد يسمى هدد وكانت له حروب  
مع داود ملك اليهود فاستظهر داود عليه في معركة هائلة قرب الفرات بعدما  
أبدى هدد من البسالة والاعمال الخطيرة آيات تشهد له بانه قائد كبير وملك  
عظيم اه .

### ثالث معركة مع العبرانيين

ثقلت وطأة الانكسار على المحصين في المعركة السابقة فتحفروا لأخذ  
الثأر ، والافلات من سيطرة العبرانيين . فأخذوا يترقبون الفرص المساعدة لنيل  
بقيتهم . وحدث حادث مهد لهم الطريق لنيل أمانهم وهو ما يأتي :  
ان ملك بني عمون مات وخلفه ابنه حانون فارسل داود حاشيته لتعزية  
ابنه المذكور بوفاة ابيه وتهنئته باسناد الملك لعهده . وانا فعل داود ذلك لان  
ملك عمون كان قد احسن اليه يوم كان محتجباً من وجه شاول . فتوهم العمونيون  
ان الرسل جواسيس ، فقبضوا عليهم وحلقوا نصف لحاهم وقصوا انصاف ثيابهم .  
فاستاء داود من عملهم هذا وجيز حملة للانتقام منهم . فأفاق هؤلاء من غفلتهم

وشعروا بسوء ما صنعوا وخافوا بطش داود فاستغاثوا بالآراميين ، فكان هدد عزز أسبق الجميع الى نجدهم . فقدم مع بيت رحوب (بانياس وسميت رحوب باسم والد هدد عزز) عشرين الف مقاتل وأمدهم اهالي معكة (جنوبي مملكة حمص) بالف رجل واهالي طوب (شرقي بحر طبريا) باثني عشر الفا وحاول المتحالفون الاحاطة بالجيش العبراني من خلف وقدام . فأقام آراميو صوبا (حمص) ورحوب وطوب ومعكة في الصحراء شمالاً وبنو عمون في الجنوب . ولكن يوب قائد الجيش العبراني كان رجل حرب خبيراً وقائداً مدرباً ، فقسم جيشه الى قسمين . وسلم قيادة احد القسمين الى اخيه ايشاي ووجهه الى قتال بني عمون في سهل ميدبا . وتسلم هو قيادة القسم الآخر وانطلق به الى لقاء الآراميين المتحالفين في الشمال . وقال لأخيه ان قوي علي الآراميون فاسرع لنجدي كما انني أبادر لنجديتك متى شعرت بقوتك ضعفاً ازاء العمونيين . ولما فعل يوب ذلك لانه كان يخشى جانب قوات صوبا (حمص) . ولذلك قاد هو بذاته الجيش الموجه اليها مع انها قوات خصوم ثانويين . وقد أوجد حماسة عظيمة في صدور رجاله فاندفعوا بجرأة شديدة نحو الآراميين وهم مزودون بكل وسائل الفوز . فتقهقر الآراميون امامهم ليفصلوهم عن القسم الثاني من الجيش العبراني . ولكن جاءت هذه الحركة الحربية بغير النتيجة التي سعى اليها الآراميون . فان العمونيين الجبناء لما رأوا تقهقر انصارهم وقع الرعب في قلوبهم ففروا بدون نظام وتبدد شملهم . وفشل الآراميون ايضاً حيناً رأوا الجيش الثاني الذي يقوده ايشاي قد تفرغ لمحاربتهم فانكفأوا الى بلادهم . ولم يقدم يوب على متابعتهم بل كف عن القتال وعاد الى اورشليم وكانت هذه المعركة سنة ١٠٣٧ ق م .

#### رابع معركة مع العبرانيين

لم يرضَ هدد عزز بهذه النتيجة بل استدعى اليه قواته من الفرات وانضم اليهم رهط آخر من الآراميين . وسلم قيادة الجيش الى شوباك رئيس جنده وسيرهم لمحاربة اسرائيل . ولما أخبر داود بتألبهم عليه شعر بخطورة الموقف فسار بنفسه على رأس الجيش العبراني واجتاز الاردن ووجهته الشمال وصد



الآراميين صدمة هائلة اشتركت فيها القوتان المادية والمعنوية . فزحزحهم من مراكزهم وفروا من أمامه فالتف في هذه المعركة سبعمائة مركبة وأربعين ألف فارس ، وقتل شوباك قائد الجيش الآرامي . وانحاز الى الجيش العبراني ييجال بن ناتان أحد أبطال صوبة « حمص » ( ٢ ص ١٨ : ١٩ و ٣٦ : ٢٣ ) وكانت هذه المعركة سنة ١٠٣٦ ق م .

ولما رأى سائر الآراميين ما أصاب جيش هدد عزر من الفشل ذعروا وهربوا وأعلنوا خضوعهم لداود ولم يجرأوا بعد ذلك ان يرفعوا عقيرتهم .

### خامس معركة مع العبرانيين في أيام سليمان

سنة ٩٩٢ مدَّ سليمان نظره الى منطقة الفرات وراى ان يوطد سلطته عليها . وهذا لا يتم بدون ان تغزو له حمص ( صوبا ) فجاء عليها بقوات يخشى جانبها . ولم يجد الاهلون في أنفسهم قوة لرد هجمات الغزاة . ورأوا ان خضوعهم لسليان لا يكلفهم مشقة فاتفقوا لسلطانه راضين . وتسنى بذلك لسليان ان ينشر لواء الأمن في الشرق الشمالي لسوريا ( ١ مل ١٥ : ١٩ ) وفي ذلك قال يوسيفوس المؤرخ ( ٢ : ١٣ ) : ان هذا الملك السعيد بعدما استحوذ على البيرة التي في أعلى سوريا ، بنى هناك مدينة كبرى على مسافة يومين عن سوريا العليا . ويوم واحد عن الفرات وستة ايام عن بابل الكبرى . وقد رأى بناء هذه المدينة لازماً على بعده من محال سوريا المأهولة . اذ لم يكن هنالك ينابيع وآبار يستقي منها المسافرين ماء . وأحاطها بأسوار منيعة وسماها تدمر وكذلك سماها السريان اما اليونان فدعوها بلميرا أي النخل .

وقال الاب فيكتور ( ٣ ص ٥١١ ) ان خضوع اهالي « حماة صوبا » قد ووطد سلطة الاسرائيليين على تلك الانحاء فاصبحت القوافل تسير من دمشق وحماة الى تدمر ، ومن تدمر الى تبسك ( على الفرات ) آمنة سطو العرب والآراميين ، فانشاء سليمان تدمر من اعظم آيات حكمته . وقال يوسيفوس في موضع آخر ( لك ٨ ف ٢ ) : ان ما أوتيته سليمان بفضل الله من الحكمة كان يعم كل شي . ولم يغفل عن شي . فقد اهتم بتمهيد الطرق العامة . ورصف

بالحجارة السوداء كل السبل المؤدية الى اورشليم . رغبة منه في اراحة ابنساء السيل ، واظهار مجده . واخضع لسلطانه سائر الاموريين والحثيين والقرزيين والحويين واليبوسيين ولا سيما الكنعانيين الذين كانوا يسكنون انحاء لبنان الى حماة اه .

### انحمار صوبه ودمشق

استيلاء سليمان على منطقة حمص ( صوبا ) لم يطل أمره أكثر من أربعة عشر عاماً . فان رزون (أمير) بن الياذاع أحد قادة جيش هدد عزز ملك صوبا ، جمع رجالاً من الغزاة وألف منهم عصابة اقلقت الحواطر وصرمت جبال الامن في جبال دمشق . وظل ذلك شأنه حتى دانت له القوة المتسلطة على دمشق فنصبه أهله ملكاً عليهم سنة ٩٧٨ قم ( ١ مل ١١ : ٢٣ ) وتآلفت اذ ذاك من منطقتي حمص ودمشق مملكة واحدة أدار سياستها المحميون مدة قرنين ونصف تقريباً ، وفي ما يلي سلسلة ملوكها :

### جدول ملوك صوبا ودمشق المتخذة

| حسب بورتو | حسب سميت | اسماء الملوك ومحل ذكرهم في التوراة والآثار        |
|-----------|----------|---------------------------------------------------|
| ١٠٤٠      | ٠٠٠      | (١) هدد عزز ( ٢ ص ٨ : ٢ و ١٠ : ١٦ - ١٩ ) .        |
| ١٠٢٠      | ٩٩٠      | (٢) رزون - ١ مل ١١ : ٢٣ - ٢٥ .                    |
| ١٠٠٠      | ٠٠٠      | (٣) حزرون ويظن انه ابن رزون .                     |
| ٩٦٠       | ٩٧٠      | (٤) طبريون - ١ مل ١٥ : ١٨ .                       |
| ٩٥٠       | ٩٥٠      | (٥) بنهدد الاول - ١ مل ١٥ : ١٨ - ٢٠ .             |
| ٠٠٠       | ٩٣٠      | (٦) ملك لم يعرف اسمه عاصر عمري ٢ مل ٥ : ٣٤ .      |
| ٩٢٠       | ٩١٠      | (٧) بنهدد الثاني ١ مل ٢٠ و ٢ مل ٦ : ٨ ص ٧ .       |
| ٨٩٠       | ٨٨٦      | (٨) حزائيل الاول ١ مل ١٩ : ١٥ و ٢ مل ٨ : ٧ - ١٥ . |
| ٨٤٠       | ٨٥٧      | (٩) بنهدد الثالث ٢ مل ١٣ : ٣ .                    |



|         |    |                            |     |
|---------|----|----------------------------|-----|
| ٨٤٤     | ١٠ | حزائيل الثاني ٢ مل ١٧:١٢   | ... |
| ٨٣٠     | ١١ | بنهدد الرابع ٢ مل ٢٤:١٣    | ... |
| ٨٠٠     | ١٢ | ماريحا صفيحة بنيرار الثالث | ... |
| ٧٧٠     | ١٣ | هدارا / تغلت بلاسر         | ... |
| ٧٣٢-٧٥٠ | ١٤ | رصين ٢ مل ٣٧:١٥            | ٧٤٥ |

ورصين المذكور أخيراً هو آخر ملوك دولة صوبا ودمشق المتحدة قتله تغلت بلاسر الثاني وقضى على الدولة الآرامية في شمالي سوريا سنة ٧٣٢ .

### ١ - رزون ، وترجمته امير

عرفت في ما مضى انه كان بطلاً مغواراً استقل وطأة العبرانيين الذين سبق له محاربتهم في أيام داود وسليمان . ولكن لما غلبت قوات صوبا هجر المدينة ولجأ الى القفر والمواقع الحرجة . وألف عصابة ازعجت سليمان في أواخر أيامه وتمكن أخيراً من الاستيلاء على دمشق وانشاء دولة متحدة من آرامي الشمال والجنوب . ولم يستطع سليمان خضد شوكته اذ فتن عليه في الوقت نفسه هدد الادومي في الجنوب ، ويربعام بن نباط الافرائيسي في فلسطين . فلم يتمكن من اذلال الثائرين وسكت على مضض . وتسنى بعده للدولة الآرامية المتحدة ان تحيا طويلاً .

ونخيل الى المرحوم المطران يوسف الدبس ان رزون عاش عمراً طويلاً مستمتعاً بما يلي :

(١) انه كان قائداً لجيش هدد عزز حينما حارب داود ( ٢ ص ٨ : ٣ ) فلا بد أن كان له آنذ من العمر ٢٥ سنة .  
(٢) المدة من اوائل ملك داود الى أواخر ملك سليمان ليست اقل من سبعين سنة .

(٣) فيلزم اذاً ان يكون عمره يوم ملك دمشق ٩٥ سنة .  
غير ان المحققين لا يطابقون استنتاج السيد الدبس لان محاربة داود لهدد عزز حدثت حوالي سنة ١٠٤٠ وفتنة رزون حدثت سنة ٩٨٤ فالمدة التي

تخالت المعركة والقتنة ٥٦ سنة فاذا اضعنا اليها ال ٢٥ سنة التي قدرها سياوته  
لعمر رزون يوم القيادة كان عمره ١١٠ ملك ٨١ سنة لا ٩٥ كما خيل اليه وليس  
في ذلك غرابة ، فاقولك اذا نبغ قبل ال ٢٥ .

## ٢ و ٣ - عزبونه وطبريمونه ابه

ظن بعضهم ان حزيون هو نفس رزون لا أبنه (شرح التوراة ٤: ٣٢٣)  
ولكن الجدول الذي نقلناه - وهو نتيجة تحقيق عالم يقال بقوله - يجعل هذا الرأي  
مستبعداً اذ ان بقاء رزون حياً الى سنة ٩٦٠ حينما ملك طبريمون يكون عمره  
اذ ذاك قد بلغ على أقل تقدير ١٠٥ سنوات وهو مستبعد . فلا بد اذن من  
وجود ملك توسط بين طبريمون ورزون وهو حزيون الذي يرجح انه ابن رزون  
والد طبريمون .

ويفهم من آي الكتاب (١ مل ١٥: ١٩) ان طبريمون هذا عقد محالفة  
مع ابيا ملك يهوذا (٩٥٨-٩٥٦) وكان السلام في ايامه سائداً بين العبرانيين  
والدولة الآرامية المتحدة .

## ٤ - بنهدد الاول

هذا كان من اعظم ملوك دولة آرام المتحدة ملك نحواً من ثلاثين سنة  
دلت على نشاطه ومقدرته وكان معاصراً لآسا ملك يهوذا (٩٥٦-٩١٦) وبعشا  
ملك اسرائيل (٩٥٣-٩٣٠) .

فلما وقع عداوة بين آسا وبعشا المذكورين وخشي الاول بطش الثاني  
استنجد بنهدد المذكور . وقدم له هدايا ذهباً وفضة ليساعده على بعشا . فلبى  
بنهدد طلبه وأرسل رؤساء جيشه على مدن اسرائيل وخرّب عيون ، ودان ،  
وآبل معسكة ، وكل كنعانوت ، مع كل أرض نفتالي . فكف بعشا عن اقتحام  
أراضي يهوذا (١ مل ١٥: ١٦-٢٤ و ٢ اي ١٦: ١-الخ) .

وبعد تراجع بعشا أخذ آسا ملك يهوذا الحجارة والاخشاب التي كان



بعشا قد وضعها في الرامة وحصن بها بعض مدنه .  
ولما مات بعشا ثار زمري عبده على ايلة ابنه ، اذ كان يسكر في منزل  
أحد أعوانه في ترصة فقتله وملك مكانه . ثم قتل كل ذكر في ذرية بعشا  
وألحق بهم أقاربهم ، وأصدقائهم . ولكنه لم يهنأ بالعرش لان الجيش حالما عرف  
بالمقتلة أقام 'عمري قائد الجيش ملكاً على اسرائيل بدل ايلة بن بعشا .  
وكان عمري رجل سياسة أكثر منه رجل حرب فخالف ايتوبعل ملك  
صور الفينيقي الذي بسبب خوفه من ملك آرام رضي ان يحالف اسرائيل .  
واعطاه ايزابل ابنته زوجة لابنه آخاب .

#### ٥ - خليفة بنهدد الاول (هدد بيري)

مات بنهدد الاول عالي الرأس سامي المكانة وخلفه ابنه الذي لم نعلم  
على اسمه في التوراة ولا في الآثار ولعل الاكتشافات في المستقبل تظهر اسمه  
وترفع النقاب عن كثير من أعماله . اما الذي اتصل بنا عنه فموجود في ما  
روته عنه التوراة ، وما يستنتج من صفيحة ميشاع ملك مواب التي اكتشفها  
كلارمون كانوا ترجمان قنصلية فرنسا في اورشليم سنة ١٨٦٩ وهي موجودة الآن  
بين الآثار اليهودية المحفوظة في متحف اللوفر في باريس . وخلاصة ما عرفناه عنه  
هو ما يلي :

ان ملك آرام المشار اليه ملك من سنة ٩٣٠-٩١٠ قم وانه جارب  
عمري ملك اسرائيل فاستظهر عليه وأخذ بعض مدنه وبتأثير هذا الفشل مات  
عمري ودفن في السامرة وخلفه ابنه آخاب سنة ٩١٨ .  
روى ادي شير ٦٩ ما ملخصه : بعدما مات بنهدد او برهداد خلفه ابنه  
اداديدي وكان ذا حزم ، قاتل آخاب ملك اسرائيل واضطره ان يهاذه . ولما  
سمع بقدم الاشوريين حشد جيشه واستعان بلوك سوريا حلفائه لصد هم . وأخذوا  
ينتظرون قواته في قرق قرب حماة فحدثت هناك معركة شديدة دموية كانت  
النصرة فيها للاشوريين . وقد نقش سلعناصر اخبار هذه المعركة في أحد آثاره  
واليك ما جاء فيها :

في السنة السادسة للملكي وفي الرابع عشر من ايار رحلت عن نينوى وجاوزت الدجلة بالقوة العلية التي منحني اياها الرب اشور . وبالساحة القاطعة التي ساهم اليّ نجل الماشي امامي . حاربهم وهزمتهم من حدود قرقر الى مدينة جيلزا . وقتلت باسلحتي من عساكرهم ١٤ الف محارب ، وانزلنا عليهم طوفاناً من الآله هدد ، وكومت جثثهم ، وغطيت وجه الارض باجنادهم العديدة ، واجريت دماءهم في شقوق الارض . ان الصحراء لم تتسع لجثثهم والارض الواسعة لم تكف قبورهم . فمات نهر اورنط ( العاصي ) باجسادهم وكأني بها قد صارت جسراً عليه ، واخذت عرباتهم وخيلهم .

أخذت الجزية من ملوك غربي الفرات فضة وذهباً ونحاساً ورصاصاً من المدن التي يسميها الآراميون باتور . زحفت من عدوة الفرات الى مدينة حلمان ( حاب ) خاف اهلها وتراموا على قدمي فأخذت منهم جزية فضة وذهباً وسرت الى هر كولين ملك حماة وأخذت مدنه وحاضرة ملكه واستحوذت على أثاثه وأموال قصره وأحرقت دوره وزحفت من ارغانا الى قرقر فدمرتها وأحرقتها وكان في معسكرهم ١٢٠٠ مركبة و ١٢٠٠ فارس وعشرين الف راجل من هدد ملك دمشق ثم ٧٠٠ مركبة و ١٨٠٠ فارس وعشرة آلاف رجل من هر كولين ملك حماة ثم الي مركبة وعشرة آلاف رجل من آحاب ملك سرلاين ( اسرائيل ) اه .

وبعد هذه المعركة عاد سلمناصر الى آشور ، وكان من المنتظر ان يضرب أعداءه الضربة القاطعة ليحول دون تحالفهم عليه مرة ثانية . غير ان الظاهر ان جيشه هلك عدد كبير منه فلم يتجاسر ان يطاردهم بعد المعركة .

## ٦ - بنهدد الثاني

هو حفيد بنهدد الاول وملك الآراميين المتحدين في مملكتي دمشق وصوبا . عاصر آخاب ملك اسرائيل ( ١ مل ٢٠ ) ومن اشهر أعماله حروبه مع الاسرائيليين وأقدم تلك الحروب محاربته آخاب بن عمري



**حرب مع آخاب -** لا نعلم الاسباب التي جعلت بنهدد الثاني يشهر الحرب على آخاب ولكننا نعلم ان آخاب كان من اشد ملوك اسرائيل فلا يستبعد صدور ما يشتر نقمة بنهدد عليه . ويدل على عظمة بنهدد ، انه لما أعلن الحرب على ملك اسرائيل صعد معه ٣٢ ملكاً . ولا شك ان بعض هؤلاء كانوا محالفين له والبعض رؤساء مقاطعات او حكام اقال تنضوي الى لوائه . فلما بلغ الآراميون السامرة أرسل بنهدد رسلاً الى آخاب يطلب منه ان يرسل له ما اجتمع عنده من الذهب والفضة ، وبنيه وأزواجه الحسان . فحين آخاب وخاف كثرة الجيوش ، فوعد بتلبية الطلب . ولكن بنهدد أبى التسوية وأخبره ثانية انه سيوفد في مثل تلك الساعة من نهار غد المقبل رسله ليفتشوا بيت آخاب وبيوت رجاله ، ليأخذوا كل ما يرونه فيها . فقتل هذا الطلب على شيوخ المملكة الاسرائيلية ، وردوا طلبه هذا . فغضب بنهدد وأقسم ان يتوازع تراب السامرة بأكف قومه . ثم أمر بحاصرة المدينة ولاستخفافه بآخاب ورجاله أخذ يسكر مع قواده غير مبال بما يحاك له في الخفاء . وكان آخاب قد شعر بمحاجة الموقف ان لم يظهر البسالة اللازمة ويستفيد من الظروف . وشجعه على الفوز نبي اسرائيل . فأحصى آخاب رجاله فوجد عنده من القادة ٢٣٢ ومن ابطال اسرائيل سبعة آلاف فهاجموا بنهدد ، وهو في حالة السكر مع الامراء . فلما أخبر بمحاجة الاسرائيليين استخف بهم وقال لحجابه وهو مملوء غروراً: اقبضوا على الآتين احياء ، سواء جاؤوا مسالين ام مقاتلين . واختلف امراء بنهدد في تلبية طلبه فوقع التخاذل بينهم . وكان زعماء الاسرائيليين قد هاجموا طلائع الآراميين وقتلوا بها . فوقع الخوف في قلب الجيش الآرامي لان قاداته تشاغلوا عنه وهم لم يؤمروا بالقتال وانما أمروا بالقاء القبض على المهاجمين احياء ، بينما كان اولئك يعملون فيهم السلاح . واذا كان الجيش بلا نظام فكثرت ادعى الى الخطر ، فانهمز الآراميون ونجا بنهدد على فرس بين الفرسان . وكانت خسارة الآراميين عظيمة وقد سبب الغرور بالنفس فشلهم وكان الفوز في جانبهم لو عقلوا . وهذه المعركة حدثت سنة ٩٠١ ق م .

**حرب ثانية مع الاسرائيليين -** لما عاد بنهدد ورجاله الى مقرهم قال له

قادته - وقد استصعبوا ما منوا به من الفشل - ان آلهة اسرائيل آلهة جبال ولذلك فازوا علينا في المرة الماضية . فاذا حاربناهم في السهل فوزنا عليهم لا محالة . فسمع قولهم ، ثم ضم الى القادة الاولين قادة آخرين مشهوداً لهم بحسن الدربة والشجاعة .

وجيز جيشاً عظيماً من رجال ضموا الى الشجاعة المحافظة على النظام والطاعة الجندية . فملا الجيش السهل الواقع شرقي بحيرة طبرية . فارسل آخاب - الذي شدد عزيمته النصر السابق - ما عنده من القوى وهي عبارة عن كتيبتين مشهود لهما بالاقدام والحكمة العسكرية . وليث الجيشان يناظر احدهما الآخر مدة ستة ايام استعداداً للاصطدام . وفي اليوم السابع اشتعلت لظى الحرب بين الفريقين . وكان الاسرائيليون يقاتلون قتال الواصل بالفوز استناداً الى طمأننة نبي الله اياهم . بينما كان الآراميون يقاتلون بقلوب موجسة خوفاً من فشل المعركة الاولى .

وفي ابان احتدام الحرب حدث زلزال هائل سقط به السور الذي وقف بقربه الجيش الآرامي الاحتياطي فهلك ١٧ ألفاً . فتشامم الآراميون وتخاذلت صفوفهم متقهقرة بسرعة ، ووقع بنهدد نفسه أسيراً في قبضة آخاب . وظل في أسره مدة حتى تعهد له برد المدن التي اخذها ابوه من اسرائيل . وسمح له ان يقطن بعض اليهود في دمشق لتعاطي التجارة فيها كأنها السامرة ( ١ مل ٢٠: ٢٢-٢٤ و ١٥: ٢٠ ) وكانت هذه المعركة سنة ٩٠٠ ق م .

### هرب نائنه مع الاسرائيليين - - مضت ثلاث سنوات بعد المعركة السابقة

لم يحصل فيها حرب بين مملكة صوبا ودمشق المتحدة وبين الاسرائيليين . لان الحرب التي اثارها على الفريقين سلمناصر والمعاهدة التي وقعها ملكا آرام واسرائيل ( بنهدد وآخاب ) اوقفتا الحرب كل هذه المدة . غير أن بنهدد لم يتخل عن المدن التي تحصه ؛ ومنها راموت جاماد ( الساط ) لاسرائيل . فصعب ذلك على آخاب ، فعقد مجلساً عسكرياً للبحث في هذا الشأن حضره يوشافاط ملك يهوذا الذي سبق له ان أخذ عتليا ابنة آخاب زوجة لابنه يورام ( ٢ اي ١٨: ٢١ ) . واستسبح آخاب فرصة وجوده للاستغاثه به على خصم قدير . فسأله اذا كان يعاونه في القتال ؟ فاجابه يوشافاط ولماذا لا أفعل ؟ ان نفسي كنفك وشعبي



كشعبك . وانفسا اريد ان نستفتي الانبياء الملهمين في ما اذا كانت الحرب مكفولة النتيجة ام لا ؟ فجمع آخاب نحو ٤٠٠ رجل يدعون النبوة وهم ليسوا منها في شيء . وانما هم اناس تعودوا ان يقولوا ما يرضي الكبراء . فسألهم عما اذا كان الخروج للقتال موافقاً ؟ فقالوا لآخاب اصعد فان الرب دافع اعداءك ليذك . فلم يثق يوشافاط بما قالوه . وقال لآخاب الا يوجد نبي آخر هنا ؟ فاجابه يوجد رجل آخر يدعى ميثا بن علة ولكنه لا يتنبأ عليّ بخير ، فطاب يوشافاط احضاره ، ولما سأل آخاب انخض الى راموت جلعاد للقتال ام تمتنع ؟ قال . رأيت اسرائيل مبددين على الجبال كغنم لا راعي لها . فقال آخاب ليوشافاط ألم أقل لك انه لا يتنبأ عليّ بخير ؟ ونهض احد الانبياء الكذبة ولطم ميثا ؛ وقال له من اين عبر روح الرب مني ليكملك ؟ فقال ميثا : ستنظر ذلك في اليوم الذي تدخل فيه مخدعاً ضمن مخدع لتختبي . فأمر آخاب بسجن ميثا والتضييق عليه حتى يعود من الحرب . فقال ميثا : إن عدت بسلام فلم يتكلم الرب فيّ . واشهد الشعب على كلامه .

مضى الملكان الى الحرب لاسترداد راموت جلعاد من ملك دمشق وصوبة وكان ملك يهوذا لابساً لباسه الخاص اما آخاب فتشكر . لان بنهدد امر قواده ان لا يجاربوا كبيراً ولا صغيراً سوى آخاب . ورأى القادة يوشافاط بلباسه الملكي فظنوه آخاب فهاجموه فاستغاث برب اورشليم فعرفوا انه ليس آخاب وارتدوا عنه ، ولكن رجلاً تزع في قوسه غير متعمد فاصاب آخاب بين الذراع والورك فأصمى رثته ( يوسيفوس ٨ : ١٠ ) . فقال آخاب لمدير مركبته اخرج بي من الجيش فاني جرحت . فاخرج واشتد القتال وآخاب واقف في مركبته مقابل آرام ودمه يسيل في المركبة حتى مات في المساء . وانقض الجيش الاسرائيلي وتبدد وكان ذلك سنة ٨٩٧ قم .

**حرب رابعة** — بعد موت آخاب ملك اسرائيل خلفه ابنه اخزيا وكان غاية في الشر فلم تطل مدة ملكه . اذ سقط في اثناء سكره من كوة عليه في السامرة فاعتل ومات . وخلفه اخوه يهورام ( ٨٩٦-٨٨٤ ) فتحالف مع يوشافاط ملك يهوذا ( ٩١٦-٨٩٤ ) ضد مواب التي خرجت على اسرائيل في

ايام اخزيا فدوخها ( ٢ مل ٢٧-٤:٣ ) وكان في ايامه اليسع النبي الذي قاده الى النصر وشاع صيت اليسع واتصل خبره بنعمان السوري قائد جيش بنهدد ملك آرام . وكان به برص شفاه الله منه بواسطة اليسع ( ١ مل ١٥: ١٩ ) واهتدى بذلك الى الايمان الحقيقي . واخذ معه حمل بغلين من تراب الارض المقدسة لينبي بهما مذبجاً للرب في بلاده . وتعهد بانه لا يذبح لغير آله اسرائيل . غير انه استأذن اليسع بمرافقة مولاه حين دخوله للعبادة في هيكل رمون . ويظهر من طلبه هذا انه اراد اظهار الطاعة للملك في حين انه كان غير مقتنع بصحة سجدته هذا وكان ذلك سنة ٨٩٤ .

وعلى أثر ذلك تراخت العلاقات بين آرام واسرائيل . ويظن البعض ان سببها ظهور الخراف نعمان قائد الجيش عن ديانة بنهدد على أثر شفاؤه من البرص بواسطة اليسع . ف وقعت حروب بين بنهدد ويورام . وتصدر على بنهدد الفوز على خصمه فلجأ الى الحيلة . فأوعز الى احد اعوانه ليكمن لملك اسرائيل ويقتله . ولكن اليسع نبه يورام الى ما خبي . له فاحتاط لنفسه . وظن بنهدد ان هنالك خائناً يكشف سره ليورام . ولكن رجاله اخبروه بما أوتيه اليسع من اعلان المكتومات . فارسل قوة لاحتضاره ليلاً من مسكنه . ورأى خادم اليسع القوة القادمة لاعتقاله فأخبر مولاه . فأجابه لا تخف ان الذين معنا أكثر من الذين معهم . ثم نزل اليسع لمقابلتهم فحجب الله بصيرتهم عنه فسألهم عن غرضهم فأخبروه . فقال لهم هلم ورائي فأسير بكم الى الرجل الذي تطلبونه . فساروا وراءه حتى السامرة وهناك شعروا بالخطر الذي يتهددهم . ولكن النبي نهى الملك يورام عن ايذائهم . فأولم لهم وليمة عظيمة ثم أدخل سبيهم فمضوا الى سيدهم شاكرين . فأثر عمله هذا فيهم وغدل ملك آرام المتحدة عن غزو ارض اسرائيل وكان هذا سنة ٨٩٣ ق م .

**حرب خامسة -** بعد موت يوشافاط ملك يهوذا سنة ٨٩٢ بدت مظاهر الضعف على يورام ملك اسرائيل فرأى بنهدد الثاني ان يستفيد من هذه الساحة . فأعلن الحرب على اسرائيل وقاد حملة كبيرة عليهم فلم يستطع الاسرائيليون الوقوف امامهم فارتدوا ولاذوا بعاصمتهم السامرة التي حصنها يورام وقوى



اسوارها ليأمن فيها غائلة العدو . فطوق بنهدد المدينة وضيق عليها الحصار وطال  
الأمس فحصلت مجاعة شديدة في المدينة ، وبيع رأس الحمار بثمانين من الفضة  
( خمس ليرات انكليزية ) وبلغت المجاعة درجة أكلت فيها النساء اولادها .  
فوافقت يورام امرأة تشكو جارتها لانها أخألت بالاتفاق المعقود بينهما ، على ان  
يأكلا في اليوم الاول الطفل الاكبر وهو ابنها . وفي اليوم التالي الطفل الاصغر  
وهو ابن الثانية . فبعدها أكلا معاً الابن الاول اخفت الثانية ابنها . فلما سمع  
الملك هذا الحديث المؤلم مزق ثيابه وتقم على النبي اليسع لانه لم يفرج الازمة  
بصلاته ، وحاول الفتك به . وعرف اليسع بما نواه الملك وكان جالساً في بيته  
والشيوخ حوله فقال لمريديه اذا دخل رسول الملك فأغلقوا الباب واحصروه  
عنده . ثم التفت الى الشيوخ وقال : في مثل هذه الساعة من نهار غد يباع  
بمثقال مكيال السيد وبمثله مكيالاً الشخير ، فقال احد اعوان الملك مستكراً :  
لو فتح الرب كوى في السماء لما تم ذلك . فأجابه النبي سترى ذلك بعينيك  
ولكنك لا تذوقه .

وكان قد عين اربعة من البرص عند باب السامرة ليحولوا دون مخالطة  
البرص للاصحاء . فضايق هؤلاء . الجوع فقال احدهم لصاحبه لا بد لنا ان نموت  
سواء دخانا المدينة او بقينا هنا . فلننزل الى محلة الاراميين فان ابقوا علينا عشنا  
وان قتلونا نخلصنا من ألم الجوع وهي اهون الموتين . فمضوا الى معسكر  
الاراميين ، ومن الغرابة انهم لم يروا هناك احداً . فتهيئوا الدخول اولاً ،  
ولكن الجوع ألجأهم اخيراً الى المغامرة . فاجتازوا المحلة كلها دون ان يجدوا  
احداً سوى مريض لم يستطع حراكاً ، اخبرهم ان الاراميين سمعوا في الليل جلبة  
شديدة ظنوا معها ان ملك اسرائيل قد استأجر ضدهم ملوك حث من الشمال  
ومصر من الجنوب . ففروا عند الشفق تاركين مؤونتهم ومعداتهم كلها . فأكل  
البرص وشربوا واخذوا بعض الغنائم ثم عادوا الى المدينة فأخبروا أهلها بما رأوا .  
فلم يصدق الملك بما سمع حتى بعث من حقه له . فسمح الملك للشعب بالخروج  
واخذ ما تركه الاراميون . على ان يوكل احد الاعيان بمراقبة الداخلين والخارجين  
من باب المدينة منعاً للتشويش والحلل . وكان الموكل هو نفس الذي انكر  
على النبي صحة ما تنبأ به فكان نصيبه ان وطئه الشعب باقدامه وقت الازدحام .

بعدما نودي على مكياي السعيد بمشال ومكياي الشعير بمثله . وتمت بذلك نبوة اليسع ( ٢ مل ص ٦ و ٧ ) وكان ذلك سنة ٨٩٢ ق م .

موت بنهرود - أثرت هذه الكسرة على بنهدد فرض مرضاً شديداً . وحضر اليسع الى دمشق فأخبر الملك بمجيئه فقال لوزيره حزائيل : خذ للنبي هدية حمل اربعين حمل من اجود ما في دمشق وسله هل ابرأ من مرضي ؟ ففعل حزائيل كما امره الملك فأخبره اليسع ان مولاه لا يعيش . ثم ثبت النبي نظره في حزائيل حتى خجل هذا وبكى النبي . فقال له حزائيل ما بال سيدي يبكي ؟ فأجابه لاني علمت بما ستصنعه ببني اسرائيل من الشر فانك ستحرق حصونهم وتقتل قتيانهم وتحطم اطفالهم وتبقر بطون الحوامل منهم . فقال حزائيل بمسكنة : ومن يكون عبدك الوضع حتى يفعل هذا الامر العظيم ؟ فقال اليسع : ان الرب اراني اياك ملكاً على آرام .

فانصرف حزائيل والفرح مل . جواحه لما سمع ودخل على سيده ، فسأله هذا عما قاله له النبي ، فقال له انه يشري بان المرض ليست عاقبته رديئة . وفي اليوم الثاني اخذ حزائيل قطيفة وغمسها بالماء وبسطها على وجهه فمات . وملك حزائيل بدله ، وتم ما ورد في التوراة بلسان النبيين ايليا ( ١ مل ١٩ : ١٥ ) واليسع ( ٢ مل ٨ : ٧ - ١٦ ) .

وظن بعضهم ان الذين قتلوا بنهدد انما هم بعض اعوانه ، لانه مجروربه الكثرة أثقل كواهلهم . واذا لم يكن له وارث مرن صلبه خلفه حزائيل . وكانت مدة ملكه ٣٠ سنة ووفاته سنة ٨٩٠ على رأي او سنة ٨٨٦ على رأي آخر ( البستاني ٥ : ٦٣١ ) .

## ٧ - مزائيل الاول

هو كبير حجاب ملك آرام بنهدد الثاني وقد ملك مكانه . سبق ايليا النبي فسيحه ملكاً بامر الرب سنة ٩٠٦ فلم يتسن أنشد له الوصول الى العرش فأعلن اليسع قرب الوقت لتبوته العرش سنة ٨٨٤ .



**هزائيل ويورام -** فلما مات بنهدد الثاني اغتتم يورام هذه السانحة فأسرع واسترد راموت جلعاد وضبطها. ولكن حزائيل الذي استتب له الحكم وعرف بما فعله يورام جهز حملة لاسترداد المدينة. ف وقعت حرب بين آرام واسرائيل فاز فيها الآراميون وجرح يورام واضطر ان يعود الى قصره في زرعيل لمعالجة جراحه. وبقي ياهو رئيس جيش المحافظة على المدينة. فمسخ بامر اليسع ملكاً على اسرائيل ولما تم له الامر قتل يورام وأهلك أهل بيته كلهم.

**هزائيل وباهو -** لم يكن ياهو عند حسن الظن؟ اذ بطر في اواخر ايامه. ونبي من احسن اليه. فثار عليه حزائيل ووقعت بين ملكي آرام واسرائيل معركة كانت عاقبتها وخيمة على الآخرين. وتمكن حزائيل من احتلال البلاد الواقعة شرقي الاردن من باشان الى عروعر التي على وادي ارنون (٢ مل ١٠: ٣٣-٣٦).

وفهم من الآثار الاشورية ان سبب الحرب بين ياهو وحزائيل انما نشأ عن مخالفة ياهو لسلطانهم ضد حزائيل. وقد كان عمله هذا خطأ سياسياً كما صرح بذلك نبي اسرائيل هوشع (٥: ١٣ و ١٢: ١ و ١٤: ١-٣).

## ٨ - بنهدد الثالث

هو ابن حزائيل الاول وخليفته على عرش آرام صوبا ودمشق ولم يكن موقفاً في اعماله بل كانت مدة ملكه سبباً لحراب دمشق وتقهقر المملكة المتسعة الاطراف التي كانت لاسلافه (البستاني ٥: ٦٣١) كما ترى.

لما مات ياهو خلفه ابنه يواحاز على عرش المملكة الاسرائيلية (٨٥٦-٨٣٩) ولم يكن يواحاز هذا ذا مسلك حسن فتسلط عليه حزائيل ملك آرام وضيق السبل عليه. ولكن حزائيل توفي قبل ان ينال بغيته خلفه ابنه بنهدد الثالث (٢ اي ١٣: ٣) ٨٥٧-٨٤٤ فآتم ما بدأ به ابوه من اذلال يواحاز. حتى انه لم يبق له الا خمسين فارساً وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل. وصاروا بين يدي الآراميين كالتراب الذي يوطأ (٢ مل ١٣: ٣ و ٧) وقد وصف النبي عاموس

نتيجة هذه المعارك بقوله (عا ١: ٣-٦) اني لأجل معاصي دمشق الثلاث والاربع لا أزدها لانهم داسوا جاماد بنوارج من حديد . فأرسل ناراً على بيت حزائيل فتأكل قصور بنهدد واكسر مغلاق دمشق واقطع الساكن من بقعة أون . وماسك القضيب من بيت عدن ويسبي شعب آرام الى قير كما قال الرب اه . وقد تمت نبؤة عاموس بدائياً في ايام يواش الذي خلف اياه يواهاز سنة ٨٣٩ وحارب بنهدد بقوة وتشجاعة فكسره في سهل يزرعيل في أفيق حيث كان آخاب قد كسر بنهدد الثاني . ثم ظفر به مرتين أخريين لكنه لم يستطع استرداد املاك اسرائيل في شرقي الاردن بل ترك نحر ذلك لخليفته (٢ مل ٢٥: ١٣) .

**بهرمد وسلمناصر الثالث - سلمناصر من اعظم ملوك آشور ملك نحو ٢٥ سنة غزا فيها ما جاوره من البلاد ٣٢ مرة . وجنى ياهو على البلاد السورية بمعاونته على حزائيل الاول ملك آرام فوجه خمس حملات الى سوريا ووقع بكل ملوكها وكانت معظم حملاته ضد ملك آرام المتحدة (حمص ودمشق) ومن هذه الحملات الخمس ثلاث ساقها على بنهدد الثالث سنة ٨٥٤ و ٨٤٩ و ٨٤٦ .**

**بهرمد وزاكير ملك حماة -** في الفترة التي تحلت الحملتين الثالثة والرابعة من حملات سلمناصر على الشام وقع خلاف بين مملكة آرام المتحدة وبين زاكير ملك حماة . وادعى زاكير هذا في أثره انه فاز على الآراميين وحلفائهم ، واليك ترجمة ما كتب على أثره الذي وجدته الموسيو يونيون قنصل فرانس العام في حلب سنة ١٩٠٣ ونشره في كتابه المطبوع في باريس عن الآثار السامية في سوريا وبين النهرين والموصل مترجماً بقلم العلامة السيد افرام الاول بطريوك السريان الارثوذكس .

**أثر آريلمي لزاكير ملك حماة ونعش**

( انا زاكير ملك حماة ولاش أوجه اليوم الى كل العالم النداء التالي : بعل



شمين . . . ي ووقف معي بعل شمين صيرني ملكاً . . . برهدد بن حزائيل ملك آرام جمع وألف ضدي . . . ملوكاً . برهود وجيشه ، برغاش وجيشه ، ملك قادس وجيشه ، ملك العمق وجيشه ، ملك جرجوم وجيشه ، ملك شامال وجيشه ، ملك مالات وجيشه . . . كانوا سبعة ملوك وجيوشهم . كل هؤلاء اقاموا متاريس ضد حزرالك . رفعوا سوراً أعلى من سور حزرالك وحفروا خندقاً أعمق من خندقها . رفعت يدي نحو بعل شمين . وبعل شمين استجاب لي . بعل شمين عضدني بواسطة الانبياء وبواسطته . . . بعل شمين قال لي لا تخف لاني صيرتك ملكاً . أنا أقف معك وأنا اخلك من جميع هؤلاء الملوك الذين رفعوا المتاريس ضدك اه . الى هنا ما يمكن فهمه من الاثر والاصفار موضع كلمات تحطمت ، وما بقي يتعذر فهمه لكثرة ما تفتت منه .

من هذا الاثر يفهم ان خلافاً جديداً نشب بين ملك حماة وملك آرام المتحدة فاجتمع ضده سبعة أمراء . وأثاروا عليه حرباً . وكانت الحرب حول حدرك التي يرجح الاثريون انها كانت في سهل البقاع . ويظهر من الاثر ان زاكير خاف جداً واستغاث بآلهة آلور رب السماء فأنقذه منهم . ولكن كيف كانت نجاته لا نعلم . غير اننا نعلم ان هذه المعركة لم تكن في مصلحة ملوك الشام لانها خسرتهم قوة كان يجب ان يدخروها لمقارمة الطامعين بهم .

## ٩ - حزائيل الثاني

مات بنهدد الثالث بعدما ملك ١٧ سنة وخلفه ابنه حزائيل الثاني سنة ٨٤٤ وارتأ من أبيه موقفه الحرج وما كاد حزائيل هذا يتسلم العرش حتي بلغه ان سلمناصر هيا حملة لاجتياز سوريا لان حملته الثالثة لم ترو ظمأه منها .

حزائيل وسلمناصر — ولما درى حزائيل بالامر تجهز لمحاربتة ولكنه لم يجسر ان يناضله في البرية كما فعل سلفه بل تحصن في جبل سعين . فهاجمه الاشوريون وقاتلوه قتالاً شديداً فقتل من عسكره ١٦ الف راجل و ٤٧٠

فارس وخسر ١١٢١ عربة حربية وانهزم حزائيل مع سائر الجيش وتعبه سلمنأصر حتى دمشق فقطع الاشجار المثمرة ونهب القرى ، وتوغل في جبال حوران وكسب غنائم لا تحصى ، وكان ذلك سنة ٨٤٢ على رواية ادي شيرص ٧٢٠ . ثم نزل الى فينيقية ونقش صورته على ساحل نهر الكلب وقدم له امراء فينيقية الجزية كما قدم له ملك اسرائيل هدايا ثمينة منها قضبان من ذهب وفضة ويصحون وكؤوس وآنية من ذهب .

**مزائيل وعمله سلمنأصر الخامسة** — في سنة ٨٣٩ عاد سلمنأصر مرة اخرى الى الشام فلم يجرأ ان يقاومه حزائيل ( كما روى سلمنأصر في اثره ) ففتح سلمنأصر من مدن حزائيل اربعا واخذ الجزية من صور وصيدا وجبيل ، واذا صحت رواية سلمنأصر فيكون السبب في تقهر الآراميين التحلل المحالفة الآرامية قبيل تملك حزائيل الثاني .

**مزائيل ويواش يهوذا** — ملك يواش بن اخزيا على يهوذا وهو ابن سبع سنوات ( ٨٧٨-٨٣٨ ) فارشده في حداته يوياداع الكاهن الذي انقذه من القتل حينما حاولت ذلك جدته عثليا بغية اهلاك النسل الملكي ليتسنى لها الاستئثار بالحكم . فاحسن يواش المسلك كل مدة حياة يوياداع فلما توفي هذا عن ١٣٠ سنة ( ٢ اي ٢٤: ١٥ ) استسلم يواش لمشورة بعض الزعماء الاشرار فأغروه على عمل الشر فأنذره المخلصون بسوء المغبة فلم ينتصح بل نقم على زكريا بن يوياداع لقوله الحق وأمر برجه في الهيكل غير ذاك معروف ابية .

فثار عليه حزائيل وضيق عليه الخناق بعدما فتح جت ووقع الهلع في قلب يواش فاسترضاه بكل ما لديه من النفائس في الهيكل ودار الملك منذ ايام جده ، فانصرف عنه حزائيل وعاد الى دمشق سنة ٨٤٠ ( ٢ مل ١٢: ١٧-١٩ ) . ولكن لما أرسل حزائيل عدداً من جنده في السنة التالية لأخذ الجزية . اراد يواش التخلص منها وحاول بما اجتمع لديه من الجند خذل القوة الآرامية فلم ينجح لان معنويات الاسرائيليين كانت واهنة لشعورهم ان إلههم غير راض عنهم فانكسروا امام الجيش الآرامي القليل العدد ، ولم تنفع يواش



كثرة جيشه شيئاً ، ودخل الآراميون اورشليم وفتكوا بكبار اليهود وأخذوا غنائم وافرة ، ورجعوا بعدما أوسعوا يواش اهانة وشتماً وخلفوه مريضاً فثار عبيده عليه وقتلوه سنة ٨٣٦ ( ٢ اي ٢٤ : ٢٣ ) .

## ١٠ - بنهدد الرابع

مات حزائيل الثاني سنة ٨٣٠ بعدما ملك ١٤ سنة خلفه ابنه بنهدد الرابع ولا بد لنا قبل نهاية الكلام عن حزائيل الثاني من لفت نظر القارىء الى خلاف بين المؤرخين بشأنه ، فان بعضهم يرون ان من ملوك آرام كان حزائيل واحد بهذا الاسم . وانه ملك ٤٦ سنة ومن هؤلاء الدكتور بوست صاحب قاموس الكتاب ( ١ ص ٣٦٩ ) ولكن غيره من المدققين يرون ان قد ملك على آرام سوريا المتحددين ملكان بهذا الاسم . وان الاول ملك ٢٩ سنة فقط ( ٨٨٦-٨٥٧ ) وان الذي حارب حت واخذها سنة ٨٤٠ ( ٢ مل ١٢ : ١٧ ) انما هو حزائيل الثاني حفيد حزائيل الاول الذي ملك من سنة ٨٤٤-٨٣٠ وهو الذي ضايق اسرائيل كل ايام يواحاز ومات فملك مكانه ابنه بنهدد الرابع سنة ٨٢٩ او سنة ٨٣٠ فاضاع كل ما ملكه ابوه لانه ظلم اسرائيل اكثر مما ظلمهم ابوه وجده وفي ما يلي خلاصة ما اتصل بنا عنه :

بنهدد وربعام الثاني - لما مات يواش ملك اسرائيل خلفه على العرش ابنه ربعام الثاني وكان هذا انجح ملك في اسرائيل . وكانت مدة ملكه طويلة بل اطول مدة حكم فيها ملك في اسرائيل اي ٤١ سنة ( ٨٢٣-٧٧٢ ) وكان جبار بأس . وساعدته احوال الممالك المجاورة . لان سياسة الاشوريين الذين اتفقوا مع الاسرائيليين اخافت شعوب الشرق فلم يجرأوا على مقاومة ربعام . فانفرد الآراميون بالتصدي له . وكان حظ بنهدد الرابع شيئاً فانه قضى معظم مدة حكمه في مقاتلة الاسرائيليين ( ٨٢٢-٨٠٦ ) فتصيبه الكسرة تلو الكسرة بحيث تمكن ربعام من استرداد تخوم اسرائيل الى ما كانت عليه ابان مجدهم واستولى على النواحي الشرقية الشمالية من مدخل حماة الى بحر لوط ( ٢ مل ١٤ : ٢٣-٢٥ ) .

وكانت مدة يربعام زمن نجاح للاسرائيليين . وصارت بيوتهم من حجارة منحوتة وأسرتهم من عاج وكروهم شهية ووسائل الشرب والغناء ميسورة كما ذكر الانبياء . هوشع ويوثيل وعاموس ( ١: ٦-٨ ) ولكن الآداب انحطت جداً حيث سكر وزناً وظلم للفقراء . وعبادة للاصنام ( تفسير التوراة ٤: ١٤٤ ) .

## ١١ — ماريما

لم تذكر التوراة بين ملوك آرام المتحدة اسم ماريما ولكن الآثار الاشورية ذكرته ، والمفهوم منها ان بنيار ملك اشور اقتحم سوريا وفاز على ملوكها ، وروى ادي شير ( ٧٦: ١ ) ان بنياري الذي يسميه هو هددينياري أغار على سوريا اربع مرات من سنة ٨٠٦-٨٠٣ ) وأخضع ارباد وحزاز ودمشق والمدن الفينيقية ، واليك ما وجد مكتوباً على جدار بلاطه :

« بنيار الملك العظيم القدير ملك الشعوب ملك ارض اشور الذي اتخذ اشور ملك الآلهة السبعة ابناً له . »

من جهة الفرات الاخرى اخضعت ارض الحثي وارض اماري على اتساعها صور وصيدا وارض عمري وبلاد الفلسطينيين ضمن البحر الكبير في مغرب الشمس وفرضت عليهم ضريبة . وغشيت ايضاً ارض ابيروسو ( آرام دمشق ) لمحاربة ملكها مريما فحصرته في دمشق عاصمة ملكه . ودوخته مهابة عظيمة اشور سيدي . فتأوى على قدمي واعلن تذله وخضوعه . فاخذت منه ٢٣٠٠ وزنة فضة وعشرين وزنة ذهب وثلاثة آلاف وزنة نحاس وخمسة آلاف وزنة حديد ونسيج صوف وكتان ، وسريراً ومظلة من عاج واموالاً واثاثاً لا يحصى . هذا ما اخذته من دمشق مقر ولايته ومن بلاطه اه . . ويقدر سميت ان ما ذكر في الاثر حصل سنة ٧٩٧ قم ( الدبس ٢: ٤٥٨ و ١: ١٩٧ ) .

ويرى روبنسون ان بنيار هذا هو الذي كان ملكاً في نينوى في زمن يونان النبي .

ماريما وسلمناصر — ويظهر ان سلمناصر الثالث ( او الرابع ) حمل على مملكة دمشق الآرامية سنة ٧٧٥ في ايام ماريما واقتحم جبل حمانا حيث ظهرت



بعض القلاقل . ولكن انتشار المصيان في جهات اراراط اضطره الى العودة  
لتهدئة الثورة فلم تنجح حملته هذه ( ادي شير ١: ٧٧ ) .

## ١٢ - هدارا

بعدما قضى ماريجا وقد انتهكت قواه الحروب غير الناجحة خلفه هدارا  
او هدر او هدد سنة ٧٧٠ فلم يكن اسعد حظاً مما سبقه اذ لم يكدر يستقر  
على العرش حتى هاجمه الاشوريون مرتين سنتي ٧٦٥ و ٧٥٥ قم وقد قام بهما  
اشوردان الثالث الذي انتهك قوى الجيش الآرامي ووصل الى دمشق . ولكنه  
لم يكن موفقاً في الحملة الثانية اذ لم يستطع تحطّي حدراك لانقضاء البلايا  
على دولته من اوبئة وثورات جعلته يخلد الى السكينة مرغماً ومات سنة ٧٥٤  
او سنة ٧٥٣ ( ادي شير : ٨٨ والديس ٢: ٤٦٠ ) .

ولما خلفه ابنه اسور نيراري حاول اعادة سلطته على دمشق فلم يفلح ،  
ثم حصلت ثورة ثل بها عرشه .

## ١٣ - رصين

رصين آخر ملوك آرام المتحدة كان معاصراً لفاقح ملك اسرائيل ويوثام  
ملك يهوذا ، والظاهر ان سياسته كانت ترمي الى مخالفة ملك اسرائيل ضد  
يهوذا فمات يوثام وخلفه ابنه آحاز سنة ٧٤٢ ( ٢ مل ١٥: ٣٧ ) فزحف عليه  
رصين بالاتفاق مع قحح ملك اسرائيل بعيد صعوده على العرش بقليل سنة ٧٤١  
ثم تقدم الملك الى اورشليم . فامتنع آحاز عليها فيها فاناخوا حولها  
وحاصروها مدة غير يسيرة بدون طائل . ثم ارجع رصين ايلة وطرد اليهود منها  
( ٢ مل ١٦: ٦ ) وكانت ايلة حينئذ صلة التجارة مع الشرق لوقوعها على خليج  
العقبة . غير ان مسرته هذه لم تطل لان آحاز ملك يهوذا استغاث بملك اشور  
تغلت بلاسر فلبى طلبه وتازل رصين ملك دمشق فظهر عليه وقتله واستولى على  
عاصمته وأسر عدداً من اتباعه واخذهم الى شوشن ( ٢ مل ١٦: ٩ ) وصالح الاهالي  
على الجزية ( بورتر : ٥٧ ) .

على ان الآثار الاشورية روت ان تغلت بلاسر غزا سوريا مرات في ايام رصين من سنة ٧٤٣-٧٣٢ .

ففي ربيع سنة ٧٤٢ هاجم سوريا فاصطدم بمحصن ارباد وحاصره مدة ثلاث سنوات وفتح سنة ٧٤١ تخافه جميع الملوك المجاورين وقدموا له الطاعة مع الهدايا . وهناك عن بعد حيرام ملك صور ورصين ملك دمشق .

وسنة ٧٣٩ اقتحم سوريا بعدما فتح قسماً عظيماً من بلاد نيسري . اذ بلغه ان عزرياهو ملك بادي حالف ١٩ ملكاً من ملوك غربي الفرات المنتشرين بين حماة والمتوسط فخذ شوكتهم جميعاً وقدم له الهدايا ١٨ ملكاً . منهم مناحيم ملك اسرائيل ورصين ملك دمشق وملوك صور وحماة وزبي ملكة العرب ( بورتروادي شير والدبس ) .

وبعد مدة تحالف رصين مع فتح ملك اسرائيل ضد آجاز ملك يهوذا فاستغاث هذا بتغلت بلاسر فغشي بجيشه سوريا واحتل بعض مدن فلسطين بعدما فتح دمشق وسبي اهلها الى قير ( ارمينية ) وقتل رصين سنة ٧٣٢ وكان في ذلك القضاء الاخير على دولة آرام المتحدة بعدما عاشت ازيد من قرنين ونصف .

### بدراسة منطقة حمص البارزة في هذه الحقة

لا نستطيع معرفة كل المدن التي نشأت في المنطقة الحصية وانما نلهم بما ذكره المؤرخون المعاصرون بسبب المناسبات الحاصلة واليك ما كان له صلة فيها :

#### ( ١ ) افيق

ورد ذكرها في هذه الحقة اذ لاذ بنهدد الى سورها ابان محاربته آخاب . فسقط السور على ٢٧ الفا من جيشه ( ١ مل ٢٠ : ٣٠ ) وحدثت عندها حروب كثيرة بين اسرائيل وآرام ( ٢ مل ١٣ : ١٧ ) ويظن انها فيق الكائنة عند رأس الوادي وتبعد عن بحيرة طبريا مسافة ستة اميال .



## (٢) حدراخ

ذكرت حينما اقتحمها الاشوريون ثلاث مرات. سنة ٧٧٢ وسنة ٧٦٥ في ايام اشور دانييل وسنة ٧٥٥ في ايام اشور بنيدار الثاني . وقد ذكرت في التوراة باسماء متعددة منها مدخل حماة ( عدد ٢١: ١٣ ويش ٥: ١٣ ) وبقعة المصفاة ( يش ١١: ٨ و ٩ ) وبقعة اون ( ط ١: ٥ ) ولكن ذكرها المتأخر زمنًا عن ذكر دعاها حدراخ ( زك ١: ٩ ) كما ذكرت في الآثار . ويرى المحققون من الاثريين ان موقعها في السهل الفسيح الواقع بين لبنان وانيقيا المعروف الآن بسهل البقاع .

## (٣) حصر عينان

ذكرت كتخيم لارض الموعد الشمالية ( عدد ٩: ٣٤ وحز ٤٧ ١٧ ) ويرى المحققون انها «القريتين» الواقعة بين دير عطية وتدمر موقعها الى الجنوب الشرقي من حمص . فيها ينابيع غزيرة وقطع عواميد وآثار .

## (٤) زفرون

ذكرت في التوراة ( عدد ٩: ٣٤ ) وموقعها بين حمص وحماة على بعد ١٤ ميلاً من كليهما . ويرى الدكتور بوست انها الزعفرانة الواقعة على الطريق بين حمص وحماة الى الشمال الشرقي من حمص .

## (٥) ضد

ذكرت في سفر العدد ( ٢٨: ٣٤ ) وحزقيال ( ١٥: ٤٧ ) كتخيم شمالي لارض الموعد وما برج اسمها كما هو الى الآن . وهي بلدة حسنة تبعد نحو ٣٥ ميلاً الى الجنوب الشرقي من حمص وكان فيها برج اثري قديم تهدم بعاصفة من عهد غير بعيد

## ٦ ( عيون

مدينة تعرضت لهجمات آرام واشور اخذها بنهدد (١ مل ١٥: ٥ و ٢ اي ١٦) ثم تغلب عليها تغلث بلاسر ملك اشور (٢ مل ١٥: ١٩) .  
يرى رولنسون انها دبين الواقعة قرب جديدة مرجعيون . ويرجح كوندرا  
انها الحيم في نفس هذا المرج .

## ٧ ( قرقر

ذكرت اولاً في سفر القضاة (٨: ١٠) حيث امسك فيها زيبج وصلحناح  
ملكاً مديان ثم ذكرتها آثار سلنأصر وزاكير ملك حماة ويظن الاثريون انها كانت  
بالقرب من منبجس نهر الزرقاء المعروف قديماً باسم يهوق وكانت موطن ساكني الخيام  
وظن بعض المؤرخين القدماء ان موقعها شمالي مدينة «حجر» في بلاد العرب والقول  
الاول اقرب للقرائن التي ورد ذكرها فيها .





### خامسة الموارث

في القرن الثالث عشر قم اخذ العنصر الحثي المحض ينصرف نحو الشمال الى الاناضول . وبقيت القوة الغالبة في المنطقة الحصية من الجيش الآرامي . فاجتهد هؤلاء بتحسين العلاقات مع الصقع المصري ، فكان لهم ما ارادوه ولاسيا بعدما وقع ملك حث في اسر رعمسيس الثالث سنة ١٢٢٥ .

ومذ حاسن الحمصيون مجاورهم تعاظمت مملكة حمص حتى صارت من اهم الممالك الآرامية ، ومركزها الطبيعي خول ملكها حق الزعامة في ما يعقد من المحالفات الآرامية . وامتدت سطوتها بحيث لم يكن يرتفع صوت من اقصى التيه الى حدود طورس بدون معرفة ملك حمص .

وظل ذلك شأنها حتى نشأت المملكة العبرانية سنة ١٠٩٥ بزعامة شاول البنياميني . واخذت تراحم الآراميين على نشر سيطرتها . ف وقعت بين العبرانيين وآرامي حمص معركة في ايامه لم تسفر عن نتيجة حازمة ، ولكنها آلت الى تراخي الاتفاق بين الامارات الآرامية وأدى ذلك الى ضعفها جميعاً . فلما وقعت الحرب بين هدد عزر ملك صوبا ( حمص ) وبين داود النبي ملك اسرائيل تقهقر الحمصيون ، وشعر حلفاؤهم بما ارتكبوه من خطأ فأنجدوا هدد عزر ولكن نجدتهم وصلت متأخرة ، وتم الفوز للعبرانيين بعدما خسر الحمصيون والدماشقة عدداً كبيراً من رجالهم بين قتلى واسرى . وجبن توغي ملك حماة لما رأى ما اصاب زميله هدد عزر

فاسترضى داود بالهدايا .

وتحفظ الحصيون اكثر من مرة للثأر لانفسهم فام ينجحوا كل مدة داود وابنه سليمان . اذ غلبوا على امرهم في خمسة معارك اولاهها في ايام شاول وأخراها في ايام سليمان وثلاث في ايام داود واخيراً ثار احد قادة جيش هدد عزز في اواخر ايام سليمان وتمكن بعد مدة من الاستيلاء على دمشق . وألف من امارتي حمص ودمشق مملكة واحدة ، جعلت دمشق قاعدتها والحصيون ملوكها وظلت قائمة نحو قرنين ونصف من سنة ٩٩٠ الى سنة ٧٣٢ . وهذه اسماء ملوك دولة صوبا ودمشق المتحدة بعد هدد عزز : رزون ، حزبون ، طبريمون ، بنهدد الاول ، هدد يدري ، بنهدد الثاني ، خزائيل الاول ، بنهدد الثالث ، خزائيل الثاني ، بنهدد الرابع ، ماريحا ، هدارا ، رصين .

وهذه اسماء مدن حمص البارزة في هذه الحقبة : افيق ، حدراخ ، حصر عينان ، زفرون ، صدد ، عيون ، قرقر .

كانت المملكة الحمصية في هذه الحقبة عرضة لحروب متواصلة مع العبرانيين ، حرب مع بعشا ملك اسرائيل واخرى مع عمري وحروب مكررة مع آخاب ويورام وياهو ويواحاز ويربعام الثاني ، وتخلل ذلك وتلاه حروب مع الاشوريين الذين اغتسموا فرصة تضاؤل فريق الآراميين والعبرانيين بالحروب المتتالية فحملوا على الفريقين وقضوا على دولة آرام المتحدة ليتسنى لهم القضاء على الدولة العبرانية .







المذكورة الى تاريخ مجمع من كتاب هذه الحقبة

### (١) صموئيل الرامي

صموئيل (ومعناه المسؤول امام الله) هو الرائي العبراني آخر قضاة بني اسرائيل . ولد لابيه القانة بن يروحام بن أليهو توحو بن صوف الافرايمي الموطن اللاوي الجنس . من زوجته حنه التي كانت عاقراً فلما حملت به بعد تضرع وانكسار نفس جعلته نذيراً للرب . فافرز منذ نعومة اظفاره لخدمة الحيمة في شيلوه . تحت رعاية عالي الكاهن فكان مثلاً للتقوى الصبوية . فلما توفي عالي عين خافاً له في القضاء لاسرائيل . فقضى لهم عشرين سنة ورد الشعب الى العبادة الحقيقية . وفي مدته فاز الاسرائيليون على اعدائهم الالقاء الفلسطينيين فتبددوا ولم يستطيعوا استرداد قوتهم في بقية ايامه . وتصلح الاموريون مع الاسرائيليين بعد عدا شديداً . وكانت اقامته في الرامة . ولما شاخ اقام ابنه وكيلين عنه في بئر سبع . ولكنهما لم ينالا رضى الشعب فطلبوا اقامة ملك ، فلم يستصوب طلبهم . ولكن لما اوحى اليه بذلك مسح لهم شاول بن قيس البنياميني ملكاً . فكان اول من ملك على اسرائيل ولما لم يحسن مسلك شاول ، وبجحه صموئيل ثم مسح عوضاً عنه داود بن يسي قبل وفاة شاول ، وتوفي بعد ذلك سنة ١٠٥٧ ق م وله من العمر ٩٨ سنة وقد ترك من آثاره القامية سفري القضاء وراعوث و٢٤ اصطاحاً من سفر صموئيل الذي اتا حمل مع نائبه اسم صموئيل لان شطره الاعظم تضمن ترجمة حياته .

اما سفر القضاء فقد شغل تاريخ ثلاثة قرون ونيف من موت يشوع سنة ١٤٢٦ الى موت شمشون الجبار سنة ١١٢٠ كما ان الاصطاحات الـ ٢٤ التي كتبها صموئيل تضمنت تاريخ ازيد من قرن . وقصة راعوث الموابية حدثت ابان ذلك . وقد اتم السفرين اللذين يحملان اسم صموئيل جاد الرائي وناتان النبي حسب رواية اثثة اليهود التي صدقها رهط من ائمة المسيحية . وقد كان الاول صديقاً لداود وكتب له تاريخ ملكه (١ اي ٢٩ : ٧٩) وناتان كان نبياً في ايام داود وسليمان وكان مشيراً لهما (٢ اي ٩ : ٢٩) .



- ومن اهم المزايا التي ازدان بها صموئيل الراي وجعلته موضع الثقة :
- ( ١ ) رده الامة الاسرائيلية عن الجنوح الى الوثنية .
  - ( ٢ ) انشاؤه عدة معاهد ثقافة عرفت باسم مدارس الانبياء تثقف فيها معظم نوابغ الاسرائيليين وكتابها .
  - ( ٣ ) تنظيمه القضاء الاسرائيلي اولاً ثم النظام الملكي ثانياً .

## ( ٢ ) هوميروس

هوميروس او اوميروس لفظ يوناني ترجمته الحرفية « الذي بلا بصر » وهو لقب لا اسم في الاصل . وقد اشتهر به بعدما كفّ بصره حتي نسي اسمه الاصلي .

قيل ان والدته كريتيس ولدته على ضفة نهر ميلس قرب ازميز فدعته ميلسجينيس اي « وليد النهر » ولا نعلم شيئاً عن ابيه لانه توفي وابنه طفل بعد . ولما فطمته امه عن الرضاع سلمته الى استاذ بارع في ازميز يدعى فيميوس . فاستأجرها هو لغزل الصوف . وكانت صناع اليدن راجحة العقل هادئة . فاعجب بها فيميوس وخطبها لنفسه واعداً اياها بجعل ابنها الذكي الفؤاد نابغة عصره . فرضيت به بعللاً وبرّاً هو بوعده لها . ففاق ميلسجينيس جميع اقرانه . وما مرّ بضعة اعوام حتي كاد يبز استاذه نفسه .

توفي فيميوس وانحصر ارثه في هوميروس فقام مقامه في المدرسة . واعجب به الازميريون . وطارت شهرته في الآفاق فقضده الداني والقاصي . وصار مجلسه كعبة الحكمة وديوان الادب .

ومن اختلف الى مدرسته ربّان حكيم محب للعلم ، اسمه منتس . ورغبة منه في ملازمته حبب اليه الاسفار ومشاهدة الامصار لاستزادة معارفه . واعداً اياه بجعله في سفينته ان رضي مرافقته . فقبل هوميروس رأيه وغادر المدرسة ممتطياً متن البحار ، حيث اختزن من المعلومات التي مرت به شيئاً كثيراً . ولكنه اصيب لكثرة ما نقب بالرمد . واضطر منتس ان يبقيه في جزيرة ايتاكي عند صديق له فيها ريثما تعود اليه صحة النظر . فأحسن هذا ضيافته ، واذا لم يكن

رمد هوميروس لينعه من المطالعة والتبجر ، التتط اخبار اوديس التي جعلها بعدئذ مادة لقصيدته الاوديسية .

ولما عاد الربان من رحلته اخذه في سفينته واستأنفا السفر . فاشتد عليه الرمد حتى فقد بصره وظل كفيفاً حتى مات ولقب منذئذ هوميروس .  
فلما كف بصره قصد ازوير واخذ ينظم الشعر ليعيش واضطر بعدئذ ان يجوب الاصقاع اليونانية يستثمر قصائده . واصيب بعدة نكبات كانت السبب لزيادة شهرته . واخيراً عول ان يقصد اثينا فركب سفينة مع جماعة من ساموس فرض على الطريق فاتول الى جزيرة « يوس » بغية ابلاله من مرضه ولكن الداء اشتد عليه فاحتضر ومات . فدفن قرب الشاطئ . ونظم لقبره احد شعراء اليونان بيتين هذا معناهما :

ان من هذا النبات الاخضر غطاء للرأس المقدس  
رأس الشاعر هوميرو مضارع الآلهة الذي تغني بدمح الملوك والابطال  
( عن هيرودوت والبستاني بتلخيص )

روى ابن العبري (٦١) ان رجلاً ماجناً حاول ان ينال منه مدحاً فقال له هوميروس لست اهلاً للمدح . فقال له : اذا لم أكبن اهلاً للمدح فاهجني . قال لا افعل ذلك ابداً . قال اذا سأذهب الى زعماء اليونان واخبرهم بعجزك عن النظم فأجابه هوميروس : لا حال .

بلغنا ان ثعلباً حاول مقاتلة اسد في قبرص فاستنكف الاسد من ذلك فقال له الثعلب سامضي الى السباع واخبرهم بعجزك عن مقاتلتي . فقال له الأسد : لئن تعيرني السباع بالنكول عن مبارزتك ، احب الي من ان ألوث شاربي بدمك اه .

ومن النكات التي يرويها الناس عن اضطراب ذهن الاذكياء . وعجزهم احياناً عن حل ابسط الالغاز : ان هوميروس مر مرة بفتية يصطادون سمكاً فسألهم عن كمية ما اصطادوه ؟ فقالوا : افلتنا بقدر ما امسكنا واصطدنا بعدد ما لم نصطد ، فأغلق عليه فهم المراد وعظم عليه الامر فمات قهراً اه . رواها البستاني في مقدمة ترجمة الإلياذة ص ٨٨ .

على ان هيرودوت (ص ٦٣٥) نفي هذه التهمة عنه وروى انه عرف اللغز



ونظم فيه شعراً مآله : ايها الاولاد ليس لآبائكم ميراث واسع ولا مواش كثيرة الخ .  
اما الزمن الذي نشأ فيه هوميروس فبين المؤرخين خلاف بشأنه ومجموع  
الاقوال بين القرنين الثاني عشر والعاشر .  
وقد استفدنا من منظومات هوميروس تصوير حالة الشعوب القديمة المعاصرة  
لخص في حقيقتها الاوليين .

### ( ٣ ) هسيود

هو اول شاعر نبغ بعد هوميروس قيل انه ظهر بعده بنحو ٤٠ سنة  
وذهب بعضهم الى انه سبقه في الوجود والقول الاول اشهر اركخه بعضهم سنة  
٩٢٣ ( مرشد الطالبين ص ٦٠٤ ) وجعله بعضهم من رجال القرن الثامن قم  
( ايار عد ٢٥٤ ) . وذكر البستاني ( ١ ص ٤٩٩ ) انه اول شاعر نظم في  
علم الزراعة .

ولم يختلف الادباء في انه شاعر الطبيعة . واعظم منظوماته قصيدته المدعوة  
« الاعمال والايام » التي وضعته في منزلة عالية جعلت بعضهم يفضلها على هوميروس  
لان ذلك تغني بابطال الزمن القديم الذي خالطت فيه الالهة البشر ( كما زعموا )  
اما هذا فقد تغني بما يلامس الحياة فنزل الى مستوى الطامة ووصف الحوادث  
اليومية وتغير الفصول وصفاً دقيقاً مبيناً ما هو واجب لازب للحياة .  
وقد ارسل من اشعة خياله النير لمعة لمنطقة حمص اذ تضمن شعره اشارة  
الى استعمال الناس البروتز في عصره ( المقتطف ٨ ص ٦٥٧ ) .

### ( ٤ ) عاموس الراثي ( ٧٨٧ - ٧٥٨ )

هو اقدم الفريق الثالث من كتاب العهد القديم . المعروف عند التلموديين  
بالانبياء الستة عشر . عاصر يونان ويوثيل وهوشع واشفيا .  
كان عاموس في اول امره راعي غنم في تقوع ثم طفق يتنبأ قبل حدوث

الزلزلة بستين اي سنة ٧٨٧ قم فسبق اشعيا بنحو ٢٨ سنة وبناء رومة باربع وثلاثين سنة .

لم يتهدب عاموس في مدارس اليهود المعروفة بدارس الانبياء . بل نبغ من وراء الضأن . ولذلك خلا سفره من ضروب البلاغة والانشاء في اللغة العبرانية . ولكن بساطة انشائه وسذاجة عبارته لم تخله من الطلاوة واللذة . فقد حوت فصوله التسعة التشابيه الجميلة المأخوذة من الطبيعة وتوزع فيها قسط وافر من فنون الجغرافية والفلك والتاريخ . مما دل على ان ذاك الراعي لم يكن جاهلاً . بل كان ذكي الفؤاد حاد النظر دقيق الملاحظة .

غير ان صراحته في القول وشدته في توبيخ اماصيا كاهن العجول الذهبية في بيت ايل ، جعلته عرضة لان يوشى به الى الملك يربعام الثاني . فثار غضبه عليه وسمح بتعذيبه فجلده اماصيا المذكور بقسوة . وتناول ابنه عصا ضربه بها على صدغه فشجه شجاً عميقاً اغمى عليه للحال . فحمل الى منزله في تقوع وهو بين حي وميت . وفاضت روحه بعد يومين سنة ٧٥٨ قم .

ومما استفدناه من سفر عاموس لتاريخ حمص :

(١) وصفه الامم المجاورة وصفاً بسين لنا فيه حالة السوريين والفينيقيين والفلسطينيين والادوميين والعمونيين في عصره اعني في القرن الثامن قم مما تهنا معرفته جداً .

(٢) ذكره « حماة » ووصفه اياها بالعظمة مما جعل ذلك موضع بحث الجغرافيين اذ قال : جوزوا الى كائنة وانظروا ، وسيروا من هناك الى حماة العظيمة ، ثم اهبطوا الى جت فلسطين ، اتلك خير من هذه الممالك أم تخومهم اوسع ؟ - الى ان يقول - ها انذا اقيم عليكم يا آل اسرائيل امة فيضايقة ونكم من مدخل حماة الى وادي القور ( عا ٢ : ١٥ ) .

فكان وصفه حماة بالعظمة في ذلك العصر موضع نظر الباحثين ، فرأى بعضهم ومنهم يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان المراد بحماة الموصوفة بالعظيمة هنا انما هي حمص نفسها لسببين . الاول ان لفظ حماة العبري كان يطلق في العصور القديمة على بلدي حمص وحماة لاعتقاد العبرانيين ان حمث بن كنعان بنى كليهما وكانت حمص في العصور القديمة تيز عن حماة بوصفها بالكبرى وحماة في زمن



عاموس لم تمكن احم من حص لتنتع بالعشيمة دونها . الثاني ان حص هي النقطة المتوسطة بين كانه الكلدانية وجت الفلسطينية فهي الاولى ان تكون المرادة في ما كتبه عاموس . والله اعلم .

## ٥ ( اشعيا النبي ( ٧٥٩ - ٦٩٩ )

هو اشهر انبياء العبرانيين وله المقام الاول بين الانبياء الكبار ، ولد لآموص الذي قيل انه ابن يواش الملك . فاذا صح هذا كان اشعيا اخاً للملك امصيا . صرف حياته في اورشليم وتنبأ نحو ٥٠ سنة ( ٦٩٩ - ٧٥٩ ) وقد عاصر ثلاثة ملوك من يهوذا يوثام وآحاز وحزقيا ، وذكر التلموديون انه بقي الى ايام منسى الملك الذي استثار غضبه عليه بشديد وعظمه فقتله نكراً في جذع شجرة . كان اشعيا افصح كتاب العهد القديم عبارة وابلغهم معنى . وقد قال فيه صاحب قاموس الكتاب ( ١ ص ١١٢ ) تشف عبارات سفره عن توقد ذهن وقوة تخيل وسمو فكر وحسن تركيب . مما يجعل كلامه بدرجة الاعجاز كأثا الالفاظ والتراكيب كانت طوع بنانه وتحت مطلق تصرفه بأمرها فتأتي طائفة ويشكلها فتتركب على الصورة التي يشاؤها . بحيث لا يجد القارىء في السفر كلاماً فارغاً . لم يترك الكاتب شيئاً من وصف بها السماء وجمال الارض واهوال الجحيم الا ذكره بسلسلة بديعة الانتساق متائلة الاطراف لم يخرج منها عن التناسب والحكمة مع تفاوت زمن الكتابة . ناطقاً بما يحركه الروح وفقاً للظروف والاحوال اه .

حوى سفر اشعيا ٦٦ فصلاً وقمت في قسمين كبيرين الاول من ص ١ - ٣٩ وهو القسم التائيخي النبوي والثاني من ٤٠ - ٦٦ وهو القسم النبوي الخاص . ومما له صلة بتاريخ حص ذكره مجيء الاشوريين الى البلاد السورية ومحاصرتهم اورشليم ( ١٦ - ٣٩ ) . وحوادث اخرى لها صلتها بتاريخ حص ( ص ٧ و ١٣ - ٢٣ ) . وذكر في سفره احدى المدن القديمة التي كانت تابعة مملكة حص .

والمروي ان اشعيا عاش عمراً طويلاً من سنة ٧٧٤ - ٦٩٠ ق م .

## ٦) بيساندروس الرودي

هو الشاعر اليوناني الذي نبغ في اواسط القرن السابع وزار الاماكن المهجورة بذاته ليتعرف الى اهلها وروى ما سمعه وشاهده فيها وقد قام برحلته هذه سنة ٦٥٠ ق م إبان الهدوء الذي ساد آسيا الوسطى . الذي سهل له التوغل في قلب القارة . وقد بدأ رحلته من ساحل البحر المتوسط حيث انشأ اليونان اول محل تجاري . واستفاد هيروودوت كثيراً مما ورد في قصيدته الجامعة التي حفظ منها بعض مقاطع في مؤلفات من هم احدث عهداً منه . وقد قال فيه احد الباحثين :

» قام هسيود وهوميرو من شعراء اليونان ونظما قصائد جزلة ... ولكن قام شاعر اقرب منهما الى فينيقية اعني به بيساندروس من كميز في رودس ونظم قصيدة جمعت فوجت ( تاريخ لبنان ص ٢٩٩ ) .  
وفي هذه القصيدة اشارة الى فينيقية الداخلية التي كانت حصص قاعدتها .



هوميروس اقدم شعراء اليونان ، انظر صفحة ١٦٣



## الحقبة الرابعة

حمص

في أيام اشور وكلدان وفارس

٧٣٢ - ٣٣١

نوطه

متابعة لخطتنا نلم في هذه النوطة بملخص ما عرفه المحققون عن الاشوريين والكلدان والفرس لصلتهم بتاريخ حمص فنقول :

١ - الاشوريون

أشور هو الابن الثاني لسام كما ان آرام هو الابن الخامس . ومن أشور هذا تسلسلت القبائل الاشورية الساكنة في الشرق من دجلة وقد صارت دولة عظيمة عاصمتها نينوى . على ان الكلدان يطلقون لفظ أشور على أهالي المملكة التي عاصمتها بابل ، كما يطلقون كلمة سوريين على البلاد التي كانت حاضرتها الاولى صوبا ( حمص ) والثانية دمشق . ولذا يقع التباس في كثير من الاحيان بين لفظي أشوريين وسوريين . في حين ان المأخذين متباينان الاول من أشور والثاني من سور او صور .

ويحد بلاد أشور من الشمال ارمينيا ومن الجنوب العراق ومن الشرق سلسلة جبال زاغروس ومن الغرب الفرات وبلاد ما بين النهرين ( قاموس الكتاب ١ ص ١٠٢ ) .

وقد قسم ثقات المؤرخين تاريخ أشور القديم الى ثلاث حقبة . الاولى

من بداءة امرهم الى فتح بابل سنة ١٣٠٠ والثانية من فتح بابل الى ملك تغلت بلاسر الثالث سنة ٧٤٥ والثالثة من تغلت بلاسر الى انقراض دولتهم سنة ٦٢٥ .

وانخبارهم في المدة الاولى قليلة لقلة الآثار الناطقة عنها . ومن اشهر من ملوك هذه الحقبة « آشور بليت » الذي صاهر ملك بابل في القرن الرابع عشر ق م . وقام في اواخر القرن المذكور او اوائل القرن الثالث عشر سلعناصر الاول الذي بنى مدينة كالح وغزا ارمينيا وبنى مدناً فيها .

ومن مشاهير ملوك الحقبة الثانية « تغلت نين » الذي شن الغارة على الكلدان ولقب نفسه قاهر بابل . وقد نبغ في الثلث الاول من القرن الثالث عشر . ويليه في الشهرة تغلت بلاسر الاول الذي عظمت ذكره الآثار ( بورتو ٤٩-٦٠ ) ثم تتالى بعده ذكر ملوك آشور من سنة ٩٠٠-٧٤٥ وكثرت احتكاكهم بسورية مما مر ذكره وستمر به ملخصاً .

وقد دلت الآثار على ان الدولة الاشورية بلغت قمة المجد ثلاث مرات في التاريخ . الاولى في عهد تغلت بلاسر الاول ( ١١٣٠-١١١٥ ) والثانية على عهد ادد نيراري الثاني وخلفائه ( ٩٠٠-٧٨٣ ) . والثالثة في زمن تغلت بلاسر الثالث ( ٧٢٧-٧٤٥ ) ( ادي شير : ٨٠ ) .

ونجاح الاشوريين في هذه المدات خولهم عظمة وعتواً دلت عليها كتاباتهم المنقوشة على المرمر ، التي وجدت في صروح ملوكهم . حتى سماهم بعض المؤرخين « رومان آسيا » وقال انهم كانوا يقودون ملوك الاعداء بصنارات ينشبونها في شفاههم ، ويسلخون جلود الاسرى وهم احياء ، ويقودون عيون بعضهم برؤوس السنان ، ويقتلون السنة البعض الآخر ( مايار عد ٦٥ ) .

اقتبس الاشوريون مدنياتهم الاولى من الكلدان في الجنوب ثم اضافوا اليها ما اقتبسوه من مدنيات الشمال والغرب ( حث وآرام ) .

وكانت آشور دولة برية نظير روسيا . فطمحت بابصارها الى بحر الروم ولم يتسن لها تحقيق مطامعها في العصور القديمة ، لوجود دول قوية تحول دون وصولها الى بغيتها . ولكن لما قدم العبرانيون الى سوريا في اواخر القرن الخامس عشر ق م واحتلوا جنوبي البلاد كما احتل الآراميون الشمال الشرقي منها في القرن الثاني عشر ، رأى



الاشوريون الفرصة السانحة لتوسيع نطاق حدودهم في الشمال السوري . فلم يفلحوا في اول الامر ، ولكن بغيتهم هذه اخذت تتحقق . في منتصف القرن التاسع يوم بلغ اشور تزيروبال سنة ٨٧٠ ساحل المتوسط . غير أن السوريين بما حصلوه من الثروات المكتسبة بالتجارة استطاعوا بعدئذ الاحتفاظ بموقفهم أمداً طويلاً وان يصدوا الاشوريين عن التقدم نحو البحر .

وفي اواسط القرن الثامن استأنف الاشوريون مساعيهم فنجحوا اذ أخضعوا سوريا شيئاً فشيئاً . ضامين اجزاءها المتفرقة الى ولاياتهم لعدم استطاعة قادتها الضعفاء الوقوف امام جيوش آشور القديمة . على أن اتساع نطاق المملكة الاشورية أدى الى ضعفها . اذ لم يكن لديها جيش كاف للدود عن املاكها المترامية الاطراف . فكثرت الثورات في البلاد وبينما كان الآراميون يزحفون من جهة الهلال المخصب ، كان الكلدان يزحفون من جهة خليج فارس منتشرين في طول البلاد وعرضها . وهب نبوبلاسر ( ٦٢٥ - ٦٠٥ ) الذي كان من اتباع ملك آشور فقلب لمتبوعه الاعظم ظهر المجن واسقط آشور سقوطاً لم تقم بعده سنة ٦١٢ ( براسند ص ١٠٦ - ١٢٥ ) وفي ما يلي جدول لملوك آشور من اقدم ادوار الدولة الاشورية الى سقوطها مأخوذ عن تحقيقات رولنسون :

### ملوك آشور

| اسماءهم وتاريخ ملكهم حسب نقل بورت | تاريخ ملكهم واسماءهم حسب نقل ادي شير |
|-----------------------------------|--------------------------------------|
| اربافول                           | .....                                |
| أشور الدين اخي                    | .....                                |
| أشور بيل نيسو                     | أشور بيل نيشيشو ١٤٤٠                 |
| بزور آشور                         | بوزور أسور ١٤٢٠                      |
| .....                             | أسور نادنجا ٠٠٠٠                     |
| أشور أفلات                        | أسور بليث ١٤١٨                       |
| بيل لوش                           | بيل نيراري الاول ١٣٧٠                |
| بود ال                            | بود يلو ١٣٤٥                         |

|                  |      |      |                      |
|------------------|------|------|----------------------|
| فول لوش الاول    | ١٣٤٠ | ١٣٢٠ | ادد نيري الاول       |
| سلمناصر الاول    | ١٣٢٠ | ١٢٩٠ | سلمناصر الاول        |
| تغلت نن الاول    | ١٣٠٠ | ١٢٦٠ | تغلت نينيب الاول     |
| . . .            | ٠٠٠٠ | ١٢٤٠ | أسور ناصر بال        |
| . . .            | ٠٠٠٠ | ١٢٣٤ | أسور نيراري الاول    |
| بيل كدرزور       | ١٢٣٠ | ٠٠٠٠ | بيل كدناصر           |
| نين بلازيرا      | ١٢١٠ | ٠٠٠٠ | نيني بلاصر           |
| أشورديان الاول   | ١١٩٠ | ١١٨٢ | أشوردان الاول        |
| 'متغل نيو        | ١١٢٠ | ١١٤٥ | 'متكل نوسكو          |
| أسور رس إليم     | ١١٥٠ | ١١٣٥ | أسور ريشي            |
| تغلت فلاسر الاول | ١١٣٠ | ١١١٥ | تغلتبلاسر الاول      |
| أشور بلكالا      | ١١١٠ | ١١٠٠ | أشور بيل كالا        |
| شمس فول الاول    | ١٠٩٠ | ٠٠٠٠ | شمشيداد الثالث       |
| . . .            | ٠٠٠٠ | ٠٠٠٠ | أسور ناصر بال الثاني |
| . . .            | ٠٠٠٠ | ٠٠٠٠ | أرباداد              |
| . . .            | ٠٠٠٠ | ٠٠٠٠ | أسور نادخا الثاني    |
| . . .            | ٠٠٠٠ | ٠٩٥٠ | تغلتبلاسر الثاني     |
| أشورديان الثاني  | ٩٣٠  | ٩٣٥  | أشوردان الثاني       |
| فول لوش الثاني   | ٩١١  | ٩٠٠  | ادادنيري الثاني      |
| تغلت نن الثاني   | ٨٨٩  | ٨٩٠  | تغلانينيب الثاني     |
| أشور ازيربال     | ٨٨٣  | ٨٨٥  | أشور ناصر بال الثالث |
| سلمناصر الثاني   | ٨٥٨  | ٨٦٠  | سلمناصر الثالث       |
| شمس فول الثاني   | ٨٢٣  | ٨٢٥  | شمشيداد الرابع       |
| فول لوش الثالث   | ٨١٢  | ٨١٢  | ادادنيراري الثالث    |
| سلمناصر الثالث   | ٧٩١  | ٧٨٣  | سلمناصر الرابع       |
| أشورديان الثالث  | ٧٧١  | ٧٧٢  | أشوردان الثالث       |
| أشورلوش          | ٧٥٣  | ٧٥٤  | أسورنيراري الثالث    |



|                   |     |     |                   |
|-------------------|-----|-----|-------------------|
| تقلت بلاسر الثاني | ٧٤٥ | ٧٤٥ | تقلت بلاسر الثالث |
| سلماناصر الرابع   | ٧٢٧ | ٧٢٧ | سلماناصر الخامس   |
| سرجون             | ٧٢٢ | ٧٢٢ | سركينا الثاني     |
| سنحاريب           | ٧٠٥ | ٧٠٥ | سنحاريب           |
| أسرخدون           | ٦٨١ | ٦٨٠ | أسرخدون           |
| أسور بانيال       | ٦٦٨ | ٦٦٨ | أسور بانيال       |
| . . .             | ٠٠٠ | ٦٢٧ | أسور تيلياني      |
| . . .             | ٠٠٠ | ٦٢٠ | سينشاريسكين       |

## ٢ - الكلدان

هم احدى الامم القديمة في التاريخ . وجدت في العراق العربي ونشأت كأمة ودولة في القرن الثالث والعشرين قم . ومؤسسها حسب التقليد المتناقل نمرود الجبار واقدم دولها الدولة الاكادية ، أنشأها رجل سامي الاصل سنة ٢٧٥٠ يدعى سرجون . كان ماهراً في الفنون الحربية . ففاز بتقدرته على السومريين سكان البلاد الاصليين . ومزق شمل رماحتهم وكسر ملكهم شر كسرة . فاستتب له السيادة في سهل شenaar كله . ودانت له المدن السومرية حتى مصب الرافدين ( براسد عدد ١٧٢ ) وكان اول قائد عظيم في تاريخ الجنس السامي ، واول ملك انشأ أمة عظيمة في آسيا الغربية .

ويأتي بعد هذه الدولة بالاهمية دولة قيل انها عربية . وهي خامس دولة في تاريخ دول الكلدان ( يورتر ص ٤١ ) أنشأها الاموريون القادمون من سوريا حوالي سنة ٢٢٠٠ قم . فاستولوا على بابل الصغيرة واخذوا يشنون الغارات على سومير واكاد للاستيلاء عليها . ومن مشاهير هذه الدولة حمورابي سادس ملوكها الذي ملك نحو ٣٠ سنة صرف معظمها في الحروب حتى فاز على جميع خصومه وجعل بابل قاعدة ملكه سيدة مدائن البلاد منذ القرن الحادي والعشرين . وعاش حمورابي بعد فوزه ١٢ سنة كانت عهد سلام . برهن خلالها انه اقدر ملوك الاسرة الامورية . ودلت رسائله الباقية على انه كان من اعظم المشرعين .

وولي الدولة العربية المذكورة دولتان اخريان تعتبران نهاية العهد الاول للدول الكلدانية القديمة ، اذ انحطت دولة بابل القديمة بعد ان ظلت قاعدة المدنية الشرقية ازيد من الف وخمسمائة سنة (مايار عدد ٣٦) وفي ابان هذا الضعف زحف المصريون على الفرات وحصلت بين الفريقين وقائع متعددة استمرت نحو قرن (١٦٦٥-١٥٥٩) انبث فيها المصريون في البلاد الكلدانية ، وكانت شرادهم تسطو على الاهلين وتعيث فيها فساداً . واخيراً عبر توتمس الاول الفرات وفتح بابل عنوة . فلما مات تمرد الكلدان على خلفائه فجدد توتمس الثالث الحملة عليهم



لخاصر بابل وفتحها ووضع من ينوب عنه بحكمها بعد عودته ظافراً . وظل ذلك شأن البلاد الى سنة ١٣١٤ حينما استخلصها منهم تغلت سمعان . وكانت مدة ولاية المصريين على العراق ٢٤٥ سنة ، وبلغ عدد من ملك من الكلدان تحت سلطنة الفراعنة تسعة ملوك ذهب بيروس انهم من اصل عربي ، ويظن انهم عرب من سوريا ( بابل وأشور المدور ١٨١ ) .

حمورابي اشهر ملوك الكلدان يصلي  
( انظر ص ٤٩ و ١٧٣ )

بعدما ذكر خضعت بابل الاشوريين وظلمت تحت سلطتهم الى اواسط القرن الثامن حينما كسر نير آشور من اعناقهم نبونصّر سنة ٧٤٧ (بورتير ٧٤)

وظل الكلدان بعد هذا الملك يتداولهم الهبوط تارة والارتفاع اخرى الى ان نبغ نبوبلاسر (٦٢٥-٦٠٥) فوطد نفوذها وموقفها الاستقلالي ثم خلفه ابنه نيوخذنصر الشهير الذي بسط سيطرته على بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين ، ومات بعدما ملك ٤٣ سنة . ثم خلفه ابنه مرووخ فملك سنتين وقتله نيرغلوسر وملك اربع سنوات . ثم خلفه ابنه لابوسوراكوس فلم يثبت له الملك سوى بضعة اشهر وقتل . خلفه رجل اسمه نبونادور الذي ثلّ عرشه كورش الفارسي بعدما



ملك ١٧ سنة ، وقتل ابنه بلشاصر . وتدعى هذه الدولة الاخيرة الدولة الكلدانية الثانية . وهذه السما ملوكها وتواريخ ملكهم :

|        |                                               |
|--------|-----------------------------------------------|
| ٦٢٥ قم | نبو يولاصر                                    |
| ٦٠٥    | نبوخذنصر ابنه ( ٢ مل ١: ٢٤ ) .                |
| ٥٦٩    | بلسوم اسكون ناب منابه وقت جنونه ( ٢٨: ٤ ) .   |
| ٥٦٣    | عودة نبوخذنصر الى العرش .                     |
| ٥٦١    | اويل مرووخ بن نبوخذنصر .                      |
| ٥٥٩    | نيرغلاسر صهر نبوخذنصر .                       |
| ٥٥٦    | لابوسوراكوس لبث شهراً واحداً .                |
| ٥٥٦    | نبونيد ( اشترك مع ابن عمه ثم فرّ وقت المحنة ) |
| ٥٤٦    | بلشاصر بن نبونيد .                            |
| ٥٣٨    | ملوك الفرس .                                  |

### ٣ - الفرس

أمة آرية الاصل يشاطرها في الانتساب الى هذه الارومة القبائل الهندية . وقد انفصل هذان الفريقان احدهما عن الآخر في القرن التاسع عشر قم احتل احدهما الهند والثاني هضبة ايران . وهؤلاء سكن بعضهم البلاد الجبلية في الشمال الغربي ودعوا ماديين والآخرين سكنوا القسم الجنوبي وسما الفرس ( براسند عد ٢٥٧ ، ومير عد ٢٨ ) .

والاخبار القديمة عن هذه الامة سقيمة جداً لا يركن اليها ولا يعرف عنها ما يستحق الذكر ، وخلاصة ما روي ان الفرس كانوا في العصور القديمة قبائل متفرقة . اجتمعت في القرن العاشر بخضوعها للسلطة الاشورية . وظل ذلك شأنها حتى برزت دولة مادي في القرن السابع . وهذه اقدم دول ايران تلتها الدولة السكيانية في اواسط القرن السادس وبها يبدأ العصر الفارسي الحقيقي ( الهلال ١٦ : ٣٤٥ و ٥٧ : ٥٧ ) وما نقل عن الحقبة التي سبقت العصر الفارسي

ماخص في ما يلي :

كان زمام البلاد في هذه الحقبة للماديين الذين سيطروا على الجبال الواقعة شرقي دجلة . ثم اتسع نطاق صولتهم من خليج فارس شمالاً بغرب على موازاة الجبال الى حدود البحر الاسود ( براسد عدد ٢٦٠ ) .

ولم يكن الفرس ينكرون سيطرة الماديين ، حتى ان كبيز ابا كورش كان خاضعاً لاستياج المادي كما روى هيودوت فضلاً عن ان نبوخذنصر الشهير ملك الكلدان كان مع عظمته ينظر اليهم نظرة حذر .

على ان الماديين كانوا هم انفسهم في ما سبق تحت سلطة الاشوريين الى سنة ٧٥٩ قم حينما نهض ارباسيس القائد المادي لجيش سرنفول ملك آشور بالاتفاق مع بيليزيس بثورة سنة ٧٦٠ فأسقط الملك عن عرشه واستقل بالسيادة علي مادي وظل في العرش حتى توفي . خلفه ديوسيز ( الضحاك ) الذي روى انه بنى اكبتانا ( همدان ) واحاطها بسبعة اسوار جاعلاً كلاً يعلو على الثاني بمقدار شرفة . واختلفت هذه الشرفات بالالوان من ابيض الى ازرق فأجر فأرجواني فأسود ففضي فذهب وداخل الاخير سراي الملك ( البستاني ١٠٩٠ : ٤ ) .

وطالت مدة حكم هذا الملك حتى بلغت ٥٣ سنة فلما توفي خلفه فراورت . وحاول هذا فتح نيثوى فلم يفلح ، بل قتل تحت اسوارها مع عدد كبير من عسكره وكانت مدة حكمه ٢٢ سنة . خلفه ابنه كياكسار بعدما ملك ٤٠ سنة . وخلفه ابنه استياج الذي روى انه كان وكلاً كسولاً لم يرزق سوى ابنة واحدة اسمها مندانة تزوجها كبيز امير الفرس الخاضع له .

رووا ان استياج رأى حلاً اقضى عليه مضجعه . وهو ان كومة كانت في بستانه ، خرجت من قصر ابنته وامتدت اغصانها حتى ظلت آسيا كلها . وفسر حلمه العرافون بان ابنته تلد ابناً يسيطر على جميع اقاليم آسيا ، فراع ذلك فاستقدم ابنته من بلاد الفرس وحجزها عنده ، فلما ولدت ذكرأ استدعى احد قواده وكلفه سرأ بقتل الطفل . فنصحته زوجته ان لا يفعل لان الطفل هو الوريث الوحيد لعرش استياج . فسلم الطفل الى احد الرعاة وكلفه بتتيميم ما امر الملك به . فعذبه ضميره جداً ، واتفق ان امراته ولدت طفلاً ميتاً فأشارت على زوجها ان يلقي ابنها الميت على احد الجبال ويبقى ابن مندانة لتربيته هي . ففعل ما اشارت به بعدما ألبس



ابنه الميت ثياب الامير الطفل . وارسل القائد ارباغوس احد خدامه ليتحقق من تنفيذ امر الملك فوجد الطفل ملقى على جبل عال فاقد النسمة فاطمان . ربت زوجة سباكو ( الراعي ) الطفل ودعته كورش ( السيد ) فنشأ نشأة تدل على النبوغ والطموح الى السيادة واحدى حوادثه كانت السبب في كشف ما خفي :

فانه لما كان ابن عشر سنوات جمع اترابه وقام رئيساً فيهم . وكان بين الاولاد غلام من اسرة شريفة تمرد على كورش فأمر بجلده فجاء واخبر اياه . فشكاه هذا الى الملك الذي استقدم الراعي للتحال مع ابنه واستجوب الفتي فكان جوابه المحكم سبياً لتأمل الملك



« كورش الفارسي »

ولما عرف من الراعي سنه انفرد بالراعي واستنطقه بتهديد فأخبره بما حدث . فعذر الراعي وتقم على ارباغوس القائد وقتك بابنه وأطعم اياه من لحمه . ثم ارسل كورش الى اهله في فارس فأخبر والديه بما جرى له فسرّاً به . وتابعا تربيته العسكرية فنشأ جبار بأس حازماً كان موضع احترام الفرس كافة . ولما درى ارباغوس بالامر اخذ يرأسه سرّاً مطعماً اياه بالعرش ومهيئاً له الاسباب التي منها كره معظم الماديين لجده بحيث اذا تقاعس هو تولى العرش سواه . فجهز للحال حملة كانت القاضية على الجيش المحارب عن استياج . ووقع استياج اسيراً بيد حفيده وظل اسيره حتى مات بعد ما ملك ٣٥ سنة .

على رأسه تاج وعلى كتفيه اربعة اجنحة رمز السلطة الملكية . وجدت في سهول مرغب حيث كانت العاصمة .

تولى عرش مادي سنة ٥٣٨ احد ابناؤه كروش المدعو كياكسار الثاني اوداريوس المادي فلم يبق فيه سوى سنتين وتوفي

فقطع بالعرش احد اشراف بابل ومادي وكان كورش موقفاً في حروبه اذ اخضع البرتيين والارمن والاناضول وما بين النهرين وسوريا وجزءاً من بلاد العرب ومات بعدما ملك ٣٠ سنة . وبلغت الدولة في ايامه من الهند شرقاً الى المتوسط غرباً .

وورث خلفاء كورش منه الحق على اليونان فحصل لهم معهم حروب كثيرة ، من اشهرها خمس انتصر الفرس في اثنتين منها وخذلوا في ثلاث ، الاوليان معركتا ساردس سنة ٥٤٧ ومصر سنة ٥٢٥ والثلاث معارك ماراثون سنة ٤٩٠ وترموبيلي سنة ٤٨٠ وارييلا سنة ٣٣١ .

قال براستد ( عدد ٢٥٢ ) معظم التاريخ القديم عبارة عن انباء نزاع مستمر بين الشعب السامي الجنوبي وبين الهندي الاوربي الشمالي . وقد كان هذان الشعبان متقابلين كجيشين كبيرين يمتدان من آسيا الغربية الى الاطلانتيك غرباً . والحروب الناشبة بين رومة وقرطاجنة احدى هذه المعارك . والانتصار الذي احرزه الفرس على الكلدان كان من نتائجها فوز الميمنة على اليسرة . وبعد هذا النزاع الطويل ، فاز الشعب الهندي الاوربي ( الفرس ) في الميمنة واليسرة والقلب . وصحب هذا الانتصار عراق بين ابناء شعب الشمال انفسهم ، طمعاً بنيل السيادة العامة ، المنتفلة من الطرف الشرقي الى الغربي . من الفرس الى اليونان فالرومان الذين بسطوا سلطتهم على مناطق البحر المتوسط وسائر بلدان المشرق ا هـ .

### وفي ما يلي جدول ملوك مادي وفارس

| سنة قم |                |
|--------|----------------|
| ٧٥٩    | ارباسيس        |
| ٧٠٩    | ديجوسيز        |
| ٦٥٦    | فراورت         |
| ٦٣٤    | كياكسار الاول  |
| ٥٩٣    | استياج         |
| ٥٥٨    | كياكسار الثاني |



|     |                                                                        |
|-----|------------------------------------------------------------------------|
| ٥٥٦ | كورش على مادي                                                          |
| ٥٣٦ | كورش على مادي وفارس وبابل                                              |
| ٥٢٩ | كمبيز بن كورش                                                          |
| ٥٢٢ | سمرديس                                                                 |
| ٥٢١ | داريوس هستاسب                                                          |
| ٤٨٦ | زركسيس الاول                                                           |
| ٤٦٥ | ارتخششتا الطويل اليد                                                   |
| ٤٢٤ | زركسيس الثاني ٤٥ يوماً فقط                                             |
| ٤٢٣ | داريوس نوتوس                                                           |
| ٤٠٤ | منيمنون اوخوس                                                          |
| ٣٥٨ | اوخوس بن منيمنون                                                       |
| ٣٣٧ | ارسيس بن اوخوس                                                         |
| ٣٣٥ | داريوس قدامانوس وهو آخر ملوكهم وقد بطش به اسكندر<br>المكدوني سنة ٣٣١ . |

### الصراع بين الحثيين الثالث والرابع

عانت حمص في الحقبة الثانية مشقة مناهضة الدولة المصرية لاقتحامها مع الحثيين الديار المصرية وبسطها سيطرتها عليها مدة ليست بقصيرة ( المقتطف ٢٢ ص ٢٦١ و ٤٣٤ ) . وعانت في الحقبة الثالثة معاركة العبرانيين لطموح هؤلاء نحو الشمال . اما في هذه الحقبة فقد قام عراكهم مع الاشوريين - وكان قد بدأ في الحقبة السابقة - ثم مع الكلدان وتلاهم الفرس . وكانت حمص اقوى اجزاء سوريا دفاعاً عن حوزتها . فلما دانت للفاتحين دان الكل لهم . وفي ما يلي لمحة عن المحن التي نزلت بجمص يسهل معها فهم الاسباب التي اودت بجمص وجعلتها ترضى بالشرب على القذى وهي المتسردة على كل عتو .

فقد هاجم مملكة حمص تغلت بلاسر الاول مرتين الاولى في السنة الثانية

من ملكه . والثانية في الرابعة فأحرق عماراتها وآب بالغنائم الوافرة ( بورثر ٥٢ )  
غير ان هذه المفاجأة لم تتكرر اذ ان المحصين اخذوا حذرهم فلم يعد يجراً  
هو ولا خلفاؤه على وطء هذه البلاد . وظل ملوك آشور ٣٥٠ سنة او تزيد  
لم يهوسوا خلال الديار لشدة المقاومة التي توقعوها من آرام حص اولاً ثم من  
فينيقي الساحل وعباني الجنوب . وانحصرت جنود آشور ضمن حدودهم حتي القرن  
الثامن ( برستد عد ٢١٤ ) .

ويستثنى مما ذكر آشور تزيبال الذي اجتاح البلاد السورية بعدما كسر  
شوكة الحثيين في الشمال وفتح عاصمتهم كينالو ( بين عفرين والعاصي ) ثم اجتاز  
العاصي الى الجانب الشمالي من لبنان سنة ٨٧٥ ( البستاني ١٠: ٢٠٩ ) .  
وتلاه ابنه شلمنأصر الذي بلغت غزواته ٢٣ فاز في تاسعتها على ملوك سوريا  
المتحالفين ومنهم بنهدد ملك صوبا ( حمص ) وسكهولينا ملك حماه . ثم اجتاح  
سوريا بعد سنتين فلم يقاومه سوى بنهدد ملك حمص ودمشق واستطاع هذا ان  
يربح المعركة . وبعد مرور ثلاث سنوات حشد شلمنأصر قوات عظيمة لاسترداد  
مكائنه الحربية بعد فشله السابق فعنا لقوته حثيو الشمال والحمويون وتقهر الفينيقيون  
وصمد له المحصيون والدماشقة . غير ان انفرادهم في المعركة مكن شلمنأصر من  
تحزرتهم بقواته العظيمة واكراههم على اللواذ بانتيلبنان بعد خسارتهم ١٦ ألفاً  
( البستاني ١٠: ٢١٠ ) وختمت حوادث الحلقة المنقضية بثل عرش رصين آخر ملوك  
منطقتي حمص ودمشق المتحدتين على ما مرّ بك . واليك اهم حوادث حمص في  
هذه الحلقة .

## ١- سرجونه وثورة صوبيا الشمالية

لم يرد اسم سرجون في العهد القديم سوى مرة واحدة في سفر اشعيا  
( ١: ٢٠ ) فاتهم الملحدون اشعيا بالجهل . وظلت هذه القضية مدار حيرة القدماء ،  
مدة ليست بقصيرة . وحاول بعضهم التوفيق بين رواية الكتاب وما ذكره  
المؤرخون القدماء . فذهب البعض الى انه نفس شلمنأصر الخامس وظن آخرون



انه سنحاريب . غير ان الاكتشافات الحديثة حلت الاشكال وايدت رواية اشعيا اذ عرف ان سرجون هو خليفة شلمنصر وابو سنحاريب واليك خلاصة ما اجتمع من رواية الآثار عنه :

كان شلمنصر مع ابيه تغلت بلاسر معجبين ببابل يفضلانها على نينوى عاصمة آشور . فاستاء الاشوريون منها ولاسيا من الاخير . فلما انهمك شلمنصر بمحاصرة السامرة استحسنوا الفرصة ونادوا بسرجون ( شركينا ) قائد الجيش ملكاً على آشور .



واظهرت الآثار ان سرجون

المذكور كان من اعظم ملوك

آشور نال انتصارات كثيرة على

الممالك المجاورة لآشور . غير ان

انتصاراته هذه لم ترح باله اذ

اقض مضجعه ثورة سوريا الشمالية

التي قام بها يهوئيد ( ايلبودي )

ملك حماة . واسباب هذه الثورة

نلخصها عن الكتاب والآثار بمايلي :

ان القائد الاشوري (سرجون)

تمكن من فتح السامرة سنة ٧٢١

بعد موت شلمنصر . فسي سكانها

واسكن موضعهم اقواماً من كوتا

( هبت ) وعوا وحماة وسفروايم .

ولما سقطت المملكة الاسرائيلية سرجون ملك آشور مع احد موظفيه انظر ص ٤٢

بسقوط السامرة زال الحد الفاصل بين مصر و آشور . خاف ملك مصر اقتحام

الاشوريين الاراضي المصرية ، خالف ملوك سوريا الشمالية واغراهم على محاربة آشور

واعداً اياهم بالنجدة ، فانصاع هؤلاء لمواعيده ودفعهم الالباء الى الثورة وتسلم قيادة

جيوش الحلفاء يهوئيد ملك حماة لصلته بن قطن السامرة من الحمويين الذين وعدوه

برفع لواء العصيان في السامرة حالما تعلنه الشمال .

فعظم الامر على سرجون جداً فجهز حملة عظيمة قادها بذاته . وسار على

العصاة فنشب القتال في عدة مواضع ولم يستطع المتحالفون الوقوف امامه . اذ لم تكن لهم المعنويات التي لقواته . وظل سرجون يسير من نصر الى نصر والمتحالفون يتابعون تقهقرهم ، حتى كانت المعركة الفاصلة عند « قرقر » وهناك تم له النصر التام . اذ وقع ياهوييد اسيراً بيد سرجون فأمر بسلخ جلده وهو حي واخذ من فرسانه ٦٠٠ ومن عرباته ٢٠٠ ضمها الى معسكره . وقتل جميع الذين اضرخوا نار العصيان في الشمال . ثم تابع حملته الى الجنوب فداهم غزة بجيوشه ففر ملكها حانون الى رافيا حيث وصلته نجدة مصرية يقودها سباقو فحمل عليهما سرجون وقهرهما معاً فأسر ملك غزة وفر سباقو الى مصر وكان ذلك سنة ٧٢٠ ( ادي شير ٨٩ وبورتر ٥٩ والدبس ٤٧٧:٢ وبوست ٥٥٥:١ والبستاني ٥٥٨:٩ ) .

وقد نقش سرجون هذه المعارك على صفحات من الاجر ما برح بعضها محفوظاً وان تحطم بعض منها . كما اشار اشعيا الى هذه الحوادث قبل وقوعها بنحو ثماني سنوات ( ٣٢-٢٩:١٤ ) . وبعدما ملك سرجون نحو ١٧ سنة ملائ بالحوادث الهامة اغتاله احد الكلدان وهو في قصره الذي بناه لنفسه في مدينته الجديدة خرسباد .

## ٢ - غزوات سنحاريب

ادرك الاجل سرجون سنة ٧٠٥ خلفه ابنه سنحاريب في ١٢ آب من السنة نفسها ، وهو من اشهر ملوك آشور . قضى مدة ملكة البالغة ٢٤ سنة في الحروب وقد خادنه النصر في جميع غزواته الا ما قل منها . والذي يهمننا من حملاته اثنتان احدهما حصلت سنة ٧٠٢ والثانية سنة ٦٨٩ اللتان غزا فيها سوريا .

من اسباب حملته الاولى ان ملوك صيدا وعسقلان ويهوذا خلعوا الطاعة لملك آشور سنحاريب على اثر وفاة سرجون . وحالفوا ملك مصر عليه . ولما جاهر ملك عقرون بتحزبه لملك آشور ثار عليه قومه واعتقلوه واسلموه الى خزقيا ملك يهوذا فحبسه في اورشليم . فغضب سنحاريب وجيز حملة كبيرة اجتاح بها البلاد السورية ووقع رعبه في جميع البلاد المجاورة فقدم له ملوك ارواد وجبيل



وعمون ومواب وادوم واشدود هداياهم . واحتفظ بالموقف السليبي حزقيا ملك يهوذا .  
وصدقيا ملك عسقلان . اللذان انتظرا نجدة ملك مصر نخاب املها . وزحف  
سنحاريب على بلاد عسقلان ففتح حصونها واعتقل صدقيا ملكها ونصب مكانه  
شرلوداري بن روكيش . ولكن لما اراد الزحف على عقرون قدمت جيوش مصر  
فلاقاهم سنحاريب راوقع بهم فانهزموا اشنع هزيمة تاركين في الميدان قسماً من  
مركباتهم الحربية وكثيرين من القتلى والجرحى .  
ولما درى حزقيا بما حصل اطلق سراح بادي ملك عقرون واسترضى سنحاريب  
بثلاثاية وزنة فضة وثلاثين وزنة ذهب . فماد الى نينوى وكان ذلك سنة ٧٠٢ .  
اما الحملة الثانية التي حدثت بعد ١٢ سنة من الاولى فسيها ان حزقيا  
جدد العهد مع ترهاقة ملك مصر الشجاع الذي قتل سباقو وحل محله . فحمل  
سنحاريب على ارض يهوذا ، وضيق الحصار على اورشليم ولكن وباء حل  
بجيشه قضى على معظمه فاضطر سنحاريب ان يعود الى نينوى بالفشل سنة ٦٨٩  
وقد كتم امر فشله هذا غير ان عدم عودته الى سوريا يؤيد ما ذكر اعلاه .  
وفي اواخر ايام سنحاريب هجم عليه ابناء ادرملك وشرآصر وقتلوه  
بالسيف وهو يصلي لآلهه نسروخ وكان ذلك في ٢٠ كانون الثاني سنة ٦٨١ .  
وفي رواية بعض المؤرخين ان حيقار الحكيم كان في ايام سنحاريب هذا  
بل كان وزيره الاول وقصته معروفة متداولة .

### ٣ - اسرحدون

كان سنحاريب قد اقام حال حياته ابنه البكر اسرحدون ملكاً على  
بابل ولعل تخصيص ابيه اياه بهذه النعمة كان سبب نقمة اخويه على الاب . فلما  
بلغ اسرحدون وهو في بابل نبأ اغتيال ابيه اسرع في الحال للانتقام من اخويه  
فقرا الى جهات الفرات فتبعهما اسرحدون مشياً على الاقدام رغم شدة البرد  
في شباط . ووقع العراك بين الفريقين فانتصر اسرحدون وتوارى الاخوان في  
ارمينيا وانطفأت الفتنة بعد عراك دام ٤٢ يوماً ( ٢٠ ك ٢ - ٢ آذار ) وعاد  
اسرحدون الى العاصمة حيث تسلم العرش في ١٨ آذار سنة ٦٨١ ( ادي شير : ١١٥ ) .

على ان هذه الفتنة تركت اثرًا سيئًا في المملكة اذ جرأت كثيرين على طلب الاستقلال . ومن هؤلاء كلدان سواحل خليج العجم والفينيقيون على سواحل المتوسط ، فقد نشر الفريقان لواء العصيان وتأهبوا لمحاربة اسرحدون ، فأرسل حملة خضدت شوكة الاولين سنة ٦٨٠ وحملة ثانية سنة ٦٧٩ قضى فيها على قوة الفينيقين اذ اعتقل ملكهم عبد ملكوت وهو فار وقطع رأسه . وبعد هذه الحادثة بنحو سبع سنوات ثار السوريون باغراء ترهاقة الحبشي ملك مصر محاولين خلع نير آشور وكان عددهم ٢٢ ملكاً ( پوست ١ : ١٠ ) من اشهرهم بعل ملك صور ومنسى ملك يهوذا فساق اسرحدون حملة عظيمة على سوريا تمكن بها من اخضاع السوريين كلهم . واعتقل منسى ملك يهوذا بسلاسل وارسله الى بابل ( ٢ اي ٣٣ : ١١ - ٢٣ ) . ولما امتنعت صور عليه ترك قوة تحاصرها وقصد مصر لقطع جرثومة الفتنة . فبلغها ثالث توز وكانت المعركة الفاصلة في ١٦ منه . في نهايتها فاز اسرحدون وتمكن من فتح منف في ١٢ منه حيث اسر الملكة وولي العهد وفر ترهاقة فلم يستطع لحاقه وفي اثناء عودته وضع اثرًا على نهر الكلب بجانب رسوم رعسيس الثاني وتغلت بالاسر الاول وشاهناصر الثاني ( ادي شير ١٢٠ ) .

#### ٤ - أسور بانيال

أسور بانيال هو الابن الصغير لأسرحدون تسنم عرش آشور سنة ٦٦٨ على اثر وفاة ابيه لان اخاه البكر كان قد عين ملكاً لبابل على حياة ابيه ، فكان هذا الملك من اعظم ملوك آشور وفق في معظم حملاته حتي هابه جميع الامم المجاورة . ومن حروبه التي لها صلة بتاريخ حص حملته على العرب التي نلخصها عن ادي شير ( ١٣٢ : ١ ) .

ان أسور بانيال بعدما انتهى من اذلال العيلاميين ، وجه غارته على المغرب لانهم اعانوا اخاه يوم دارت رحى الحرب جنوبي الفرات وغربيه ، وكان عبياتا ملك العرب اتفق مع ملك النبط في حوران والملك هويينة . فعبر الاشوريون الفرات سنة ٦٤٢ واجتازوا الصحراء مارين باش وقيدار يقطعون الشجر ويسدون



الآبار ويستاقون المواشي حتى بلغوا الشام ودخلوا دمشق بغنائم وافرة وخرجوا من دمشق ثالث آب متوجهين الى حوران فاستولوا على تلك البلاد بعدما فتحوها حاجولتي واسروا عبياتاً وضربوا الجزية على نادان ، وفي رجوعهم نكلوا بدينقي عسكا وأوشا في فينيقية اعصيانها عليهم . وعادوا الى نينوى بغنائم عظيمة جعلت ثمن الجمل نصف مثقال فضة . هذه الحادثة اهم ما يهمننا الاطلاع عليه من تاريخ آشوربانيال الذي ملك اكثر من اربعين سنة ( ٦٦٨-٦٢٧ ) ليلاح القارى . منه موقف منطقة حمص ابان فوضى السياسة في تلك العصور . وبعد وفاة بانيال انحطت دولة آشور ، اذ خلفه بعد وفاته آشور تيليلاتي ( دايلى ) ولم يترك له اثر يستحق الذكر ثم خلفه سنة ٦٢٠ اخوه سينشاريشكين ( سراتوس ) الذي في ايامه سقطت دولة آشور على يد الكلدان سنة ٦٠٨ .

## ٥ - غزوة فرعون نحو

في الفترة التي تخللت سقوط الدولة الاشورية وقيام الدولة الكلدانية الجديدة . هاجم البلاد السورية فرعون نحو ملك مصر ( ٦١٢-٥٩٦ ) سائراً في الطريق الذي سلكه اسلافه . قاصداً اغتنام الفرصة السانحة للانتقام من آشور ابان ضعفها . فعارضه عند مضيق مجدو يوشيا ملك يهوذا ، ولكنه لم يستطع الوقوف امام الجيش المصري فوقع قتيلاً في المعركة وتشتت جيشه ( ٢ مل ٢٣: ٢٩ و ٢ اي ٣٥: ٢٠ ) وتابع نحو سيره حتى انتهى الى بلاد حمص فاستولى على قادس ثم اجتاز سوريا الشمالية حتى الفرات واستولى على كوكيش ، ولما عاد من حملته الناجحة سنة ٦٠٧ رأى اليهود قد ملأ كروا يواحاز بن يوشيا فغضب نحو لتخليكهم الاصغر دون الياقيم الاكبر الذي نصح اباه والشعب ان لا يعارضوا ملك مصر ابان سيره فلم يسمعوا له . فأرسل نحو فريقاً من جنده فاعتقل يواحاز وسبق اليه وهو في ريلة من اعمال حمص . فعزله بعد ثلاثة اشهر من ملكه واقام اخاه الياقيم ملكاً بدله وسماه يوياقيم بعدما اخذ غرامة من اليهود ( ٢ مل ص ٢٣ ) وقد اشار الى هذه الحادثة النبيان ارميا ( ١٠: ٢٢ ) وحزقيال ( ٢: ١٩ ) .

ملاحظة - نسبت ربله الى حماة في سفر الملوك مع انها من اراضي حمص وفي هذا تأييد لما سبق اياده من ان المدينتين كانتا تحملان اسماً واحداً في القديم وتيز حمص عن حماة احياناً بنسبتها الى مملكة صوبا فيقال « حماة صوبا » و احياناً ترد بلفظ حماة وحدها مجردة كما في هذه الآية ( ٢ مل ٢٣: ٣٣ ).

## ٦ - ملوك نبوخذ نصر

نبوخذ نصر بن نبوبلاسر هو من اعظم ملوك الدولة الكلدانية الجديدة بلا منازع . كان ابوه نبوبلاسر من اقدم أسر كلدة فولاه أسور بانيال ملك الاشوريين على بابل . فأحسن ادارة البلاد وقال ثقة الاهلين وحسبوه هو ملكهم العظيم . فلما ضعف امر الاشوريين على ما مرّ بك نال لقب ملك ولكنه ظل خاضعاً لآشور الى سنة ٦١١ فلما اضطرب شأن الدولة الاشورية لم ير بداً من مخالفة الاشكوزيين والماديين على نينوى ، فحاصروها مدة ثلاث سنوات وفيها سراتوس آخر ملوك آشور . فلما رأى هذا ان النجاة غير ممكنة . وأبت نفسه الاستسلام للاعداء ، جمع اثاثه وجميع ماله وأسرته في قصره الخاص واضرم النار فيه فباد وجميع من له ، وكان ذلك سنة ٦٠٨ ( ادى شير ص ١٣٦ - ١٤٠ ) فتقاسم البلاد الماديون والكلدان فأخذ الاولون البلاد الشمالية واخذ نبوبلاسر بعض عيلام وما بين النهرين وسوريا .

واغتصبت مصر فرصة محاصرة نينوى فحملت على سوريا بغية احتلالها وكان ملكها نخو الثاني بن بسپاتيك ففتك بيوشيا ملك يهوذا . وبعدهما انتصر في مجدو استولى على فارس ووصل بفتوحاته الى الفرات حيث فتح كركيش وكل شمالي سوريا ( هيرودوت ك ٢٠٩ ) .

آنئذ اهتم نبوبلاسر لاسترداد اعمال سوريا من نخو . ولكن شيخوخته التي بلغت حدها الاقصى حالت دون ما تفي . فعمد بذلك الى ابنه نبوخذ نصر . فقاد هذا الحملة الى سوريا واصطدم بالخييش المصري عند كركيش . وبالرغم من كثرة عدد الجنود المصريين المؤلفة من مصريين واحباش ويونان ، فاز نبوخذ نصر عليهم وكسرهم شر كسرة . وتبع آثار الفارين حتي آخر سوريا دون ان يجسر



احد من ملوكها على معارضته . ثم تابع سيره الى مصر شاطراً جيشه قسمين ، سائر احدهما على الساحل والاخير من عبر الاردن . واكنه لما بلغ حدود مصر اتاه نعي ابيه نخشي حدوث فتنة لوجود دعي للعرش . فعقد عمدة مع ملك مصر وقفل راجعاً الى بابل حيث ضبط الصولجان سنة ٦٠٤ واستقر له الامر .

**حملة الثانية -** وفي اثناء ذلك . انحاز يوباقيم الى مصر . فاستاء منه نبوخذنصر واكنه كان وقتئذٍ منهمكاً بشؤون الملكية في الشرق فاكتفى باثارته الكلدان القاطنين في جنوبي بين النهرين والآراميين والموابيين والعمرانيين على ملك يهوذا المذكور ( ٢ مل ٢٤: ١٢ وحز ٢٩: ٨ ) فضايقوه وطرقوا اورشليم مدة ولكن يوباقيم احسن الدفاع عن عاصمته فلم ينل المحاصرون منها مأرباً . فاضطر اذ ذلك نبوخذنصر ان يقود بنفسه الحملة على يهوذا . فتمكن من فتح المدينة واعتقل يوباقيم بسلاسل من نحاس بغية اخذه الى بابل . غير أن يوباقيم قضى نحبه قبل السفر . فطرحت جثته على الارض كما تنبأ عنه ارميا النبي ( ١٩: ٢٢ ) ووضع نبوخذنصر بدلاً منه على عرش يهوذا يهوياكين بن يوباقيم وعاد الى بابل سنة ٦٠٢ .



« نبوخذنصر »

صورته وهو شاب وعلى رأسه خوذة وجدت على خاتم محفوظ في متحف برلين

**حملة الثالثة -** ولم يطل الوقت على ما ذكر حتى بدت علامات التمرد على يهوياكين بتأثير المصريين . فجهز نبوخذنصر حملته الثالثة على سوريا فاستولى على فلسطين وضبط اورشليم وساق قسماً من اهلها الى بابل . وفيما بين الاسرى كان يهوياكين نفسه الذي ظل في بابل ٣٧ سنة ( ٢ مل ٢٥: ٢٧ ) واقام نبوخذنصر صدقياً عم يهوياكين ملكاً بدلاً منه سنة ٥٩٨ .

**حملة الرابعة -** بعد عشر سنوات مما ذكر ، عصى صدقياً على بابل فأتى نبوخذنصر واخذ المدينة بعدما برح بها الجوع الشديد ( ٢ مل ٢٥: ٣ ) وفر صدقياً ليلاً من ثغرة بين السورين الى وادٍ منحدر نحو الجنوب الى طريق اريحا . بغية اجتياز الاردن والالتجاء الى موباب ( شرح الملوك ٤: ٤٨٧ )

ولم يدر ان الكلدانيين كانوا له على الطريق (مرا ١٩:٤) فطاردوه وادركوه واعتقلوه بدون قتال . اذ انقض رجاله جميعهم من حوله جبناً ويأساً . فاقتيد الى نبوخذنصر الذي كان معسكراً في رجلة فعامله بقسوة اذ قتل ابنه امامه . ثم قور عينيه واخذته اسيراً الى بابل ، وولى على اليهود جدليا بن احيقام صديق ارميا النبي (٢ مل ٢٥:٣٢ وار ٤٠:٥) .

ولكن اسمعيل بن نثيا احد الذراري الملكية الذي لجأ الى بني عمون خوفاً من نبوخذنصر لما عرف باسناد الحكم الى جدليا عاد الى فلسطين . وفي اثناء وايمة اقامها له جدليا استسبح غفلة منه بعد العشاء فاغتاله وفر الى بلاد العمونيين (ار ٢٢:٤١) كما فر عدد كبير من اليهود الى مصر خوفاً من الكلدان الذين حملوا عليهم حملة شديدة وسبوا من بقي منهم الى العراق . ثم زحفوا على الموابيين والعمونيين والادوميين فاخضعوهم كلهم (ادي شير ١٤٤:١٤٤ وبورت ١٤٩-١٥١) . وكانت هذه الحملة آخر ما مني به السوريون ولاسيا الجنوبيون منهم من معارك الكلدان ، ونرى من المفيد تلخيص ماجريات ملوك الدولة الكلدانية قبل الانتقال الى حوادث محص في ايام الفرس .

كان نبوخذنصر اعظم ملوك الكلدان بل من اشهر ملوك العالم القديم . وقد ذكر في اسفار الملوك والايام وعزرا ونحميا واستير وارميا ودانيال (قاموس الكتاب ٢:٤١٢) غير ان حملاته الناجحة اوجدت فيه غروراً عظيماً وعجباً زائداً (دا ٤:٣٠) فاصيب بمرض دماغي افقده ادراكه وهام على وجهه في القفار مدة سبع سنوات (٥٦٩-٥٦٣) . ومع ان الآثار لم تذكر ذلك صراحة ، فقد وجد رولنسون الماعاً اليها اذ يقول في احد آثاره : « عدة سنوات لم يسر قلبي بالسكنى في مملكتي ولم ابنر بناء لها بقوتي . . . وفي عبادة سرودوخ آلهي لم ارتل . ولم اقدم الضحايا على مذبحه اه » ولكنه قبل موته بدة عاد اليه صحوه فملك سنتين ومات خلفه ابنه « اويل سرودوخ » الذي لم يكن له سطوة ابيه فتنازع السلطة في ايامه فريق الاشراف والكهان ، فثار عليه صهره نرغليزاصر وقتله وجلس مكانه على العرش بحجة ان اويل سرودوخ اخلى سبيل يهوياكين ملك يهوذا واقامه قهرماناً لبيته (٢ مل ٢٥:١٧-٣٠ وار ٥٢:٣١-٣٤) . ثم توفي نرغليزاصر بعد خمس سنوات من توليه العرش خلفه ابنه



لابوسوراكيس وملك تسعة اشهر فقط وقتله نبونهيدي زعيم فرقة الاشراف ، وكان هذا واهي العزيمة قليل المبالاة بشؤون الدولة ، فاعتنم كورش هذه السانحة واستولى على بابل سنة ٥٣٨ زغم مدافعة بلشاصر بن نبونهيدي الذي دافع بشجاعة فقتل هو وأسر ابوه ونفي الى قرمان وقت بذلك نبوة ارميا (٥١: ٣٢) .  
ومما يلفت النظر ان ثلاث دول عظيمة شرقية سقطت الواحدة تلو الاخرى في مدة سبعين سنة فقط ، آشور التي انقضت سنة ٦٠٨ ومادي التي بادت سنة ٥٥٩ وكالدة الثانية التي سقطت سنة ٥٣٨ .

وانما سقطت هذه الدول من حالي مجدها بسرعة لان ثباتها انما كان بشخصيات ملوكها لا باستعداد اهلها ومراعاتهم النظام الدولي .  
فالاولى اخذت تنهار بعد وفاة ملكها الجبار آشور بانيبال الذي ملك ٤٢ سنة (٦٦٨-٦٢٦) .

والثانية بعد موت ملكها العظيم المقدام كياكسار الذي ملك ٤٠ سنة (٦٣٣-٥٩٣) .

والثالثة بعد موت ملكها العظيم نبوخذنصر الذي ملك ٤٣ سنة (٦٠٥-٥٦٢) .  
ومما لا بد من الاشارة اليه ان وطأة الكلدانيين على سوريا الشمالية كانت خفيفة جداً والمظنون ان حمص في ايامهم كانت حاصلة على حاكم آرامي يدير شؤونها بالحكمة ولم يكن حظ حمص اقل من ذلك في ايام الفرس كما ستري .

## ٧ - كورش وحمص

بعد سقوط الدولة الكلدانية واستيلاء كورش على جميع ممتلكاتها ، امتدت سلطته الى سوريا كلها وفي جملتها حمص التي لم تبد منها معارضة كسائر مدن الداخلية نظير حاب وحماة ودمشق . كما ان مدن الساحل لم تجد بداً من الاستسلام لسطوة الظافر بعد رؤيتهم خضوع المدن الاخرى .  
واظهر كورش من الدهاء والحكمة ما اكسبه عطف السوريين كافة ومن ذلك سماحه للمسيبيين من اليهود بالعودة الى بلادهم بعد جلاء سبعين سنة .  
وكان للعدل الفارسي بسطة في القلوب . فعم الاقرار بسيادته سنة ٥٣١ (يني ١٠٨) .

ولم يوجد من يرفع صوته بالاحتجاج او يتغني الفتنة .

وقد اكتشف العالم هرمز رسام سنة ١٨٧٩ اسطوانة اجر في خرائب بابل ، كتب عليها ٤٥ سطرًا اتلفت الايام منها ٢٥ سطرًا . وبقي منها ما ترجمته عن الاشورية : ان كثيرين من الملوك المقيمين في الحصون والذين كانوا من قبائل متعددة تسكن ما بين البحرين الاعلى (الروم) والاسفل (خليج العجم) من ملوك سوريا وما وراءها من البلاد غير المعروفة قدموا جزائهم كاملة وتراهموا على اقدامي . . . اما الالهة التي كانت عندهم فقد اعدتها الى مواضعها وجعلت لها مقراً ثابتاً وجمعت كل شعوبهم وامرت باعادتهم الى بلادهم . . .

ان الاسرة القديمة الملكية . . . قد انتقضت سلطتها عند دخولي بابل ظافراً حيث اقامت عرشي في القصر الملكي بسرور وبهجة ومروءة والاله العظيم الحارس القديم لابناء بابل . . . توطدت بالامان سلطتي الفسيحة الانحاء في بابل واعمال سومير واكاد العديدة . . .

عنيت باصلاح هيكل مروءوخ الاله العظيم فأمدني بعونه ورثف بي انا كورش الملك المتعبد له وبكسبيز ابني فلذة كبدي وبجيشي الامين فاستطعنا اعادة معبده الى كماله الاول . . . اما آلهة سومير واكد التي كان نبونيد يكرمها في اعياد سيد الالهة مروءوخ العظيم فقد اقتتها مكرومة في معابدها . . . (الدبس ٢ : ٦٠٠)

## ٨ - حمص في ايام كبير

مات كورش في احدى معاركه مع التتر سنة ٥٢٩ وخلفه ابنه كبيز الذي حارب مصر واجتاز جيشه الاصقاع السورية بدون معارض بل انجده الساحليون باسطول رافق جنده البري من البحر . كما ان كثيرين من السوريين تطوعوا في جيشه هذا ، وبينهم نخبة من ابطال حمص . وقد فاز كبيز على المصريين فبطر واتى ما لا يحمد (هيرودت ٣ : ١٦٠) ثم نوى ان ينزو قرطاجنة فأبى الفينيقيون مرافقته لمحاربة اخوانهم فيها . فتحول عزمه الى غزو الحبشة غير مبال بما يعترضه من الصعاب . فلما عانى الاهوال في الصحراء لقلة الماء والزاد عاد الى مصر وقد هلك معظم جيشه . فاختلف شعوره حتى صدرت منه اعمال لا يعملها الا من اصابه



مس ، ومنها انه حاول الزواج بشقيقته الصغرى فلم يجزأ القضاة على صده فتزوج اخته ثم قتلها ( هيرودوت ٣ : ٣١ ) .

وبينا كان كبيز يأتي هذه الاعمال حصلت ثورة في بابل فأسرع لتدارك الامر . ولكنه عندما وثب على الفرس سقط غمد خنجره فخرجه الخنجر في فخذه . فلم يبال في جرحه بل تابع سيره بدون مبالاة ، فتاح الجرح وسوس العظم وامتدت الفمغربنا الى كل الفخذ بسرعة فمات على الطريق في اراضي حمص في قرية دعاها اليونان اغبطانا ، وهي غير اغبطانا مادي ( هيرودوت ٣ : ٦٢ و ٦٤ ) .

ملاحظة - قال هيرودوت : كان قبيز قد انذر بنبوثة ان ايامه تنتهي في اغبطانه ، فتوهم انه يموت هرباً في اغبطانه مادي حيث كانت كنوزة ، ولكن كان المراد من النبوة اغبطانه سورية . فلما رأى ان جرحه قاتل سأل عن اسم المدينة التي كان فيها آنذ ف قيل له انها اغبطانه . . . فاستفاق وفهم معنى النبوة . فقال هنا يجب ان يفارق قبيز بن كورش حياته بحسب القدر اه .

وبنا ان اغبطانه السورية مجهولة الموقع اليوم فقد ظن بعضهم انها في جبل الكرمل ، وظن غيرهم انها في وادي العاصي بين حمص وحماة . ويرى هؤلاء ان السوريين رأوا عظمة اغبطانا المادية وجمال موقعها فبنوا مدينة بهذا الاسم في موضع توه من سوريا ، ورجحوا انها على العاصي لاقام المائلة بين البلدين القديم والجديد فان اغبطانا المادية بنيت عند حضيض جبل اوروند وهو الجبل الواقع الى الجنوب الغربي من بحر الحزر والى الشمال الشرقي من بابل والله اعلم .

اما اغبطانه المادية فقد روي عنها لاروس الكبير ما ترجمته : اغبطانه مدينة كبيرة في آسيا القديمة عاصمة مادي وهي على بعد ٢٣٥ كيلومتر الى شمالي سوزمر و ٣٦٠ كيلو الى الشمال الشرقي من بابل تعرف في التوراة باسم « احشا » ولم يتفق العلماء على معنى هذا الاسم . فيقول هيرودوت ان اغبطانا انشأها ديجوسيز ملك مادي الاول في القرن الثامن قم . وحسب رواية ديودور الصقلي عن كتازياس ان اصلها يعود الى اقدم من ذلك الزمن . فتحها كورش سنة ٥٦١ واستولى عليها ايضاً الاسكندر . ونهبت بعد ذلك مراراً وموقعها الحقيقي غير مؤكد . ويعتقد الكولونيل رولنسون - وهو من المستشرقين اللامعين - انه وجد مدينتين باسم اغبطانا احدهما في مادي السفلى ( وهي همدان الآن ) والاخرى في مادي العليا في

خرائب « تحت سليمان » اه .

## ٩ - حصن في ايام داريوس الاول

كان هذا الملك من اعظم ملوك الفرس حتي ان بعضهم فوقه على كورش ، هذا رأى بعين البصيرة ان البابليين والاشوريين ما برحوا يطمعون بابصارهم الى ملكهم السابق ، فوضع حداً لاطماعهم بتنظيمه المملكة حسناً ، اذ قسمها الى عشرين ولاية ( هيرودوت ٣ : ٨٩ ) سماها « دهقانات » وفرض على كل ولاية جزية سنوية . وكانت المنطقة السورية خامس هذه الولايات وجزيتها ١٥٠ وزنة من الفضة ، والقبائل العربية الضاربة في البادية السورية الى تخوم مصر خضعت لدهقانات هذه الولاية معفاة من الجزية . وجعل الدهاقنة كلهم من الفرس بعضهم جنود فارسي ومادي . على انه ادخل رهطاً من الرجال السوريين في الجندية الفارسية بغية استئثارهم . وكان للحمصيين حظ من هذا الالتفات ، فاستتب الامن في البلاد ورتعت سورية في مجبوحه من العيش . لوجود عدد من ابنائها عيوناً على من يحاول العبث والفساد ، والضرب على يد كل من سوات له نفسه الاخلال بالامن العام سواء أكان من الحكام ام من السوقه ( براسد عد ٢٧٦ ) .

ومن آثار هذا الملك الدالة على عظيمته ما كتب في اصطخر باسمه تخليداً لذكراه ومامخص ترجمته ما يلي : رأى اهورامزدا الارض التي أئتمني عليها فنظمت احوالها . ايها الانسان اذا حدثتلك نفسك بمعرفة ما ملكه دارا فانظر الى هذه الصورة . انهم يحملونك عرشي فسي ان تعرفهم . ستعلم اذا ان رماح رجال فارس قد بلغت مدى بعيداً . . . كل ما عملت انما قت به بفضل اهورامزدا الذي امرني حتي اكملت العمل وارجو ان يحفظني وبيتي وهذه البلاد .

هذا امر اهورامزدا اليك ايها الانسان : لا تظن سوءاً ، لا تجد عن الطريق السوي ، لا ترتكب اثماً اه ( العرب والفرس لغزام : ١٣٠ ) .

ومن احسن صفات داريوس واثره الطيب في بلادنا انه حاسن الفينيقيين فمالوا اليه وبنوا له اسطولاً حربياً عظيماً ( براسد عد ٢٨٠ ) ولكنه لم يتوفق



في محاربة اليونان فأثرت كسرة ماراثون فيه سنة ٤٩٠ ق م فمات بعدما ملك  
٣٦ سنة ( المقتطف ١١: ٤٩٥ وبورتر عد ١١-١٤ ) .

وقد حاول زركسيس ابنه ان ينتقم له من اليونان فلم يفلح ولم يفده  
جيشه العظيم شيئاً ازاء وطنية خصومه . وحسب القارى ان يذكر جواب ليونيداس  
الاسبارطي على رسالة زركسيس المليئة بالعجب التي قال فيها : ان لم تسلم  
اهطرت السماء عليكم سهاماً ، فأجابه ليونيداس : اذن نقاتلكم في ظل السهام .  
ومما حفظه التاريخ لابطال ترموبيلي ال ٣٠٠ الذين أبوا التسليم فقتلوا عن آخرهم ونقش  
على قيودهم : هنا ثلاثة اسبارطي قاتلوا ثلاثة ملايين . وكانت هذه الحادثة  
سنة ٤٨٠ وانتهت بفشل الفرس رغم كثرتهم واخيراً اغتال زركسيس اثنان  
من اعوانه فمات سنة ٤٦٥ بعدما ملك عشرين سنة . ويرى بعض المحققين ان  
زركسيس هذا انما هو احشويروش زوج استير (٢: ١) وفي زمنه كان هامان المذكور في التوراة هو القرآن .  
الى ١٢٧ ولاية (استير ٢: ١) وفي زمنه كان هامان المذكور في التوراة هو القرآن .

## ١٠ - حصن في ابام ارتخشستا

ارتخشستا هو الملقب بالطويل اليد تولى الملك بعد ابيه وفي ايامه كان  
عزرا ونحميا . وكان ليناً دمث الاخلاق فأطمع ليه المصريين به فتمردوا عليه  
بقيادة رجل ليبي اسمه ايناروس ايده رجل مصري اسمه امرتيوس . فقتل هذا  
مرزبان الفرس وحاصرا قوات الفرس في ممفيس ففتحها بمساعدة الاسطول اليوناني  
واستوليا على حصونها عدا واحداً منها .

فأوفد ملك الفرس مغايبس مرزبان سوريا بمجملته قوية انتظم في سلكها  
عدد من ابطال حصن المغاوير ، فأفرج الحصار عن برج ممفيس وخضد شوكة  
الثائرين فاستسلم ايناروس لمغايبس بعدما أتمنه وارسله القائد الى الملك . ولكن  
هذا باستسلامه الى عائلته الثائرة امر بصلب المستسلم خلافاً للاصول وللعهد  
الذي تاله من القائد مغايبس . فثار هذا وثارت معه سوريا برمتها سنة ٤٥٥  
فبعث اليه ارتخشستا بسرية من الجند لتطويعه فكسرها . واردفها باخرى فلم  
يكن حظا افضل من الاولى . ولما تقام الامر وخشي الملك الفارسي النتيجة

اضطر ان يسترضي مغابيس راضياً بالشروط التي املاها عليه تلافياً للفتنة ،  
ومات هذا الملك سنة ٤٢٥ بعدما ملك اربعين سنة ( بورتز ص ١٦٨ ) .

## ١١ — فار الاعظم وثورة ابنه مغابيس

خاف ارتخششتا ابنه زركسيس الثاني وهو الابن الوحيد الذي كان له  
من زوجته الشرعية . اما اولاده الباقون وعددهم ١٨ فقد كانوا من الجواري  
لذلك حصلت فتنة قتل فيها زركسيس بعدما ملك ٤٥ يوماً وخل محله اخوه  
سغديان الذي قتله . ولكن ملك هذا لم يطل اكثر من نصف سنة . اذ قام  
عليه اخوه اوخوس وقتله وملك مكانه باسم داريوس الثاني في حين ان اليونان  
اعطوه لقب « نوثوس » اي النفل ، ورأى ان مركزه قلق فتزوج عسته بنت  
زركسيس الاول . وكان الرأي لها في شؤون الدولة ، غير ان وجود خونة كثيرين  
في المملكة ادى لحدوث فن كثيرة وسبب كثرة الخونة تسليمه المرازبة قيادة  
الجيش في الولايات . واقامته مرزباناً واحداً لولايتين او اكثر في احيان كثيرة .  
الامر الذي قوى المرازبة واطمعمهم بالاستقلال ومن هؤلاء احد اولاد مغابيس  
مرزبان سوريا السابق الذي اتفق مع احد اخوة الملك وثارا معاً عليه . فوعدهما  
بانالتهما ما يريدان اذا اخلا الى السكون والطاعة فاستسما فقتلهما . فكان  
ذلك مدعاة لتفاقم الشر والفساد الذي بدأ في اواخر ايام زركسيس الاول وبلغ  
غايته في ايام داريوس الثاني ( المقتطف ٢٣ : ٦٢٩ ) الذي مات سنة ٤٠٥ بعدما  
ملك عشرين سنة .

## ١٢ — ثورة سوريا في ايام ارتخششتا الثاني

لما مات داريوس الثاني الملقب نوثوس خلفه ابنه ارتخششتا الثاني بعد حرب  
دامية بينه وبين اخيه كورش قتل في نهايتها اخوه المذكور سنة ٤٠١ واستتب  
الملك لارتخششتا الذي لقبه اليونان منيمون لقوة ذاكرته ( البستاني ٢ ٧٨٢ ) ولم  
يكن حظ الدولة به حسناً ، اذ لو نجح كورش بجيائه في معركة كوتاكسا ( كما قال



يورترص (١٧١) وتولى الملك لساس الدولة بنشاط وحكمة وجدد حياتها ورقعها من حضيض ذلها . لان اخاه ارتخششتا كان .ولمأ بالتنعيم والرفاهية فتأخرت المملكة في ايامه وظلت تتدهور حتى خربت .

كثرت الخيانة في الولايات ولاسيا سنة ٣٦٢ حينما خرج الجانب الاعظم من آسيا الصغرى وسوريا وفينيقيا . وقويت مصر وقام ملكها تلخوس وهاجم سوريا التي مالت لكسر نير الفرس . فمالاته على غرضه . لكن نكوله بوعده لاجيسلاس الاسبارطي القائد المدرب . وتسليمه قيادة الجيش لحابرياس ادى الى فشله في الساحل الفينيقي ، فتنازل عن عرش مصر ولجأ الى ارتخششتا نفسه ثم قتل عند اسوار طانيس سنة ٣٦٠ ومات بعده ارتخششتا سنة ٣٥٩ لمضي ٤٦ سنة من ملكه وعمره ٩٤ سنة ( يورترص ١٧٩ ) وخلفه ابنه الصغير اوخوس بعد قتل اخيه الاكبر ( داريوس ) وانتصار الثاني ( ارباسيس ) .

### ١٣ - عصابة ثائيس والي فينيقية

ملك اوخوس سنة ٣٥٩ باسم ارتخششتا الثاني وقد اهلك كل ذكر في اسرته ليأمن على نفسه ، فكرهه الجميع اذ ضم الى قباحة وجهه شناعة افعاله ، فثار عليه اهالي قبرص وآسيا الصغرى وفينيقية ، فاسترد قبرص الى الطاعة ولكن جنوده انكسرت في سوريا فثار غضبه وحشد من اقاليمه ٣٠٠ الف مقاتل عززها بعشرة آلاف محارب استأجرها من اليونان وهاجم سوريا ففاز في عدة معارك واكره ثائيس ان يعتصم في صيدا فحاصرها بشدة فطلب اهلها الامان فأباه عليهم فأثروا الاحتراق في بيوتهم على ان يدوس عزتهم الفرس وكان عددهم ٤٠ ألفاً سنة ٣٤٦ .

ولم يكن اوخوس ذاك الرجل الذي يستطيع اخضاع الفتن واخضاع العصاة ، لو لم يكن حوله مشيران قديران وهما باغواس الحصي ومنتور اليوناني . اذ كان الاول وزيره الاعظم والثاني قائد كتائبه . وبهما استطاع اعادة تحوم مملكته الى ما كانت عليه ، وتفاخر بانه خليفة كورش وداريوس الاول . على ان ما اظهره من الظلم والجور كره الناس به وملا قلوبهم حقداً

عليه ، فنقم عليه باغواس وقتله سنة ٣٣٨ بعدما ملك ٢١ سنة .

## ١٤ - قتل الفرس عمر سوريا

قتل باغواس ارتخششتا الثالث واقام على العرش اصغر بنيه « ارسيس » واهلك سائر ابناء الملك ، ولما حاول ارسيس خلع باغواس خشية فتكه قتله باغواس سنة ٣٢٦ واقام مكانه احد حفدة داريوس الثاني المدعو قدومانوس فلما تسم السدة سمي داريوس الثالث ، وكان هذا على رأي بوتر من افضل ملوك الفرس خلقاً ، ولولا الظروف الداخلية والخارجية التي اوجدت الدولة على شفا جوف هار لا بد المملكة ورقاها ولكن سقوطها حان فلم يستطع رد القضاء الجازم . وكان توسده العرش في نفس السنة التي ملك فيها اسكندر المكدوني . ولا حاجة لتفصيل مقاصد الاسكندر من فتح العالم فانه بعدما بسط سيطرته على شرقي اوربا امتد الى آسيا فوقف داريوس في وجهه فشنت الاسكندر قواته عند الدردنيل ثم استحوذ على آسيا الصغرى كلها وتقابلت جيوش اليونان والفرس عند خليج ايسوس حيث استظهر اسكندر على داريوس ووقعت اسرة الملك في اسره فعاملهم بلطف ورقة ، وقال اني احارب داريوس لا كرهاً بشخصه بل لاملك آسيا ، وكانت معركة ايسوس سنة ٣٣٣ .

وارسل داريوس يطلب اسرته على ان يقدم فدية عنها عشرة آلاف وزنة ويعطيه ابنته زوجة ، ويسلمه كل ما هو غربي الفرات . فلم يقبل الاسكندر بسوى التسليم التام . وبعدما اجتاح الاسكندر سوريا ومصر عاد الى مطاردة الفرس ، وفي المعركة التاريخية التي وقعت في اربيل سنة ٣٣١ قضى على الفرس القضاء الاخير وفر داريوس وقد وراه الغبار عن نظر اسكندر . ولاذ باغبطانه غاصمة مادي فتبعه الاسكندر اليها ففر منها الى بكتريا (بلخ) فتابع اسكندر مطاردته ينبغي اعتقاله حياً ، وخشي قادة الفرس ان يدركهم الاسكندر فقتلوا داريوس وتركوه في البرية ، فحزن عليه الاسكندر حزناً شديداً وامر بتحنيط جسده وارسالها الى والدته لتدفنها حسب عادة ملوك الفرس في اجداث اسلافه ، وكان مقتل داريوس سنة ٣٣٠ .



## المدرسة التي برزت في تاريخ هذه الحقبة

### ( ١ ) اغبطانه

ورد في الجغرافيات القديمة ذكر ثلاث مدن بهذه الاسم الاولى عاصمة مادي وموقعها الى الشمال من سوز مسافة ٢٣٥ كيلو والى الشمال الشرقي من بابل مسافة ٣٦٠ كيلو وتعرف في التوراة باسم احثا واسمها الآن همدان والثانية في مادي العليا وتعرف الآن باسم «تحت سليمان» وهما اللتان يذكرهما الاثريون. ولكن ثمة اغبطانا ثالثة وهي اغبطانا السورية التي مات فيها كبيز بن كورش وهو عائد جريماً الى بلاده ، وقد فهم من وصف هيرودوت ان موقعها على العاصي ما بين حمص وحماة .

ويظن بعضهم ان الحمصيين بنوها بعدما رأوا اغبطانه الاولى الواقعة عند حلف جبل اورند . وسموها باسمها لتشابه الناحيتين والله اعلم .

### ( ٢ ) تفسح

ذكرت عند مطاردة اسكندر المكدوني لداريوس قدمانوس وموقعها على ضفة الفرات الغربية . وقد ذكرت في سفر الملوك الاول ( ٢٤: ٤ ) كحد اخير لمملكة سليمان في الشمال . كما جمعت غزة حدها الجنوبي .

### ( ٣ ) ريلة

ذكرت في تاريخ حمص بداعي اسر نخو ليهواحاز ملك يهوذا فيها ( ٢ مل ٢٣: ٢٣ ) وقتل ابناء الملك صدقيا فيها بعد قلع عينيه باسم نبوخذنصر ( ٢ مل ٢٥: ٢٠ وار ٥: ٣٩ و ٦: ٥٢ و ٩: ٢٧ ) .

والاثريون رأوا انها ريلة الحالية الواقعة قرب ضفة العاصي على مسافة

٢٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من حمص .

وقد وصفها سفر العدد ( ١١: ٣٤ ) بانها شرقي عين ولا شك ان المراد بهذه العين ، العين الكبيرة التي ينبجس منها نهر العاصي . وهي الى جنوب قاموع الهرمل وتسمى الآن العين الزرقاء . او نبع العاصي . تبعد عن ربله ١٧ ميلاً الى الجنوب الغربي .

#### ( ٤ ) سفر وائيم

مدينة ورد ذكرها في هذه الحقة تناسبه نقل ملك آشور قسم من اهلها لاسكانهم في السامرة بدل من جلاهم من الاسرائيليين ( ٢ مل ١٧ : ٢٤ و ٣٠ و ٣١ ) .

وذكرهم سنحاريب في رسالته الى حزقيا ملك اليهودية كقوم لا يستطيعون مقاومتهم ( ٢ مل ١٨ : ٣٤ و ١٩ : ٣١ ) .

ويرى روبنصون انها مدينة بنيت على ضفتي الفرات بين جت وبابل اسم شطرها الاول سبيدارا شمس ( المكرسة للشمس ) والثاني سبيدارا انونيت ( المكرسة لانونيت ) وكان فيها مكتبة تشبه مكتبة نينوى وقد بنيت على انقاضها مدينة المسيب الحالية .

#### ( ٥ ) عوّا

ذكرت بين المدن التي نقل بعض اهلها الى السامرة . ويظن روبنصون انها هيت التي على الفرات .

#### ( ٦ ) هينغ

مدينة استولى عليها ملك آشور ويطن انها اتاك الواقعة على الفرات وتبعد على بابل مئتي ميل .



### فصوص الحوادث

كما عانت حمص في الحقبة الثانية مناهضة الدولة المصرية . وفي الحقبة الثالثة محاربة العبرانيين أولاً والاشوريين ثانياً . اضطرت في هذه الحقبة ان تعزو لثلاث دول قوية تتابع حكمها على سوريا كلها وحمص من جملتها واذا حوصر المرء وانقطع عنه المدد لا بد له من اختيار احدى اثنتين ، اما التسليم للقضاء الذي لا مرد له او الموت .

اما حمص فقد استطاعت ان تقف في وجه الجيوش الاشورية وتوقف تقدمها مدة ثلاثة قرون ونصف ، ولكنها بعدما تبددت قواتها وانفردت عن سائر المقاطعات السورية ، مالت الى الهدوء والسكينة . وعنت للقوى الاشورية الغازية . اذ اجتاح البلاد سنة ٧١٩ سرجون وقهر ياهوبيد ملك حماة ( او حمص ) ثم تتالت هجمات خلفائه سنحاريب وأسرحدون وأشوربانيبال . خفضت بهذه الحملات شوكة الحمصيين . الذين كانوا ينالون دائماً الصفعة الاولى . فعنوا لاحكام الفاتحين كسائر اجزاء سوريا .

وقبل تقلص ظل الدولة الاشورية ، هاجمها فرعون نحو ملك مصر . واستولى على سوريا الشمالية حتى الفرات . وفي ريلة احدى اجناد حمص اوثق يهوآحاز ملك يهوذا ، واحذه اسيراً الى مصر حيث قضى فيها .

وظل نحو باسماً سيطرته على سوريا ثلاث سنوات . ثم قلص ظله عنها نبوخذنصر العظيم ملك الكلدان . الذي استولى على

أشور ودانت له البلاد التي كانت تحت سلطتها . وظلت سيادة الكلدان فيها نحو سبعين سنة (٦٠٦-٥٣٦) حينما تحولت السيادة على سوريا الى الفرس بواسطة كورش الفارسي الكبير . وظهر ملوك الفرس ميلاً خاصاً لسوريا ولآسيا حص اذ اعفوا بدوآها من تأدية الرسوم . ولم يتقاضوا من سوريا كلها ( بما فيه قبرص ) ثلث ما تقاضوه من غيرها من الولايات العشرين .

كما ان كمبيز بن كورش لما جرح في مصر احب ان يقضي آخر حياته في اغبطانه السورية التي يرجح انها احدى مدائن حص المبنية على اورانتس ( العاصي ) .

ونارت سوريا في اواخر ايام الفرس ثلاث مرات احداها سنة ٤٥٥ وكان رافع لوائها مغايبس والي سوريا . والثانية سنة ٣٦٢ في ايام تاخوس المصري . والثالثة سنة ٣٤٦ بقيادة ثائيس والي فينيقية وفي الثورات الثلاث العادلة كان للحمصيين فيها يد نافذة . وانما ظهرت هذه الثورات ، لما تقلص ظل العدل الفارسي وتطرق الفساد الى الحكم منذ تتركسيس حتى قدامانوس الذي تم انهيار الدولة الفارسية في ايامه . وتحولت السيادة الى اسكندر المكدوني وخلفائه .

وفي هذه الحقبة حلت اللغة الآرامية محل اللغة الكنعانية . غير انها احتفظت ببعض الفاظ عبرانية . وبرزت في هذه الحقبة عدة مدن لها صلة قريبة او بعيدة بحمص منها اغبطانه وتفسخ وربلة وسفروايم وعوآ وهينغ وهذه المدن وان اندثر معظمها غير ان الآثار والتواريخ القيمة حفظت لنا اسمآؤها .



## المعمورة الى تاريخ مصر من كتاب هذه الحقبة

### (١) ارميا الحزين (٦٢٨-٥٨٦)

هو ابن حلقيا اللاوي ولد في عناثوت من منطقة بنيامين . ومنذ صغره مال قلبه لخدمة الله فظهر نبوغه منذ حداثته وقام بواجب النبوة قبل خراب اورشليم بأربعين سنة وتابع ذلك الى ما بعد السبي البابلي . عمل الخير لاهله أولاً ثم لابناء وطنه فلم يقدروا له غيرته وحاولوا قتله فنجوا .

وكان اليهود في خطر من جهتين . مصر من الجنوب وأشور من الشمال ففضل بعضهم مصر وآخرون آشور ، فنصحتهم ارميا ان يعتصموا بالله غير ان يوشيا مال الى آشور وعارض مصر فقتل .

ولما عظم شأن نبوخذنصر زحف على فرعون نحو وقهره وسطا على اليهود فصار يهوباقيم عبداً له . فاخبرهم ان ما اصابوا به من الذل انا هو نتيجة زيفهم وغوايتهم فثاروا عليه والقوه في الحب . ولكن هلك لولم ينقذه رجل كوشي . بعد مدة جاء نبوخذنصر الى اورشليم واسر ملكها وكثيرين من الاعيان هناك نظم ارميا مراثيه المؤثرة التي نوح فيها على خراب ارض آبائه فاحسن اليه جداليا الذي اقامه نبوخذنصر حاكماً في اورشليم . ولكن هذا قتل في احدى الولايات فخاف اليهود النتيجة . ففروا الى مصر واخذوا معهم ارميا بالرغم منه . فوجدتهم هناك لاجل انكبابهم على عبادة الاصنام فثاروا عليه ورجعوه .

املى ارميا سفر نبوته على كاتبه باروخ بالعبرانية التي وجد فيها بعض عبارات كلدانية (ص ١٠ عدد ١١) ولنشأوه يرتفع تارة الى طبقة النظم العالي ، وينزل اخرى الى درجة النثر الساذج . لكن هذه السذاجة لم تخله من معنى سام ومقصد دقيق .

اما لغة مراثيه فاعلى طبقة من سفره . وقد نظم كلا من فصولها الثلاثة (١ و ٢ و ٤ و ٥) ٢٢ بيتاً صدر كل بيت منها باحد حروف الهجاء العبرانية . غير

ان الفصل الثالث بلغت ابياته ٦٦ في صدر كل ثلاثة منها حرف هجا . اما  
الفصل الخامس فنظمه ٢٢ بيتاً بدون ان يتقيد كل منها بحرف هجا .  
وقد نسب جمهرة من الكتاب الى ارميا سفري الملوك الاول والثاني  
واستدلوا على ذلك بما يلي :

- (١) ان سفري صموئيل خلصت عبرانيتها من الالفاظ والاساليب الاعجمية  
بينما مازج سفري الملوك الفاظ كلدانية .
- (٢) كاتب سفري صموئيل صرف عنايته الى تدوين اخبار الاشخاص  
والتبسط فيها ، بين كاتب سفري الملوك اوجز العبارة واهتم بتدوين الحوادث  
اكثر من الاشخاص .
- (٣) قلت الاشارة في سفري صموئيل الى اسفار موسى بينما سفرا الملوك  
اكثرا من الاستشهاد بها .
- (٤) اشير في سفري الملوك الى السبي مراراً بينما خلا سفرا صموئيل من  
ذلك . وقد افادنا كثيراً سفرا الملوك عموماً وسفر ارميا خصوصاً الى معلومات  
دونها في تاريخ حمص .

## ( ٢ ) حزقيال ( ٦٢٤-٥٧١ )

هو ابن بوزي عاصر ارميا ودانيال . سبي الى بابل وهو صغير اذ كان  
تابعاً ليسكنيا . وشرع في السنة الخامسة لسبيته يتنبأ فاخبر رفقاه بالمصائب المحدقة  
بإورشليم . وفي السنة الخامسة والعشرين لسبيته وصف الهيكل الجديد الذي سيقام  
في اورشليم بعد تحرر شعبه ، وكانت هذه النبوة آخر نبوآته ، اذ لم يرد له  
ذكر بعد السنة السابعة والعشرين ( ١٧: ٢٩ ) . ويروى ان احد الاسراء المستبينين  
قتله لانه ومنحه على عبادة الاصنام .

كان حزقيال اقل حظاً من ارميا ودانيال . لان الاول تركه الكلدان في  
وطنه يندب سوء حاله . والثاني توفق في مساعدة شعبه واعادتهم الى وطنهم .  
اما حزقيال فقد عاش كل حياته منعصاً اذ سبي معهم ولم يدرك النجاة فاحتمل  
ضيقه الجلاء بصبر جميل .



قال فيه الاستاذ هايد : انه لم يكن فقيهاً كاشعيا ولا مصلحاً كارميا ولا اميراً كدانيال ، ولكنه تصرف ككاهن في كل اعماله . وسمي ابن آدم اكثر من مئة مرة ، ولم يطلق هذا اللقب على سواء من الانبياء عدا دانيال الذي لقب به مرة واحدة (دا ٨: ١٧) وانما تكرر هذا اللقب لحزقيال للدلالة على انه كان للمسيحين لا شاهداً فحسب ، بل كان كاهناً مكرماً بل كاهن الانسان نفسه اه .

من آثار حزقيال العلمية سفره القيم المتضمن ٤٨ فصلاً . ويمتاز ببساطة كلامه . ولكنه حوى مع هذا من التشبيه والرموز الطبقة العليا الآخذة بجامع القلوب تولي قارئها دهشاً وعجباً .

ومما له صلة بتاريخ حمص ذكره صدد احدى البلاد التابعة حمص ، ولد حزقيال سنة ٦٢٤ ودعي الى النبوة سنة ٥٩٣ فبأشرها مدة ٢٢ سنة ومات قتلاً سنة ٥٧١ .

### ( ٣ ) دانيال ( ٦٢٢ - ٥٣٤ )

من اعظم بيوتات يهوذا سبي وهو صغير الى بابل لما سبا نبوخذنصر يهوذا لاول مرة . فادخل مع القتيان الثلاثة الى مدارس كلدة حيث اتقن لغتهم وتفقّه بعلومهم . فالتحق في سلك خدمة الحكومة . ونال منزلة خاصة عند نبوخذنصر عندما احسن تعبير حلم له . ولم يذكر بعد نبوخذنصر في ايام خلفه ولا ايام من خاف خلفه . ولكنه ذكر في ايام بلشاصر آخر ملوك بابل حينما تنبأ له بسقوط المملكة . ولما غلب الماديون والفرس المتحدون على بابل . نال في ايام داريوس المادي كرامة فائقة اذ جعل اول الوزراء الثلاثة في الدولة . فحسده اعداؤه واوغروا عليه صدر الملك فطرحه في جب الاسود . فتجا كما باعجوبة فاكسبه ذلك نفوذا عظيماً مكنته من التوسط لاعادة شعبه الى اوطانهم ، ثم مات شيخاً وعمره ٨٨ سنة .

اما سفره فقد كتب بالعبرانية الا ما تضمن حديثه عن ملوك بابل ومادي وفارس ومنشور نبوخذنصر فقد كتبه بالكلدانية (ص ٤: ٢-٧) .

وقد حوى سفره ما سكت عنه سواء من المؤرخين وظل موضع شك لدى القارئ حتى ايدته الآثار . واستفدنا منه لموضوعنا في نقاط كثيرة مما حدث من ايام نبوخذنصر الى كورش الفارسي .

#### ( ٤ ) مردخاي ( ٥٢١-٤٩٥ )

مردخاي بن ياثير من مسبي اليهود كان من رجال بلاط احشويروش ربي ابنة عمه هدمه « استير » حتى هارت ماصكة . فخذ عليه هامان وزير احشويروش وحاول اهلاك اليهود بحيلة ليقتل مردخاي معه . فعرفت الملكة قصده الخبيث فاحبطت سعيه بحكمتها . واعيد كيد هامان الى نحره فصلب مع اولاده العشرة . وارتقى مردخاي الى منصب عال في الدولة . ويوجب الخبراء ان سفر استير اثنا اخذ عن سجلات الحكومة التي حفظت مذكرات مردخاي واستير .

عبارة السفر صحيحة مضبوطة لكن فيها ما يدل على ان لغته عبرانية حديثة لامتيازها عن سائر الاسفار بما فيها من كلام محدث وتضمن السفر تاريخ ٢٦ سنة ( ٥٢١-٤٩٥ ) وفيه ما تهم معرفته عن الفرس الذين بسطوا سيطرتهم على حصص مدة طويلة .

#### ( ٥ ) زكريا ( ٥٢٠ )

هو ابن برخيا بن عدو احد الكهنة الذين صعدوا من بابل الى اورشليم مع زربابل ( نوح ٤: ١٢ و ٦ ) وقد نسبته عزرا الى جده عدو ( ١٠: ٥ و ١٤: ٦ ) لان اياه برخيا كان قد توفي .

عاصر زكريا حجي غير ان سفره اوسع نطاقاً من ذلك . وقد شرع فيه وهو فتي بعد ( ٤: ٢ ) بعد شروع حجي بنحو شهرين سنة ٥٢٠ وقد فاق زكريا بصراحته جميع كتاب العهد القديم عدا اشعيا . اما لغة سفره فهي العبرانية التي مازجها احياناً عبارات كلدانية . ويبدو انشاؤه تارة نظماً مقفىً واخرى نثراً . لكن



السفر بالاجال ملي . بضروب الفصاحة وانواع الكنايات والاحاجي التي كانت نقطة تأويلات كثيرة .

ومما له صلة بتاريخ حصص كلامه عن حدراك ( ١:٩ ) وهي احدى المدن التابعة لمملكة آرام المتحدة . وقد ظل موقعها مجهولاً زمناً طويلاً الى ان حققته الآثار فاذا بها مدينة كانت في سهل البقاع . واستدل بعضهم من الفقرة التي تلتها ان حماة المذكورة فيها انما هي حصص لقوله : « وحي كلمة الرب في ارض حدراخ ودمشق محله لان للرب عين الانسان وكل اسباط اسرائيل . وحماة ايضاً متاخمتها وصور وصيدون الحكيمة جداً » فان حصص اقرب الى حدراك فهي اجدر بان يقال فيها متاخمتها في حين ان حماة تبعد عنها نحو ثلاث مراحل فتأمل .

#### ( ٦ ) عزرا « ونحميا » ( ٥٥٤-٤٣٤ )

هو عزرا بن سرايا ابن حلقيا يتصل نسبه بالمازر بن هرون . كان ماهراً في سنة موسى عاملاً بها عاش معظم حياته في بابل . فلما سمح كورش للاسرائيليين بالعودة الى بلادهم بقيادة زربابل سنة ٥٣٨ كان شاباً وظن بعضهم انه رافق زربابل الى اورشليم ثم عاد الى بابل فبقي فيها الى ايام ارتخششتا الذي قرب به اليه لما آتس فيه من ذكا . وخبرة واسعة ، فاستأذنه بالسفر الى اورشليم فسمح له في السنة السابعة من ملكه سنة ٤٥٧ فاصبح ما رآه من الخلل مادة ومعنى . وبقيت له السلطة النافذة في اورشليم حتى حضر اليها نحميا من قبل ارتخششتا سنة ٤٤٥ فتخلى عن السلطة المدنية واكتفى بالسيادة الدينية .

وقام نحميا بالعمل العظيم الذي كان له الحظ باقامه من بناء السور والابراج رغم معارضة حساد اسرائيل له ، ثم عاد الى بابل بعدما قضى في اورشليم ١٢ سنة ، ولكنه ما كاد يستقر فيها حتى وصلتته انباء محزنة عن انحراف الاسرائيليين عن جادة الصواب بعد وفاة عزرا . سنة ٤٣٤ فاضطر ان يستأنف العودة الى اورشليم باذن ارتخششتا سنة ٤٣٣ لاصلاح ما اختل وانشأ مكتبة جمع فيها اخبار الملوك والانبياء . واقامها في الهيكل ( ٢ مك ١٣: ٢ ) وتوفي نحميا

نحو سنة ٤١٥ .

شغل عزرا مركزاً مهماً في امته اذ انشأ المجمع الكبير . وجمع اسفار العهد القديم كلها في كتاب واحد . وضم اليها سفر الايام الذي هو خلاصة التواريخ الاسرائيلية من آدم الى رجوع اليهود من السبي البابلي . و اضاف اليه حوادث ايامه في سفر سمي سفر عزرا فيه تاريخ ٨٠ سنة وقد جمع اخبار الايام من اسفار موسى وصموئيل ومذكرات ناتان النبي وجاد الرائي واخيا الشيلوني ، ورؤى يعبدو وشمعيا وياهر بن حناني واشعيا وسواهم من الرواة ، وقد ضمن الفصول التسعة الاول جداول انساب الاسرائيليين الى ايام الملوك . ثم اتى على اهم الحوادث التي ولت ذلك ويلاحظ انه اضرب عما ذكر في الملوك من تاريخ ملوك اسرائيل الا ما اضطره اليه تاريخ ملوك يهوذا . وسد ما في تاريخ هؤلاء من النقص .

ومما يمتاز به سفر الايام عن اسفار الملوك (١) جداول النسب من آدم الى آصيل سنة ١٢٠٠ قم (٢) انه يهتم اهتماماً خاصاً بالهيكل وفرائضه وخدامه (٣) ذكره النتائج الروحية للحوادث الجارية بينا سواه يتركها لاستنتاج القراء . وقد رأينا في سفرى الايام مصدراً هاماً لمعلوماتنا الخاصة باستقيناها منه ومن سفرى عزرا ونحميا اللذين حويا تاريخ مئة سنة تقريباً (٥٣٦-٤٣٤) .

## (٧) هيكاثاوس (٥٥٠ ٤٧٦)

راوية تاريخي جمع في تاريخه اهم واقدم ما ظهر فيه ادب اليونان في الشطر الثاني للقرن السادس واول القرن الخامس . وقد همتا تاريخه اذ افادنا بتبينه عوامل بروز الامتين اليونانية والفارسية . ونشأة دولتيهما العظيمنتين المتراحتين على السيادة العالمية . وقد وضع مؤلفه على منوال تاريخي اخرج به الرواية من الاثر الضئيل الى البيان الوافي .

قال فيه براستد عد ٢٨٣ : قام رجل من ميليتس ومن علماء الجغرافية اسمه هيكاثاوس امعن في السياحة في الارض التي كانت معروفة في عصره . فجا. مصر وساح في وادي النيل والى كتاباً في جغرافية العالم جاعلاً البحر



المتوسط مركزاً للعالم وكانت الأرض المحيطة به حتى امد قصير من ساحله ، كل ما كان يعرفه المؤلف من الأرض . والف هكاثاوس تاريخاً سدها اساطير اليونان القديمة ولحمته حكايات الاجيال الغابرة التي كان قد سمعها في الشرق وهو - بعد المؤرخ العبراني المجهول - اقدم مؤرخ من ابناء العالم القديم اه . وما نقله من الاساطير والروايات كشف النقاب عن معميات التاريخ واثار بعض الظلمات من تاريخ حمص القديم .

### ( ٨ ) هيرودوت ( ٤٨٤ - ٤٠٦ )

هو الملقب بابي التاريخ . ولد في هاليكارناس وتلقى علومه فيها . وحفظ قصائد هوميروس . ثم رحل مراراً الى الاقطار الشاسعة وعاد الى وطنه . وظل كذلك حتى بلغ السابعة والثلاثين من عمره . فانتقل اذ ذاك الى اثينا فقبول بحفاوة واكرم بالهدايا . وكان هيرودوت يطوف المدن اليونانية يتلو عليهم ما كتبه ويقتص ما شاهده من الغرائب . وتعرف اثناء ذلك بالشاعر المبدع صوفوكليس . فمدحه هذا بقصيدة عامرة الايات اكبته شهرة واسعة . واتصل بكبار نوابغ اليونان فاستفاد من معاشرتهم ما ممكنه من تنقيح كتابه الذي قضه في مراجعته عشرين سنة .



هيرودوت ابو التاريخ  
( ٤٨٤ - ٤٠٦ ق م )

ولما استتقل حياة البذخ في اثينا هجرها مع الجالية التي بعث بها بيركليس الى ايطاليا سنة ٤٤٣ وكان معه عصبة من رجال الادب . فاضاف الى تاريخه عدة اضافات قيل انها بلغت مقدار نصف الكتاب . وحدثت في اثناء ذلك فتنة بين الطليان ومهاجري اليونان قضى هيرودوت على اثرها وعمره نحو ٩٠ سنة على رواية ٧٧ على رواية اخرى . وقال بعضهم بل لم يتجاوز الستين ( المقتطف ٢١ : ٨١ ) .

وقد ذكر هيرودوت منطقة حمص في تاريخه مراراً ومنها ( ١ ) عند تخلي

نحو عن اتمام العمل في الترتبة (ك ٢: ١٥٨-١٦٠) و٢) عندما اراد كبيز الزحف على مصر (ك ٣: ٥) (٣) موت كبيز في اغبطانة السورية التي يرجح انها احدى مدن منطقة العاصي (ك ٣: ٦٤) و٤) اشارته الى حث وقادس (ك ٤: ٨) الخ .

#### ( ٩ ) توسيديديس ( ٤٧١ ٣٩٥ )

هو مؤرخ يوناني مشهور شهد الحرب البيلوبونيسية ( ٤٣١-٤٠٤ ) وتولى قيادة الجيوش في اولها . واجكته لم ينل حظوة عند الاثينويين فابعدوه . فكان ذلك من حظ التاريخ . لانه ألف وهو في منفاة تاريخ تلك الحرب العظيمة . ومات قبل ان ينجز تاريخه . فكان ما ألفه . ووضع اعجاب المؤرخين الحداء لما ابدى فيه من الامانة في الرواية ، ودقة النظر في بيان الاسباب الخفية والنواميس الطبيعية (البستاني ٦: ٣٣٨) .

قال فيه براستد ( عدد ٦١٢ ) كان تاريخ هيرودوت قبله يعزو مقدرات الامم وحظوظها الى الآلهة . اما توسيديديس الذي نظر الى حقيقة الاشياء نظراً ثاقباً ، فقد تتبع الحوادث التاريخية وردها الى اسبابها الطبيعية بين الاقوام الذين حدثت بينهم . وكانت مكاتب المذهبين اليونان تحتوي هذين السفرين اللذين كتب احدهما قبل الآخر بثلاثين سنة لا غير . ولكن الفرق عظيم بين السفرين القديم والحديث . فان الاخير عد من انفس ذخائر كتب النثر في العالم كله اه . وقال فيه ميار ( عدد ٢٥٩ ) ان اعظم خطباء العصور الحديثة ومؤرخيها يجتهدون في درس ما كتبه ذلك الاثينوي العظيم للاستفادة منه . وكان ديومستين يكرر قراءة كتاباته لتحسين انشائه اه .

طبع تاريخه لأول مرة سنة ١٥٠٢ في البندقية وترجم الى الانكليزية . وطبع في لندن سنة ١٥٥٠ ثم توالى طبعه بعد ذلك .

وفي ما كتبه هذا المؤرخ الدقيق عدة عبر لها اساس بوقف المشاركة عموماً ومن سكن البقعة المحمية خصوصاً . ومما استحسنته من قدماء اليونان وظل اثره ظاهراً في حمص الى امد غير بعيد قوله : خير النساء من قل الكلام فيها بين الرجال خيراً كان ام شراً ( ميار عدد ٣٨٠ ) .



( ١٠ ) زنيفون « اكسانيفون » ( ٤٤٥-٣٥٥ )

لم يتح لتوسيديديس اتمام تاريخه فاهتم زنيفون باقام ما حرمه اياه القدر . لكن التفاوت الكبير بين انشاء الرجلين والمقدرة التاريخية كادت تحصره مكانته لولا انه توفق الى نيل الشهرة بمؤلفه الشهير « اناباسيس » الذي وضعه لتاريخ الحملة الحربية المؤلفة من عشرة آلاف يوناني التي قادها زنيفون نفسه انتصاراً لكورث الثاني سنة ٤٠١ فانه صور فيها بوصف دقيق فرس ايامه وعاداتهم واخلاقهم ودرجة تأثيرهم في البلاد التي سادوها ومنها المنطقة الحمصية ( براسند ٥٧٨ والنعمة ٤٠٧:٤ ) ويأتي في الدرجة الثانية مؤلفه ميسورابليا او خواطر سقراط كلاهما جفلا اسمه مشهوراً في التاريخ . ومن حكمه المأثورة التي جرت بحري المثل قوله : يفعل الله في يوم ما لا تستطيعه كل القوى الاخرى في زمن طويل ، وهو جعل الجبان شجاعاً اه .

( ١١ ) ابقراط ابو الطب ( ٤٦٠-٣٧٥ )

نجل ختام هذه الحلقة ترجمة ابقراط ابي الطب الذي نسبه عدد كبير من الكتاب الى حمص ، ولعل المراد انه في اثناء تطوافه مرة بحمص فاستطاب مناخها فقطن فيها مدة والقى دروسه الطبية في بستان كان وسط المدينة ولعله الموضع الذي يعرف الآن -ببستان الديوان- ونبع فيه عدد من التلامذة اشهرهم ماغنس الحمصي صاحب كتاب البول الذي عاش تسعين سنة كما ذكر ابن ابي اصيبعة ( ٣٣:١ ) واليك خلاصة ترجمة ابقراط عن مشاهير الثقاة :

« ولد ابقراط في جزيرة كوس التي يسميها العرب قوة سنة ٤٦٠ ق م وتلقى معارفه الاولى عن جده ابقراط الاول وابيه هيراكليو . ثم قصد اثينا وهو شاب واستفاد من اختبارات اطبائها . وسمع ديموقريط الحكيم . وطاف الاقطار في طلب المعرفة . وصرف معظم اجتهاده الى تحصيل الطب . فنال منه ما لم يحلم به سواء حتي نسب اليه بعضهم ما يكاد يكون معجزاً .

كان ابقراط ربة القامة ابيض البشرة حسن الصورة اشهل العينين معتدل  
الاجية ابيضها . في ظهره قليل من الانحاء ، عظيم الهامة متأن في حركته ،  
اذا التفت مال بكليته ، كثير الاطراق ، متدبث في كلامه ، يكرره على  
سامعه ليفهمه ، اذا سكنت اجاب ، واذا سكنت محادثه سألته هو ، فيه مداعبة ،  
كثير الصوم قليل الاكل ، قلما شوهده الا بيده مبيضع او سرود (دائرة وجددي ١: ٢٩)  
رووا عن صراحتة ونزاهته القصة التالية : ان احد تلامذته اراد ان يتمحن  
فراصة افليمون المشهور فصور له هياة ابقراط وطلب منه ابداء رأيه في صاحبها .



ابقراط ابو الطب

فتأملها افليمون ملياً ثم قال له انها صورة  
شبق . فخطأه التلميذ فوراً واخبره انها صورة  
ابقراط المعروف بعفته ، فقال له افليمون  
سأله قبل تكذبي . فلما سئل ابقراط قال  
لهم صدق افليمون فاني احب النساء والكني  
اضبط نفسي ( آثار الادهار : ١٠٣ وطبقات  
الاطباء ١: ٢٧ وتاريخ الحكماء ١: ٦٥ ) .

من آثار ابقراط في الطب ٦٠ مؤلفاً  
ونيف اهتم الاوربيون باستخراجها الى لغاتهم  
وطبعها ١٨٦١ . ولقب ابقراط بابي الطب  
لا لانه ابتدعه ، لان الطب وجد عند  
اليونان قبل ابقراط ، وانما نسب اليه لانه  
رقاه ونقاه من الشعوذات وجعله علماً راهناً .

وقد لقب بالعظيم وهو في قيد الحياة (ولد سنة ٤٦٠ وتوفي سنة ٣٧٥ ق.م)  
( الحديقة ٣٣: ١٩ ) .

ومن مآثراته التي ايدها الطب : ان الجسم يشتمل على مواد تساعد المرء  
على الشفاء مما يلزم به ، وان الطبيعة تمنح المرء اعظم مساعدة انيل النبرء  
من المرض .

قال فيه صاحب اخبار الحكماء (٦٤) بقراط بن ايراكليس امام معروف  
مشهور سيد الطبيعيين في عصره نشأ قبل الاسكندر بنحو مئة سنة . وله في



الطبيب تآليف شريفة موجزة الالفاظ كثيرة المهاني مشهورة في العالم بين ممارسي فن الطب . وكان مسكنه في مدينة حمص من بلاد الشام وكان يتوجه الى دمشق ويقيم في غياضها للرياضة والتعليم . وفي بساتينها موضع يعرف بصفة بقراط الى الآن ( اي الى سنة ٦٤٦ هـ ) وكان فاضلاً متألهاً زاهداً يعالج المرضى احتساباً طوافاً في البلاد اه .

وقال ابن العبري (ص ٨٥) وفي هذا الزمان (زمان داريوس هستاسب) عرف ابقراط الطبيب . كان يسكن مدينة حمص ويتردد الى مدينة دمشق ويأوي الى بستان كان له فيها . ومكانه معروف الى يومنا هذا ( ٦٨٣ هـ ) وكان رجلاً آلهياً يداوي المرضى مجاناً . وقد احسن جالينوس في وصفه له حيث قال : ان جالينوس ادبه الدرس ، اما ابقراط فقد ادبته الطبيعة . وقال ايضاً : ان ابقراط انغمس في الطبيعة وسرى معها حتى انتهى الى اعماقها واخبر عما شاهد هنالك ( البستاني ١ : ٣٢٤ ) .

ومما روي عنه انه دخل يوماً ما على عليل فقال له : انا وانت والعلة ثلاثة ، فان اعنتني على العلة بقبولك ما تسمعه مني صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها ، والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه (الهلال ٢٦ : ٤٠٠) .  
ومما نقل عنه قوله : ما لا يشفى بالدواء يعالج بالسكين وما لا يشفى بالسكين يعالج بالنار .

قيل انه توفي في لاريسا ( يكتي شهر ) واختلفوا في سنة وفاته ، فقال بعضهم انه عاش ٨٥ سنة وآخرون ٩٠ وغيرهم ١٠٩ ووفاته وقعت بين سنتي ( ٣٧٥ - ٣٥١ ) .



## الحقبة الخامسة

حمص

في ايام خلفاء الاسكندر السلوقيين

٢٣١ - ٨٠ م

نوطه

ذكر فلاسفة العمران البشري ان المدينيات الممتازة ذات الاثر الثابت في المجتمع الانساني ، ثلاث (١) المدينة المصرية (٢) المدينة الاشورية (٣) المدينة اليونانية . نشأت الاولى في القارة الافريقية والثانية في القارة الاسيوية والثالثة في القارة الاوربية . ثم تسرب كل من هذه المدينيات الثلاث الى ما جاورها من الاصقاع وتخطتها احيانا الى ما هو ابعد . فنشأت بعد ذلك المدينيات المتعددة في اوربا وآسيا وافريقيا .

ومن الغرابة ان احدث هذه المدينيات تملك الآن ناصية المدينة في العالم . وقد ارتفع لواؤها فوق البلاد التي نشأت فيها المدينيات القديمة السابقة . فهل يدور دولاب الدهر دورته ويعود القاعدون بعد سبق الى عهدهم السالف ؟ ذلك جواب المستقبل .

احتكت المنطقة الحصية في ثاني حقبة لوجودها بالمدينة المصرية . وفي الحقتين الثالثة والرابعة كان لها تماس عميق بالمدينة الاشورية . اما الآن في حقبتها الخامسة فانها تحتك بالمدينة اليونانية ؛ وهذا انما حصل على اثر بسط اسكندر المكدوني سيطرته على هذه الاصقاع . وتركه تراثه لدولتي البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا ، فوجب علينا اذن (١) الالمام الى تاريخ اليونان القديم (٢) ذكر لمعة عن الدولة المكدونية حتي الاسكندر (٣) مختصر تاريخ



خلفاء الاسكندر في سوريا . بغية التوصل الى معرفة ما جرى المنطقة المحمية  
إبان ارتفاع اللواء السلوقي على ربوعها .

## ١ - تاريخ اليونان القديم

ينسب المؤرخون اليونان الى يوان بن يافث (بورتز: ٢٠٠) ويقول بعضهم  
ان اصلهم مجموع قبائل من الجنس الهندي الاوربي ، ترحوا الى جانب البحر  
الاسود الغربي انتجاعاً للمراعي . كما ظعن انسابهم (الفرس) الى جانب بحر  
قزوين الشرقي (براستد : ١٩٢) .

ويدعوهم الناس هيلانيين نسبة الى هلاس وطنهم الاصلي . اما اليونان  
فيفهمون من كلمة هيلانيين معنى اوسع اذ قال قداماؤهم : حيثما كان الهيلانيون  
فهناك هلاس . يعني ان هذا اللفظ لا يقتصر على هلاس فقط بل يشمل كل  
بقعة يقطنها اليونان ، الاناضول وجنوبي ايطاليا وصقلية وسواها في المتوسط  
وشواطىء الدردنيل والبحر الاسود (تاريخ اليونان القديم ص ٧) .

ويسمى الرومان اغريق وهو اللفظ الذي يكثر استعماله الاوريون . في  
حين ان معظم مؤرخي الشرق القديم يسمونهم يونان . وتاريخ اليونان القدماء  
يقسم الى قسمين الاول ما سبق الحروب الفارسية والثاني ما تلاها الى ظهور  
الاسكندر .

## القسم الاول - اليونان قبل الحروب الفارسية

اعظم حوادث القسم الاول مجيء سكروبيوس المصري في القرن السابع  
عشر . حاملاً معه فنون وادي النيل وحكمة كنهانه . فبنى سكروبيوس التي  
صارت في ما بعد حصن اثينا وملك سنة ١٦٥٧ ق م (الاساطير : ١٢٦) ثم  
قدم اليها قدموس الفينيقي حاملاً معه الحروف الهجائية وبنى مدينة ثيبة وملك  
فيها سنة ١٥٨٠ ق م .

وتلا ذلك حروب بين فصائل اليونان لاسباب معظمها تافه ومن هذه الحروب :

(١) حرب الارغونوط الذين حاولوا جاب جزرة الذهب من كلشيد ليستغنوا (مير: ١١٨) .

(٢) حرب الولاة السبع في القرن الرابع عشر لطررد اوتوكول من ثيبة .

(٣) الحرب التي اثيرت على الفينيقيين لاجراجهم من ثيبة .

(٤) حرب تروادة التي لاجلها نظم هوميروس الياذته استمرت عشر سنوات (١١٩٤-١١٨٤ قم) .

(٥) الغزوة الدورية سنة ١١٠٤ التي استرد فيها ذراري البطل هيراكليس سلطنة جدهم .

بتأثير هذه الحروب هاجر كثير من اليونان الى الاناضول واهم هذه الهجرات ثلاث :

الاولى - هجرة الايوليين الذين استوطنوا الشمال الشرقي من الاناضول .  
الثانية - هجرة الايونيين الذين استقروا على التخم الجنوبي لمواطن الايوليين وبنوا مدينة عظيمة منها افسس وميليتس .  
الثالثة - هجرة الدوريين الذين استولوا على جزيرتي خوس وروودس وفتحوا كريت واستعمروها .

هذه الاحداث كانت بداءة الميل الاستعماري في اليونان وسبباً للمناظرات التي قامت بين المدن اليونانية العظمى سبرطة واثينا وثيبة . فاشتهرت الاولى ببطولتها والثانية بعلمها والثالثة بفنها . ومن مشاهير الاولى ليكورغوس المشرع النابغ في اواخر القرن التاسع قم . ومن مشاهير الثانية صولون الحكيم (٦٣٨-٥٥٩) ومن مشاهير الثالثة ابا ميننداس (٤١٨-٣٦٢) الذي شهد له مؤرخو اليونان انه ازدان بكل فضيلة وتنزه عن كل رذيلة .

على ان تراحم هذه المدن الثلاث على الاولوية ، وتفرق القوى اليونانية في مستعمرات آسيا واوربا وافريقيا ، اوجد في النفوس ميلاً للاستثمار والتباين . واطهر فيهم كثيراً من الطغاة الذين استاثروا بالمصالح العامة ومن اشهر هؤلاء برنيدر في كورنتوس (٦٢٥-٥٨٥) وبسيسترات في اثينا (٥٦٠-٥٢٧) .



وبوليكرات في ساموس (٥٣٥-٥٢٢) .

غير ان وجود الطاقة على ما فيه من ضغط ، نفع الامة اليونانية . اذ ايقظهم ( ولاسيا الاثينويين منهم ) الى وجوب التمسك بالديموقراطية ، تحلصاً من استئثار الطاقة . بالرغم من ان بعض هؤلاء كانوا حماة للصناعات ومحسنين . وقد افادوا اليونان بمعاهدتهم الاجانب وانقذوا المدن اليونانية من خطر الاعتزال ( مبار عد ١٥٤ و ١٥٥ ) .

### القسم الثاني - الحروب الفارسية الى ظهور الاسكندر

ما انتصف القرن السادس حتى اصطدم النشاط اليوناني بالطموح الفارسي . الذي برز جلياً بشخصية كورش العظيم لما اسر كريسوس ملك ليديا واضطر اليونان القاطنين في السواحل الاسيوية ان يقدموا له الطاعة . فتنازل البعض عن امتيازاتهم واتي الآخرون فهجروا ليديا . وبعد مدة ثار الايونيون سنة ٥٠٠ قم بغية كسر نير الاستعباد الفارسي فلم يفلحوا . واقتصرت حركتهم على حق ساردس سنة ٤٩٩ قم . على ان هذه الشرارة اصلت العالم كله ناراً حامية ( مبار عد ١٧٠ ) . منذئذ نشبت الحروب بين الفرس واليونان بصورة متتابة . وقد اظهر اليونان في هذه المعارك شجاعة ودربة ، قدرها لهم المؤرخون . فانهم مع قلة عددهم فازوا في معظمها . وتأتى مجد اليونان في معارك ماراثون سنة ٤٩٠ و ترموبلي سنة ٤٨٠ وبلاتيا سنة ٤٦٩ وأمال كفة العظمة من آسيا الى اوربا . حتى قال هيرودوت في آخر معركة : عادت الحرية اليونانية للدردنيل والجزائر . وتبارى الخطباء والشعراء والمصورون لتخليد اعمال الابطال الذين حالوا دون الاخطار التي توقعوها .

على ان هذا الفوز العظيم ادى بعد مدة غير طويلة الى انحلال الروابط بين البلاد اليونانية ولاسيا بين اثينا وسبرطة . فان اثينا تفوقت بانشائها محالفة مع المدن الايونية والجزائر وسواحل الدردنيل والبوسفور سنة ٤٧٧ فحشدتها سبرطة واثارت غيرة ثيبة عليها . ولولا بريكليس ( ٤٦٩-٤٢٩ ) لوقعت اثينا في خطر . ولكن هذا القائد الحكيم وقاهما من الاخطار المحدقة بها وصارت

اثينا في عهده اقوى مملكة بحرية . ولكن قبل ان يلفظ بركليس نفسه الاخير بدأت الحروب البالونيسية بين المدينتين ( سبرطة واثينا ) واستمرت ٢٧ سنة ( ٤٣١-٤٠٤ ) وانتهت بانتصار سبرطة وتلاشي القوة الاثينية .

قبضت اسبرطة على صولجان السيادة ٣٣ سنة ( ٤٠٤-٣٧١ ) فبطرت واشترت وأدى طموحها الى اغتصابها حصن ثيبة . فثار الشييون عليها ، وقاد صفوفهم لمحاربتها القائد الثيبي الحبير « ابامنداس » الذي دحر الاسبارطيين في اكتوبر سنة ٣٧١ بعدما فتك باربعة اسباعهم . وهي اول معركة غلب فيها الاسبرطيون مع من هم اقل عدداً منهم . ومن هذه الحادثة تألق مجد ثيبة ولكن نوره لم يطل اذ انطفأ بموت ابامنداس سنة ٣٦٢ وتحولت قيادة اليونان الى مكدونيا مما سنلم به قريباً .

كان لكل فصيلة يونانية في العهد المنقضي ملك مستقل . ثم فضل معظمهم الحكومة الجمهورية . فابطلت اثينا الملكية سنة ١١٣٢ وارغوس سنة ٨٢٠ وكورنثوس سنة ٧٤٧ وانحصرت الملكية في اسبرطة فنجعل سلسلة ملوكها من اقدم ادوارها الى الانحلال خاتمة الفصل الاول :

|                       |                            |
|-----------------------|----------------------------|
| ١٨٨٠ ق م سبرطون       | ١٢٢٠ ق م تيسامان           |
| ١٧٤٢ لاكيوس           | ١١٩٠ اريستوذام والد بركليس |
| ١٦٨٠ ميلوس            | ١١٨٦ بركليس                |
| ١٦٣١ هيروتاس          | ١١٤٢ زويس وافرييون         |
| ١٥٧٢ لاكيديمون        | ٩٨٦ بريطانيس               |
| ١٤٨٠ اميكللاس         | ٩٠٧ بوليذاكت               |
| ٠٠٠٠ ارغاموس          | ٨٩٨ خاريلاوس القاصر        |
| ١٤١٥ سينورثاس         | ٨٧٩ ليكورغوس               |
| ٠٠٠٠ اوبالوس          | ٨٠٩ نيكازندروس             |
| ٠٠٠٠ ايبوكون          | ٧٧٠ ثيومبوس                |
| ١٣٢٨ تندار            | ٧٢٣ زافكسيدام              |
| ١٢٨٠ منلاس صهر تندار  | ٦٩٠ اناكسيندام             |
| ١٢٤٠ اوريست ملك ارغوس | ٦٥١ ارخيذام                |



|     |                |     |                   |
|-----|----------------|-----|-------------------|
| ٦٤٥ | اغاسيكلس       | ٣٣٠ | افداميذس          |
| ٥٩٢ | اريستون        | ٢٩٦ | ارخيذام الرابع    |
| ٥٢٠ | فيمارات        | ٢٦١ | افداميذس الثاني   |
| ٤٩١ | ليونيذاس       | ٢٤٤ | آجيس الثالث       |
| ٤٦٩ | ارخيذام الثاني | ٢٣٩ | افروداميذس        |
| ٤٢٧ | آجيس الاول     | ٢٣٤ | اوكليدش           |
| ٤٠٠ | اجيسلاس        | ٢١٩ | ليكورغوس الظالم   |
| ٣٦١ | ارخيذام الثالث | ٢١٠ | ماشانيد الظالم    |
| ٣٣٨ | آجيس الثاني    | ٢٠٥ | فايس الظالم - ١٩٢ |

## ٢ - مكدونيا

مكدونيا منطقة في البلقان موقعها الى الشمال من بلاد اليونان . اختلفت حدودها باختلاف العصور ويمجدها في الغالب من الشمال جبل هيموس الفاصل بينها وبين ميسيا ومن الشرق تراكيا ومن الجنوب اخاثيا ومن الغرب ايبيرون واللبريكون .

عرفت مكدونيا كملكاة سنة ٨١٤ ودخلت اخبارها في دور التحقيق في اواسط القرن السادس قم في ايام ملكها امينداس الاول الذي اضطر ان يخضع لداريوس الاول ملك الفرس لما هاجم السكيثين . وخلفه اسكندر الاول الذي خضع لزركسيس لما هاجم اليونان . وخلفه بردكاس الثاني الذي استنجد الاسبارطين ابان الحروب البلوونيسية لابعاد الاثينويين عن تخومه . وخلفه ادخيلوس الاول الذي اشتهر بادخاله بذور المدنية الى مكدونيا وتوسيعه المجال لدخول بعض فلاسفة اليونان الى بلاطه . قال فيه توسيديديس : انه انشأ حصوناً واوجد طرقاً ازدادت بها قوته الحربية فكان ذلك اساس العظمة التي بنى عليها فيلبس واسكندر جدران القوة المكدونية اه . وقال فيه افلاطون انه كان ابناً شرعي لبردكاس (سلفه) ولذلك قتل كل اولاد بردكاس الشرعيين ليخلو له الجو . ولكنه مع قسوته كان ملكاً عظيماً نجحت البلاد في ايامه اه وامل قسوته المذكورة على اولاد بردكاس سببت اغتياله ونتج عن ذلك شغب

واضطراب عدة سنوات ثم تسلم السدة امينداس الثاني وهو ابن اخي بردكاس الذي لم يملك في اول الامر سوى مكدونيا العليا . ولكنه نازع اخاه بعدئذ فامتلك ما كان بيده ثم نازع يوسانياس ما اختلسه فتم له الملك على كل مكدونيا سنة ٣٩٣ (بورتز: ٢٨٨) ولكن ارغوس بن بوسانياس تغلب عليه بعد ذلك واقصاه من المملكة فلم يستطع استردادها حتى ساعده اهالي تساليا . ثم توطد عرشه بمجالفته اسبرطة .

وكان لامينداس المذكور ثلاثة اولاد وهم اسكندر وبردكاس وفيلبس . فلما مات عظم الاضطراب والشغب في من يخلفه ، فتدخل بالامر بيلوبيداس الشبيبي وهدأ الفتنة واخذ معه الى ثيبه ٣٠ شخصاً رهينة كان معهم فيلبس بن امنئاس . وسلم السدة الملوكية لاختيه اسكندر بخانه البعض وفتك به (بورتز: ٢٨٨) فتدارك اخوه بردكاس الفتنة وظفر بالخان وقتله ، وملك عوضاً عنه . واستقدم اخاه فيلبس من ثيبه وكان قد مرّ عليه فيها ثلاث سنوات وسعت دائرة اختباراته بما تلقاه عن ابامينداس من الخبرة العسكرية . فاقطعه اخوه قسماً من المملكة ولما مات ولم يكن له سوى ولد صغير تولى فيلبس زمام الملك بصفة وصي على الصغير . ولما حدث شغب في الدولة اشار عليه اربابها باتخاذ مقام الملك دون ابن اخيه لقطع دابر الفتنة ففعل وكان ذلك سنة ٣٥٩ .

اهتم فيلبس قبل كل شيء . بتنظيم الجندية واخترع النظام المعروف بالفالانكس وهو ترتيب صفوف كتبية من اقوياء الجند يحملون رماحاً طويلة جداً ، متى بسطوها امامهم كانت لهم سياجاً من حديد لا يمكن الدنو منه . اذ يطعنون به اعداءهم وهم في مأمن منهم . ثم درب الفرسان على الفنون الحربية بحيث تؤلف منهم كتلة واحدة عند الحاجة تقف سداً في وجوه الاعداء . ولم يكن للفرسان شأن يذكر قبل فيلبس اذ كان امتطاء الخيول خاصاً بالاشراف . تتألف منهم وقت الحرب كتائب لانظام لها . تحارب احداها كيف ومتى شاءت . وادخل في فن المحاربة تحسیناً هاماً اذ الف قلب الجيش من صفوف المشاة المتراصة . وجعل جناحيه من الفرسان وجعل القوة المؤلفة من القلب والجناحين ترحف كلها معاً كأنها آلة حربية لا تقاوم . ولما رأى اليونان هذا النظام الفريد خافوا المقاومة . وشعروا باهمية الانقياد الى زعامة واحدة حازمة .



ورأى فيلبس بحسن فراسته ان يبدأ بفتح الاقاليم ذات المقاومة الضعيفة .  
ومتى انتهى منها ووقعت هيئته في القلوب بادر الى سواها . فتسكن بهذه  
الخطّة من توسيع نطاق مملكته حتى بلغ الدانوب شمالاً والدردنيل شرقاً .  
وكانت فتوحات فيلبس (٣٥٥-٣٤٦) ذات اثرين متضادين احدهما ايجابي يؤيده  
ابقراط الشيخ الذي رأى في فيلبس المنقذ للعالم اليوناني من الاضطراب والقادر  
على توحيد شتات هذه الامة . والثاني سلبي ومؤيده ديموستين الخطيب المصنع  
الذي ارتأى ان لا يستأثر المقدوني بالسيادة العامة . وتمكن هذا الاخير من  
استمالة المجلس الكبير الى المقاومة . ولكن قوة فيلبس غلبت منطق ديموستين  
فبواته معركة خيرون الفاصلة سنة ٣٣٨ قم منصب الزعامة العامة على اليونان  
عدا سبرطة .

وكان فيلبس في اواخر ايامه قد اختلف مع زوجته اوليمباس (والدة اسكندر)  
فطلقها وتزوج باخرى اسمها كليوبترا وولد له منها ولد . وحاول فيلبس باغراء البعض  
تعيين ابنه الصغير ولياً للعهد دون اسكندر . فأدى ذلك الى استياء محازبي  
الاسكندر فاستسنعوا الفرصة وفتكروا بفيلبس ابان حفلة زفاف ابنته سنة ٣٣٦ قم  
فتسلم اسكندر العرش وهو ابن عشرين سنة .

### شيء عن اسكندر المقدوني

ولد اسكندر في ٢٩ تموز سنة ٣٥٦ قعد ابوه الى ليسياك بتربيته الاولى  
ولما بلغ الثالثة عشرة سلمه لاريسطو الفيلسوف الذي عني به عناية خاصة . وكانت  
الياذة هوميروس اول شيء تعلمه . فنشأ منذ حداثة حرياً ميالاً الى المجذ .  
ومن اخبار صبوته انه حينما كان يتلقى اخبار فوز ابيه كان يتسلم ويقول :  
اخذ ابي كل شيء . ولم يدع لي ما آخذه . ومن ذلك ان سفير الفرس زار يوماً  
سراي ابيه فلم يجد فيه سوى اسكندر . فجلس يداعبه فرأى من جده وورصاته  
ما يعجب به . وبما ادهشه بنوع اخص ان الاسئلة التي القاها عليه الاسكندر  
كانت غير ما كان يسأله اترابه ، كسؤالهم عن الجنان المعلقة في بلادهم وعن غنى  
ملوكهم الخ . اما اسكندر فاخذ يسأله عن اقصر الطرق واسهلها للوصول الى

بلادهم ، ولم مسافة بعدها عن مكدونيا ؟ وما هي مواقفهم ابان الحرب ؟ الى غير ذلك من اسئلة انا تهوم الفاتحين العظام لا من كان بسن الاسكندر . فدهش السفير وقال : لئن كان ملكنا الكبير غنياً فان هذا الامير الصغير عظيم . اتقن الاسكندر عدا الفصاحة والفلسفة ، الاخلاق والصحة . وبما كتبه لاساتذه اريسطو - ابان اشتغاله بالحرب في آسيا - ان شغفي بالتفوق على الناس في ادراك الامور السامية هو اهم عندي من تفوقي عليهم بالعظمة وامتداد السيطرة اه . على ان اسكندر كان حزوماً لدرجة العناد ، ومقداماً لدرجة التهور والمغامرة . رافق اباه وهو حدث في عدة معارك ابدى فيها من ضروب الشجاعة والاقدام ما ادهش به الناظرين . وناب مناب ابيه في سياسة المملكة وهو ابن ١٦ سنة فظهر كفاءة اقدر السياسيين . وشارك اباه في معركة خيرونيا وهو ابن ١٨ سنة فادهش القادة المحنكين والابطال المدربين .

ولما توفي ابوه سنة ٣٣٦ كان عمره عشرين سنة فقط فتولى الملك والاختار تحيط به من كل جانب فاهتم بادى . بد . بتسويد الامن في البلاد لكي لا يبقنى وراءه ما يشغل البال . ففضى على كل من توقع مزاحمته على العرش . ثم سار الى بلاد اليونان لاثبات ملكيته فانتخب رئيساً عاماً كابيه ولم يعارض في ذلك سوى اسبرطة فأجل خضد شوكتها الى فرصة اخرى . واهتم باخضاع الثائرين في الشمال فاخضع كل القاطنين حول الدانوب والاياريين والشيبيين وادخل الرعب في قلوب العتاة وكل من زينت له نفسه التمرد عليه .

وبعدما هدأت الحركات في اوربا قرر محاربة الفرس سنة ٣٣٥ فكتب له الفوز بثلاث معارك .

الاولى - معركة نهر غرانكوس قرب سواحل مرمرة في ربيع سنة ٣٣٤ وكان جيش الاسكندر لا يحسب شيئاً مذكوراً ازاء جيش الفرس العظيم .  
الثانية - معركة مضيق ايسوس قرب اسكندرون في ٢٩ ت ٢ سنة ٣٣٣ فاز فيها على جيش داريوس الضخم واسر ام داريوس وامراته وابنه وفر داريوس الى الشرق .

الثالثة - معركة اربل على ضفاف الدجلة في ٢ ت ١ سنة ٣٣١ حيث كسر الفرس شر كسرة وفرق شملهم تفريقاً لا اجتماع بعده .



يقول الخبراء في الفنون الحربية ان الاسكندر انتصر على الفرس مع كثرة عدد هؤلاء ، لان جيشه كان متحد القوى شديد الثقة بقائده . بينما كان الفرس متعددي الميول والمناهج ، مسوقين الى حرب لا ثقة لهم بنتائجها .  
قاد الاسكندر حملته وهو في شرح الشباب . وعرف الطرق التي يحسن السير بها . بعدما درس ما صنعه الفاتحون فعمل ما لم يستطعه الشيوخ المدربون .  
اذ فتح الاناضول بمدة قصيرة وبمقاومة لا تذكر . واكمل فتح بلاد الفرس بمدة



ثلاث سنوات . ثم عمد الى مهاجمة الهند سنة ٣٢٧ فقطع جبال هندكوش في ربيع سنة ٣٢٦ وحاول منعه الملك فقمه الاسكندر واخلى سبيله بعد الاسر معبداً له عرشه فصار من اعوانه . وعارضه اهالي بنجاب بقوة فلم يستطيعوا الوقوف امامه .

ولما شعر ان جيشه عراة التعب لم يرد ان يحمله فوق ما يستطيع فعاد الى بابل سنة ٣٢٤ وهناك اخذ يسعى لتنفيذ خطته العظيمة . اذ سوات له نفسه توحيد الفرس واليونان فصاهرهم واجبر قاداته

اسكندر المكدوني ولد سنة ٣٥٦ ومات سنة ٣٢٣

ان يفعلوا فعله ، وادخل في الجيش اليوناني عدداً كبيراً من جنود الفرس محاولاً ان يجعل العالم كله دولة واحدة وأمة واحدة فلم يرق ذلك جنده القديم .  
فصرف المعارضين الى مكدونيا .

ولكن حظ اليونان - كما قال احدهم ، او حظ العالم كما قال آخر - لم يكمل لقصر حياة الاسكندر الذي مات سنة ٣٢٣ لمضي ١٢ سنة و٨ اشهر

على ملكه وقد مات في الوقت نفسه الذي نوى فيه تنفيذ الخطط التي اختلج بها ذلك الصدر الواسع واوحاها ذاك الدماغ الصحيح . ولو فسح له في الاجل عشرين سنة اخري لكان العالم غير ما هو عليه بعد تمكنه من الانقلاب العظيم الذي اراد احداثه ( براسد عد ٦٥٧ ) ولسوء الحظ لم يؤت احد من خالفائه عمقريته لينفذ ما رسمه فانه ترك أخاً معتوهاً وارملة حبلى ولدت له بعدئذ ولداً لم يستطع ان يكون سر ابيه ؛ ونرى من المفيد ان نذكر في ختام الكلام على مكدونيا من مييزات الاسكندر ما يجدر بالاعتبار في حياته القصيرة .

## (٦) هرزم

لما وصل الى نهر غرانكوس الذي لا بد له من اجتيازه ، والعدو قد احتل الشاطئ . الثاني . رأى قائده برمينيون ان ينتظروا الفلس ليجتازوا النهر خلسة ، بدون التعرض للخطر . فاجابه الاسكندر ان عبور النهر خلسة عار يذكر في المستقبل فنخجل به . ولما تردد القائد اقتحم الاسكندر النهر وتبعته طلائع الفرسان وتعالى هتاف الجيش كله . فوقع الذعر في قلوب الفرس فتفرحوا من اماكنهم واجتاز اليونان النهر بضحايا اقل بكثير من ضحايا الفرس . ولما وصل الى كورديوم (غلاطية) قضى فيها مدة الشتاء وفي اثناء وجوده فيها زار هيكل ديوس (المشتري) فعرضت عليه العقدة الشهيرة المدعوة «غورديا» نسبة الى من حبسها بدقه غريبة . وقال له كاهن الهيكل انها طلسم قديم من استطاع حلها ملك آسيا بجملتها . فتأمل فيها الاسكندر وثار ذكاؤه في صدره مع شهوة الملك وامسك العقدة بكلا يديه يحاول حلها فلم يفلح اذ لم ير لها اول ولا آخر . وكانت اطرافها مستترة من كل الجهات وقد دخل الطرف الواحد في الآخر . فلما لم يجد وسيلة لحلها وضع العقدة على منضدة خشبية واستل سيقه وضربها بعزم فقطعها وانفصلت العقدة وقال ان فككتها او قطعها فالامران واحد .

ولما فرّ دارا الى الشرق اتجه اسكندر الى سوريا فوردت اليه وهو في فينيقية رسالة من دارا يعرض عليه المال الذي يطلبه لبيد امه وامراته



واولاده . ولكنه لم يسم اسكندر ملكاً ، فاجابه اسكندر بجزم جواباً مسهباً يقول له في ختامه : ان حضرت الي طائفاً رددت عليك بدون فداء امك وامراتك واولادك ، لتعلم اني اعرف كيف افوز وكيف احلم على من اظفر بهم . على اني اذكرك اذا كتبت الي مرة اخرى فاعلم انك تكاتب ملكك نفسه اه . فكتب اليه دارا رسالة اخرى وصلته وهو في صور يسيه فيها ملكاً ويعيد الكرة لاجل اقتداء اسراء بعشرة آلاف وزنة وانه يزف اليه ابنته ساتيرة . خاتماً كلامه بان الحظ لا يخدمه دائماً وان عبور الرافدين ليس بالامر السهل . فلما قرأ الاسكندر الرقيم قال له القائد برمينيون لو كنت الاسكندر لقبلت التقدمة ، فاجابه الاسكندر ولو كنت انا برمينيون لقبلتها ، واجاب دارا بما ملخصه ، انه ليس بحاجة الى مال دارا . وان ما وعد بتقديمه ليس لدارا . وان النهرين لا ينجفان من تعود اجتياز البحور .

ولما اجتاز الاسكندر النهرين ارسل دارا يطلب الصلح بشروط حسبها حسنة . فاجابه الاسكندر : كيف تصالحني على ما ملكت يداي . ان العالم لا يحتمل شمسين فكيف يحتمل سيادتين فلتختر احدي اثنتين الاذعان اليوم او الحرب غداً ، وان يكون القدم معه احسن حظاً من الامس اه . فقال احدهم ان دارا مستعد للقيام بثمة واربعين الفا . فاجابه فوراً : ان الجزار لا يثني كثرة الغنم .

## (٢) مغامراته

ابان اقتحامه نهر غراتكوس اصيب بعدة نبال فلم يبال ، وتابع هجومه فاتكاً بعدة من اكابر الفرس . فحمل عليه احدهم من خلفه يريد ان يهوي على هامته بسيفه لو لم يدركه احد خاصته (كايثوس) بضربة سيف قطع بها يد العدو وانقذ سيده (بورتز: ٢٩١) .

وابان محاصرته صور فتح منفذ في احد الاسوار فصعد اليه احد القادة الشجعان فقتل . فلم يرد اسكندر اضاعة الفرصة فاسرع وصعد الى برج عال محاذٍ للسور فصوب الاعداء سهامهم اليه فلم يخشاهم بل اقتحمهم فقتل بعضهم بسيفه وبعضهم بمجنه ودخل المدينة .

وفي الهند حاصر مدينة ما فأمر بنصب السلام لتسلق الاسوار ولما تباطأ الجند ، اختطف من احدثهم سلماً يحمله وعلا السور . وتبعه قائدان وبضعة من الجند فتحطم السلم وبقي الملك وحده هدفاً للسهم . فلم يبال بالخطر بل وثب الى ساحة المدينة فبلغ الارض منتصباً وقتك . بمن كانوا بقربه فدنا منه احد الزعماء ينبغي نيل الفخر بقتله ، فعاجله الاسكندر بضربة سيف صرخته . ولما تكاثر الجمع عليه اسند ظهره الى شجرة قريبة منه يتقي بها السهم المراشة عليه من خلف واخذ يتقي ما يراش عليه بترسه من الامام . فصوب اليه هندي سهماً اخترق درعه واصاب رأس وركه الايمن . فسال منه دم غزير نثارت قواه لكثرة ما نزل من الدماء . ولكان قضى لولا وصول قائدين في تلك الدقيقة ، فدافع احدثهم عنه وفتح الآخر باب السور . فتدفقت الجنود الى المدينة وحمل اسكندر الى خيامه منهوك القوى . وخيف عليه ولكن بوجه يرى . بعد سبعة ايام .

### ( ٣ ) بطونة ورفقة شعوره

لما وقع برفير الملك الفارسي بيد الاسكندر بكت ام دارا الاسيرة بكاءً مرأً لانكشاف مجدها ودري الاسكندر بذلك حضر لمواساتها ومعه مرافقه الخاص اغاستيون . فلما رأتهما ولم تكن تعرف ايها الاسكندر سجدت للمرافق وهي تظنه الاسكندر فخطأها احد الحاضرين فحجبت واعتذرت . فقال لها الاسكندر لا تحجلي فهذا ايضاً اسكندر . ثم طيب خاطرهما واعلمها ان ابنها ما برح حياً وان اسكندر ابن ثار لها يقوم بالواجب نحوها ما دام ابنها دارا بعيداً عنها .

ولما استولى على سوس وصل اليه نوع من البرفير الممتاز فاهدها الى والدته دارا . وطلب اليها ان تعلم بنات ابنها النسيج على هذا المنوال . فبكت لاعتبارها ان شغل نساء الكبار عار . فبادر الاسكندر للاعتذار عما بدا منه وهو يجهل عادات الفرس . ونخم اعتذاره بقوله : اعتبرتكم امألي ولذلك حلت دون ركوعك امامي . ولم اجلس امامك بدون اذنك علماً مني أن الابن عندهم لا يجلس بدون اذن من امه .



ولما قتل دارا عظم الاحتفاء بآثمه وحفظ جثته وسيرها الى والدته  
لتدفنها على عادة ملوك الفرس في مدافن اسلافه ثم انتقم من قاتليه .

#### ( ٤ ) آماله الكبيرة

لما خلف الاسكندر ابيه ، وزع هباته على جنوده حتى نفذ جميع ما  
لديه . فقال له وزيره : ما الذي ابقيته لنفسك يا مولاي ؟ قال الرجا . فقال  
الوزير متسلماً وهل يكفيننا الرجا . مؤونة ؟ قال الاسكندر ان الذي قلته (انت)  
عن غير اقتناع هو الواقع وسترى ( براستد عد ٦٥٧ ) .

وفي ابان حداته القى امام الدييحة مل . راحتيه بخوراً والبحور عندهم  
له قيمته . فعاتبه ليونيداس حاكم مكدونيا على تبذيره هذا قائلاً : ان هذه  
الطيوب قليلة ونادرة فالواجب يقضي بالحرص في صرفها . فاجابه الاسكندر  
فوراً : انما يحرص الجبان القليل الثقة بذاته . فلما فتح غزوة حصل على كمية  
عظيمة من البحور فارسل منها ٥٠ الف ليبرة وكتب الى ليونيداس يقول :  
اني مرسل اليك ما لا يبقى معه عذر للذن به على الالهة .

#### ( ٥ ) استخراجه اصرفائه

على اثر اغتساله بماء بارد وهو محرور مغمور بالعرق ، اصبحت يده بيض  
وخشي الاطباء معالجتها خشية ان يقضي فيتهموا بقتله . فاقدم على معالجته طبيب  
الخاص فيلبس . وركب له دواء اعتقد انه يذهب ما به من بأس . فتناول  
الاسكندر كأس الدواء بيمنه وناوله باليسرى طرساً مطوياً . واذ كان فيلبس  
يقرأ الطرس كان اسكندر يجرع الدواء حتي اتى على ثلاثة الكأس . وراع  
الامر فيلبس اذ حوى الطرس وشاية من احد اعدائه يجذر بها الاسكندر من  
شرب الدواء بدعوى انه مسموم وراه الاسكندر مرتاعاً فقال : لا تخف ان  
تقتي بصداقتك جعلتني اشرب الكأس بدون اقل تردد . لا لا اعتقادي باخلاصك  
فحسب . بل لاني لا ارى في الحياة لذة لو وجد صديق يقدم على خيانة صديقه .

## ٦) مذكرته على ضبط عواطفه

روى بلوطرخ ان اسكندر انقطع عن زيارة اسرة دارا الواقعة في اسره لنلا يجنح به . ميله الى الملكة ، عن سنن الاستقامة . وقد اشار الى ذلك في رسالته التي بعث بها الى القائد برمينيون يوصيه فيها بقتل الجنود الذين اعتدوا على نساء الاعداء بعد الفوز . ويضع نفسه قدوة لهم بقوله : حسبهم اني لم ادع سييلا لقول قائل اني اطلت النظر الى امرأة دارا ، بل لم ارض ان يتكلم احد عن جمالها امامي .

ومما يذكر بهذا الشأن ان امرأة دارا ماتت بعد عودة الاسكندر من مصر فعظم الحفاوة بدفنها ودرى بذلك دارا فخامره شك في عفاف زوجته واعتبر ان هذه المبالغة في الاحتفاء ، بجنائزها ، ناتجة عن تسليمها نفسها للاسكندر حال حياتها . غير ان الخصي الفارسي الذي نقل لمولاه الخبر والذي استعطفه دارا اياناً معظمة ليصدقه الحقيقة ، اخبره بتأدب اسكندر العظيم تجاهها وحوصه الشديد على شرفها . فدهش دارا ولم يتمالك ان رفع يديه الى السماء طالباً من الآلهة احد امرين . عودته الى العرش لمكافأة الاسكندر على علو شيمته ، او توسيد العرش الفارسي الى الاسكندر دون سواء لانه اليق الناس بالملك العالمي اه . هذا قليل من كثير مما نقل عن اسكندر الكبير الذي قال فيه براستد : لم يقيم من نسل آدم كله شخص واحد كان له في وقت يسير تأثير خالد في الشؤون البشرية كالاسكندر ، في مدة حياته القصيرة . واذا ختمت به عظمة الدولة المكدونية تأتي على سلسلة ملوكها ختاماً للبحث .

## سلسلة ملوك مكدونيا

|     |              |     |             |
|-----|--------------|-----|-------------|
| ٧٩٦ | كارثواس      | ٦٤٧ | ارغوس الاول |
| ٧٦٦ | كونوس        | ٦٠٩ | فيلبس الاول |
| ٦١٥ | بردكاس الاول | ٥٧٦ | اجيروباس    |



|                      |     |                      |         |       |
|----------------------|-----|----------------------|---------|-------|
| اليثاس               | ٥٥٦ | امينداس الثاني       | ٣٨٨     | ثالثة |
| امينداس الاول        | ٥٣٨ | اسكندر الثاني        | ٣٧٠     |       |
| اسكندر الاول         | ٤٩٦ | بتولماوس             | ٣٦٩     |       |
| بردكاس الثاني        | ٤٥٢ | بردكاس الثالث        | ٣٦٦     |       |
| ارخبلاوس الاول       | ٤٢٩ | امينداس الثالث       | ٣٦٠     |       |
| امينداس الثاني       | ٣٩٨ | فيلبس الثاني         | ٣٥٩     |       |
| بوسانياس             | ٣٩٧ | اسكندر الثالث الكبير | ٣٣٦     |       |
| امينداس الثاني ثانية | ٣٩٦ | فيلبس الثالث         | ٣٢٣     |       |
| ارغوس الثاني         | ٣٩٠ | اسكندر آغوس          | ٣١٧-٣١١ |       |

### ٣ - الدولة السلوقية - خلاصة من التاريخ العام

استولى اسكندر المكدوني على آسيا الوسطى سنة ٣٣٤ وبعد معركة ايسوس سنة ٣٣١ اقتحم سوريا واستولى عليها . ولما عاد من مصر لمطاردة داريوس قدمانوس وراء الفرات ، اقام برمينيون والياً على سوريا المجوفة التي تشمل دمشق وبعليبك وتلحق بها احياناً حمص وحماة اللتان تضمان تارة الى سوريا المجوفة واحياناً الى سوريا الشمالية .

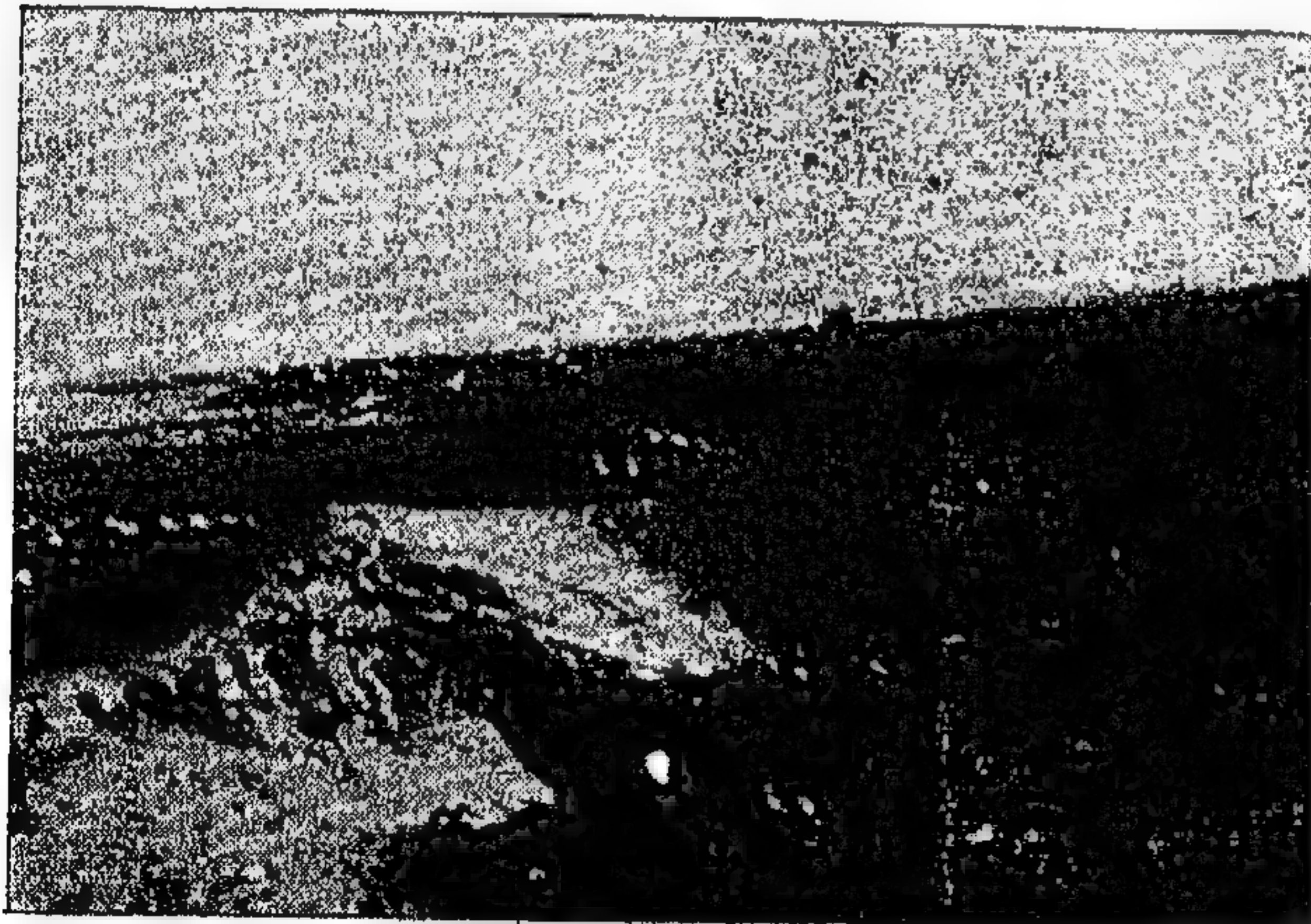
بعدها انتهى اسكندر عمله الحربي في الهند والعراق توفي سنة ٣٢٣ بدون ان يعين خلفاً له . ولما سأله وهو يحتضر عن يريد ان يخلفه ؟ اجاب : الاقوى فيكم ، او « اكثركم اهلية » . ثم خلع خاتمه وسلمه للقائد بردكاس فكان قائماً الملك . فوقف القادة موقف الحيرة في ما يجب عمله بعد موت الاسكندر . وارتأى معظمهم على ما في صدورهم من مطامع ان لا تجوز قسمة المملكة ما دام في الاسرة المالكة من يطالب بالعرش . والذين يطالبون بالعرش آنذ ارهيدي اخو الاسكندر ، والطفل هرقل ابن اسكندر من برسين ، والجنين الذي تحمله روكسانا من اسكندر . وتعددت الآراء بحسب الأغراض لحل الاشكال . اذ اعترض بعضهم على تعيين ارهيدي لسداجته ، واعترض آخرون على هرقل بطفولته ، وعلى الجنين لعدم التحقق بانه ذكر او انثى ، واخيراً اتفقوا على تسمية ارهيدي

خليفة على ان يشاطره العرش ابن روكسانا - فيما اذا كان ذكراً - ويكون  
بردكاس الوزير الاول وملياً كر نائبه وكراثر مدير الشؤون بامر ارهيدي. ولما ولدت  
روكسانا ابناً دعوه اسكندر واقروا له بالملك مع ارهيدي فكانا ملكين اسماً  
لا فعلاً ، اذ كان العمل بيد من ذكر اعلاه .

قسم بردكاس المملكة ٣٤ قسماً وجعل كلاً من الكبراء والياً على احدها .  
وحقق لنفسه قيادة جيش آسيا والوضاية على الملكين بحجة وجود خاتم  
الاسكندر معه .

على ان هذا التقسيم لم يفض الاشكال ولم يرد المطامع الخاصة بل ادى  
الى منازعات وحروب قتل في اثنتائها بردكاس سنة ٣٢١ وارهيدي سنة ٣١٧  
ووالدة الاسكندر سنة ٣١٦ واسكندر الطفل واه سنة ٣١١ وهرقل الصبي  
واه سنة ٣٠٩ وكايوبترا اخت الاسكندر سنة ٣٠٨ . وسمى القادة ذواتهم  
ملوكاً ، وانتهت المعارك الدموية سنة ٣٠١ باقتسام الملوك الظافرين المملكة  
كما يلي :

- (١) كساندر - على مكدونيا وسائر اليونان .
- (٢) ليسياس - على تراكيا وآسيا الصغرى .
- (٣) بتولميس - على مصر واليهودية وفينيقية .
- (٤) سلوقوس - سوريا الشمالية وما بين النهرين الى الهند .



« روضة جوسيه »

حيث يظن  
بعض المؤرخين  
ان فيها كانت  
الفرايس الثلاثة  
حيث اجتمع  
خافا اسكندر  
لاقتسام البلاد .



وسميت الدولة التي تسلطت على سوريا سلوقية نسبة لسلوقوس الاول  
اول من تسلم العرش فيها ، وفي ما يلي خلاصة عن ملوك هذه الدولة :

(١) سلوقوس الاول - هو ابن انطيوخوس احد كبار قادة الجيش  
المكدوني في ايام فيلبس المكدوني والد اسكندر . وقد سار سلوقوس في  
ركاب الاسكندر كما سار والده في ركاب فيلبس ، فأبرز في غزواته مهمة  
واقداماً جعلته موضع ثقة الاسكندر ، لذلك اعطيت له بعد انتهاء المنازعات  
ولاية سوريا الشمالية الى الهند ، وقدرت مساحة ملكه بليون متر مربع وقد  
بنى في مدة ملكه ٢٤ مدينة . منها سلوقية على الدجلة التي اتخذها اول عاصمة  
لملكه . وانطاكية التي نقل اليها العاصمة بعدئذ . واقاميا وسواها ومات  
سنة ٢٨٠ عن ٧٣ سنة .

(٢) انطيوخوس الاول - ولد سنة ٣٢٥ وكان في معركة ايسوس قائداً  
لفرسان ابيه وخاف اياه على العرش سنة ٢٨٠ ثم حارب الغالة سنة ٢٧٥ وفاز  
عليهم فاعطي لقب سوتر (المنقذ) واخيراً قتل في معركة قرب افسس سنة ٢٦١ .

(٣) انطيوخوس الثاني - هو ابن انطيوخوس الاول وخلف اياه سنة ٢٦٠  
واعطي لقب « ثيوس » لانه انقذ اهالي مليتوس من طغيتهم تيمرخوس وجرت  
له معارك هائلة مع بطليموس فيلادلفوس ملك مصر ثم تصالحا سنة ٢٥٠ ومات  
سنة ٢٤٦ بسم دسته له قرينته برنيكي بنت بطليموس لانه استعاد زوجته  
لاوديكي .

(٤) سلوقوس الثاني - هو ابن انطيوخوس الثاني من زوجته لاوديكي  
خلف اياه على العرش سنة ٢٤٦ وكان اول عمل عمله ان دبر مع امه لاوديكي  
مكيدة لقتل برنيكي زوجة ابيه ، فاستاء اخوها بطليموس افرجات ملك مصر  
وثارت بين الملكين حرب اقضت مضجعه . اذ اكتسح بطليموس عدة ولايات من  
سوريا وضمها الى مصر . ولولا فتنة نشبت في مصر لدانت له كل الاقاليم  
السورية . ولم يكن سلوقوس هذا موفقاً في حروبه اذ اسر في حربه مع  
البارثيين سنة ٢٣١ وظل اسيرهم حتى توفي سنة ٢٢٥ .

٥ « سلوقوس الثالث - هو ابن سلوقوس الثاني ، كان واهي العزيمة فائل الرأي . ولكنه سريع الحركة فلقب كيراونوس «الصاعقة» لم يأت عملاً يستحق الذكر ومات قتلاً بيد اثنين من اتباعه سنة ٢٢٢ لثالث سنة من ملكه .

٦ انطيوخوس الثالث - هو ابن سلوقوس الثاني من زوجته لاوديكي ولد سنة ٢٣٨ وخلف اخاه على العرش سنة ٢٢٢ والمملكة محتلة فاصلح شؤونها وخاض عدة معارك كتب له الفوز في معظمها . وتمكن من ارجاع الوحدة الى سوريا سنة ١٩٧ بعدما تمزقت اوصالها فنال لقب الكبير . وفي ايامه لاذ بسوريا هنيئال البطل القرطجني الشهير ، فأدى ذلك الى وقوع حرب بين انطيوخوس والرومان ، لم يوفق فيها واضطر ان يؤدي لهم غرامة الحرب ولاجل ذلك استصفي كنوز هيكل جوبتر في عيلام فخنق عليه الشعب وقتله سنة ١٨٧ ق م .

٧ سلوقوس الرابع - هو بكر انطيوخوس الكبير ، وقد لقب فيلرباثر لمحبهه اياه تسنم العرش سنة ١٨٦ ولم يكن في ايامه ما يستحق الذكر سوى انه ظلم اليهود لاشباع مطامع مشيره هليودور ، ولكن الرجل الذي اشبعه هو الذي غدر به وسقاه سمأ مات به سنة ١٧٥ .

٨ انطيوخوس الرابع - هو ثاني اولاد انطيوخوس الكبير ، كان رهينة عند الرومان سنة ١٨٨ لاجل الغرامة فتوسط اخوه سلوقوس لاخلائه سبيله على ان يضع بدلاً منه ابنه ديتريوس فأطلق سنة ١٧٥ واذا كان على الطريق عرف ان هليودور قتل اخاه فاسرع الى سوريا وبمساعدة ملك برغاموس تمكن من طرد المختلس واسترداد العرش . وبعد ان استتب له الامر رأى ان يحاسن اليهود فاكرمه سنة ١٧٣ وحارب مصر اربع سنوات ( ١٧١-١٦٨ ) فصادف نجاحاً لم يلقه سلفه . ولولا الرومانيون لتسكن من فتح البلاد كلها ، غير ان خزينته فرغت بسبب الحرب فهدى الى هيكل اورشليم فثار اليهود فاضطهدهم فظهرت الفتنة المكايية التي تركت اثرأ هاماً في التاريخ السوري . فلما فرغت يده من سوريا الجنوبية لتسديد العجز المالي حاول نهب هيكل عيلام ففشل



وعجلت خيئته منيته سنة ١٦٤ .

(٩) انطيوخوس الخامس - خلف اياه وهو لم يزل حدثاً فتولى ارشاده ،  
ليسياس . فسالم اليهود ليستطيع صد مزاحمه على العرش ، وهو ديمتريوس بن  
سلوقوس فيلوباتر ، بصفته الوريث الشرعي للعرش دون انطيوخوس الرابع «ايفان»  
فلم يفلح ، ووقع مع ليسياس في قبضة ديمتريوس فقتلها معاً سنة ١٦٢ .

(١٠) ديمتريوس الاول - هو ابن سلوقوس فيلوباتر ، كان كما سبق في  
السنة التي مات فيها ابوه رهيناً في رومة ، وابت رومة تلبية طلبه بالعودة  
الى سوريا فاستولى على العرش عام انطيوخوس ايفان ، ثم خلفه ابنه انطيوخوس  
الخامس وسمّى على ديمتريوس في اسر رومة ١٢ سنة في نهايتها تسنى له الحضور  
الى سوريا فقتل انطيوخوس وليسياس وضبط العرش سنة ١٦٢ ثم اخذ يحارب  
المكابيين فقتل يهوذا المكابي في احدى المعارك ثم صالحهم سنة ١٥٨ وبعد  
سنتين اعترف به الرومانيون ملكاً على سوريا .  
غير ان نجاحه هذا ابطره فتجبر واسلم نفسه للاهواء المنحرفة ففقه  
الشعب بل حاشيته نفسها . ونهض اسكندر بالاس يطالب بالعرش بحجة انه  
ابن انطيوخوس ايفان فخاربه وقتله سنة ١٥١ .

(١١) اسكندر بالاس - روسي الاصل طمعت نفسه الى العرش سنة ١٥٢  
ونازع ديمتريوس فلم ينجح فاستأنف القتال اخيراً فكسر ديمتريوس واكرهه على  
الفرار . ولما قتل ديمتريوس استأثر بالسلطة ووطد عرشه بتزوجه كايوبترا بنت  
بطليموس فيلوماتر ، ولما اطأن على العرش فترت همته فثار عليه ديمتريوس  
نيكاتور بن ديمتريوس الاول مطالباً بعرش ابيه سنة ١٤٧ ولكن بوناتان المكابي  
صديق بالاس احبط الثورة .  
ثم حصلت نفرة بين بالاس وحميه بطليموس ادت الى الحرب فانكسر  
اسكندر ثم قتل سنة ١٤٦ .

(١٢) ديمتريوس نبطانور - هو ابن ديمتريوس الاول - وتر ، استولى على  
العرش بمطالبة بطليموس . ولكنه لما استتب له الامر استسلم للاهواء ، فثار

عليه اهل انطاكية وكادوا يقتلونه لولا وفد المكابيين ، ولكن متابعتهم مسلك التعسف اثار عليه الشعب في عدة جهات فتسنى لديودوت الافامي (تريفون) ان يسقطه وينصب مكانه ابن اسكندر بالاس .

(١٣) انطيوخوس السادس - هو ابن اسكندر بالاس من زوجته كليوباترا ، كان في بلاد العرب لما قتل ابوه ، فاحضره وهو حدث ديودوت لينظر ديتريوس على العرش . فتم له ذلك وخضع له معظم السوريين الناقين على ديتريوس ، وكان ديودوت وصياً عليه لحداثته فلما مات تسنم العرش هو .

(١٤) ديودوت الافامي - ويدعى تريفون ايضاً ، تسنم العرش ولما استقر فيه فعل كن سبقه من حيثية الانصراف عن المصلحة العامة الى الخاصة فقام عليه انطيوخوس السابع سيدات اخو ديتريوس ونشب بينهما القتال ، فانضم عدد من جيش ديودوت الى الثائر ، فلم يستطع ديودوت الوقوف امام خصمه ففر الى بلده افاميا حيث التي عليه القبض وقتل سنة ١٣٨ .

(١٥) انطيوخوس السابع سيدات - هو ثاني اولاد ديتريوس الاول تزوج كليوباترا امرأة اخيه ديتريوس الثاني سنة ١٤١ وبمساعيها تمكن من الوصول الى العرش سنة ١٣٨ ، ولكنه قتل في معركة مع البرثيين سنة ١٢٩ .

(١٦) اسكندر زينا - هو في الاصل ابن دلال من الاسكندرية ، اغراه فيسكوس ملك مصر ان يدعي انه ابن اسكندر بالاس ، لينازع ديتريوس نيكاتور الملك ، فتمكن بعد جهاد من نيل امنيته سنة ١٢٥ بعدما قتل ديتريوس في صور وملك زينا في انطاكية في الوقت نفسه الذي ملك سلوقوس بن ديتريوس في الجنوب (عكا) ، ولما قتل سلوقوس استقدمت امه اخاه انطيوخوس غريفوس (الاقني) لحارب زينا وانتصر عليه ففر زينا وقتل سنة ١٢٣ .

(١٧) انطيوخوس الثامن غريفوس - هو ابن ديتريوس نيكاتور من زوجته كليوباترا ، استتب الملك لغريفوس نحو ست سنوات (١٢٠-١١٤) ، ثم سار



عليه انطيوخوس شيزيك السابع ووقعت الحرب بين الاخوين ، وبعد معارك متعددة انتصر شيزيك واضطر غريفوس الى الفرار .

(١٨) انطيوخوس التاسع شيزيك - هو ابن انطيوخوس سيدات ( الصياد ) وهو اخو انطيوخوس غريفوس لأمه دون ابيه ، اكره اخاه سنة ١١٦ على الفرار . ولما عاد غريفوس بجيش عظيم مطالباً بالعرش اتفق الاخوان سنة ١١٤ على اقتسام المملكة فكانت سوريا المجوفة وفينيقية من نصيب شيزيك والباقي من نصيب غريفوس . ولما مات غريفوس سنة ٩٧ ساد شيزيك على سوريا كلها ، ولكن سلوقوس السادس حاربه بعد مدة وغلبه فصعب عليه الامر فانتحر سنة ٩٥ .

(١٩) سلوقوس السادس - هو احد اولاد غريفوس ، تبوأ عرش انطاكية اولاً سنة ٩٧ ثم حارب شيزيك وغلبه سنة ٩٥ وظل مستقراً على المملكة كلها مدة غير طويلة حيث زاحمه على العرش انطيوخوس بيوس وقاتله ففاز عليه سنة ٩٤ وفر الى كيايكية حيث استقل اهالي المصيصة وطأته فأحرقوه في بيته سنة ٩٣ .

(٢٠) انطيوخوس العاشر بيوس - هو ابن انطيوخوس شيزيك غاب سلوقوس السادس على الملك ولكن بعد سنتين ثار عليه اولاد غريفوس وقاتلوه فغلبوه سنة ٩٢ وفر الى برثيا ويظن انه مات فيها سنة ٧٥ .

(٢١) انطيوخوس الحادي عشر فيلادلفوس - هو ابن غريفوس ، لقب ملكاً مع اخيه فيلبس بعد قتل سلوقوس السادس اخيهما البكر حرقاً في المصيصة سنة ٩٣ فانتقيا له من اهل المصيصة ولكن انطيوخوس العاشر استظهر عليهما وخاعهما وغرق انطيوخوس فيلادلفوس في العاصي في اثناء هربه سنة ٩٠ .

(٢٢) ديمتريوس الثالث اوتر - هو رابع اولاد غريفوس ، استقدمه بطليموس لاونث ( ملك مصر ) من كريت ليذاحم انطيوخوس بيوس ( العاشر ) . وذاك على اثر تزوج انطيوخوس المذكور بسلانده ارملة غريفوس تعزيزاً لمركزه .

اذ ان هذه المرأة الذكية احتفظت لنفسها ببعض اعمال المملكة يحرسها جنود ذوو بأس .

وكان انطيوخوس المذكور في حالة حرب مع فيلبس بن غريفوس . فاعتزم ديتريوس هذه الفرصة وبسط سيطرته على سوريا المجوفة . ولما استظهر فيلبس على انطيوخوس العاشر ولاذ هذا بتقديرات ملك برثيا تقاسم الاخوان المملكة . فكانت انطاكية عاصمة فيلبس . ودمشق قاعدة ديتريوس سنة ٩٥ .

وبعد سنتين عاد بيوس من برثيا وقد امدده البرثيون بجيش لاسترداد عرشه المفقود فاستحوذ سنة ٨٩ على بعض اعمال سوريا وحدثت له عدة معارك مع فيلبس ، ورأى ديتريوس الفرصة سانحة لامتلاك ما بيد اخيه فيلبس فاستنجد هذا البرثيين فامدوه على ديتريوس فقاده اسيراً الى برثيا حيث مات سنة ٨٧ .

(٢٣) انطيوخوس الثاني عشر دابيس - هو خامس اولاد غريفوس ، لما رأى اضطرام المعارك بين انطيوخوس وفيلبس وديتريوس حشد جيشاً واستولى على دمشق مكان اخيه ديتريوس وسمى نفسه ملك سوريا المجوفة ولبث يحكمها مدة ثلاث سنوات ( ٨٩-٨٦ ) .

(٢٤) ديكمرانه - لما وقعت الوحشة بين اولاد غريفوس نفر الناس منهم جميعاً فاستقدموا ديكمران الارمني سنة ٨٣ ليملك عليهم فلبى الطلب وظل حاكماً في سوريا ١٤ سنة .

(٢٥) انطيوخوس الاسبوي الثالث عشر - هو ابن انطيوخوس العاشر ، ربي في اواسط آسيا ومنها اخذ لقبه الاسيوي . ظل مسدة طويلة بعيداً عن السياسة ولكن لوكلس اجلسه سنة ٦٩ على العرش السوري الذي خلع عنه ديكمران اباه . ثم غلبه بيبسوس الروماني على املاكه وجعل سوريا ولاية رومانية سنة ٦٤ ق م .

### سلسلة ملوك البوناه في سوريا

|     |               |     |             |
|-----|---------------|-----|-------------|
| ٣٣٣ | اسكندر الكبير | ٣٢١ | انتيفون     |
| ٣٢٣ | ليوميدون      | ٣١١ | سلوقس الاول |



|     |                         |       |                           |
|-----|-------------------------|-------|---------------------------|
| ٢٨٠ | انطيوخوس الاول          | ١٢٩   | ديمتريوس الثاني ثانية     |
| ٢٦٠ | انطيوخوس الثاني ثيوس    | ١٢٥   | اسكندر زبيننا             |
| ٢٤٦ | سلوقوس الثاني كابينيكوس | ١٢٤   | سلوقوس الخامس مع امه      |
| ٢٢٥ | سلوقوس الثالث كيراونوس  | ١٢٠   | انطيوخوس الثامن غريفوس    |
| ٢٢٢ | انطيوخوس الثالث الكبير  | ١١٤   | انطيوخوس التاسع شيزيك     |
| ١٨٦ | سلوقوس الرابع فيلوباتر  | ٩٥    | سلوقوس السادس             |
| ١٧٥ | انطيوخوس الرابع ابيفان  | ٩٤    | انطيوخوس العاشر بيوس      |
| ١٦٤ | انطيوخوس الخامس اوباتور | ٩٣    | انطيوخوس ١١ فيلادلفوس     |
| ١٦٢ | ديمتريوس الاول سوتر     | ٩١    | ديمتريوس الثالث اوثر      |
| ١٥٠ | اسكندر بالاس            | ٩١    | فيلبس في انطاكية          |
| ١٤٧ | ديمتريوس الثاني نيكاتور | ٨٩    | انطيوخوس الثاني عشر دانيس |
| ١٤٥ | انطيوخوس السادس         | ٨٣    | ديكران                    |
| ١٤٢ | تريفون (ديودوت) الافامي | ٦٤-٦٩ | انطيوخوس ١٣ الاسيوي       |
| ١٣٨ | انطيوخوس السابع سيدات   |       |                           |

وخلاصة ما يقال عن امة اليونان ان نفوذها استغرق اربعة قرون بانتصاراتها وانكساراتها معاً. فقد ظهرت على مسرح التاريخ اثناء حروبها مع الفرس ٤٨٠ ق م وظهر نوابغها بعد الحرب في كل فروع المدنية من الشعر والتمثيل والتاريخ والنقش والتصوير والفلسفة . ولم يكن ذلك بانتصارها فقط بل في انكسارها ايضاً . ففي القرنين الثاني والاول ق م غزت رومة ممالك اليونان فأشربت عاداتها ومبادئها وتمدنها . ثم احيي هذا النفوذ بعد سقوط القسطنطينية في القرن الخامس عشر يوم فر علماءها الى اوربا فكان ذلك مبدا العصر العلمي ( الرنسانس ) فنشأت منه رأساً او بالواسطة فنون وعلوم وفلسفة جديدة . وتأثير ذلك مشاهد في كل زاوية من زوايا العالم . وفي ذلك عظة ادبية تدل على ان عظمة الامة لا تتوقف على سلطتها السياسية ، بل على سيادة البصيرة على العاطفة فيها . فلئن غلب السيف العقل مرة ، فالعقل يعتقل السيف في معظم الممالك . والامة التي تهجر الملامهي والملاذ الباطلة ، وتعتنق العلم والمعرفة والمدنية الصحيحة ، تفوز حتى على مستعبدتها .

## مواد هذه الحقة الخاصة بمصر

### ١ — الاسكندر وسد بحيرة قلاس

بعدما اخضع الاسكندر مصر لسلطانه وبني هناك مدينة الاسكندرية ، انعطفت بقواته على بلاد الفرس ليتم فتحها . فسار في ربيع سنة ٣٣١ ماراً في نفس الطريق التي اجتازها برأ ، اتباعاً لخطة الفاتحين من ملوك مصر . فاجتاز البقاع وبعلبك وحمص فتدمر . ولكنه لما وصل الى سهل حمص رابطت جنوده هناك مدة درس فيها آثار الحملات المصرية على مدينة قلاس الحصينة . التي اعجب بموقعها الطبيعي العزيز المنال . ورأى في اثناء اقامته القصيرة المدة ان يستأنف اصلاح السد الذي حجرت به مياه العاصي قرب قلاس لتكون بمثابة خزان لتلك المياه . وقد ترك له عند بنائه منفدان كبير وصغير . الاول لري الاراضي التي يمر بها والثاني لاجل الاستقاء .

عندما زار الجواله الاميركي الشهير روبنسون هذه البحيرة سنة ١٨٥٦ كتب عنها ما يلي : يتكون من نهر العاصي على بعد نحو من ثلاث ساعات من ربله نحو الشمال ، بحيرة تسمى بحيرة قلاس وبحيرة حمص . طولها مسافة ساعتين وعرضها مسافة ساعة واحدة . وطرفها الشمالي يبعد عن حمص مسافة ساعتين . واكثر اجزاء البحيرة — ان لم نقل كلها — صناعية فهي مؤلفة من سد قديم يعترض جريان النهر . وطول هذا السد من اربعة عشر الى خمسة يرد . وعلوه لا يتجاوز اربع عشرة قدماً . وعلى طرفه الشمالي الغربي برج صغير . وفي الجهة الشمالية جزيرة صغيرة وتل ...

وذكر ابو الفداء هذه البحيرة وسماها بحيرة قلاس واعتبرها صناعية . اذ لو هدم السد لجري الماء . ولم تبق ثمة بحيرة بل نهر . وكانت العامة على عهد ابي الفداء تنسب هذه البحيرة الصناعية الى اسكندر الكبير اه .

والصحيح — كما قال المطران يوسف الدبس ( ١٦٨: ١ ) — انها قبل الاسكندر بقرون ولا بد ان كانت قلاس على جانب هذه البحيرة كما حقق



كثيرون من اهل العلم . ومنهم الاب جوليان اليسوعي الذي نشر مذكرات تطوافه في سوريا المحوفة سنة ١٨٩٠ في مجلة الدروس الدينية التاريخية الفلسفية في شهر حزيران من تلك السنة .

وهذا الرأي هو الراجح اذ لم يكن الاسكندر في سعة من الوقت تمكنه من انشاء السد من اساسه . وهو في موقف يقتضي الاسراع لادراك دارا . فلا بد اذن من انه رأى ثغرة في السد فأمر باصلاحها ليترك أثراً حسناً في هذه المنطقة وهو الغرض الاصلي لحملته الحربية

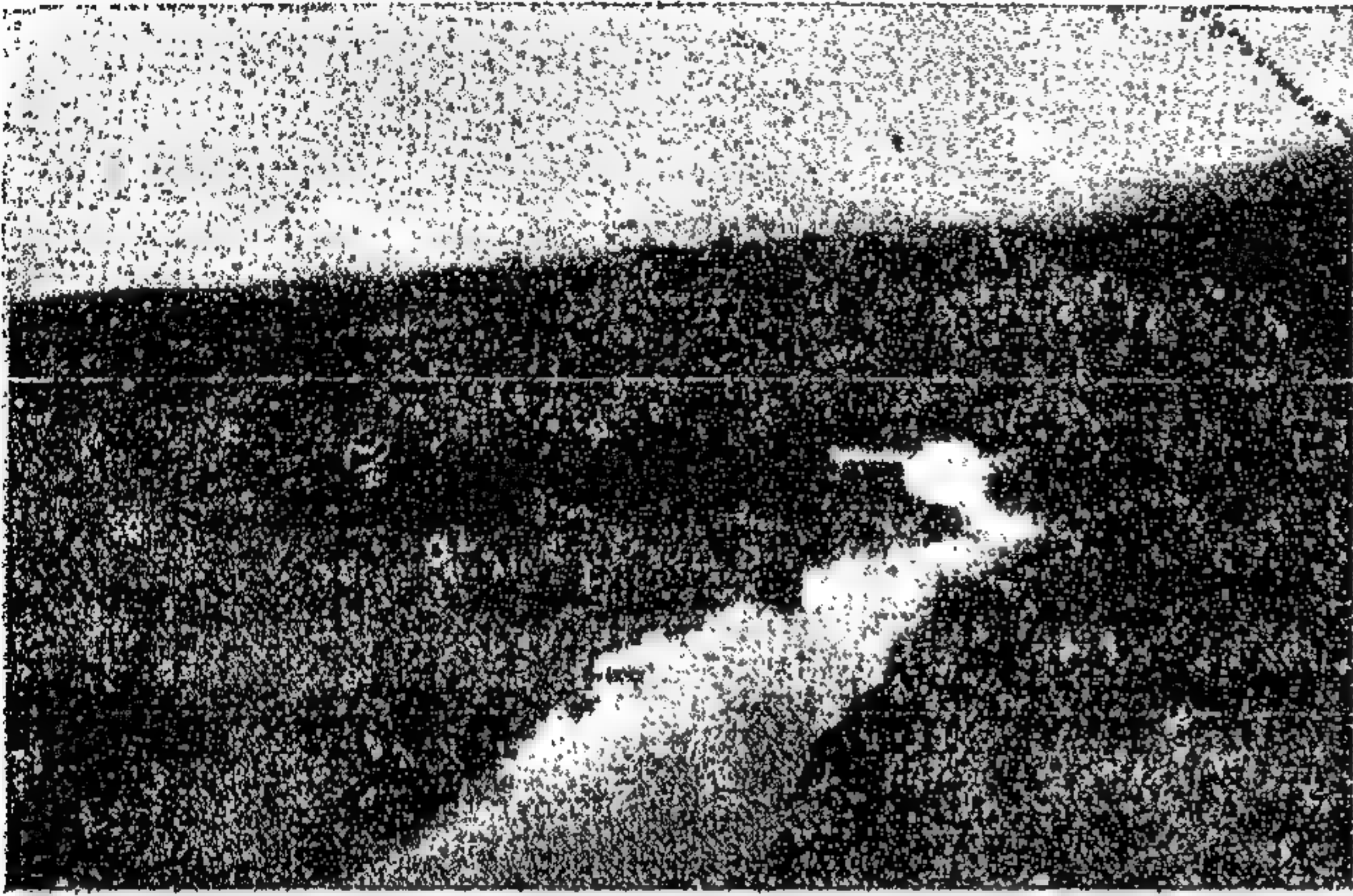
## ٢ - اتفاق خلفاء الاسكندر على اقتسام سوريا في منطقة حمص

مرّ بك ان قادة الاسكندر بعد اقرارهم الملك لارهيدي اخي الاسكندر اقتسموا المملكة فيما بينهم وكانت سوريا من حظ ليوميدون . ولكن لما وقعت الحرب بين انتيغون واومين . طمع بطليموس بضم اليهودية وفينيقية وقبرص الى مملكته اتقاء لهجات ذوي المطامع . فبعث نيكاتور بجيش بري الى سوريا وقاد هو الاسطول لفتح السواحل . فتوفي الاثنان وصارت سوريا طوع يديه بعدما وقع ليوميدون اسيراً بيد نيكاتور .

ولكن لما تحالف بطليموس وكساندر ولسياك وسلوقوس سنة ٣١٥ على انتيغون واخذوا منه قبرص . حشد هو جيشاً كبيراً وقدم به الى سوريا لاثار من بطليموس فلم تحل استعدادات بطليموس العظيمة دون فوزه بجياده العظيم وبمهارة ابنه ديمتريوس . وعادت فلسطين وفينيقية وسوريا المحوفة التي منها حمص الى ولاية انتيغون سنة ٣١١ .

وحدث بعد هذا ان نشبت ثورة في مملكة انتيغون فانتهر بطليموس الفرصة واسترد اليهودية وفينيقية وسوريا المحوفة . ثم حصلت عدة حروب بين خلفاء الاسكندر كانت نهايتها سنة ٣٠١ اذ اتفق الكل على محاربة انتيغون ففازوا عليه في معركة هائلة وقعت في فريجيا قتل فيها انتيغون وفر ابنه ديمتريوس . على اثر ذلك اجتمع القواد في منطقة حمص في موضع سمي آنشد الفرديس الثلاثة ( تري باراديسوس ) يرى العلامة رينه دوسو ان موقعه بقرب

جوسيه القديمة . ويرى غيره انه كان في سهل قرية الزراعة حيث ينابيع ومياه  
دافقة تسقي الاراضي .



بقعة الزراعة  
حيث يمر نهر  
الحارون ، ولعله  
الموضع الذي  
اقتسم خلفاء  
الاسكندر البلاد  
حيث سماه  
المؤرخون  
الفرايس الثلاث

في هذه البقعة النضراء تم اقتسام البلاد اربعة اقسام : مكدونيا  
اكساندر ، والاناضول للسياك ، ومصر لبطليموس ، وسوريا لسلوقوس .  
وقسمت سوريا ثمانية مناطق منها في سوريا المجوفة اربعة وهي دمشق  
وبعلبك وحمص وحماة . وكانت سوريا المجوفة ذات مركز هام في سوريا لذلك  
ظلت مدة طويلة سبب التطاحن بين البطالسة والسلاوقيين تضم الى هؤلاء تارة  
والى اولئك اخرى كما ترى في ما يلي .

### ٣ - انطيوخوس سوتر بنصر حمص

لما قتل سلوقوس سنة ٢٨٠ خلفه ابنه انطيوخوس سوتر الذي انا لقب  
سوتر لانقاذه الاناضول من عبث الغالين سنة ٢٧٥ فكان من هممه استرداد  
سوريا المجوفة ورأى سانحة لما انهزمك بطليموس فيلاذافوس بفشة اخيه ، فنازل  
دمشق قاعدة سوريا المجوفة وفتحها ثم ضبط سائر مدن المنطقة سنة ٢٦٢  
فانسلخت حمص مع حماة وبعلبك عن مصر وضمت الى سوريا .  
ولكن لما مات انطيوخوس سوتر نشبت حرب بينه وبين روم ملك مصر



سنة ٢٥٥ ادت بعد معارك متتابة الى استيلاء بطليموس افرجات على سوريا  
المجوفة وعبر الفرات .

#### ٤ - انطيوخوس الكبير بشره حمص

انطيوخوس الثالث من اعظم ملوك الدولة السلوقية بل هو اعظمهم بعد  
سلوقس الاول . تسم العرش والمملكة مبتورة الجناح فحاول ان يعيد لها  
اكتسح منها . فجهز حملة بعث بها الى الجنوب لاسترداد ما قطع منها وقبل وصول  
قواته الى السهول الواقعة بين لبنان وانيلبنان بلغه انتصار العصاة وراء الفرات  
على القوى الموجهة لتطويعهم ، فاضطر ان يغير وجهة سفره . فسار الى اقاميا  
حيث حل عدة مشاكل عرضت له ثم عبر الفرات في الشتاء ثم باغت العصاة  
في ربيع سنة ٢٢٠ فانتصر عليهم انتصاراً باهراً جعل قادتهم ينتحرون لشدة  
الخوف والياس .

ولما عاد من حملته هذه اراح جنوده قليلاً في انطاكية . ثم امرها بالسير  
الى سوريا المجوفة وجعل مركز الاجتماع اقاميا . فسارت المراكب سنة ١١٩  
بعدها ضبطت سلوقية وطردت بقايا الجنود المصرية منها . فكانت حملته موقعة  
اذ لم يكتف باسترداد سوريا المجوفة ، بل ضم اليها فينيقية الساحلية . وبلغ جنوبي  
سوريا وكاد يدخل مصر لولا علمه بفتح سدود النيل ، فاكتفى بما غاله واقام تيودوت  
والياً على سوريا المجوفة وما يليها وقفل راجعاً .

غير ان الحروب الكثيرة التي اثارها انطيوخوس ولقب لاجلها بالكبير  
اتهكت قري جيوشه واضطر اخيراً ان يستأضي ملك مصر بتقديعه فلسطين  
وسوريا المجوفة مهراً لابنته التي اعطاها زوجة لملك مصر .

#### ٥ - انطيوخوس الرابع ايفاه بطالب حمص

كان المصريون يدعون ملكية فلسطين وسوريا المجوفة بحجة ان هذين  
الصقعين وقعا منذ بدء القسمة في حصة بطليموس الاول . وقد اعترف انطيوخوس

الكبير بهذا الحق اذ ردهما الى مصر بزفاف ابنته لملكها . اما السلوقيون فكانوا يدعون ان سوريا كلها بما فيه فلسطين وسوريا المجوفة وقعت بعد القسمة في حصة سلوقوس نيكاتور وان انطيوخوس الكبير اغا وهب ما وهبه بطريقة الاجاء .

فلما بلغ بطليموس فيلوماتور السنة الخامسة عشرة من عمره واعدت الحفلات لتتويجه . ارسل انطيوخوس ابيفان ابولون اخذ كبرا . دولته لتهنئة الملك وهو ينبغي معرفة نية الملك من جهة سوريا . ففهم ابولون ان المصريين يستعدون لالاخذ فلسطين وسوريا المجوفة . فجهز حملة وبعث بها لمعارضة المصريين فالتقى الجيشان بقرب فرما سنة ١٧١ حيث استظهر السوريون على المصريين . وفي ربيع سنة ١٧٠ حدثت معركة ثانية انتصرت فيها جيوش انطيوخوس ايضاً . وتوغل ابيفان في مصر موصياً جنده بعدم ايداء المصريين فاستسلم له المصريون . واستقبلوه بترحاب . واستسلم ايضاً بطليموس ابن اخته فاكرم مثواه وعامله معاملة نسيب وصديق .

## ٦ - سِجَاعَة مِمْي

لما تسلم عرش سوريا انطيوخوس ابيفان كان ديترئوس بن سلوقوس الرابع رهينة عند الرومان . فلما مات عمه انطيوخوس المذكور التمس من الرومانيين اخلاء سبيله ، وكان من مصلحة الرومان ان يتولى سوريا ملك قاصر نظير انطيوخوس الخامس ، فأيدوه وارسلوا وفداً سنة ١٦٣ لتطبيق العهدة التي اتفقوا عليها مع انطيوخوس الكبير ، وادعى الموفدون انهم وجدوا في سوريا سفناً وفيلة اكثر مما نصت عليه العهدة . فأحرقوا ما زاد من السفن وقتلوا الاكثر من الفيلة . فاستصعب السوريون هذه المعاملة ومالأت الخامسة صدر رجل من المنطقة الحصية اسمه لبيتين . فهجم على رئيس الوفد المدعو اوكتاف وصرعه بصفعة شديدة افقدته الحياة ، ثم اختفى بين الجماهير . فاتهم الوفد لسياس مجدوث . ا . حصل . فارسل الى رومة ويرر نفسه . واكن رجال الندوة احتفظت لنفسها بحق الفحص عن هذه الجريمة ومعاقبة فاعلها .



فلما ملك ديتريوس سنة ١٦٢ رأى ان يوطد عرشه بالزنى الى الرومانيين  
فارسل اليهم هدايا ثمينة وبعث سنة ١٥٩ بليبتين الذي قتل بسفيرهم مصحوباً  
برجل يوناني اسمه سقراط للمدافعة عن المذكور . ولكن الرومان حفظوا لانفسهم  
حق المطالبة بالترضية ولم يجد الدفاع شيئاً ( الدبس عد ٤٣٦ و ٤٣٩ ) .

## ٧- ماع جديرة لاطاق سوريا المجوفة بمصر

بعدما استولى اسكندر بالاس على العرش السوري سنة ١٥٠ وعزز  
مركزه اخذ الى الراحة وعكف على الترف . جاهر ابولون والي بقاع سوريا  
بالانحياز الى ديتريوس الثاني فأقره هذه على ولايته واقامه قائداً للجيش . ولكن  
يوناتان المكابي تصدى للخائن ورد المقاطعة الى بالاس . فبعث هذا له عروة من  
ذهب تعود القدماء اهداها للملوك .

وفي اثناء ذلك حضر حموه بطليموس السادس من مصر متظاهراً بالانتصار  
لههره على المتمردين عليه وهو ينوي استرداد سوريا المجوفة . فأحسنّت المدن  
السورية استقباله بامر بالاس . فكان هو يترك في كل مدينة يمر بها حرساً من  
الجند ويقصد سواها ، فلما بلغ انطاكية كان قد بسط نفوذه على كل مدن  
سوريا ، فوضع تاج سوريا على رأسه غير مبال بصهره اسكندر بالاس الذي  
كان في كيليكية . فلما درى بما حصل خفّ لقتان حميه واسترداد العرش ،  
ولكن الجيش الذي بقي معه لم يكن كافياً لمقاومة الجيشين المصري والسوري  
الذي مع بطليموس ، فدارت الدائرة على بالاس وفرّ بنجسمائة فارس لائذاً  
بزبديثيل احد امراء العرب الضاربين في سوريا الشمالية . ولكن هذا رأى ان  
نجم بالاس قد أفل فاراد اسداء الملك بطليموس منة فقطع رأس بالاس وارسله  
اليه ( ١ مك ١١ : ١٩ ) وكان ذلك سنة ١٤٦ ق م .

## ٨- معارك في سهول حمص

بعد قتل اسكندر بالاس استتب الامر لديتريوس الثاني . ولكنه ما

كاد يطعن على عرشه ، حتى اخذته العنجهية فأساء التصرف وتعسف ففقته الشعب وثار عليه الرعية . فاستسبح الفرصة ديودوت الافامي وكيل بالاس سابقاً فمضى الى « ايلكوئيل » امير العرب الذي اودع عنده انطيوخوس بن اسكندر بالاس طالباً منه ان يسلمه الامير الصغير . وبعد لأي سلمه الامير ليعيد اليه عرش ابيه . وفي اثناء ذلك هاج الشعب على ديتريوس ، فلما حضر انطيوخوس الامير الصغير مع ديودوت ( تريفن ) انضوى الجند الثائر اليه للحال وناذى به ملكاً باسم انطيوخوس ثيوس . وحالما تسلم العرش كتب بايعاز تريفنون الى يوناتان بقره في وظيفته مبيحاً له لبس الارجوان وعروة الذهب التي اهداه اياها ابوه ( بالاس ) فخلص يوناتان له وحارب القوة التي جمعها ديتريوس بمعركة حدثت في سهل حمص ( ١ مك ١٢ : ٢٤ ) هلع لها قلب ديتريوس وجنده فاضرموا النار في محلتهم ليوهموا يوناتان انهم ما برحوا في المعسكر . وفروا تحت جناح الظلام مجتازين العاصي على جسر الوستن ، ولما اشرقت الشمس وعرف يوناتان بفرارهم تعقبهم فلم يستطع لحاقهم لاجتيازهم مسافة بعيدة ، فارتد الى قبيلة الزيديين التي كانت مخيمة هناك . فضربها وسلب مواشيها للمآثم الاعداء ثم اتى الى دمشق ، ( ١ مك ١٢ : ٢٤ - ٣٩ ) .

## ٩ - قتل تريفنون في افاميا

روى بعض المؤرخين ان تريفنون اغتال الامير الصغير انطيوخوس ولبس تاجه ، ولكن تريفنون ومحازبيه يقولون ان انطيوخوس مات على اثر عملية جراحية باشرها الاطباء لاجراج حصاة من مثانته . ولكن الشعب لم يصدق ما قاله ، فثاروا عليه . وكان المكابيون حكام اليهودية ناقلين على تريفنون لقتله يوناتان في الساط سنة ١٤٣ قم فلما قدم سيدات من رودس مطالباً بعرش ابيه ديتريوس الاول آزده المكابيون من الجنوب . ورأى الجيش السوري عظمة القوى التي تناهض تريفنون فانحاز معظمهم الى سيدات ، ففر تريفنون الى طرطوس بجزاً ومنها قصد افاميا مدينته حيث قبض عليه وقتل سنة ١٣٨ .



## ١٠ - انقسام الدولة السلوقية او الخطوة الاولى لاستقلال ممص

لما اغتال تريفون يوناتان المكابي سنة ١٤٣ خشي ان يؤدي فوزه الى معارضته ، استاء اليهود وثاروا بقيادة سمان المكابي ضد تريفون . ثم تلا ذلك وقوع ديتريوس ( مزاحم تريفون على العرش ) اسيراً بيد مريدات ملك برثيا ابان محاربته البرثيين ، واضطراره ان يتزوج ابنة ملك برثيا ويبقى عنده . فاستاءت ايضاً زوجته كليوباترا ، واستقدمت اخاه بطليموس سيدات من رودس . فاتفق مع سمان المكابي على محاربة تريفون بعدما تزوج كليوباترا امرأة اخيه ، ففاز على تريفون وتسلم العرش السوري ، ثم جهز حملة حارب بها فرهاد البرثي ففاز عليه واسترد بابل ومادي . فسرح فرهاد ديتريوس ليثير الشغب في سوريا على سيدات ويضطره لمبارحة برثيا ففعل . ولكن قبل ان يصل ديتريوس الى انطاكية اغتيل سيدات في برثيا . فحصل الاضطراب العظيم في سوريا وانقسمت الدولة السلوقية لاهواء متباينة . اذ جر الخلاف الواقع في مصر بين بطليموس فيسكون (البطن) وبين زوجته كليوباترا ، الى استقدام ديتريوس من انطاكية . فلما برحها حصلت ثورة انتهت بتسلم زينا العرش السوري وقتل ديتريوس وانقسام المملكة بين كليوباترا وزينا سنة ١٢٥ . فانتهم اليهود هذه الفرصة لخلع نير الطاعة للسلوقيين . وقطع كل صلة لهم بهم . فكان هذا النواة الاولى لاستقلال الحمصيين .

## ١١ - غريفوس وسيريك بقسماء سوريا

كان لكليوباترا من ديتريوس ابنان اكبرهما اسمه سلوقوس والثاني انطيوخوس الملقب غريفوس ( الاقنى ) حاول الاول امتطاء العرش فقتلته امه وملاكت الثاني لصغر سنه لتستأثر هي بالعرش . ولما استرشد هذا حاولت قتله فسبقها هو اذ قتلها بنفس السم الذي اعدته له . وثار القتال بين زينا وغريفوس اذ حاول كل منهما الانفراد بالسيادة فساعدت الظروف غريفوس على الفوز فقتل زينا سنة ١٢٣ .

ولما استراح غريفوس من مزاحمه على العرش حاول اعادة اليهودية الى

طاعته ، فاعتنم الفرصة اخوه ( لامة ) انطيوخوس شيزيك بن سيدات وقام على غريفوس وكانت الحرب سجالاً بين الاخوين وانتهت اخيراً باتفاقهما على قسمة البلاد ، فاخذ هو انطاكية وسوريا الشمالية وشيزيك فينيقيا وسوريا المجوفة سنة ١١١ . واستفاد هركان بن سمان المصكابي من هذه الظروف فألحق السامرة بولايته فكان حاكماً على اليهودية والسامرة والجليل . ولما قتل غريفوس سنة ٩٧ استولى شيزيك على انطاكية ولكن سلوقوس بن غريفوس كبير اولاد غريفوس الخمسة استخلصها منه وقتله سنة ٩٥ واستتب له الملك في سوريا .

## ١٢ — اقدامات هيربيرة والخطوة الاخيرة لاستقلال مصر

لم يرتح سلوقوس بن غريفوس مدة على عرشه لان ابن عمه انطيوخوس بيوس نادى بنفسه ملكاً سنة ٩٣ في رواد وحصل القتال بين الفريقين ففاز بيوس وفر سلوقوس الى كيليكيا حيث اميت حرقاً ، فثار اخواه انطيوخوس وفيلبس على بيوس وانتهت المعارك بفرقه في العاصي . ثم تلا ذلك حروب بين اولاد غريفوس ضاق بها السوريون ذرعاً فاستقدموا ديكران الارمني لحكم سوريا ١٤ سنة ( ٨٣-٦٦ ) وكان هذا الخطوة الثانية لاستقلال المنطقة الحصية .

## ١٣ — اباء المحصين

ولا نجد زحمة قبل ختام هذا الفصل من ذكر حادثة جرت في ايام السلوقيين تدل على اباء المحصين وميلهم الى الاستقلال . سيق في زمن السلوقيين عدد كبير من السوريين ارقاء الى اوربا بعضهم لمشاغب احدثوها وبعضهم لضرائب عجزوا عن تأديتها ، وبعضهم لجرائم اتهموا بها ، ومن هؤلاء المسوقين الى بلاد غير بلادهم عدد من اهالي منطقة حمص . ولم نكن لنعرف تفاصيل ما اتوه لولا ان الحظ حفظ لنا اسم البعض منهم لاجداث سياسية قاموا بها . ومما يجدر بالذكر ، ان المشار اليهم كانوا يظهرون



تعلقاً باهداب الوطنية لا يكاد يضارعهم فيه مضارع . اذ لم يكتفوا باظهار  
تعلقهم الشديد بوطنهم الاصلي بل اظهروا في دار غربتهم ما اوجب على النازلين  
بينهم احترام عاداتهم وتقاليدهم الخاصة . بلفتهم الانظار اليها وجعلها محلي احترام  
اهالي البلاد التي ابعدوا اليها .

من ذلك ان رهطاً من مبعدي حمص كان حظهم في صقلية . ولم تقعد  
هؤلاء شواغل الغربة بل شجروا عن ساعد الجسد فحرثوا الحقول واستثمروها  
بالطريقة التي اعتادوها في الشرق ، فانخضت المزارع واصبحت حقول صقلية  
جناناً تروق الناظر وتؤتي اكلاماً في حينه . لكن سادة البلاد بالغوا في الضغط  
عليهم . ولم يكن هذا مما ألفوه فاستنقلوا وطأة هذا الضغط ونهض فيهم شاب  
لم يحفظ لنا التاريخ سوى اسمه « يوتس » بدون لقب ولا نسبة . هذا لم ير  
وسيلة لاثارة قومه سوى ان يرد الامر الى الآلهة . فادعى ان الآلهة عينته  
قائداً لجمع السوريين الذين في صقلية وامرته ان يرفع لواء الثورة على الذين  
لم يحترموا « افروديت » معبودة السوريين وبعلمها « هود » ولما طلبوا منه شاهداً  
على صحة دعواه ابتلع الجربدون ان يلحق به اذى . فوجد نداؤه هذا آذاناً  
صاغية فاندلعت نار الثورة وطار شررها في البلاد فتركت صقلية قاعاً صفصفاً  
وكان ذلك سنة ١٣٥ ق م ، وقد اشار الى هذه الحادثة الدكتور فيليب حتي  
( المقتطف ٥٠ ص ٥٣٨ ) .

### عمران المنطقة الحمصية في هذه الحقبة

مرّ بنا ان سلوقوس الاول بني في مملكته ٣٤ مدينة ، وكان لمنطقة  
حمص حظ في هذا العمران اذ بني فيها مدينتان لها اثرهما في التاريخ :

#### الاولى - افاميا

اختلف المؤرخون فيما اذ كانت افاميا من بناء السلوقيين ام من بناء

السوريين ؟ فزعم بعضهم ان المكدونيين بنوها وسموها بيلا على اسم المدينة التي اتخذها فيليبس المكدونى قاعدة للملكه . وفيها ولد اسكندر المكدونى فاتح المشرق فكبرها سلوقوس نيكاتور وجعلها اهلاً لان تكون مستودعاً للافيال والخيول والمؤن والدخائر وسموها افاميا باسم امرأته . فازهرت حتى كانت احدى المدن الاربع في مقاطعة سوريا الغربية وهي سلوقية وانطاكية واللاذقية وافاميا ( المقتطف ٣٣٤:٧٨ والمشرق سنة ١٩٣١ ص ٢٠ ) .

ولكن المتداول ان منشئها سلوقوس الاول الذي استحسن موقعها وما وجدته في بقعتها من المراعي الواسعة والكلأ المنتشر فأمر ببنائها على الضفة الشرقية من العاصي وعلى مسافة ٤٠ كيلو من حماة شمالاً غربياً ودعاها افاميا على اسم امرأته . ولما اتم بناءها وتحصينها ، وضع فيها ٣٠ الف فرس وخمسمائة فيل وثلاثمئة جاموس . وانشأ فيها مدرسة لتعليم الفروسية . وكانت قاعدة المقاطعة الواقعة شمالي لاوذيكي . وصارت في عهد الرومان قاعدة مقاطعة سوريا الثانية الواقعة جنوبي العاصي ( آثار الادهار ) .

وتدل آثار هذه المدينة على انها ظلت زاهرة مدة طويلة قبل المسيح وبعده . والمعروف من تاريخها المدني ان كسرى الثاني فتحها وفرض عليها اتاوة سنة ٥٤٠ .

ثم بعد مدة باغتها قائده ادرميتس بعدما صالح اهلها الفرس ودفعوا لهم الضريبة تفادياً من النهب . فخرق القائد المذكور المدينة وصدد الاهلين بالاغلال وقادهم اسرى الى ما وراء الفرات سنة ٥٧٣ .

ثم عمرت افاميا بعد ذلك وصارت تابعة لحصن فعوملت ابان الفتح الاسلامي . عاملة حصن سنة ٦٣٨ . ولما داهم الصليبيون سوريا ملكوها ، ثم اغتصبها منهم نور الدين .

ولم يبق لها بعد ذلك ذكر مهم ، وسنة ١٠٥٢ حصل فيها زلزال هائل هدم مبانيها وحول صروحها الجميلة الى ركام حجارة ، نقل العرب كثيراً منها وبنوا بها قلعة المضيق . وظلت افاميا منسية حتى اهتم بالتنقيب عن آثارها بعثة بلجيكية سنة ١٩٢٨ .



## الثانية - اريثوسا ( الرستن )

اتفقت كلمة المؤرخين القدماء على ان بانها سلوقوس نيكاتور ودعاها اريثوسا باسم مدينة في مكدونيا ذكرها ابيان ( عد ٥٧ ) ولعله دعاها اريثوسا لوقوعها على ضفة النهر . واريثوسا هي احدى بنات الماء في الاساطير اليونانية . كانت اريثوسا في ايام سترايون قاعدة امارة عربية دخلت تحت حماية الدولة الرومانية في ايام اوغسطس وطيباريوس ، وذكرها زوسموس المؤرخ اليوناني ابان بسطه حروب زينب واوريبيان ، اذ شرح تعقب القيصر لزينب حينما عادت الى حمص تستنجد فرسان العرب فيها ، وفتح في طريقه افاميا ولاريسا ( شيزر ) واريثوسا حتى بلغ ضاحية حمص حيث حصلت المعركة العظيمة في السهل العظيم الكائن ما بين حمص واريثوسا ( الرستن ) .

وروى الواقدي انها امتنعت على ابي عبيدة فاودع فيها صناديق مقللة وضع فيها رجالاً ، فلما اشتغل اهلها بالصلاة خرج الرجال من الصناديق واخذوا مفاتيح المدينة ، من ردهة صاحبها وفتحوا الابواب للجيش العربي فدخلها خالد ابن الوليد برجاله .

ذكرها بعد ذلك ابو الفداء وياقوت وكلاهما اشار الى خرابها . ونقل السيد يوسف اليان سر كيس عن السائح الالماني شارل وكتر ما يلي ( المقتطف ٣٢ ص ١٠٠ ) . ان بقايا جلالتها القديمة هي حطام اسوار وبرجين فقط . . . ومنذ كتب عنها ابو الفداء لا يظهر انه نزل بها نازلة او تغير فيها شيء . وينسب بناء الخان والجامع القائمين على ضفة العاصي الى السلطان مراد المشهور ببناء الخانات . ولا يرى من اريثوسا القديمة سوى بعض اسس الابنية او اكوام الحجارة . وروى ابن الشحنة في تاريخه انه في سنة ١١٠٢ م ( ١٤٩٦ ) نازل الافرنج الرستن ، ثم رحلوا وخرجوا من قلن باشر واغاروا على بلد حلب الشمالي واحرقوه .

وارتأى السيد سر كيس الموما اليه رأياً خالف فيه مؤرخي اليونان القدماء . اذ ذهب الى ان بناءها اقدم عهداً مما ذكرها بكثير بدليل وجود آثار حجرية

عليها كتابة حشية تشبه الهيرغليفية . وان اسمها اليوناني ( اريثوسا ) مأخوذ من  
الرسن ، لا الرسن من اريثوسا ، والله اعلم .

ويظن بعضهم انها هي نفس ارثوسيا التي روى مؤرخو اليونان ان تريفون  
فرّ اليها من طرطوس ثم قصد مدينة افاميا ، وان هذا احسن حل للاشكال  
الذي رواه البستاني في دائرته ( ٧٩٦:٢ ) لتوفيق المؤرخين الذين زعم بعضهم  
انها ( اي ارثوسيا ) شمالي طرابلس مسافة ١١٣٠ استادة عن اورنطس ، وبعضهم  
انها الى الجنوب من طرطوس مسافة ٣٠ ميلاً والى الشمال من طرابلس مسافة  
١٢ ميلاً الخ الخ . . .

### اللغة اليونانية تراجم الارامية في المنطقة

منذ استولى الاسكندر على هذه المنطقة واورثها لخلفائها اخذت اللغة  
اليونانية تجد لها محلاً في الاندية الادبية في البلاد السورية . ولم ير وقت طويل  
حتى شعرت الطبقات العالية بحاجة الى تعلمها باتقان . فاخذ نوابغهم يدرسونها لا  
لاجل الزلفى الى الحكام فحسب . بل لاجل ارتشاف المعارف من معين مؤلفي  
اليونان العزيز .

فترجم في هذه الحقبة العهد القديم الى اليونانية في مصر . وسادت هذه  
اللغة لا دواوين الحكومة فحسب . بل صارت مرجع الكتاب في جميع الفنون ،  
ووجد الوف القطع الاثرية كلها مكتوبة بها .

وبالرغم من ان اللغة الآرامية ظلت لغة العامة كانت اللغة اليونانية  
لغة الخاصة في الحديث والمراسلة . وقد تركت اثراً في المؤلفات الآرامية نفسها  
التي لا تكاد تقرأ صفحة منها حتى تجد بضع كلمات يونانية نقلت الى تلك  
اللغة وامتزجت بها . حتى ظن بعضهم انها من اصل آرامي .

قال العلامة رينان : ان اللغة اليونانية اثرت في اللغات السامية عموماً  
والآرامية منها خصوصاً . اثناء المسدة الواقعة بين نشأة الدولة السلوقية والفتح  
الاسلامي وظل العنصر السامي مدة عشرة قرون خافض الجناح تجاه السيادة



اليونانية حتى جاء الاسلام  
فأعادت السامية الكرة واخذت  
الشار ...

ومنذ عصر السلوقيين  
استولى اليونان على سوريا من  
ضفاف الفرات فصارت اللغة  
السريانية فيها ثانوية المقام ، ما  
خلا المدن التي لم يكن للسيادة  
اليونانية عليها اثر كبير كالمدن  
والقرى المجاورة الفرات ، التي  
حافظت على الآرامية او  
استعملت لغة مركبة من  
اللغتين . ولم يتوقف تفوذ اللغة  
اليونانية بصيرورة الحكم الى  
الرومان في سوريا بل بالعكس  
ازدادت توغلا في البلاد وبني  
في انطاكية وبيروت مدرستان  
يونانيتين حسبنا من اعظم  
مدارس السلطنة اه :

( المقتطف ١٢ : ٦٨٧ )

ΕΥΔΟΞΙΑΝΑ ΕΥΝΒΙΩΚΑΙΤΕΚΝΟΙ

ΜΕΝΟΓΕΥΗΦΩΕΕΝΤ

ΔΙΑΚΕΙΘΥ



ترجمة السطر الاول اقدو كسيوس مع زوجته واولاده . اما السطر الثاني والثالث فقد تهشما فتمددت قراءتها وترجمتها .  
كتابة يونانية نقلت عن فسيفساء وجدت في احد منازل السيد خالد بجص

### فهرسة ما جريات هذه الحنية

انقلب وجه البسيطة بفتوحات اسكندر المكدوني العظيم .  
ودخلت سوريا وفلسطين تحت سيادته منذ فاز على داريوس  
قديمانوس سنة ٣٣١ ق م . ومما استفادته حص في ايامه ، استئنافه  
عمل السد الذي حجرت به مياه العاصي قرب قادس ليكون خزاناً



لتلك المياه . وقد ترك  
له عند بنائه منفذين  
كبيراً ، لري الاراضي .  
وصغيراً للاستقاء .

على ان حظ  
اليونان ( على رأي  
حكائهم ، وحظ العالم  
على رأي آخرين )  
لم يكمل لقصر حياة  
اسكندر الذي دعي

الاسكندر عند جثة داريوس

الكبير بحق . فانه يظهر اسفه على خصمه الصريع ، انظر ص ٢٢٥ .

مات في الوقت الذي كان ينوي ان ينفذ فيه الخطط التي وضعها ،  
والآمال الخطيرة التي كانت تحتلج في ذلك الصدر الرحب . ولو  
فسح له في الاجل عشرين سنة اخرى ، لتمكن من بلوغ  
الانقلاب الذي رام احداثه في العالم ( براستد عد ٦٥٧ ) .



ولكن لم يؤت احد من خلفائه عبقريته لينفذ الخطط التي رسمها . اذ لم يستطع اخوه الساذج ارهيدي ، ولا طفله هرقل ، ولا الجنين الذي ولدته روكسانا بعد وفاته وسمي اسكندر اوغوس ، ان يملأ الفراغ العظيم الذي أحدثه . فضاعت وحدة المملكة بين القادة والاصبياء . واضمحلت الاسرة المالكة في اثناء النزاع .

غير ان احدى بقاع حمص النزهة المدعوة قديماً « الفراديس الثلاث » كانت مشوى الاتفاق بين كبار القادة على اقتسام المملكة العظيمة . وكانت سوريا من حظ سلوقوس الاول الملقب نيكاتور . المعتبر مؤسس الدولة السلوقية . التي لا تنكر الاصقاع السورية آثارها الحسنى في مدتها الاولى . وما برحت انطاكية وسلوقية وافاميا واريثوسا - مدن العاصي العظيمة - من آثار هذه الدولة ، دالة على مبلغ عنايتهم بسوريا . وكانت افاميا مركز القوة الحربية العظمى للسلوقيين . حفظوا فيها قطعان الافيال التي كانوا يستخدمونها في حروبهم . والمواشي الكثيرة التي تركوها تسوم مراعيها الخصبة لوقت الحاجة .

لم يطل الامر على استقرار قدم السلوقيين في هذه البلاد ، حتى وقع النزاع بينهم وبين البطالسة . اذ كان اول البطالسة باسطاً سيادته على اليهودية وفينيقية وسوريا المجوفة ، مقابل ما ناله سلوقوس من امتداد سلطانه الى ما وراء الفرات حتى بابل والهند . فلما اخذ ظلمهم يتقلص عن كثير من املاكهم في الشرق ، رأوا الحاجة ماسة الى استرداد ما اقتطع من سوريا لمصر فاخذ النزاع مداه بين ملوك سوريا ومصر بشأنها ولا سيما سوريا المجوفة ، وبدأ

النزاع بين الفريقين من ايام انطيوخوس الثاني وظل الى ايام بالاس. وكانت الحرب بشأنها سجالات بين الفريقين. تارة تضم الى المصريين واخرى الى السوريين ، واخيراً انتهى الامر بضمها الى سوريا . ورأى السلوقيون ان يحاسنوا السوريين فمنحوا الاهالي استقلالاً ادارياً على النمط اليوناني القديم بحيث تعتبر كل مدينة كبرى مستقلة يحكمها رهط من سكانها على ان تخضع للملك وتؤدي له الجزية .

لكن هذه السياسة مع الخلاف الذي حدث بين سلوقي سوريا وبطالسة مصر ، وتوالي عدة ملوك ضعفاء في سوريا اوسع المجال للشورات والاضطرابات . فثار اليهود في فلسطين سنة ١٦٧ وظلوا كذلك حتى اعترفت لهم الدولة السلوقية بالاستقلال الاداري سنة ١٤٢ ق م ثم استقلوا استقلالاً تاماً سنة ٣٠ ق م . وقام بعد ذلك في حمص وجبيل واديسا زعماء من ارباب الاقطاع وانشأوا حكومات ذاتية. اعترف بسيادتها السلوقيون الذين صارت سيادتهم - في اواخر ايامهم - اسميه لا فعلية ( برستد عد ٦٦٢ ) .

على ان التجارة المحصية راجت في ايام السلوقيين وفتح لها اسواق في معظم الاصقاع الاوربية نالت بعد مدة شهرة عظيمة . وسادت اللغة اليونانية البلاد السورية ، فاصبحت لغة الكتابة العامة ، علاوة عن الدواوين . وكثر ما حفر منها على الآثار التي برزت من الارض في منطقة حمص في ظروف متفاوتة .

ولما اضطرب امر السلوقيين اخيراً ، تسنم زمام الحكم في المنطقة المحصية بعض زعمائها بدون ان يكون لاحد سيطرة عليهم . مما سيكون موضوع الحقبة التالية .



المذكورة الى منطقة مهم من كتاب هذه الحقبة

اولاً - الجغرافيون القدماء

(١) اوقليدس

رياضي يوناني ولد في الاسكندرية وقيل في صور . وروي ان ابيه سوري من دمشق اسمه «توقراطوس» توطن اغريقية قبل الميلاد بثلاثئة سنة وفيها ولد له اوقليدس .

لاوقليدس مؤلفات كثيرة في الفنون الرياضية من اهمها «اصول اقليدس» وما برح مؤلفه هذا الهندسي اساساً لهذا الفن حتى الآن . درس الرياضيات في الاسكندرية ، وكان يحضر دروسه بطليموس فيلادلفوس بين التلاميذ .

(٢) ارخميدس

اشهر المهندسين القدماء . ولد في سيراكوسة سنة ٢٨٧ وكانت له صلة نسب بملكها . تلقى علومه الاولى في بلده ، ثم قصد مصر فمكث فيها بضع سنوات وعاد الى وطنه حيث تفرغ لدرس الرياضيات . ولما حاصرهم الرومان سنة ٢١٢ قم اوجد في قومه حماسة وجراءة بما اخترعه من الآلات التي احبط بها مساعي مهندسي الرومان . ومما قاله مباحياً « اعطوني مكاناً اقف فيه ( غير الارض ) لاذرحها لكم ( براسد عد ٦٨٦ ) .

ومن نكاته الخاصة اهتدائه الى معرفة الثقل النوعي ، وذلك ان الملك نسيه طلب منه معرفة النش الذي احكم الصائغ مزجه في ذهب تاجه . فلما كان في الحمام رأى الماء يرتفع في اثناء انغماسه فيه . فاستنتج من ذلك ان كل جسم ينغمس في السائل يفقد من ثقله كمية توازي ثقل ما شغل مكانه في ذلك السائل . ولشدة فرحه بهذا الاكتشاف خرج من الحمام عارياً ليقابل الملك وهو يهتف افركا ( وجدتها ) ، وكان عمره لما قتل ٧٥ سنة .

### (٣) ابلونيوس

مهندس قديم ولد في يرغا (قره حصار) سنة ٢٥٠ قم . وهو ممن فاخر  
عصر بطليموس فيلوباتر . الف كتباً كثيرة في الهندسة فلقب «المهندس»  
ولم يبق من مؤلفاته سوى اربعة كتب كان الفضل في حفظها للعرب . وكاد  
يدرك ابلونيوس في مكتبه الطبقة التي وصل اليها علماء الرياضيات في القرن  
الثامن عشر .

### (٤) ايبارخوس

عالم فلكي ولد في فينيقية في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد . وتعاطى  
العلوم في رودس سنة ١٢٨ قم وضبط ساعات الليل والنهار . وعين اوقات  
الكسوف والخسوف لمدة ستين سنة بعد زمانه . والف كتباً كثيرة فلكية  
وسواها ، وقد اتبع لائحته الفلكية بطليموس الجغرافي الشهير .

### مأناً — المؤرخونه

### (١) كتازياس الكنيدي

هو طبيب ارتخششتا الفارسي (٤٠٥-٣٥٩) ساعدته دالته على الملك ان  
يتمكن من البحث في المكتبة الفارسية التي كانت في القصر الملكي . فاستخرج منها  
اخبار المشرق بسفر ضخيم ألفه باليونانية وتركه اثرأ حسناً يعرف به ابناء العصور  
المتأخرة ما جرى في العصور المتقدمة . غير ان النقاد رأوا ان الخرافات شابت  
صفحات كثيرة من سفره المذكور . ولم يبال هو بتحريها وتنقيتها ما جمعه منها .  
ولكن علماء اليوم جردوها مما لابسها من الاساطير البائنة . فاصبحت مما يمكن  
الاستفادة منه ولاسيما بعدما نقلها ديودور الصقلي .



## (٢) بيروز الفارسي

مؤرخ كلداني اصل اسمه «برحوشا» بابلي الوطن . كان كاهناً ليل .  
تعلم اليونانية وذهب الى جزيرة كوس حيث درس الفلك . ثم شخص الى اثينا  
سنة ٣٤١ فأتى دروسه فيها واخذ معلوماته التاريخية عن الواح حفظت في هياكل  
بابل . وكان كتابه يحوي مراقبات فلكية لمدة ٤٨٠ سنة . فنال شهرة عظيمة  
حتى شادوا له تمثالاً تقديراً لنبوغه . قيل انه باشر كتابة تاريخه في ايام  
الاسكندر وانهاء في ايام سلوقوس الاول . غير ان كتابه هذا فقد ولم يبق  
منه سوى فقرات نثرت في مؤلفات يوسيفوس واوسابيوس وكايس وكيرلس  
الاسكندري .

## (٣) مانيتون السمنودي

هو مؤرخ قبطي نشأ في سمنود احدى مدن المديرية الغربية . عاش في  
القرن الثالث قم . وكان عظيم كهنه عين شمس (اون او هليوبوليس) والمحافظة  
على السجلات التاريخية القبطية في ايام بطليموس الثاني (٢٨٥-٢٤٨) وقد عني  
بوضع تاريخ مصر القديمة اتباعاً لرأي الملك المذكور ، فجاء طبق ما تمني . تضمن  
حوادث الملوك السابقين برواية صادقة اخذها عن مصادرها الاصلية ولكن سوء  
الحظ اضاع هذا السفر النفيس . ولم يبق منه سوى بعض قطع وجدت في  
اسفار رهط من المؤرخين كيوسف بن كرون اليهودي ويوليوس افرينانو  
واوسابيوس القيصري .

## (٤) بوليب (٢٠٤ ١٢٢ قم)

نبغ في القرن الثاني قم ووضع تاريخاً عاماً (٢٦٤-١٤٦ قم) اعاد فيه  
النظر بكل ما اتصل به من التواريخ . فليخصها باحكام اذ حكم عقله في ما  
نقله . وبما قدره له المحققون انه انصف الرومان الذين سادوا قومه اليونان مع

شدة حبه لجنسه . كما انه قابل بين قرطاجنة ومكدونيا فنسب سقوطها كليهما الى اسباب طبيعية . منها اضطرار الضعفاء ان يخلوا محلهم للاقوياء . فقال فيه احد الباحثين : انه في طبيعة من وضع فلسفة التاريخ .  
ومما يؤسف عليه انه لم يبق من تاريخه القيم سوى جزئين . ومما رواه ان العاصي ( الذي يسميه مرسيا ) يفصل بين افاميا والنازاريين . وذكر ايضاً المستنقعات الراكدة في سهل البقاع ( ٥-٥٩-١٠ ) .

### ٥) ابلودور النحوي

هو ابن اسكليبادس من مشاهير نخاة اثينا . نبغ في نصف القرن الثاني قم ووضع عدة مؤلفات ضاع معظمها . ومن اهم الباقي قصيدته التاريخية التي ضمنها سلسلة التاريخ من سقوط تروادة الى زمانه .

### ثانياً - نوابغ المنطقة المحمية

#### ١) تيرانيو الغراماطيقي

لم تصل اليينا ترجمة مفصلة لحياة هذا الأقوي القدير ، ولكننا رأينا في ترجمة سترابون انه اخذ الغراماطيقي عن تيرانيو اللغوي الحمصي . . . وفي اخذ سترابون هذا العلم عن تيرانيو دليل على مكانته العلمية . وهذا مما يؤتي الحمصيين فخراً ان ابناهم كانوا منذ القرون العريقة في القدم ، محجة الرواد ومحط رحال طلاب العلم من سائر الاقطار .

#### ٢) ارشيجنيس الطبيب

ومن نوابغ حمص في هذه الحقبة ارشيجنيس المدي ذكره جوفنال المؤرخ مراراً بين ممارسي الطب في رومة . ومازه بانه كان من الاخصائيين بالامراض العقلية . ومن مؤلفاته كتاب في النبض شرحه جالينوس . وهو احد الذين هاجروا



من المنطقة المحمية في أيام السلوقيين . وآلت مهاجرته الى خبرة واستفادة معاصريه  
من مواهبه ( المقتطف ٥٠ : ٥٢٩ ) .

### (٣) ديودوت «تريفون» الافامي

رجل حربي نبغ من افاميا التابعة منطقة حمص . بلغ رتبة جنرال في  
أيام اسكندر بالاس . اخص لمولاه المذكور فوثق به كثيراً حتى انابه عنه في  
تدبير المملكة ابان غيابه . واسند اليه حاكمية انطاكية لما ثار عليه ديمتريوس  
سنة ١٤٧ قم وظل ديودوت محافظاً على ولائه حتى قتل سنة ١٤٦ . فاحتفظ  
بابنه واودعه عند ايلكوئيل امير العرب منتظراً سوانح الفرص لاعادة العرش له .  
واغتتم اول فرصة لتحقيق فكره فنودي به ملكاً تحت رعاية ديودوت .  
ولما مات الامير الصغير ( انطيوخوس السادس ) على اثر عملية جراحية  
تسم العرش ديودوت نفسه . غير ان خصومه اثاروا الشغب عليه فعظمت الفتنة  
حتى عجز عن اطفالها فعاد الى افاميا حيث قبض عليه وقتل سنة ١٣٨ .

### (٤) بوسيدون الافامي

فيلسوف روائي ولد في افاميا سنة ١٣٣ قم ودرس في اثينا ثم جاب  
اوربا كلها . واخيراً اتخذ رودس موطناً له . وانشأ فيها مدرسة كانت محجة  
مشاهير الناس ، الذين أمثوها . من مواضع بعيدة لسمعوه . وحسبك تقديراً لعله  
ان من طلابه بومبيوس القائد وشيخرون الخطيب . وسنة ٨٤ قم ارسله اهل  
رودس سفيراً عنهم الى رومة فاستقبل فيها بحفاوة عظيمة .  
تفوق بوسيدون في الرياضيات والطبيعات والفلك كما برع في الفلسفة  
 ووضع عدة مؤلفات في فنون شتى . ومنها التاريخ الذي كان له فيه القدح  
المعلى . لم يبق من مؤلفاته الا القليل وقد مدحه شيخرون في كتاب نسجه على  
منواله ، توفي بوسيدون سنة ٤٩ قم .



## الحقبة السادسة

حمص

في أيام حكومتها الوطنية

من سنة ٨٠ م - ٧٩ م

نوطه

ان هذه الحقبة من الحقبات السعيدة الذكر في تاريخ حمص . لا لأن حكومتها كانت وطنية فحسب ، بل لأنها حقبة نهوض من كبرية طال امدها . واذا كان لا بد للمؤرخ التزيه من ربط الحوادث بمسبباتها ، والاعتراف بمصادر الخير الذي يجنيه ، كان لا بد من الاعتراف بان الذي سهل للمحمصيين بلوغ الامنية العزيزة لديهم - وهي الاستقلال - انما كان بسبب ثورة اليهود في فلسطين على الدولة اليونانية . فان ثورة اليهود التي طال امدها اجبرت السلوقيين على السعي لاختادها بكل الوسائل الممكنة ، فانصرف فكرهم بكلية الى اليهودية ، فرأى المحميون الفرصة سانحة لنيل ما أملوه . وشعر السلوقيون بالامر فرأوا من الحكمة محاسبة المحميين ليأمنوا جانبهم فكان ما كان . فالواجب يقضي والحالة هذه باحاطة علم القارىء بتطور موقف اليهود في فلسطين . وكيف توصلت الى الاستقلال الذي كان مقدمة لاستقلال عدة مناطق في مقدمتها حمص .

قال احدهم : اذا اعتبرنا في تاريخ اليهود ما لديهم من الكتب القديمة والآثار الباقية حكمنا بانه لا توجد امة من امم الارض تملك من تاريخها مثل ما يملك بنو اسرائيل من الاسانيد والاعلام ( دائرة وجدي ١ ص ٢٨٠ ) .



وقد قسم المؤرخون تاريخ الامة اليهودية الى خمسة ادوار :

الاولى - من ابراهيم الخليل الى وقت خروجهم من مصر ١٩٩٦-١٥٦٦ .

الثاني - من الخروج الى نشأة النظام الملكي ١٥٦٦-١٠٩٥ .

الثالث - من الملوك الى سبي بابل ١٠٩٥-٥٨٦ .

الرابع - من السبي الى خراب الهيكل الثاني ٥٨٦ ق م - ١٣٥ م

الخامس - من خراب الهيكل سنة ١٣٥ م - الى الآن .

وقد مر بنا الماع الى الادوار الثلاثة الاولى .

فنأتي في ما يلي على ما حدث لهم في الدور الرابع مما له صلة قريبة بتاريخ حمص في هذه الحلقة .

## ١- العودة من السبي ودواعي الاستقلال

قضى نبوخذنصر على الدولة اليهودية وسبي الشعب الى بابل . فقضى الاسرائيليون سبعين سنة ذاقوا فيها مرارة العبودية والذل . ولما قربت النهاية استولى كورش على بابل وقضى على الدولة البابلية ، فرأى اليهود استسباح هذه الفرصة لنيل امنيتهم بعطف هذا الملك العظيم . فالتمسوا منه الرخصة بالعودة الى بلادهم لترميم ما تهدم من اسوارها وتجديد الهيكل . فسمح كورش بعودة ٤٢ نسمة لتحقيق ما تنووه سنة ٥٣٦ ق م .

فشرع اليهود حال وصولهم الى اورشليم بترميم ما تهدم . ولكن عملهم لم يتم لان السامريين عرقلوا مساعيهم اكثر من مرة . فلما ملك داريوس سنة ٥٢١ ق م استأزم الامر زيادة التدقيق في ما اتهم به اليهود خصومهم . فروجعت السجلات ووجد امر كورش القاضي بتجديد بنيان ما تهدم . فاثبت داريوس ما امر به كورش ، وتم بناء الهيكل في السنة السادسة لداريوس (٥١٦ ق م) وهي السنة السبعون لخراب الهيكل الاول .

وسنة ٤٥٦ ( يورتر ص ٣٣٤ ) سار عزرا من بابل الى اورشليم ومعه نحو ١٨٠٠ نسمة منهم العائلة المالكة ، فاصلح امور البلاد ووجد العواطف . وسنة ٤٤٥ اتى نحميا احد موظفي دار الملك في فارس الى اورشليم ، وقد

عينه الملك والياً . فرمم اسوار المدينة بالرغم من معارضة السامريين . واستراحت البلاد في ايامه الى سنة ٤٢٥ ، فلما انتقضى عصره تحولات الزعامة اليهودية الى الحبر الاعظم الذي شغل مركز رئيس ديني وسياسي معاً ، على ان يخضع لملوك الفرس .

فلما قضى اسكندر المقدوني على الجيش الفارسي في معركة ابسوس ودخل الشام ، كان يهوياذاع بن يوناتان الحبر الاعظم على اليهود ، فدعاه الاسكندر الى الطاعة فأبى الخروج عن طاعة الفرس ، فاعتاظ الاسكندر واكنه ملك نفسه وصبر حتى فتح صور وغزة ثم عاد الى اورشليم لتأديب الناشز ، واكن اليهود خرجوا مع كهنتهم وعلى رأسهم شمعون الصديق يستقبلونه بحفاوة ، فأغضى الاسكندر عما مضى .

وخضع اليهود بعد الاسكندر لبطليموس سوتر وحلفائه نحو مئة سنة ولم يكن نير السلطة في هذه المدة ثقيلاً عليهم ، اذ ظل احبارهم ينوبون مناب الولاة . واشتهر شمعون المذكور اعلاء الملقب بالعاذل . وخلفه اخوه اعازر الذي ساعد فيلادلفوس بترجمة التوراة الى اليونانية . ولكن في سنة ٢٥٠ ألى اوتيا الثاني بن شمعون تأدية الجزية ، فقصده الملك تأديبهم . فهدأ يوسف ابن اخي الحبر ثائرة غضب الملك بحسن سياسته . ومن لطيف ما ذكره عنه ، انه لما طلب من الملك ضمان خراج اليهودية والسامرة وفينيقية ، سأله الملك ومن يكفلك ؟ اجاب بسرعة وجراءة : جلالة الملك وقرينته . فاعجب الملك به ومنحه ما طلبه . وظل يوسف على امانته للملك مدة عشرين سنة ، وكان على الحقيقة هو الرئيس السياسي . اما الحبر الاعظم فكان رئيساً دينياً فقط . وافلح اليهود في ايام البطالسة .

واكن لما حاول بطليموس فيلوباتور الدخول الى قدس الاقداس لتقديم الذبيحة لانتصاره سنة ٢١٧ على انطيوخوس الكبير ، الذي اراد ضم فلسطين الى حكمه ، منعه الحبر فاعتاظ الملك واضطهد اليهود بعد ذلك . فتوترت الحالة بين الفريقين ( بورتري ص ٣١٧ و ٣٣٦ ) . ولما فاز انطيوخوس على ملك مصر سنة ١٩٨ احسن اليهود استقباله في اورشليم ، فاحسن اليهم واستراحت اليهودية في ما بقي من ايامه وايام خليفته سلوقوس ( ١٨٦-١٧٥ ) ولكنها بقيت موضوع



نزاع بين ملوك مصر وسوريا . قال ذلك الى الانشقاق اذ مال بعض الاهالي الى مصر والآخر الى سوريا . وكان هركان صغير اولاد يوسف المذكور اعلاه قد حاول الاستيلاء على مال ابيه ، واستعان بملك مصر فأيده هذا . ونتج عن ذلك مشاجرات شديدة قتل فيها اثنان من اولاد يوسف . لكن اونيا الثالث الحبر الاعظم أيد الاخير على هركان . ففر هذا الى حشبون وضاق به الامر فانتحر . وتحاصم سحمان وكيل الهيكل مع الحبر على ثروة يوسف المودعة في خزانة الهيكل فلاذ سحمان بسلوقوس الرابع ، فارسل امين صندوقه للاستيلاء على الثروة فأهين . واضطر سحمان ان يذهب الى انطاكية للاجابة عما حدث .

وكان آنشد على عرش انطاكية انطيوخوس ابيفانيس العالي . فقلد وظيفة الحبر الاعظم ليشوع اخي اونياس وكان هذا ممثلاً لليونان فسمى ذاته ياسون وادخل الى البلاد العادات اليونانية . غير ان اونياس ابتاع الرتبة الحبرية باكثر مما دفعه ياسون وسمى نفسه منلاوس ، واغتنم ياسون فرصة غياب انطيوخوس في مصر سنة ١٧٠ فأتى على اورشليم بألف جندي واستولى عليها وحاصر منلاوس في البرج وقتل كثيرين . ولكنه لم يتمكن من التسلط على المدينة بتمامها فعاد انطيوخوس ساعطاً . فقتل كثيرين من محازبي ياسون ونهب الهيكل وترع الذهب عن المنارة والمذبح وسلب الخزانة وكان فيها ١٨٠٠ وزنة واقام والياً يونانياً في البلاد سنة ١٧٠ .

وفي سنة ١٦٨ استأنف انطيوخوس سخطه الشديد على اليهود فأرسل قائداً اسمه ابلون وكان داهية دهماً . صبر الى ان دخل السبت ودخل المدينة وسرح جنوده يذهبون ويقتلون . واحتل برج صهيون فأصبحت المدينة كلها تحت تسلطه . ومكن بذلك انطيوخوس من اذلال اليهود والحكم فيهم . فدنس الهيكل واركه اليهود على اتمام الفرائض الدينية . ومنعهم من الختان وحفظ السبت . وقتل كل من خالف امره بفضاعة لا مثيل لها . من ذلك ان امرأتين ختنتا ابنيهما فأهلكهما مع الولدين بان شق الولدين في عني الوالدين ثم شق والدتيهما .

## ٢- ثورة المطابين او زعامة الاحبار ١٦٦-١٠٦

هذه الاعمال الفظيعة ادت الى الثورة اليهودية العظيمة التي قسام بها

الكاهن متاثيا سليل يهوياريب ( ١ اي ٧: ٢٤ ) .

كان متاثيا المذكور في مدينة مودين حينما حضر رسول الملك لأكراه اليهود على الوثنية . فقام عليه متاثيا فقتله ونادى بالدفاع عن الشريعة اليهودية . فتبعه عدد ليس بقليل من الفيورين على الشريعة لأذوا بكهوف الجبل وكان ذلك سنة ١٦٨ وقرر متاثيا وجوب المقاومة الشديدة والقتال ولو في يوم السبت . وكان متاثيا شيخاً طاعناً بالسن . وبعدما وضع اساساً لهذه الثورة مات سنة ١٦٦ خلفه ابنه يهوذا وكان اشجع اخوته ، فدرّب جنوده على تبليط العدو ( مهاجمتهم فجأة ) فتجّح في عدة معارك اوقعت هيبته في الاعداء ، فصار يهاجمهم جهراً ، فاصطدم بهم في بيت خورون ( حيث قهر يشوع الاموريين قديماً ) ( يش ١٠ ) فهزم السلوقيين شر هزيمة على قلة رجاله . فارسل انطيوخوس له قوة كبيرة نحو خمسين الف مقاتل . فبعد مداورات تمكن يهوذا من الفوز عليهم ودحّهم . وباع عدداً من الاسرى بمال عظيم استعان به على متابعة القتال . فعاد انطيوخوس وارسل له في السنة التالية جيشاً مؤلفاً من ستين ألفاً فاصابه ما اصاب سابقه من الخيبة . واستولى يهوذا على اورشليم وطهر الهيكل واقام الخدمة الدينية فيه سنة ١٦٥ ق م بعد الغائيا بثلاث سنوات .

ومات انطيوخوس ابيفان سنة ١٦٤ وهو يحرق الارم على يهوذا . فنادى لسياس بابنه الصغير خلفاً له واخذه معه لانجساد المحصورين في برج اورشليم . وكان جيشه هذه المدة مؤلفاً من ١٢٠ الف مقاتل معها ٣٢ فيلاً . خاف اليهود ولكنهم اظهروا من الشجاعة في القتال ما خلد له الذكر الحسن ، ومن امثلة ذلك ان اليعازر اخا يهوذا هاجم احد الافيال ودخل تحت بطنه وطعنه بسيفه فقتله ولكن الفيل وقع عليه فقتله .

وسنة ١٦٢ هلك لسياس وانطيوخوس الصغير ، وملك دييتريوس الاول . فارسل جيشاً آخر بقيادة بكاديس لمقاومة يهوذا ففشل . فارسل جيشاً آخر بقيادة نيكاتور فقتل نيكاتور بعد معارك شديدة وعلق رأسه على سور اورشليم . فعاد فارسل بكديس سنة ١٦١ في نحو عشرين ألفاً ولم يستطع يهوذا ان يجمع اكثر من ثلاثة آلاف . ولكن يهوذا ثبت ثبات الابطال وتمكن من كسر ميسنة الجيش وفيها بكاديس نفسه . غير ان الميسرة دارت من خلفهم فطوقتهم



فقتل يهوذا ومعظم رجاله .

فسيطر بكاديس على اورشليم وظلم اليهود كثيراً . وثقل نيره عليهم  
فاستصرخوا اخوة يهوذا ، فاجابوا ولم يبق منهم سوى يوناتان وسمعان . وتسلم  
الاول القيادة موضع يهوذا فحشد جيشاً في البرية قرب الاردن فهاجمه بكاديس  
يوم سبت ظناً منه انهم لا يقاتلون فيه . ولكن يوناتان اجاز لهم القتال فاهلكوا  
من الجيش السلوقي اكثر من الف شخص . ثم اجتاز اليهود النهر ونجوا الى العبر .  
ومل بكديس من هذه المناوشات الفاشلة وعاد الى انطاكية سنة ١٥٨ .  
فاستراح اليهود مدة ست سنوات واستفادوا من النزاع الذي وقع بين ديترئوس  
وبالاس . اذ اخذ كل منهما يتودد الى يوناتان ليؤيده على خصمه . واخيراً مال  
يوناتان الى اسكندر بالاس فاقامه حبراً اعظم بدل الكيميس ، ولما فاز بالاس  
سنة ١٥٠ عظم شأن يوناتان . فصار رئيس اليهود الديني والسياسي معاً فحاصر  
البرج الذي كان لم يزل بيد السلوقيين ولكنه لم يستطع فتحه .  
وحاول تريفون اغتصاب الملك من انطيوخوس السادس ولكنه خشي

معارضة يوناتان ، فاستقدمه اليه ولما حضر اعتقله وقتله سنة ١٤٣ .  
فاخذ سيمان جثة اخيه ودفنها في مودين وخلفه في الرئاسة . وشدد  
الحصار على البرج ففتحته سنة ١٤٢ ثم دك الى الحضيض لئلا يجدد ويكون  
سبباً لويلات شديدة . واحسن سيمان السياسة واعتبر اليهود انفسهم مستقلين  
واخذوا يؤرخون حوادثهم من هذا الاستقلال الذي جعلوا بداءته سنة ١٤٣ ق م  
وهي السنة الاولى لسمعان ، ولما عظم شأنه عاهد الرومانيين وحالف السبارطيين .  
ولكن صهره صاحب اريحا فتك به ابان وليمة اقامها له . مريداً ان يخلفه  
وحدث ذلك سنة ١٣٥ غير ان يوحنا هركان خلف اياه حالما درى بالامر .  
ولما توطد امره سار بجيش الى اريحا للانتقام من صهره وانقاذ امه واخوته .  
فحاصر المدينة ولما عجز بطليموس صهره عن الدفاع اخرج الام وبنينا ووقفهم  
على السور . وتهدد هركان بطرحهم الى اسفل ان لم ينصرف عنه . وعرفت ام  
هركان بما ينطوي عليه صدر بطليموس من الخيانة فخرضت ابنها على متابعة  
عمله ولو هلكت مع اولادها . ولكن هركان لم يطاوعه قلبه على تعريض من  
يحب الى الهلاك وانصرف عن اريحا . غير ان بطليموس ابى الا اظهار سوء

نيتهم لانه حالما افرج عنه قتل الجميع وفرّ من المدينة .

وكان انطيوخوس السابع قد استعد لمكافحة اليهود فحاصر اورشليم  
باصرة شديدة . ولكنه لم ينل اربه منها لمتانة اسوارها وشجاعة اهلها . ووقع  
في اثناء الحصار عيد لليهود فطلب هركان هدنة لاقامة العيد . فرضي انطيوخوس  
ولم يكتب بهذا بل قدم له ايضاً ذبيحة قيمة . فأثر ذلك في هركان وطلب  
مسألة انطيوخوس . فاتفقا على ان يعترف هركان بملك انطيوخوس ويؤدي له  
٥٠٠ وزنة من الفضة وفض النزاع سنة ١٣٣ .

غير ان خضوع اليهود للسلوقيين لم يطل لان انطيوخوس سار الى محاربة  
البرثيين سنة ١٢٨ قم فرافقه هركان ، فلما انكسر جيش انطيوخوس عاد  
هركان الى بلاده سالماً وانتهاز الفرصة لاعادة الاستقلال لفلسطين ، وكان هذا  
في السنة الاربعين اثورة متاثيا جد هركان (١٦٨-١٢٨) .

ولما استتب الامر لهركان عمد الى اخضاع القبائل المجاورة فبسط سيطرته  
على ادوم والسامرة وهدم هيكل جوزيم بعد بنائه بثنتي سنة . وواصل تحومه  
الى المتوسط ، فاستغاث السمرة بانطيوخوس شيزيك ملك دمشق فامدهم بجيش  
لم يكتب له النجاح . وحينئذ انتقم هركان من السامريين اذ فتح عاصمتهم  
السامرة سنة ١٠٩ وضم بلادهم الى مملكته ، مضيفاً اليها الجليل ايضاً . فصارت  
مملكة ذات شأن تجدد عهد داود الملك . ولكن محنة اصابته في آخر حياته  
بسبب البغضة الشديدة الكائنة بين الفريسيين والصدوقيين . فقد حاول استرضاء  
الاولين واقام لهم وليمة عظيمة وفي اثناء الطعام خطب فيهم مظهراً حسن نياته  
لامتهم . وطلب اليهم ان يذكره بما اذا كان ظهر منه ما يعيب ليتداركه . فاثني  
عليه الحضور ثناء طيباً ، ولكن احد ادعياء الجرأة وحرية الضمير المدعو اليه اعازر  
نهض وقال له : ان شئت ان تسلم من النقد فاعزل رتبة الحبر الاعظم . لان  
امك سبية غير يهودية . وبما ان ما ذكره هذا الرجل لا اصل له اغتاز هركان  
ومن معه من هذا الافتراء الشنيع . ونخيل اليه ان الرجل مغرئ على ما قاله بغية  
تقليل اهميته . ورأى الصدوقيون الفرصة سانحة لاثارة غضبه على الفريسيين ، فالقى  
احدهم المدعو يوناتان في روعه ان المغرير انما هم الفريسيين اذ لا يجراً سواهم على  
ذلك . فنقم عليهم وكان ذلك سبباً لهلاكه سنة ١٠٦ قم بعدما ملك ٢٩ سنة .



ولم يقيم بعده من حكماء في الحمية والاباء .

### ٣ - الدولة الحشمونية او زعامه الملوك ١٠٦ - ٧٠٠ م

خلفه ابنه ارستوبولس وهو اول من لبس التاج من دولته فكان ملكاً ورئيس كهنة ايضاً . وكان اول عمل اثاره انه اعتقل امه واخوته عدا اخيه انتيكوس الذي كان شريكه في المعارك الظافرة في ايام ابيه ، وقد احبته جداً . غير ان بعضهم وشى به فقتله . وعرف بعدئذ ان السعاية كاذبة فخرن عليه جداً وانفجر احد شرابينه فمات بعد سنة .

خلفه اخوه اسكندر وحالما انتظم له الامر حاول فتح غزة وصور وعكا فاستنجد هؤلاء ملك قبرص . فامدهم بجيش عظيم خضد شوكة اليهود ، وقتل منهم مقتلة عظيمة . فاستصرخ اسكندر كليوباترا ملكة مصر وكانت تخشى فوز لاتروس ملك قبرص . فانقذت اسكندر سنة ١٠٦ واستتب له الامر واستولى على المدن التي لم تكن خاضعة له ومنها غزة . ولكن ما اجراه من القسوة نفّر منه الناس . وحدث خلاف بينه وبين الفريسيين ، فرموه في عيد المظال بالترنج فسخط عليهم وقتل منهم ستة آلاف نسمة سنة ٩٥ ، ثم حارب العرب فانتصر على عبيد ملكهم . وذلل الموابين وفرض الجزية عليهم . ولكن اعداءه كمنوا له في مسلك حرج وزحمه قطار من الابل كاد يهلك فيه . ونجا ولكن بشق النفس ، فجراً هذا الحادث مسوديه فخاربه مدة ست سنوات هلك فيها من الفريقين عدد عظيم . ولكنه فاز اخيراً على خصومه وصنع وليمة لنسائه وسراريه في مكان مرتفع اشرفن منه على قتل ثمانمائة رجل مع نسائهم واولادهم الذين ايسلمهم تجاه عيونهم سنة ٨٦ .

وبعدما اخذ اسكندر ثورة اليهود اغتم فرصة تنازع الملوك السلوقيين ومحاربة احدهم الآخر ففتح عدة مدن ولكنه مات اiban محاصرته احد الحصون سنة ٧٨ .

وروي انه بسبب انعكافه على الملاذ ومعاورة الحرة اصيب بجوى الربع التي لازمته مدة ثلاث سنوات بدون ان يترك حروبه . وبينما كان محاصراً احد

حصون شرقي الاردن ، اشتد مرضه وظهرت عليه علامات الاحتضار . فدخلت عليه الملكة اسكندرة وعيناها مغرورتان بالدموع وقالت له : الى من تتركني مع اولادك وانت عارف بحقد الشعب عليك ؟ فاشار عليها ان تحني موته حتى ينتهي الجند من فتح الحصن . وحينما تعود الى اورشليم ظافرة تسالم الفريسيين وتخولهم ما يريدون من الوجاهة . ثم تريحهم جثته وتفوض اليهم الامر والمشورة فيكون لها خير .

فعملت بنا اشار وكانت النتيجة ان الفريسيين اعتبروها جداً وعضدوها وعملوا له جنازة فاخرة سنة ٧٨ ق م .

وكان لاسكندر ابنان هركان وارستوبولس فصار الاول حبراً اعظم والثاني قائد الجيوش . وكان من دهاء الملكة ان جعلت ابنا هركان من حزب الفريسيين والثاني يعطف على الصدوقيين ، فأدى ذلك الى تنازع الحزبين . وراح هذا الحلاف الملكة حتى وفاتها سنة ٦٩ .

وبعد موتها ثار الشعب على هركان لما آتاه الفريسيين على الايقاع بكل من لم ينقد لآرائهم . وترغم هذه الثورة ارستوبولس نفسه . فاضطر هركان ان يتغلى لانيه عن التاج والحبرة معاً ، وانصرف الى ادارة املاكه . وظهر في ايام ارستوبولس الثاني انتيباتر الادومي الذي تهود في ايام اسكندر وولاه على ادومية . فتمكن هذا بحذقه ودهائه ان يثير هركان على اخيه ثم اشار عليه ان يلجأ الى الحارث ملك العرب ليحميه ، ففعل . واذ كان الحارث صديقاً لانتيباتر حمله هذا على محاربة ارستوبولس . فسار الحارث بخمسين الف مقاتل الى اليهودية وحاصر اورشليم .

واحضر محازبو هركان شيخاً تقياً طلبوا اليه ان يضرع الى الله - لانه مستجاب الدعاء - لينصرهم على ارستوبولس ويفتح المدينة . فأبى الشيخ ان ايدعو على قومه بالشر . ولما الحوا عليه صلى هكذا : يا الله مالك الكائنات اطلب اليك ان لا تستجيب دعاء فريق على آخر لانهم اخوة . فنقم عليه محضروه وقتلوه فأدركهم العقاب - على رواية الكاتب اليهودي - فأتى سوريا آنشد اسكاروس نائب بومبي القائد الروماني الكبير . فحكمه الفريقان بالقضية فحكم لارستوبولس لانه اكثر رشوة ، وامر هركان وقومه بالافراج عنه .



ولما عاد الحارث حشد اريسطوبولس قوة لمطاردته فاوقعت به اضراراً كبيرة سنة ٦٤ .

ولما قدم بومبي الى دمشق وفد عليه اريسطوبولس وهركان وعرض له امر اختلافهما على الملك فأجل بومبي الجزم باي منهما احق بالملك الى ما بعد محاربة العرب ، فاستاء اريسطوبولس واساء الظن به ، فخرج عليه واعتصم في اورشليم . وكانت النتيجة ان بومبي دخل اورشليم ظافراً وتمكن من انتهاك حرمة الهيكل . واقام هركان حبراً ورئيساً سياسياً سنة ٦٣ تحت طاعة رومة . غير ان ثورة اسكندر بن اريسطوبولس غيرت النظام الذي وضعه بومبي اذ ابطال الحكم الملكي ، وصارت الامور تدار بواسطة اعيان الشعب .

في هذه الاثناء عظم شأن انتباتر الادومي ، واوصله ذكازة الى مركز عزيز المنال عند الرومانيين ، وصار مشيراً لهركان الثاني ، وذا نفوذ في الشرق فتقوى حتى تمكن نسله من التسلط على اليهودية .

فانه لما رأى تأخر بومبي آزر قيصر وانجده بجيش عند ضيقه في مصر ، وقد برز في القتال حتى قيل انه كان سبب فوز قيصر ، فانعم قيصر عليه بما اراد من ملك اليهودية وعظم شأنه جداً حتى سيطر على هركان نفسه ، ومنحه قيصر رعية رومة واقامه نائباً عنه في اليهودية سنة ٤٨ . وكان له اربعة اولاد منهم ( فازائيل ) الذي سلطه على اورشليم وهيردوس الذي اقامه حاكماً على الجليل قبل ان يتجاوز الخامسة عشرة من عمره فصار ملك اليهودية الى يد انتباتر الادومي وبنيه وظل هركان رئيس كهنة وعظيم الامة في الظاهر . ونقم اليهود على انتباتر واولاده لانهم ظلموا الرعية ظلماً فاحشاً . وجمعوا للرومانيين الاموال الباهظة منهم . فاحتال بعضهم على انتباتر وقتله فانقم هيردوس لابييه . ولم يستطع هركان ان يحول دون ذلك لسيطرة هيردوس عليه . وتزوج سنة ٣٧ قم مريغني بنت اسكندر اريسطوبولس حفيدة هركان الاول لينال حق الملك ويجمع بين بيتي هركان واريسطوبولس . فلما غزا البرثيون اليهودية ، سلموها الى انتيغون بن اريسطوبولس واستودعوه هركان وفلازائيل . فانتحر الاخير لياسه . وجذعت اذنا هركان ليحال بينه وبين الحبرية . اذ لا يجوز للحبر عند اليهود ان يكون معيماً بجسده .

اما هيردوس ففر الى رومة لاثناً بانطيوخوس . فأمدده هذا بجيش استولى به على اليهودية . فأباد كل من سبقت له مقاومته واستأثر بالسلطة لرضى الدولة الرومانية عنه فلقب بالكبير . وفي اواخر ايامه ولد السيد المسيح .

## ٤- اواخر السيادة اليهودية

توفي هيردوس الكبير بعد ميلاد السيد المسيح بسنة . فقسم اوغسطس القيصر الروماني اليهودية الى ثلاث ايلات جعل في كل قسم منها احد اولاد هيردوس . فكان ارخبلاوس والي فلسطين الجنوبية وانتيباس والي الجليل وفيلبس والي حوران .

فساد الخلل في البلاد وكثر النزاع لفساد الاخلاق فانتزع الرومان الملك من ابناء هيردوس وولوا نواباً رومانيين ومنهم بيلاطس البنطي الذي في عصره حكم على السيد المسيح بالموت ، وعلى اثر ذلك شدد الناس الشكاية عليه لكثرة مظالمه ، فنفاه طيباريوس الى غاليا سنة ٢٧م . وبعد موت طيباريوس تسم العرش الروماني كاليغولا الذي ادعى الالهية وامر ان تقام له نصب في كل المملكة ، فثار اليهود ضد هذا الامر .

وتدخل بالامر الملك اغريباس اليهودي فلم يسأ الى اليهود كثيراً ، ولكن احوالهم ساءت بعد موته سنة ٤٤ ولاسيا في ايام فيلكس الذي اشتد كثيراً في اذلالهم حتى عزل سنة ٦٢ واذا استثنينا فستوس من الولاة الذين خلفوه ، رأيناهم كلهم شديدي الشكينة .

فنشبت الثورة وقاد الثوار ثلاثة رجال اقدم لعازر بن حنان الكاهن الكبير ، والثاني يوحانان الجليلي ، والثالث شمعون بن جيبورا المتشرد . الذين الف كل منهم عصابة بحجة انتقاذ البلاد من سلطة الرومان ، ولكنهم في الوقت نفسه كان يحاربون اقدم الآخر .

وقد اصبحت البلاد اليهودية بمعنة عظيمة بسبب ما ذكر وأدى انقسام الزعماء الثلاثة الذين يسميهم يوسفوس المؤرخ « الخوارج » الى فوز الرومان على اليهود فتمكنوا من خرق اسوار اورشليم بعد حصار طويل وحرق الهيكل



ونقض بنيان المدينة الى الاسس بعدما هلك من اليهود عدد كبير جداً .  
اما الزعماء الثلاثة فاحدهم يوحنا استسلم فخن تيطس الروماني دمه .  
وحاول شعرون الهرب فامسك ، وعرضه تيطس على المتفرجين في حفلة النصر  
التي اقيمت في رومة . اما لمازر فانه انتحر مع آله كلهم لكي لا يجلوا من  
بلادهم .

### مائة الاسفاني

يعتقد اليهود بشؤم اليوم التاسع من آب لانهم اصابوا فيه بأعز ما لديهم .  
ففيه من سنة ٥٨٦ قم هدم الهيكل الاول الذي باشر ببناءه سليمان  
سنة ١٠١٢ قم .

وفي مثله سنة ٧٠ م أحرق الهيكل الثاني - الذي جدد زربابل سنة  
١٥٦ قم - بيد الجيش الروماني الذي قاده تيطس .  
وفي مثله ايضاً سنة ١٣٥ م سقطت قلعة بيت عير بيد الجيش الروماني

في ايام القيصر ادريانوس .  
واليك ما رواه التقات عن الحادثة الاخيرة التي تعتبر الثالثة الاثافي عند  
اليهود .

بعدما استولى الرومان على اورشليم ودكوا اسوارها الى الحضيض ، اهتموا  
بإعادة بنيانها . وكان العدد الاعظم من اليهود قد برحوا فلسطين الى جهات اخرى ولم  
يبق فيها سوى النذر اليسير الذي لا يخشى جانبه . فلما اعيد بناء المدينة المقدسة  
طمحت نفوس اليهود في فلسطين وسواها الى استردادها مع ما حولها . واخذوا  
ينتظرون الفرص لنيل غرضهم هذا . ففي اوائل العقد الرابع من القرن الثاني ،  
عندما كثر ظلم الرومان لليهود ، وثقلت وطأة الحكم عليهم في ايام ادريان  
اذ هدم لهم ٤٨٠ مجماً ( البستاني ٥ : ٣٥٥ ) ظهر بين ظهرانيهم رجل يهودي  
شجاع اسمه بر كوكب ادعى انه المسيح الذي اشار اليه بلعام بقوله : يخرج  
كوكب من يعقوب الخ . وأيده الربان عقياً خبر اليهود الكبير في تلك  
الايام بمريديه البالغين ٢٤ ألفاً . فنشبت الثورة وقام بر كوكب على رأس جيش

عظيم عضده اليهود كلهم في فلسطين وسواها (الدكتور مويال ص ٣٦) .  
فحارب مع رجاله الرومانيين حروب المستقلين طمعاً بإعادة الاستقلال اقتداءً  
بالمكابيين . واستولى على الأماكن الحصينة وطرد منها الجند الروماني ، ثم فتح  
اورشليم عنوة ونودي به ملكاً في بيت غير (بثير) التي اتخذها قاعدة لحكمه  
وصك فيها نقوداً باسمه .

فلما درى ادریان بالامر ارسل جيشاً كثيفاً بقيادة يوليوس سيفروس  
حاکم بريطانيا العسكري ، فقدم هذا بقواته الكبيرة الى فلسطين فلم يقتحم  
العصاة دفعة واحدة بل اخذ يضيق الخناق عليهم شيئاً فشيئاً . اذ قطع اولاً عنهم  
موارد الرزق ، ثم اخذ يفتح القلاع واحدة بعد الاخرى . ففتح خمسين حصناً ودمرها  
واستولى على تسعة قرية . وبلغ عدد القتلى في مدى سنتين نحو ٥٨٠ ألفاً  
هلك بعضهم بالجوع وآخرون بالامراض وسواهم ابان حرق البيوت والقلاع . وكان  
بركوكب من جملة القتلى . اما عقيبا فالقي عليه القبض وسلخ جلده وهو حي .  
وشغلت هذه الثورة مدة ثلاث سنوات وانتهت سنة ١٣٥ م .

وقد تشتت اليهود بعدها تحت كل كوكب وبقيت منهم بقية في فلسطين  
حنت رؤوسها للسيادة الرومانية مرغمة صارفة نظرها عن السياسة الى الدين  
ولوازمه . فانشأت المدارس لتثقيف ناشئها . وقام فيها اساتذة اهتمت بجمع التعاليم  
الشفاهية من عهد موسى الى زمنها في اسفار دعواها المشنه « اي ثانية الشريعة »  
ثم وسعوا دائرة معلوماتهم بما ضموا اليها من الشروح التي سموها الجمارة « اي  
التكميل » وكلاهما المعروف بالتلمود وهو قسمان الاورشليمي الذي بدء به في  
اورشليم في القرن الثاني ، والآخر البابلي الذي جمعه رهط من الربيين الذين  
هاجروا الى بابل ، وقد اكمل الاول في القرن الرابع والآخر في القرن السادس  
للميلاد .

واول من باشر هذا العمل العظيم من احبارهم الربى يهوذا هناسي ابن  
الربان شمعون الثالث آخر الائمة المعروفين بالتنايم .  
ويقول ائمة اليهود ان التعاليم التلمودية قد اخذت بالتلقين من موسى حتى  
وصلت الى الربى هناسي بواسطة اربع فرق كل منها ١٢ جيلاً .  
الاولى فرقة القضاة التي اولها عتنيثيل وآخرها عالي .



والثانية الانبياء اولهم صموئيل وآخرهم حزقيال .  
الثالثة الجامعة الكبرى اولها جحى وآخرها نحيا بن حكليا .  
والرابعة التناثيم اولها انطيفونوس سونخو وآخرها الربان شمعون الثالث والد  
الربي هناسي .

### موادك هذه الحقبة الخاصة بمصر

بعدما اتينا على خلاصة تاريخ هذه الحقبة العام . مما له صلة بمصر نأتي  
الآن على ما عرفناه من تاريخها الخاص .

### اولاً - صلة اليهودية بالنطقة المصرية

اليهودية بمصر صلتان ، احدهما سياسية والاخرى قومية . الاولى متأدية  
عن استيلاء اليونان على منطقتي سوريا الجنوبية والشمالية ، ولا فرق بين ان  
يكون السلوقيون هم القابضون على دفعة السياسة فيها معاً ، ام البطالسة ، ام  
احدهما على هذه وتلك على اخرى . والشيء المهم ان تلك السلطة لم تستطع  
ان توجد في نفوس الاهلين الطمأنينة التي تهون على المحكومين الخضوع لغير  
ابناء جنسهم . وسواء أكان هذا القلق نتيجة اضطهاد الحكومة الدينية لليهود  
وارغامهم على قبول ما يخالف اعتقادهم . ام بانتهاك قوى الاهلين في سوريا  
الشمالية والمجوفة ، بكثرة المارك التي توالى نشوبها بين الطامعين بالعرش من  
السلوقيين . والمصيبة توجد صلة قربي بين المصابين .

هذه هي الصلة الاولى بين منطقتي مصر واليهودية . والثانية الروح القومية  
فقد اشتهر الحمضيون في التاريخ بتعصبهم لقوميتهم تعصب اليهود لجنسيتهم ،  
ووقوفهم ضد كل من يريد بها شراً . واحتفاظهم بها ما دام ذلك ضمن دائرة  
الامكان . ومتى كان بين فريقين من الناس تشابه في عدة نقاط اجتماعية او  
اخلاقية ، سهل تفاهمهم وسيرهم في طريق واحدة . او متابعة بعضهم بعضاً .  
وذكر بعض المؤرخين صلة ثالثة بين يهود فلسطين وبين قاطني المنطقة

الخصية جعلت الآخرين يسعون سعي الاولين للاستقلال المنشود وينالونه . وهي ان احدى الاسر الناهضة في حمص كانت لها صلة نسب مع احدى الاسر اليهودية ، وقد تكررت المصاهرة بينهما مراراً . ويرى بعضهم ان هؤلاء الامراء كانوا ممن يدين باليهودية ، اذ لا يعقل ان امراء اليهودية على ما عرف عنهم من التعصب لدينهم وتضلعهم من العلم والثقافة اليونانية ، يرضون بمصاهرة غير الاكفاء لهم في الثقافة والمبدأ ليكون لبناتهم الحياة الطيبة التي تمتعوا بها في قصور والديين ( المباحث ٤ ص ٢٦٨ ) .

متى عرف هذا فهم كيف سرى روح الطموح الى الاستقلال في الحصين سريان الشرارة في الحشم بعدما نال اليهود استقلالهم في فلسطين .

### ثانياً - حمص تنقل بزوره انه مهربو دماً

جاهد اليهود زمناً ليس بقصير حتى نالوا استقلالهم . ولم يكن ذلك بالامر السهل فانهم قدموا ضحايا كثيرة من الاموال والرجال . وثبتوا على ذلك مدة طويلة توقفوا في آخرها الى نيل هدفهم السامي . اما الحصيون فبلغوا امنيتهم بدون قتال للأسباب التالية :

من نصف القرن الثاني قم حتى فتحت سوريا بقيادة بومبي سنة ٦٤ قم قام على عرش انطاكية ملوك ضعفاء . فابتلعت برثيا ما كان للدولة السلوقية شرقي الفرات ، وانتشرت الفوضى في الجزء الباقي . وظهر زعماء محليون في اجزاء مختلفة من سوريا .

فان محاولة السلوقيين نشر النفوذ اليوناني في فلسطين ادى الى ثورة اليهود سنة ١٦٧ . ورأت رومة نصكاية بالسلوقيين ان تعاهد الثوار وتعترف باستقلالهم في حين انها لم تساعد بشيء . غير ان هذا شجع الثوار ، وظهر زعماء الثورة كفاءة في موقفهم الذي وقفوه ، دل على انهم فرسان الميدان . اذ ارغموا السلوقيين على الاعتراف باستقلالهم سنة ١٤٢ قم واعفاهم من تأدية الجزية .

كما ان القبائل العربية النازلة في تخوم سوريا الشرقية يدون نظام . ألفو



دولة واحدة جعلوا عاصمتها التبراء. واتسعت سلطتهم حتى وصلت الى دمشق .  
ورأى زعماء عدة مقاطعات الفرصة سانحة لنيل الاستقلال ، فانشأوا  
لأنفسهم حكومات أهلية لم يجد السلوقيون بداً من الاعتراف بها . على شرط  
ان يعترف بسيادة السلوقيين العليا عليهم . فرضي هؤلاء الزعماء بذلك لتيقنهم  
ان هذه السيادة لا تتجاوز الاسم . وكانت اولى هذه المناطق حمص ثم تلتها  
جبيل في لبنان واديسا ( اورفا ) في الشمال ( براسند عد ٦٦٢ ) .

### ثالثاً - متى نمتى لمخص الاستقلال الإداري

في اواخر مدة دولتي البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا ، وقع  
الاضطراب بين متولي الحكم في كل منهما . وكان الحال في سوريا اكثر منه  
في مصر . فتأثرت اليهودية بقيادة المكابيين وساعدتهم على الفوز بالاستقلال  
تقسم وجهات النظر في حكام سوريا ( بورتري ٣٤٢ ) ونظر المحصيون الى هذا  
الحادث الهام نظرة دقيقة جعلته موضوع درس لتحقيق امانني تحتلج في صدورهم .  
كانت صلات فلسطين بسوريا المجوقة حسنة . والعاطفة الوطنية متبادلة الصدى  
بينهما ، فاخذت المنطقة المحصية منذئذ تفكر بفيل ما نالته فلسطين سنة ١٤٢ اقم  
ولكن قوتها لم تكن كافية لارغام السلوقيين واثالة المحصين ما يرغبون .  
فاخذوا يطلبونها من طريق اخرى . وقد سنحت لهم هذه الفرصة في القرن  
الثاني قم حينما بلغت المناظرة بين المتراحمين على العرش حدها .  
ففي سنة ١٠٥ تجددت الحرب بين الاخوين غريبوس وشيزريك وظلت مدة  
تسع سنوات لم يغلب فيها احدهما الآخر . فترعزت اركان المملكة بهذه المشاغبات .  
وانفصلت منها عدة ولايات كصور وصيدا وسلوقية وكيليكية . وقام العرب  
يغزون سوريا من الجانب الواحد ، والمعصريون من الجانب الآخر . وساد القلق  
المملكة حتي قام على غريبوس احد خاصته وقتله سنة ٩٦ قم ( بورتري ٣٣٣ ) منذئذ  
هيات حمص ذاتها للحياة الوطنية بارشاد نخبة من اعيانها الذين سموا فيما بعد امراء  
او ملوكا وكان لهم ذكر في التاريخ .  
ودلت بعض الآثار التي وجدتها العلامة الاثري وادنغتون على ان استقلال

منطقة حص بقيادة امرائها الوطنيين ، يرتقي الى اوائل القرن السابق التاريخ الميلادي .  
واكتشف سنة ١٨٩٨ بعض مدافن الاسرة المالكة الحمصية ، وفيها  
كتابات باسماء بعض مشاهيرها . من هؤلاء يوتاب وتيم الله وغايوس وسهم  
واسكندر ومنعم . غير ان هذه الاسماء لم تقترن بما يعين تاريخ كل منهم  
( قلعة قادش ٤٨ ) .

وينتظر حدوث اكتشافات جديدة يستطيع المؤرخ معها بأن يتبسط في  
تاريخ هذه الحلقة .

### رابعاً - سر لاه الامير الاول ؟

الامر الذي كاد يكون في حكم المقرر ان السلوقيين لما ارادوا التفرغ  
لامر اليهودية ، خافوا ان يقطع عليهم المحصيون خط الرجعة فيما لو كانوا حرباً  
عليهم . فمنحوا منطقتهم شبه استقلال اداري . لتحسين اقتصاديات المنطقة ،  
والاحتفاظ بثروتها الطبيعية ، فسهلوا لها بهذا سبيل الرقي . واعطت الارض ارزاقاً  
وافرة لاهتمام الاهلين بترقية الشؤون الزراعية .

ولما تفاقم الشر بين رواد السلطة رأى المحصيون بعين البصيرة النقادة ،  
ان امر الدولة السلوقية صائر للزوال . واذا خافوا استئثار دولة جديدة بمصلحة  
البلاد ، لاذوا بأحد امرائهم الذي كان يشغل مركزاً حكومياً في احدى  
المناطق السلوقية ليتولى شؤون منطقتهم الادارية . فلبى الطلب وكان عند حسن  
الظن به . واذا كان القسم المتوسط من سوريا يئن من الاضطراب الحاصل  
بسبب تدخل ديكران الارمني في الاحكام ( ٥٣-٦٩ ق م ) ، والقسم الجنوبي  
يعاني المشقات بكافة القائد الروماني الكبير يومي ( ٦٤ ق م ) ، كانت حص  
تنعم بظل حكومتها الوطنية .

من هو هذا الحاكم الاول ؟ سؤال تتعذر الاجابة عليه بضبط ، ولم يجزم  
القدماء بتعيين مسماه لتعذر وجود ادلة كافية لمعرفة اول من تسلم قيادة الاستقلال  
الحمصي . ولكن بين المتأخرين من الباحثين من رجح ان سميغرام الاول هو  
اول من تسلم سدة الحكم الحمصي ومنهم من رأى انه قد سبق الى الحكم وان دابل



ملكاً الذي يذكره كثير من الباحثين في آخر من عرفت انماؤهم من حكام حص  
الوطنيين وممن رأى الرأي الاول من الحدثاء الاب اسحق ارملة . وممن جنح الى الرأي  
الثاني الاب لامنس الذي اوصل الاسرة المالكة الحصية الى اوائل القرن الاول  
قبل الميلاد . وليس لنا ان نجزم بأي الرأي اصح ما دام الامر مبنياً على  
التخمين ، على اننا سنضع دابل ملكاً في صدر هؤلاء الاسراء . اذ لا يزال  
التاريخ فارغاً في بداية هذه الحقبة . وندع لتحقيقات الايام ابقائه في محله او  
ابداله بسواه ونقله الى المؤخرة .

### فامسا - سبي ' عمر الاسراء ' حص

ليس من السهل معرفة كل ما يلزم عن اسراء حص في هذه الحقبة ،  
لان افكار الكتاب انصرفت آنذراً الى شؤون الدول الكبيرة ، ولو لم تعرض  
لهم في اثناء مباحثهم لفتات بسبب صلة هؤلاء الاسراء بغيرهم ، لما وصلت ايدينا  
الى شيء من المعلومات عنهم ، وما عرفناه نتيجة بحوث مضئكة التقطناها عن  
بذلوا ما في الوسع لاستخراجها من مكانها .

### أ - دابل ملك

ذكر هذا الملك لاتورمان في مقالة نشرها في كتابه « الف باء فينيقية »  
وقال انه رأى اسمه على نقد نحاسي بالحروف الاسطرنجيلية ، وعلى رأيه  
ان هذا النقد النحاسي ضرب في انطاكية بامر مجلس الشورى الروماني ، ويرى  
في هذا النقد - بدل صورة القيصر - رأس متوج يرمز الى الشمس وقد حفر  
على دائرته اسم :

### « دابل ملكا »

وأكد لاتورمان ان هذه الصئكة من نقود حص مستدلاً عن ذلك بان

هذه المدينة كانت مركزاً لمباداة هذا الآله باسم « ايل دابل » وهذا ما جعله يتيقن ان « دابل ملكا » هو احد ملوك حمص . ولم يتردد بضمه الى مصافهم .

## ٢- سميفرام

المعروف عنه انه كان في اول الامر رئيساً لاحبار هيكل الشمس المنشأ في حمص . وقد جمع في شخصه الولاية على الشؤون الدينية والمدنية معاً ( ارملة ) . وقد وجد البعثة الاثري العلامة ودنغتون اسمه في اثر مكتوب باليونانية في حمص . ويذكر في هذه الكتابة سيلاس او ( شيلا ) الذي اقتحم ليسيا المجاورة افاميا الشهيرة .

وذكر سترابون الجغرافي ( ك ١٦ : ٢ ) اسم سميفرام عند كلامه على حصار افاميا . وخلاصة ما قاله : ان القائد الروماني استنجد عن اضطرار بالملوك المجاورين كليزباس وسميفرام وابنه يميليك اللذين كانا مخيمين في الرستن .

وذكر الاب لامنس في رحلته الى حمص ان سميفرام امير عرب حمص وملك قلعة اريثوسا ( الرستن ) تدخل في مشاغبات الشعب الانطاكي في زمن انطيوخوس الاسيوي الذي استعان بسميفرام عندما استولى بومبي على سوريا . وقد لقبه اهالي رومة آنذر سميفرام الروماني ( قادش ٤٨ ) .

كان سميفرام معاصراً شيشرون الخطيب الروماني ( ١٠٧-٣٣ ق م ) الذي ذكره في احدى رسائله ( ١ : ١٥ ) وشبه بومبي الروماني بسميفرام على سبيل المماثلة .

## ٣- يميليك « جميليك » الاول

هو ابن سميفرام الكبير خلف اياه على عرش المملكة الحصية ، وكان محارباً لمقرس انطونيوس على اوكتافوس ولكن انطونيوس هذا خشي جانبه ففتك به سنة ٣١ ق م ونصب مكانه اخاه اسكندر .



#### ٤- اسكندر به سميفرام

ما كاد اسكندر يتبوأ العرش ، حتى كتب الفوز لاونكتافىوس على انطونيوس سنة ٣١ ق م فناهضه هذا القيصر وضيق الحناق عليه . وما لبث ان التى القبض عليه وسيق الى رومة حيث صدر الامر بقتله . وظلت حص بعد اسكندر مدة بدون ملك .

#### ٥- بمليك الثاني

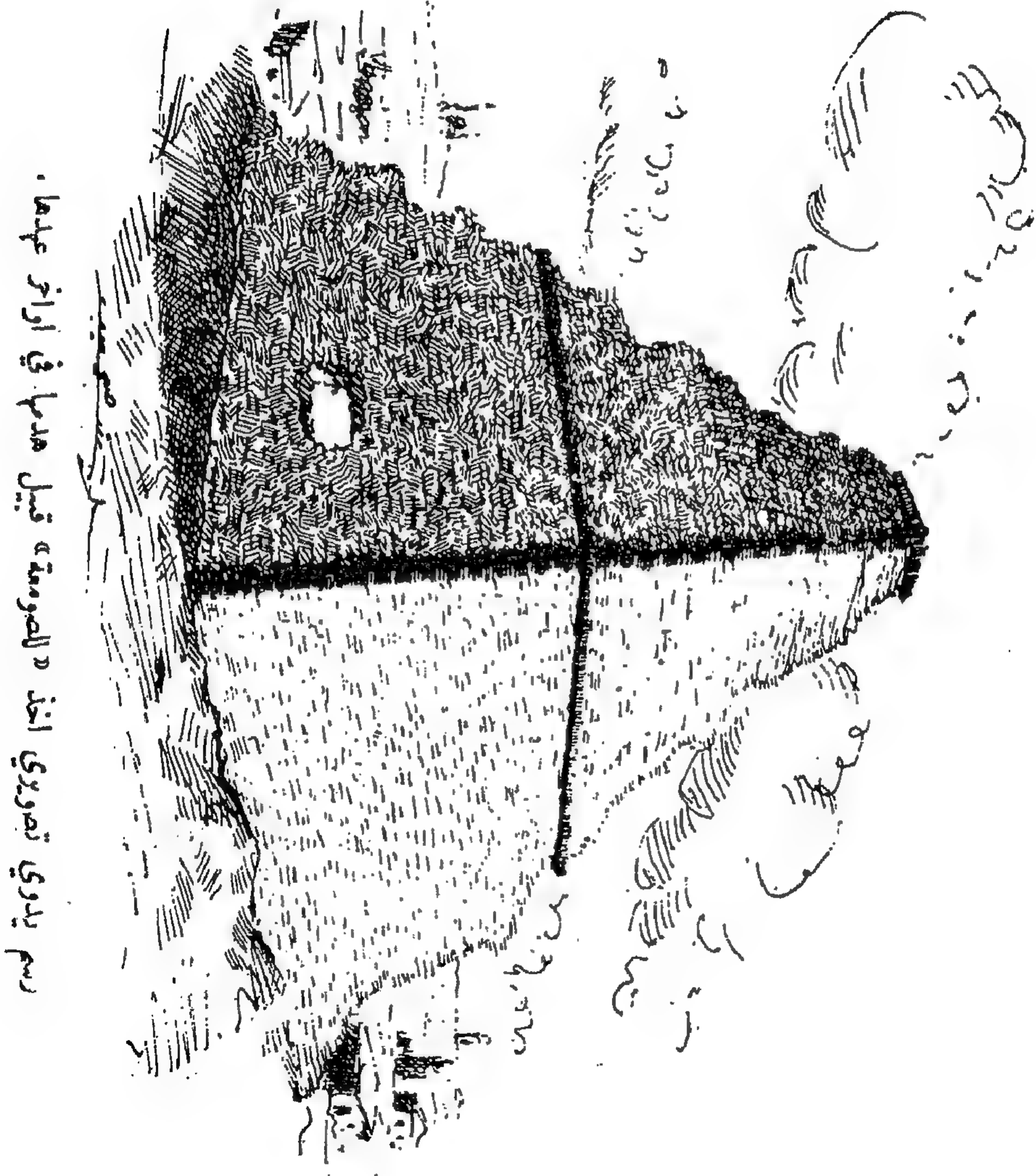
وبعدما انتضى امر اوغسطس وتسم السدة الرومانية طياريوس قيصر (١٤-٣٧ م) عاد النظام الى حص وقولى امارتها بمليك الثاني ابن بمليك الاول وذلك في السنة العشرين الميلاد ، فاستعادت حص مكانتها الاولى .

#### ٦- سميفرام الثاني

ذكر هذا الملك يوسفوس المؤرخ اليهودي (٨:١٩) وخلاصة ما قاله فيه : انه لما عاد اغريباس الملك (٣٧-٤٤) من يروت الى طبرية قابله انطيوخوس ملك كوماجنة وسميفرام ملك حص وغونوس ملك ارمينيا الصغرى وبوليمون ملك بنطس وغيرهم . فاحتق بهم اغريباس حفاوة باهرة . مظهراً شهامته وسخاءه وجدارته باستقبال الملوك المتعددين الذين يتقاطرون الى زيارته . وذكر بعض المؤرخين ان ابنة سميفرام الثاني المدعوة يوتاب اقتدرت بارستوبولس ثالث اخوة هيردوس اغريباس (قادش ٤٩) .

ويظن ان هذا الملك العظيم هو الذي بنى القصر التاريخي الذي ظل قائماً في ضاحية حص الغربية الى عهد غير بعيد (وهو المعروف عند الحصين الحداثا بالصومعة) وكان قبل الحرب برجاً يناهز علوه ١٥ متراً ، ذا ثلاث

طبقات تفتتت العالية منها وبقي من الدورين الاول والثاني زاوية طرفها من  
جهتي الغرب والشمال وقد وجدت عليها كتابة يونانية هذا نصها :  
« كايوس ايوليوس فاريا سمحي غيراموس » . وكان فيها نقوش هندسية  
جميلة وحجارة ملونة بقيت الى زمن الحرب العظمي سنة ١٩١٤ حيث دكت  
الى الحضيض وبني في موضعها البناء المعروف الآن بالسكازخانة .



رسم يدوي تصويري اخذ « للصومعة » قبل هدمها في اواخر عهدها .



## ٧ - عزيز

هو ابن سمسيغرام الثاني . وقد خلف اباؤه متسلماً بعده مقاليد الدولة الحمصية وكانت له صلات قوية مع اغريباس الاول . حتى ان هذا زوّج اليه ابنته دروسلاً كما ذكر يوسيفوس (٢٠:١٥) وخلاصة ما رواه بهذا الشأن : ان فتنة حدثت بين اليهود والسامرة . فرفع الآخرون دعواهم الى القيصر وكادوا يستميلونه اليهم لولا توسط اغريباس صديق امرأة كلوديوس قيصر (٤١-٥٤)، وفي اثناء ذلك زف الشاب اغريباس اخته دروسلاً الى عزيز ملك حمص الذي احبها حباً جماً ولاجلها تهود واختن ولكنها بعدما اقترنت به احبت فيلكس الوالي الروماني ولزمته مع وجود زوجها عزيز .

ويرى البعض ممن يريدون تبرئة دروسلاً ان عزيزاً اختن ليرضي اغريباس ولكن لما طلب هذا منه الاعتراف بالدين اليهودي أبى وسرح عروسه . ودري بالامر فيلكس حاكم اليهودية الروماني فبعث صديقه سمعان اليهودي القبرصي لخطب له دروسلاً واقنعها بفيلكس زوجاً لها بناء على الترضيات الحسنة التي وعدها بها فيما اذا اصاغت سمعاً لطلبته فنزلت عند ارادته واقترنت به .

وفيلكس هذا هو المذكور في سفر الاعمال (٢٤:٢٤ و ٢٥) وما ذكر ثمة يؤيد الرأي الاول . وقد قال في فيلكس مؤرخ روماني ما يأتي : انه جمع بين قوة الملوك وخساسة العبيد فانه سعى بقتل احد ابحار اليهود على درج الهيكل واغوى دروسلاً بنت هيرودس اغريباس الاول (واخت اغريباس الثاني وبرنيكي) فتركت رجلها وصارت اليه . ولكنه افاد اليهود بقضائه على اللصوص في معظم الانحاء وطرد المصري الموسوس الذي زعم انه نبي محاولاً اثارة العصيان اه (اليزافرت ص ٢٩٩) .

اما دروسلاً فقد ماتت تحت انتقاض بركان فيزوف سنة ٧٢ م مع ولد لها اسمه اغريباس (يوسيفوس ٢:٧٥) .

واما عزيز ملك حمص فقد مات في مدينته حمص ودفن في ضاحيتها كما اشار الى ذلك مؤلف سوريا المقدسة الذي قال : ان قبر هذا الملك يجاكي الهرم

وهو واقع خارج باب المدينة الشمالي ٥٠

## ٨ - يوليوس سسليم

هو ثاني ولد لسمسيفرام الثاني خلف اخاه عزيزاً على العرش الحمصي سنة ٥٥ م وعاصر نيرون وفاسباسيان . وعاون الرومان في حملتهم الحربية على اورشليم كما ذكر ذلك تاشيت المؤرخ (٥١:٢) وقد وجد اسمه على اثر لاتيني اللغة وجد في حفريات بعلبك هذه ترجمتها :

« الملك الكبير غايوس يوليوس صوثيم (سليم) ان الملك الكبير سمسيفرام يحب القيصر ومحب الروم . . . »  
هذا ما امكن معرفته من اسماء ملوك حمص في هذه الحقبة . ونرجح ان ثمة غيرهم قد يكشفها المستقبل اما الوقت الذي وجد فيه هؤلاء الملوك او الاسماء فيمكن ترجيح ما يلي بشأنه :

- |                        |             |
|------------------------|-------------|
| (١) دابل ملكا          | ٨٠-٦٠ ق م   |
| (٢) سمسيفرام الاول     | ٦٠-٤٤ ق     |
| (٣) جبليك الاول        | ٤٤-٣١ ق م   |
| (٤) اسكندر بن سمسيفرام | ٣١ ق م-٢٠ م |
| (٥) جبليك الثاني       | ٢٠ م-٣٤ م   |
| (٦) سمسيفرام الثاني    | ٣٤-٤٥ م     |
| (٧) عزيز بن سمسيفرام   | ٤٥-٥٤ م     |
| (٨) سليم بن سمسيفرام   | ٥٤-٧٩ م     |

## سادساً - منبت أسلة هؤلاء الملوك

بين الباحثين خلاف في الامة التي انجبت هؤلاء القادة ؟ اهم العرب ام السريان ؟ اذ لا يخفى ان منطقة حمص في هذه الحقبة حوت من الجنسين



السرياني والعربي . الاول قديم العهد فيها وقد بقيت منه بقية لا يستخف بها رغم المصائب التي نزلت بهذا القطر ، وتعدد العناصر التي بسطت سيطرتها عليه . من حثيين وأشوريين وكلدان وفرس ويونان وارمن والثاني تدفقت رجاله عليه من عهد غير بعيد . ولاسيا بعدما رأوا ضعف القوة الحاكمة . فاحتلوا ارباضه ومراثعه ، يطلبون الكلاً لمواشيهم والمأوى لعيالهم حيث استطابوا المستقر . في هذه الآونة ظهر النوابع المقدم ذكرهم فاخذت كلا الامتين السريانية والعربية تدعي صلتهم بها . وليس من السهل الجزم بأي الدعويين احق بالقبول لان كليهما ممكنة . ولكن ليس لكليهما ادلة يحل فيها اليقين موضع الظن . فلكي لا يكون في ما اتيناه نقصاً تتطلبه روح القارىء ، وتوقعاً لما يحلوه الشبه عن مجيى الدعويين نأتى في ما يلي على ما ابداه كل من الفريقين وندع للاكتشافات الحديثة جعل احدهما محجة الرواد .

يقول المدعون سريانية هؤلاء الملوك :

- (١) ان اهالى سوريا في ذلك العهد كانوا سرياناً . حتى ان الشام سميت سوريا نسبة اليهم . فلا بد أن هؤلاء الملوك كانوا من الجنس السرياني (السوري) .
- (٢) ان اسماء هؤلاء الملوك تدل على انهم سريان فان شمسي جرم مركب من لفظين سريانيين « شمشو » ومعناه الشمس و « جرم » ومعناه « الحاكم » ومعنى اللفظين معاً « الحاكم ( باسم الآله ) شمس » .

والذين ينكرون هذه الدعوى يجدون في هذين الدليلين ضعفاً . اما الاول فلأن هذه البلاد كانت مباءة لعدد كبير من الطوائف التي نزلت بها كالعالمقة والعموريين والفينيقيين والعبرانيين والحثيين والميطانيين والاشوريين والكلدان والفرس واليونان والارمن الخ . فلم نخص الحمصيين بتسلسلهم من دم سرياني ؟ ولم لا يكونون من دم آخر ينسب لاحدى تلك القبائل ؟ ولاسيا وان بعضها طال مكثها في هذه المنطقة اكثر من سواها . وتشرب الاهلون عاداتها ولغاتها كالحثيين مثلاً واليونان ؟

واما الثاني فلأن اسماء هؤلاء الملوك ليست كلها سريانية اللغة لتصح الدعوى او تترجح . واذا كان بينها اسمان ( على تقدير ان سميغرام سرياني اللفظ ) فان فيها ثلاثة اشماء يونانية واثنان عرييان وهما عزيز وسهم .

قالاستناد اذاً على الداليلن لا يؤدي الى الجزم بصحة القول في ان هؤلاء الملوك من جنس سرياني .

اما الذين قالوا بعربية الملوك فاستندوا الى ما يأتي :

(١) ان العرب الذين تسربوا الى الشمال الشرقي من سوريا في القرن الاول قبل المسيح ، كانوا من الجرأة وحب الاستقلال ما لا ينكره عليهم منكر . فلا ينكر عليهم ان يقودوا الامة التي تولوا بين ظهرانيها الى مراتع الحرية ويؤكدده ان المحصين لبثوا مدة طويلة ، ولم يجرأوا على طلب الاستقلال قبل الوقت الذي قدموا فيه الى بلادهم .

(٢) ان المؤرخين صرحوا ان سميغرام كان امير عرب حمص وملك قلعة الرستن . ومن هؤلاء الاب هنري لامنس اليسوعي ، ولا عبدة الاجتهاد مع وجود النص :

(٣) ان الآثار دلت على ان العرب المتحضرين امتزجوا بالاهلين امتزاج الراج بالما . فتعلموا لغاتهم مع محافظتهم على اقامهم الاصلية . وفي آثار الصفا قطع كتبت باللغة العربية المحضة . واخرى باللغتين العربية والسريانية معاً . وغيرها بالعربية والنبطية او العربية واليونانية . مما دل على ان الكتاب عرب . وأيد ذلك الفيلولوجيون بدليل ان ما كتبه اولئك الواقفون بغير اللغة العربية لم يكن بلغة فصحي لاخذهم تلك اللغات عن المتحدثين لا عن المتعلمين (المباحث ٤: ١٧٦) . على ان هذه الادلة وان كانت اقوى من تلك فانها ما برحت ضمن دائرة الظن المرجح . والجزم بصحة احد الرأيين انما هو تسرع يأباه من كانت الحقيقة الناصعة هدفاً له ، وانما لحصنا ما قاله الفريقان لاطلاع القارى . العزيز ، غير جازمين بأيهما اولى بالتزول عنده ، لان قضية كهذه يلزمها لاجل التيقن أدلة أوفى وشواهد اصرح .

### سابعاً - اللسان اليهودي

من كان لهم صلة بتاريخ حمص في هذه الحقبة ، ملكان يهوديان مرّ ذكرهما اكثر من مرة . ولكي يحيط القارى . بتاريخهما الخاص الذي له صلة



بالتاريخ العام ، نأتي بترجمتها ملخصة في ما يلي :

## ١ - اغريباس الاول

هو هيردوس اغريباس بن اريسطوبولس بن هيردوس الكبير . ولد في سنة ١٠ ق م ، ولما قتل جده هيرودس اياه اريسطوبولس سنة ٧ م أرسل الى رومة حيث تربى هناك مع كليوباترا وكاوديوس وهما في سن الصبا . وعاش براحة كل مدة ملك اوغسطس . فلما تسنم العرش طيباريوس اودعه السجن لاشتباكه باخلاصه وظل سجيناً حتى مات طيباريوس . فلما خلفه كليغولا سنة ٤٠ م اخرج من السجن وصاغ له سلاسل من ذهب ثقل السلاسل الحديدية التي قيده بها طيباريوس . وولاه على جزء من مملكة جده هيرودس الكبير ثم سماه ملكاً سنة ٣٩ م . فغارت اخته هيردويا واغرت زوجها انتيباس بالذهاب الى رومة القاساً لعطف القيصر عليه وتنصيبه ملكاً . ففضى ومعه هيردويا . ولكن اغريباس اسرع وشكا للعاهل صهره المذكور متهاً اياه بتآمره مع سجانوس على طيباريوس . وانه مالا اربطان ملك برثيا ضد الرومان . وأيد دعواه بوجود اسلحة في خزائن انتيباس تكفي اسبعين الف رجل . ووصلت الرسالة قبل وصول انتيباس فأثارت غضب القيصر عليه . ولما لم ينكر انتيباس وجود الاسلحة عنده حينما استجوبه غايوس كليغولا عزله القيصر للعزل ونفاه الى ليون . لكنه ترك لهيردويا ما كان لها من المال واعدأ اياها بالعرف عنها اكراماً لاختها اغريباس . فأبت هي نيل العفو مؤثرة عليه النبي مع زوجها ( يوسيفوس ١٨ : ٩ ) .

بعد هذه الحادثة عدة دفع الفرور كليغولا ان يدعي الالهية . واصر باقامة النصب له في كل المعابد حتى هيكل اورشليم . فقاومه اليهود مقاومة عنيفة ، وكان اغريبا في رومة فاستدعاه القيصر واظهر نغمته لما عمله قومه في اورشليم . فأغمي على اغريباس ونقل الى فراشه في تلك الحالة . فلما افاق كتب رسالة الى القيصر يرجو منه فيها اطالة اناثه ، وتأجيل اقامة التمثال الى فرصة يستنحها هو . ومن حسن حظ اغريبا ان القيصر قتل بؤامرة اغتاله فيها رئيس حرسه في ٢٤ ك ٢ سنة ٤١ .

ورأى اغريبا ان يستفيد من الحادث فسعى لدى ذوي النفوذ من الرومان باقامة كلوديوس قيصرأ ونجح . وعرف كلوديوس له هذا الجليل فكافأه باعطائه حكم اليهودية كلها . وطابت بذلك نفوس اليهود فعظموه لدفع ذاك البلاء عنهم . وقدر لهم هو هذه العاطفة ولكنه غالى في ارضائهم اذ قبض على يعقوب بن زبدي وقتله بالسيف بغير ذنب جناء ارضاء لهم سنة ٤٤ م .

وذكر يوسيفوس (١:١٩) ان اغريبا هذا بنى في بيروت ملعباً ومسرحاً وحمامات وايوانات جميلة ولكنه جعل المسرح مشهداً لمؤامرات تمجيد المدينة . اذ امر باحضار اربعةئة رجل محكوم عليهم بالموت . ثم قسمهم فرقتين تتقاتلان حتى لا يبقى منهما احد .

واتى اغريبا الى قيصرية بعد ذلك لمشاهدة الملاعب التي اقيمت لاجل القيصر . وكان لابساً حلة فائقة البهاء . فاجأه الحضور كله . وارتاح هو الى ذلك بدلاً من ان يردع الملقين . ورفع عينيه الى فوق ابان ذلك فوجد دماً فوق رأسه فتشاءم منه . وللحال شعر بنقص يقطع امعاءه . فحمل الى قصره ، وكابد العذاب خمسة ايام متوالية . ثم قضى وهو في الخامسة والخمسين من عمره لمروء سبع سنوات على ملكه (١ ع ١٢: ٢٠) .

## ٢ - اغريباس الثاني

هو ابن اغريباس الاول . وسماه يوسيفوس اغريباس الصغير او الشاب تمييزاً له عن ابيه . ولد سنة ٢٧ م في رومة اذ كان ابوه مقيماً فيها وظل هناك الى ان توفي ابوه سنة ٤٤ وكان عمره هو ١٧ سنة . فوعده كلود باقامته مكان ابيه ، ولكنه اخلف وعده هذا اتباعاً للصيحة مستشاريه . على انه عطف عليه بعدئذ . واقامه سنة ٤٨ ملكاً على كلشيد التي كانت لعمه هيردوس . وسنة ٥٢ اضاف له الربع الذي كان لعمه فيلبس . ثم ضم له ايضاً الابلية التي كان فيها ليسانياس .

ولما جلس نيرون على العرش اضاف الى ملكه بعض مدن الجليل وبيربة وولاه حراسة الهيكل وحق انتداب الخبر الاعظم . فتظاهر اغريباس بالغيرة



الدينية ليستميل اليهود اليه ، ولكن هؤلاء ترددوا في تصديق ما اظهره لانه  
ترجى عند الرومان الوثنيين . وكان شكهم في محله لانه اتفق مع الرومان يوم  
عصاهم اليهود . ومما قلل اعتباره عندهم عيشته غير الطاهرة مع اخته برنيكي .  
بلغ اغريباس هذا الثالثة والسبعين من عمره ومات في رومة سنة ١١  
او ١٠٠ م وكان آخر الهيروودسين ، وآخر المتسلسلين من مرثني ، وآخر المكابيين  
وهو الذي احضر بولس الرسول امامه .

### ثامناً - الادب اليوناني في هذه الحقبة

حاول بعض المتعصبين للغة الآرامية (السريانية) إثبات انها كانت سائدة المنطقة  
الحصية في هذه الحقبة . متخذين دعامة لرأيهم ورود كلمات آرامية فاه بها السيد  
المسيح في الانجيل . وذهل هؤلاء عن ان كتابة اسفار الانجيل باليونانية تدل على سيادة  
اللغة في هذه البلاد . اذ لولا ذلك لما كتبت بها هذه الاسفار التي لم تكتب  
للخاصة فقط بل للعامة ايضاً .

على ان تثبت البعض بزعمهم ان اللغة الاولى الآرامية هي السريانية  
ينفيه ما اورده العلامة ديونيسيوس بن الصليبي السرياني في مؤلفه تفسير  
التكوين ( المخطوط ) اذ يقول : « ارتأى كثير من الملافنة ان اللغة الاولى  
الآرامية هي اللغة السريانية . اما يعقوب الرهاوي وموسى بن كيفا واقليمس  
تلميذ الرسل واوسابيوس الحصي ، فيثبتون انها العبرانية . بدليل ان اسماء آدم  
والبطاركة انا هي الفاظ عبرانية . وقد استعارها اللسان السرياني من العبراني  
كسائر اللسان .

وثمة دليل آخر الآية الكتابية التي قيل فيها : « هذه تدعى امرأة  
لانها من امرىء مأخوذة » فهذا اللفظ لا يوجد له اشتقاق في لساننا . وانما هو  
مشتق من نفس لفظه في العبرانية . اذ ورد فيها « هذه تدعى إيشا لانها من  
الايث أخذت اه » .

ومن هذا يفهم ان اللغة السريانية لم يكن لها اهميتها الاولى في هذه  
الحقبة . وحسبك ان تعلم ان الادب اليوناني ساد الطبقات العليا من الامة

السورية . حتى ان كثيرين من العلماء اتخذوا اسما يونانية مثل «ديودوت» و«ذيوس» و«فياوسترآت» وغيرها وكلهم ألفوا باللغة اليونانية . ومعظم الشهرة التي نالها فيلو الجبيلي ، انما استمدتها من كتاب ألفه او نقله الى اللغة اليونانية لتاريخ فينيقية . وهو السفر الذي استفدنا منه كثيراً لنشأة حمص في دورها الاول .

ΕΤΘΥ

ΚΥΜΗ

ΝΟΕ.ΑΔΕΑ

ΑΑΙΟΥΚΒ

ΜΟΚΕΙΜ

ΘΕΜΑΘΕΙ

ΟΥΑΛΥΠΕ

ΧΑΙΡΕ

وقد روى سترابون ان قد بنيت

في صيدا بين سنتي ٤٠ و ١٨ ق م مدرسة

عالية لتدريس فلسفة اريسطو اليونانية .

وانه هو نفسه قرأ الحكمة فيها .

ورافقه في طلبها فينيقي اسمه «بوثيوس»

وعرف أبا لرفيقيه اسمه ديودوت كان

من طلاب الفلسفة ايضاً .

والذي يستطيع مطالعة ما ابقاه

الدهر من مؤلفات ابنا . هذه البلاد

لا يكاد يرى فيها فرقاً عن كتاب

اليونان الخالص . واستغرب بعض الباحثين

شدة تأثير هذه اللغة التي اجتاحت لا

مصر والشرق الادنى فقط ، بل غشيت

سوريا كلها في زمن قصير حتى اوغلت

في البادية واستهوت بعض قبائلهم

لجعلتهم ينتحلون الاسماء اليونانية .

وفي حمص نفسها وجد العلامة

ودنيكتون ١٧ اثرأ يونانياً في مجموعه

كتابة يونانية منقولة عن حجر محطمة في زيدل

المشهور ( ٢٥٦٧ — ٢٥٧٠ ) . ثم وجد الموسيو دوسو سبع كتابات اخرى نشرها

في تاريخ رحلته . وكان قبل ذلك قد اخذ بعض العلماء رسوم كتابات غير

هذه لم يحسنوا رسمها . منهم برتون ودراك . ثم تلاهما الفلامتان فوسيه وبردريزه .

وذكر صاحب المشرق ( ٤٦٤ ) انه وجد نحو ٧٠ اثرأ يونانياً ، ولعل ما

وجدناه في زيدل احدها .



## تاسماً — زراعت حمص

دعا بعضهم الحلقة التي استولى فيها السلوقيون على سوريا «حقبة حمص الزراعية» واذا ساغ اطلاق هذا الاسم عليها فيجب ان يُخصص بالحقة السادسة التي سلم نطاق العمل فيها الى حكومة وطنية، يهمها الشؤون الزراعية اكثر من كل شأن آخر. لانهم اختبروا طبيعة الارضين وعرفوا تربة كل شبر فيها، ولائي نوع من انواع المستنبات يصلح. ولذلك بلغت الزراعة في هذه الحلقة درجة هامة. لا في حمص فحسب، بل في سوريا كلها. ولاسيا ما اتصل منها بحمص اتصالاً مباشراً.

ورأى بعضهم ان المحصين بلغ من اجتهادهم في هذا الشأن، ان تفوقوا على المصريين لذلك العهد. ولم يفضلوهم فقط بل بلغوا شأواً يكاد يقصر عنه من عانى الزراعة في البلاد المتمدنة الآن.

ومما خولهم هذا التفوق، طبيعة الارض نفسها. فان سهل حمص الواسع الخصيب، والاراضي الواقعة على ضفتي العاصي الممتدة مسافة طويلة، والجبال المشرفة عليها، والاحراش التي تستجلب المطر والندى، كل ذلك جعل مهمة الزراعة الشاقة سهلة. وجعلت الحراثة امراً ميسوراً. فكانت الحائل الباسقة الاشجار تكتنف العاصي من منبعسه حتى مصبه. والاراضي الممتدة من شرقي حمص حتى الموضع المسمى الآن الفركلوس، كانت عبارة عن غابات من الزيتون، لا تنتهي احداها حتى تبتدى. الاخرى، وقد وجد الاثريون، ولاسيا المهندس النمساوي يوسف ثرنيك والعالم شاس (الدبس ١٤٥٤) آثار عشرين رحي ضخمة ونيف لعصر الزيتون في هذه البقعة. مما دل على ان هذه المنطقة كانت غنية بزراعتها من زيتون وعنب وحبوب. وكان الزيت والخمر والقمح الذي يستخرج من البساتين والكروم والحقول في منطقة حمص، من أجود انواعه، حتى ضرب المثل لجودته بعدئذ كما سيمر بك في حقبة اخرى. وانما يستغرب ما نراه ولا يكاد يصدق ما نقول من ير الآن بصحراء حمص الى تدمير ويرى الاراضي الجرداء المهمله، لولا ان الاثريين شاهدوا بالعين المجردة آثار هذا العمران واطلال المدن والقرى

والمزارع واقنية الماء الممتدة من جنوبي حمص حتى تدمر .  
والآمال معقودة على يقظة المحصين الحديثة لاسترداد ما خسروه في  
المدى الطويل من أيام الاستعباد .

### فهرسة حوادث هذه الحقة

لما حاول السلوقيون ارغام اليهود على اتباع عاداتهم ، التي  
لم يكن في اليهود استعداد لقبولها ، ولا سيما ما كان منها مخالفاً  
لعقائدهم الخاصة ، نظير التضحية للاوثان ، واقامة نصب لها في  
في الهيكل ، ثار اليهود عليهم في فلسطين . وظلوا يناضلونهم حتى  
كسروا نيرهم الذي طوقوا به اعناقهم مدة طويلة . ونالوا  
الاستقلال سنة ١٤٢ قم بعد نضال استمر نحو ربع قرن . وأدى  
هذا الاستقلال الى اضطراب الأمن في البلاد السورية . وساور  
ذلك حوادث داخلية وخارجية اقلقت الخواطر مدة ليست بقصيرة .  
ومن تلك الحوادث تراحم امراء السلوقيين على العرش ، ومحاربة  
احدهم الآخر ، واستعانة بعضهم على ما يطمعون اليه بالاجانب  
عنهم . مما جرأ العرب على اقتحام البلاد السورية واستقرارهم في  
بعض مناطقها ، وظل الامر كذلك الى اوائل القرن الاول  
السابق للميلاد . فاستسبح المحصيون هذه الفرصة لنيل استقلالهم ،  
وخاف السلوقيون ان يؤدي رفضهم ما يطمع به المحصيون ، الى  
فتنة اخرى في سوريا المجوفة التي احتل قاعدتها الكبرى (دمشق)  
العرب . فمنحوهم استقلالاً ادارياً مشروطين عليهم الاعتراف بسيادة  
السلوقيين العليا . فرضي المحصيون بهذا الشرط علماً منهم ان هذه



السيادة لا تتجاوز اللفظ . وتم هذا الاستقلال الاداري بعد سنة ٩٦ ق م . حيث هيا الحمصيون انفسهم للحياة الوطنية بإرشاد نخبة من اعيانهم . الذين عرفوا بعدئذ بالمرء او ملوك حمص . وقد عرفنا من هؤلاء ثمانية اشخاص ، ونأمل ان ترشدنا اكتشافات جديدة الى معرفة الباقيين .

ونذكر في ما يأتي اسماء من عرفناهم مع تقدير سنة وجودهم على العرش الحمصي ، وهم : دابل ملكا ( ٨٠ ق م ) سمسيفرام الاول ( ٦٠ ق م ) جبليك الاول ( ٤٤ ق م ) اسكندر ( ٣١ ق م ) جبليك الثاني ( ٢٠ م ) سمسيفرام الثاني ( ٣٤ م ) عزيز ( ٤٥ م ) سميم ( ٥٤-٧٩ ) .

واختلف الباحثون في الامة التي نبغ منها هؤلاء الامراء . فظن بعضهم انهم من دم سرياني ، وبعض انهم من دم عربي . ولكل من الفريقين حجج تسمع . وليكنها ما برحت ضمن دائرة التخمين . غير ان المتفق عليه انهم حمصيو المولد والمنشأ . وقد بلغت زراعة حمص في هذه الحقبة درجة ممتازة . كاد يسبق فيها الحمصيون معاصريهم من المصريين . مع ما لديهم من بسطة يد فيها في ارض يخترق بقعتها وادي النيل المشهور بخصبه . وقد وجد الاثريون في منطقة حمص آثار ارحبة كثيرة ضخمة تتجاوز العشرين . لاجل عصر الزيتون الذي ملأت غاباته الاراضي الممتدة من شرقي مدينة حمص حتى الفركلوس . كما ان الجائل الباسقة الاشجار اكتفت وادي العاصي من منبعه حتى مصبه . فكانت حمص مضرب المثل بما تنتجه بسايتها وكرومها وحقولها

من زيت وخمر وفتح .

وطلت اللغة اليونانية في هذه الحقبة مكانتها ، اذ استعملها الكتاب الوطنيون في الدواوين والمؤلفات والمكاتبات الخصوصية التي بقي منها عدد ليس بقليل الى الآن .

المعمورة الى منطقة حمص من كتاب هذه الحقبة

#### (١) ارثيميدورس

جغرافي اغريقي من افسس نبغ في اوائل القرن الاول قم وطاف اسبانيا والبحار الاسود والمتوسط والامر ، والاوقيانوس الهندي بغية اصلاح الاغلاط التي ارتكبها الجغرافيون الذين سبقوه . ألف كتاباً في سياحاته وقع في ١١ جزءاً لم يبق منها سوى قطع حفظها سطرابون ومركيان وسواهما من القدماء . جمعها بعدئذ هيسون وطبعها سنة ١٦٩٨ في اوكسفورد .

#### (٢) كايوس سلاست ( ٨٦ : ٣٤ قم )

كان والياً لدولته في افريقيا ، فآثرى وعاد الى رومة فبنى فيها قصراً فخماً تحيطه حدائق غناء ، فكان مقصد رجال النبل وحملات الاقلام . فاستفاد من هذه الاجتماعات جداً ووعى في فكره الشيء الكثير من وقائع عصره فوضع عدة كتب تاريخية جعلته في مصاف اعلام المؤرخين . وبقي لنا من مؤلفاته هذه سفران نفيسان ، الاول « مكيدة الكاتلين » ، والثاني « الحرب الجوغراتية » . كلاهما من اثمن ما كتبه الرومان بحسن السبك وطلاوة النثر . وهما يدرسان الآن في معاهد العلم في اوربا واميركا كنموذج انشائي يجذى حذوه .



### (٣) نقولا الدمشقي

ولد في دمشق سنة ٧٤٠ ق م ، ونسب في صدر القرن الاول للميلاد ، ومن اهم ما خلفه للعلم والعلماء ، ترجمتان وضعهما لهرودوس الادومي واوغستوس قيصر ، وتاريخاً عاماً شغل ١٤٤ جزءاً ، قال به شهرة واسعة لحسن أسلوبه وفصاحة عبارته ، لم يبق منه الى الآن سوى فقرات باللغة اليونانية انتفعنا بها لموضوعنا التاريخي ، رآها القارىء في مواضعها .

### (٤) بوليستور

هو اسكندر اليوناني العلامة الذي لقب لسعة اطلاعه وغزارة معارفه بوليستور «الكثير القصص» ، ولد في ميليتوس ، واسره الرومانيون سنة ٨٥ ق م في الحرب التي اثارها على مريدات ، فصار عبداً لكرنيليوس لنتولس . ولكن هذا لما رأى غزارة علمه وحسن ادبه اعتقه وعهد اليه تهذيب اولاده ، فقام با انتداب له قياماً حسناً . ثم توفي سنة ٧٥ ق م .

من آثاره القليلة عدة مؤلفات في الفلسفة والجغرافية والتاريخ معتبرة جداً ، وقد روى ما قصه القدماء نظير كتابازياس وبيروز بصورة تستجلب النظر . ولكن لم يبق مما ألفه سوى بعض قطع من كتاب عنوانه «تاريخ امم المشرق» وكتاب آخر «نبذة في اليهود» وكلاهما مترجمان (البستاني ٣-٥٧٠ م) .

### (٥) ديونيسيوس الهاليكرناسي

يوناني الجنس اتى رومة سنة ٣٠ ق م ودرس اللاتينة فأتقنها . ثم جمع ما يلزم لتأليف تاريخ كبير نشره سنة ٧ ق م . وقد حوى هذا التاريخ فوائد قيمة لا توجد في سواه .

أصل في أوله الدول اللاتينية الى سنة ٢٦٦ قم ثم فصل كل ما له صلة برومة القديمة ، من عادات وشرائع فوقع مصنفه هذا في عشرين جزءا لم يبق منها الى الآن سوى ١١ وبعض قطع من الاسفار الاخرى .  
ولديونيسيوس المذكور مؤلفات اخرى عدا تاريخه الكبير ، انتقد في بعضها المؤلفات القديمة لـ مكتبة اليونان ، وبجث بدقة في فصاحة ديوستين وانشاء توسيديديس وغير ذلك .

### ٦) سطرابون ( ٦٠ قم - ١٥ م )

اشهر جغرافي العصور القديمة ، ولد في اماسيا كبدوكية سنة ٦٠ قم واخذ الفلسفة عن المشائين ، والفصاحة عن ارستوذيموس الفينيقي ، والغراماطيق عن تيرانايوس الحمصي . ثم مال الى الاسفار فطاف غربي آسيا وشمال افريقيا وسوريا وفينيقيا . ثم سار الى بلاد اليونان وايطاليا ، وبعد عودته ألف جغرافيته الشهيرة التي وعت كل معارف عصره ( قبيل الميلاد ) وكان يعتمد في ما نقله على بوسيدون الافامي .

ومن خصائص سترابون قوله : ان اول من سمي الاراميين سوريين هم اليونان اذ لم يكن هذا الاسم معروفا عند هوميرو وهسيود . وذكره العاصي باسم اورانتس وكان اسمه القديم تيفون ، وهو الذي سمي السهل المنبسط بين لبنان الشرقي والغربي سوريا المحبوبة .

### ٧) ديودور الصقلي

احد مشاهير كتاب اليونان ، نبغ في ايام اوغسطس وعاش الى زمن طيباريوس . وله مصنف جليل سمي « المكتبة التاريخية » وهو تاريخ عام يبتدىء من الخليقة وينتهي بموت يوليوس قيصر . وقع في ٤٠ جزءا تضمنت الاولى منها اساطير اليونان . والاحد عشر التابعة لها ، تاريخ الحوادث من حرب تروادة



الى ميوت الاسكندر ، والباقية من موت الاسكندر الى قتل يوليوس قيصر ،  
ولم يبق من مصنفه هذا سوى الاجزاء الخمسة الاولى ، ومن العاشر الى العشرين ،  
مع بعض قطع من الاجزاء السادس والسابع الى العاشر .  
وقد استغرق تصنيفه هذا التاريخ ٣٠ سنة . قضاها بتعري ما رواه ،  
ولذلك وثق به المؤرخون .

### ٨) اوبيد ( ٤٣ ق م - ١٨ م )

شاعر روماني نشأ من اسرة شريفة رشحته للمعاماة ، ولكن ميله لقرض  
الشعر حال دون نجاحه . وساح في آسيا وصقلية ، ثم عاد الى رومة .  
تزوج ثلاثاً ، فترك الاولى لحياتها ، والثانية لعذها اياه ، اما الثالثة  
فقد عاش معها برغد نحو عشرين سنة من سنة ١٣ ق م الى سنة ٨ م ، حين  
نفاه القيصر الى تومي على البحر الاسود ، وهناك كتب معظم قصائده التي  
من اهمها ديوان عنوانه « المسخ » وقع في ١٥ جزءاً ، وفيه مطال على البقاع  
السورية .

### ٩) فيلون الجبيلي

مؤلف له شهرة في التاريخ . نبغ في مدينة جبيل في القرن الاول ،  
واشهر ما تركه من الآثار ترجمة تاريخ فينيقية لسنكونياتون الى اليونانية . وقد  
حفظ اوسابيوس فقرات كثيرة من كتاب فيلون المذكور وذيها بقوله :  
ان هذه الامور عني ببسطها سنكونياتون وهو مؤلف قديم جداً يقال انه كان  
قبل حرب تروادة وانه كتب التاريخ الفينيقي متحريراً الصدق ، وقد نشر فيلون  
الجبيلي جميع مصنفات هذا المؤرخ بعدما ترجمها الى اليونانية وذكر ذلك خصصنا  
المعاصر ( يعني برفيريوس الصوري ) .  
وذكر اوسابيوس مقدمة الجبيلي لتاريخ سنكونياتون وخلاصتها انه اراد

ترجمة هذا التاريخ ايظهر خطأ الذين يزعمون ان قصص الآلهة غير حقيقية . وانما هي رموز لحوادث طبيعية . وتقلبات فلكية . وانه اراد اظهار تاريخ الفينيقيين من غير كتب اليونان . الذين لا يوافق احدهم الآخر ، بل يقتصر كل منهم على انتقاد الآخر فضاعت بهذا الحقائق التاريخية .

### (١٠) بليني الكبير (٢٠-٧٩ م)

ولد من اسرة شريفة ، ولما بلغ سن الشباب تجند وظهرت بسالته في عدة معارك (٤٦-٥٢) فلما ملك نيرون اعتزل الجندية وانصرف الى العلم . وظل كذلك حتى ملأ وطابه منه . فلما مات نيرون عين عاملاً للدولة في اسبانيا . ثم اعتزل السياسة واهتم باتمام تاريخ اوفيد باسوس فأوصله الى ايامه في ٣١ مجلدأ . ومات بعد ذلك ضحية العلم بينما كان يراقب هيجان بركان يزوف سنة ٧٩ . وقد ترك مؤلفات كثيرة لم يبق منها سوى تاريخه الطبيعي في ٣٧ جزءا .  
ومما له صلة بموضوعنا انه ذكر في كتابه (١٩:٥) ان في كورة لاذقية لبنان ( يريد سهل حمص الجنوبي ) مدينة باراديسوس (فردوس) وهي التي رجع الاثريون انها كانت في موضع جوسية القديمة .

### (١١) يوسفوس اليهودي (٣٧-١٠٣)

هو يوسف بن كبرون المؤرخ المشهور ، ولد في اورشليم من اب يعتبر من اعظم كهنة اليهود وامه من سلالة المكابيين . ظهرت حذاقته منذ صباه . ثم سافر وهو ابن ٢٦ سنة الى رومة للمعاماة عن بعض اليهود ، وعاد بعد ثلاث سنوات فوجد الثورة اليهودية ناشبة في البلاد فاول تهدئة خواطر قومه لما عرفه عن قوة الرومان . فلم يفلح بل بالعكس ارغمه الثائرون على الانتظام في سلكهم . ثم قلده زعامة الثائرين فأحسن القيادة ورأى ان يتجنبوا الخطر بالتحصن في الجليل . وجاهدوا ملياً فلم يفلح سعيهم ، وبعد جهاد ٧٤ يوماً



اضطروا للتسليم ، والذين رفضوا الاستسلام ومنهم يوسيفوس قتل بعضهم بعضاً ولم يسلم سوى يوسيفوس . فاعتقله فاسباسيان واحتفظ به لانه تكهن بصيرورة الملك اليه . فلما صحت نبؤته بعد ثلاث سنوات اطلق سراحه . وصفح عن اخوته وخمسين من رفاقه .

على ان هذا لم يؤته حسن الحظ لان قومه تقموا عليه والرومان لم يشقوا به . فكان ذلك من حظ التاريخ ، لانه لزم بيته وانقطع الى الكتابة عن اليهود وآثارهم وتوفي في رومة سنة ١٠٣ م .

ومن آراء يوسيفوس الخاصة بتاريخ حمص ، ذكره سوريا المجوفة ذكراً حسناً وتعيينه فيها حماة باسم ابيفانيا ، وتعليقه وجود مستنقعات في سوريا المجوفة بانها نتيجة ركود المياه التي يتخلف عنها تراب هذا السهل الحصب الخ (١١ و١٢) .

## (١٢) ابيان

مؤرخ يوناني ولد في الاسكندرية في اوائل القرن الثاني م ، ونبع في اواسط القرن المذكور ، اذ سار الى رومة في ايام ترابان وظل فيها الى ان مات انطونيوس بيوس فلمت مواهبه ككاهن . ولما تقدم في السن سعى له صديقه فرونتو فشغل مركز نائب الامبراطورية . ثم مديراً للضرائب في مصر . وقد ألف تاريخاً رومانياً سلك فيه مسلكاً جديداً اذ لم يتقيد بالتاريخ في ذكر الحوادث ، وانما ذكر كل الامم التي خضعت للرومان كل واحدة على حدة حتى ينتهي منها فيباشر سواها ، مبتدئاً من فجر تاريخ تلك الامم الى ان تندمج في الامبراطورية الرومانية .

وقع مؤلفه في ١٤ مجلداً باللغة اليونانية ، بقي منها الى الآن ١١ مجلداً وبعض قطع من اجزاء اخرى . وقيمة مؤلفه في وضوحه ودقته وتواضعه ، وهما منه بنوع اخص تاريخ السوريين والحروب التي نشبت فيها . وقال فيه بعضهم لولا كتاباته لنقص تاريخ العالم في اماكن كثيرة .



## الحقبة السابعة

حمص

في ايام الرومان عموماً وأسرة باسيان القيصريّة  
خصوصاً

٧٩ م - ١٩٣ - ٢٣٥ م

نوطه

تدخل حمص في هذه الحقبة تحت سلطة قياصرة روما . وقد تسم العرش  
الروماني من ابنائها عدة قياصرة استغرقت سيادتهم نحو ٤٢ سنة . فلا بد  
لنا والحالة هذه من الاطلاع بتاريخ الرومانيين لفهم حقيقة الحوادث التي لها صلة  
بتاريخ حمص . اذ بمعرفة الاسباب والمسببات تدرك حقيقة التطورات التي حدثت  
وصلة مدينة حمص التاريخية بها . ونقسم الماعانا هذه الى ستة فصول يرى  
فيها القارىء صورة مصغرة لتاريخ الامة الرومانية التي كانت صغيرة وضعيفة في  
اول امرها ، ولكنها تقدمت حتى سبقت كل ممالك العالم بقوتها وامتداد سلطتها .

أ - اصل الرومان ١١٨٤ - ٧٥٣ ق م

لا يعرف شيء أكيد عن اصل الرومان القدماء . ولكن التقاليد اجتمعت  
على انهم من اصل شرقي ، وان مصدرهم الاصلي تروادة .



فقد روى رهط من المؤرخين بعد تنقيتهم - من الخرافات والمبالغات الشعرية - الاساطير التي وصلت اليهم ، ان اينياس احد امراء تروادة لما كل من العراك ، وعجز عن رد الاعداء الذين دخلوا المدينة بالقوة سنة ١١٨٤ قم (الياذة هوميروس ن ٢٠ ص ٩٧٣) لجأ مع أسرته وقسم من ابطال تروادة الى معقل جبل ايدا . ظناً منه ان الفاتحين يرحلون دون انتباههم اليه . غير ان المحاصرين بعد هدمهم المدينة وجمعهم الغنائم تتبعوا اينياس للايقاع به وبمن معه . فسألهم السلام فقبلوا طلبه على ان يغادر البلاد للحال . فرحل الى لاتيوم الواقعة شرقي نهر التير ، بعدما ترك قسماً من رفاقه في احدى جزر مكدونية ، وقسماً آخر في صقلية . ودرى لاتينوس ملك لاتيوم بالنازلين في جواره فخشي جانبهم . ولاسيا اذ رآهم جيشاً منظماً مهيباً للقتال . ولكن لما اخبره اينياس بما جرى له وانه تزيل لا ينبغي بضييفه شراً ، بل هو مستعد لمعاونتهم على طوارئ الزمن . ارتاح لكلامه ورغب في مجاورته لانه كان في حالة نزاع مع بعض مجاوريه . ففسح المجال لسكناء مع رجاله وزوجه لافينيا ابنته واصبح الفريقان شعباً واحداً بطريق المصاهرة . وظهر اينياس تقديره للاتينوس ببناؤه مدينة سماها لافينيوم باسم زوجته اكراماً لها (يورتز ص ٣٨٢) .

ولما مات لاتينوس ولم يكن له من يخلفه استتب الامر لاينياس ، وملك بلاد اللاتيوم بلا معارض فلما مات خافه ابنه اسكانيوس من كبرياء ابنة بريام ملك تروادة . الذي بنى مدينة البالونغا (المدينة الطويلة) تاركاً لافينيوم لاختيه سلفيوس ابن لافينيا وكان بناء البالونغا بعد لافينيوم بثلاثين سنة . ملك اسكانيوس ٢٢ سنة ومات خلفه بارادة الامة اخوه سلفيوس ومن ذرية سلفيوس هذا تسلسل نحو ١٢ ملكاً ملكوا نحو ٤٠٠ سنة ومن دم نوميتير آخرهم ولد روملوس الذي بنى مدينة روما سنة ٧٥٣ قم (تاريخ الرومان لطاراد ص ١-١٢) .

## ٢ - عهد الملوك (٧٥٣-٥٠٩ ق.م)

لما انهى روملوس بناء مدينة روما ، اختاره الشعب ملكاً عليهم ملقين

اليه مقاليد الامور . فاهتم بتنظيم شؤون الامة التي انضوت الى لوائه . واتفق بعد مدة مع زعيم قبيلة السابينيين فتألفت من القبيلتين دولة واحدة . وفي ايام هؤلاء بني الكايتول والكورينال والبلاطين فكان الاولان في حظ السابينيين والاخير للاتيين . ولما قتل تاتيوس زعيم السابينيين انفرد بالسلطة روميلوس حتى مات بعدما قضى سيداً نحو اربعين سنة .

وخلفه بعد سنة رجل من اشراف السابينيين اسمه نوما بومبيليوس اشتهر بالفضل والاستقامة وكان من القادرين على ضبط ميولهم الخاصة الجانحين عن الرغبة في السيادة والاستئثار بمصالح الآخرين . وكانت امرأته تاتيا بنت الملك تاتيوس مثله بعدم الرغبة في ايجاد الدنيا . توفيت بعدما عاشت معه ١٣ سنة . فلما قضت زهد في الدنيا واعتكف في البرية على عبادة الآله الواحد (بلوترخ) . هذا انتدبه الرومانيون لتسم عرش رومة فأبى . ولكنه بعد الاسلحاح الشديد ورؤيته الحاجة الماسة الى املاء العرش الفارغ . تفادياً من حدوث انقسام ، قبل طلبهم . ولما اسند اليه الحكم سن لهم الشرائع النافعة وبني هيكلًا ليانوس الذي زعموا انه يخرج مع الرومانيين في الحرب . لذلك كانوا يفتحون ابواب الهيكل ابان الحرب ويوصدونها في ايام السلم . على ان ابواب الهيكل المذكور ظلت موصدة كل مدة حكم نوما لمحبه السلم . ولكنها فتحت بعده وظلت كذلك الى ايام اوغسطس قيصر ، اذا استثنينا مدة وجيزة تخللت القرون السبعة التي وجد فيها الملوك .

ومن اعمال نوما العلمية اصلاحه حساب السنة اذ كان العام عند الرومانيين ٣٠٤ ايام يجعله ٣٥٥ يوماً حسب الاشهر القمرية وجعل بداية السنة كانون الثاني بدلاً من آذار . ولكي تطابق السنة الشمسية ، قرر اضافة شهر هكل عامين ايامه ٢٢ في السنة الثانية و٢٣ في الرابعة وهكذا دواليك .

مات نوما عن ٨٢ سنة بعدما ملك ٤٣ عاماً خلفه سنة ٦٧٣ قم طليوس استيليوس وهو ابن احد قادة جيش روميلوس فوسع تحوم المملكة بمماركه العديدة التي لقب لاجلها بالظافر .

ومما روي عن حروبه الاسطورة التالية : انه سعى لاختضاع اهالي البالونغا لرومة فأبى هؤلاء فنشبت الحرب بينهما وكان في مقدمة كل من الجيشين ثلاثة



ابطال مولودين لأخشين احدهما في البالونغا والاخرى في روما . فتبارز الابطال الثلاثة مع اولاد خالتهم الثلاثة فتجندل اثنان من ابطال رومة واتحن ابطال البالونغا بالجراح . فرأى ثالث الاخوين المجندلين ان يتقدم ليفرق خصومه الثلاثة . فركض هؤلاء خلفه ولكنهم تفادوا في الجري وراءه . فلما رأهم وقد تفرقوا ارتد الى الاول فجندله وكذلك الثاني والثالث . وهكذا انتهت المعركة بفوز رومة وخضوع البالونغا .

ومات طليوس بعدما ملك ٣٢ سنة وخلفه انقوس مرتيوس ، حفيد نوما يومبيليوس من ابنته يومبيليا زوجة نوما مرتيوس . وكان انقوس سلمي الروح كجده نوما . فطمع اللاتين به فخاربهم وفاز عليهم . واستولى على جاني التيبر من منبعه الى مصبه . حيث بنى مدينة اوستيا لتكون فرضة لرومه . ولذلك لقبه الرومان بالظافر .

وبعدما ملك انقوس نحو ٢٧ سنة مات خلفه تركوينوس وهو يوناني هاجر ابوه كورنتوس تخلصاً من كبسلوس الطاغية وقطن اتورريا . فلما كبر ابنه تركوينوس ولم يلق فلاحاً في اتورريا ، هجرها الى رومة فأحببه انقوس واتخذته مربياً لاولاده . وكان ذا خلق رضي جعله محبوباً من الرعية ، فلما مات انقوس اقاموه ملكاً عليهم فوسع دائرة المملكة وضم اليها كثيراً من مدن اللاتين . وترك آثاراً كثيرة في رومة منها المجرور المسقوف بحجر للاقدار الباقي الى الآن . وسد بمنع النهر من الطمو على الاسواق ابان زيادة الماء . والميدان العظيم لسباق الخيل وغيرها .

ومات تركوينوس بعدما ملك ٢٨ سنة خلفه سنة ٥٧٨ سرفيوس طليوس ويروجح المؤرخون انه كان جتدياً من جيش تركوينوس ففاق اقرانه بشجاعته وصروته . فرقاه الملك وجعله قائداً وزوجه ابنته . ولما اشرف على الموت عينه ثائباً عنه خلفه لما مات فسرت به الرعية ، ومن اعماله الجديرة بالذكر ترقية شأن العامة وخفض سلطة الاشراف فاعتبره الرومان منظم الحكومة والمؤسس الثاني للمملكة .

ومات سرفيوس بعدما ملك ٤٤ سنة خلفه تركوينوس سوبربوس ( المتعجرف ) سنة ٥٣٨ وكان له يد في قتل سرفيوس لانه اراد تحويل

المملكة الى جمهورية ، لذلك نسخ قوانين سرفيوس ليضي الاشراف ، ولأمن جانبهم طغى وتجبّر ، وفعل اولاده فعله ففكره الناس وثاروا عليه وطردوه مع اهل بيته من رومة بعدما ملك ٢٥ سنة . مصرحين انهم لا يطيعون ملكاً في ما بعد . وكان ذلك سنة ٥٠٩ اي بعد بناء رومة بنحو ٢٤٤ سنة .

### ٣- الجمهورية الاولى ٥٠٩-٢٦٧ م

لما انقلبت الملكية اقام الشعب موضع الملك حاكين سمي كل منها قنصلاً راجعين الى قوانين سرفيوس . فاختراروا لذلك بروتوس من العامة وكولانيوس . وكان كل منهما كالملك الا انهما كانا ينتخبان لمدة سنة . واخذ تركوينوس يعمل على نشر الشعب في الدولة بواسطة رسل اوفدهم لنقل ماله من المدينة ، فأدى ذلك الى شقاق خبثت فيه المملكة معظم ما افتتحته على عهد ملوكها سنة ٥١٥ قم وظلت الحرب ناشبة بين رومة والقبائل التي عادت نحو مشة سنة .

ومما يجدر بالذكر ما نقله الرواة عن سنسنت ، وهو رجل فاضل لكنه فقير . كان يحرق حقله ، حين وقع الرومان في مأزق حرج جداً . فطلبوا اليه ان يترأس جمعهم لانقاذ اخوتهم المحصورين في واد ضيق يتعذر الخروج منه . فسمع كلامهم وترك حقله واسرع الى المدينة لجمع جيشاً رومانياً وسار للحال فأحاط بالاعداء واسر البعض وقتل البعض . وعاد الى رومة منصوراً سنة ٤٥٨ قم وبعد ذلك عاد الى حراته وكانت مدة قيادته ١٦ يوماً فقط .

وقد فعل الرومان في فاي اكبر مدن اتوريا ما فعله اليونان في تروادة . اذ حاصروا المدينة عشر سنوات ( ٤٠٥-٣٩٦ ) وولي الاستيلاء على فاي ، ضم غيرها من المدن الاتروسكانية الى رومة فصار كل جنوبي اتوريا رومانياً في الاساليب والعادات واللغة .

ولكن بينما كان الرومان يفتحون مدن اتوريا ، هاجمهم الغاليون فألقوا الرعب في قلوب الرومان . وكانت تلك الحرب يوماً اسود في تاريخ رومة . اذ فرّ معظمهم الى اتوريا ولم يقاوم سوى حرس القلعة بقيادة البطل مرقس



مانليوس مدة سبعة اشهر . ومما يذكر ان الغالين طلبوا فدية لخروجهم من رومة  
الف وزنة من الذهب . ورضي الرومان بتأدية الفدية . ولكن بينما كانوا يزنون  
الذهب قال احد الرومان ان العيار مغشوش . فتقدم بريتوس القائد الغالي ،  
وطرح سيفه في الكفة التي فيها العيار قائلاً « الويل للمغلوب » . وفي تلك  
الدقيقة قدم كاميليوس احد الابطال الاعيان بجيش جمعه من الغالين فبدد شمل  
الاعداء . وقال : « قد فديت رومة بالفولاذ لا بالذهب » . وكان اليوم الاسود  
في تاريخ رومة ١٦ تموز سنة ٣٩٠ ق م

وبالرغم من ان هذه المصيبة كانت قوية لم تتلاش معها قوة رومة . بل  
استعادت بعد ٣٥ سنة تقريباً . وأكد ذلك الحروب الثلاث التي ثارت بينهم  
وبين السنين ، التي دامت نحو خمسين سنة ( ٣٤٣-٣٤١ ) و ( ٣٢٦-٣٠٤ )  
و ( ٢٩٨-٢٩٠ ) اذ استطاعت الفياق الرومانية ان تبدد شمل اعداءهم الاقوياء .  
وخضعت بعدئذ المدن اليونانية في ايطاليا الجنوبية ( عدا تارانت ) الى رومة ،  
المدينة الثانية في القوة .

**تارانت وبيروس -** على ان استقلال تارانت لم يطل لان اهاليها  
اساؤوا الى بعض السجناء الرومان . فطلب هؤلاء استرداد الاهانة بواسطة سفير .  
فدس احد الفتيان جبة السفير في الملعب وصفق له الجمهور الطائش . فرفع السفير  
الجبة المدنسة وقال لهم « اضحكوا الآن ، ولكنكم ستبكون حينما تغسل  
هذه الجبة بالدم » .

اعلنت رومة الحرب وخشي التارانتيون النتيجة فاستعانوا ببيروس ملك  
ابيروس ، نسيب اسكندر المكدوني . وكان هذا رجلاً يخشى جانبه لانه كان  
جندياً مدرباً قوياً . عازماً ان يوجد امبراطورية يونانية غربية في ايطاليا وصقلية ،  
في الوقت نفسه الذي كان خلفاء الاسكندر في الشرق يضعرون ما اورشهم اياه  
من المجد ( براسد عد ٧٥٧ ) .

فالتقى جيشا المتحاربين في هيراكليا سنة ٢٨٠ فكسر بيروس الرومان في  
معركتين وهزمهم شر هزيمة ، واستولى على جزيرة صقلية كلها . لكنه خسر  
البوا من احسن جنوده . فقال وهو ينظر الى ساحة القتال حزناً على ابطاله

الصرعى : « بانتصار آخر مثل هذا اصير الى الدمار » . فذهب قوله مثلاً لربح قليل بخسارة كبيرة . فقالوا في مآثراتهم « انتصار بيروسي » . وكاد بيروس يحقق امانيه بتأليف مملكة يونانية غربية عظيمة لو لم يحدث ما لم يكن بالحسبان . فان القرطاجنيين خافوا قيام خصم يخيف ازاؤهم فظاهروا الرومان عليه . فاضطر ان يعود الى بلاده ابيروس . فسامت المدن اليونانية اذ اصبحت بلا نصير بعد عودة بيروس . فبسطت الجمهورية الصغيرة سيادتها على ايطاليا كلها في نحو قرنين واصبحت رومة من اعظم دول العالم .

## ٤ - الحروب القرطاجية ٢٦٤-١٤٦ ق م

قدر لدولة رومة ان تكون لاتينية اللغة ، ايطالية الجغرافيا ، رومانية السياسة ، يونانية المدنية . فان الرومان لما استولوا على جنوبي ايطاليا ، وملكوا الطرف الغربي من العالم الهليني العظيم ، شعروا بتفوق مدنية العالم الجديد الذي دخلوه ، وان اخص عوامل المدنية الشؤون التجارية الكبرى . فأخذ الرومان يوسعون نطاق تجارتهم لانحاء الثروة . ووقع التنافر التجاري بين رومة وقرطاجنة وأدى الى الحروب الطاحنة التي نشبت بين الفريقين (براستد عد ٨٦٣-٢٦٥) .

**الحرب الاولى** - استمرت ٢٣ سنة (٢٦٤-٢٤١) ، وسببها احتلال القرطاجيين قلعة مسّانا فانتصرت رومة لاسيراكوسيين ، وانتصر القرطاجيون في اول الامر لنقص خبرة الرومان في الحروب البحرية . وتمكن هملقار القائد القرطاجي ان يخرب باسطوله سواحل ايطاليا . ودفعت الارمجة نخبة من اعيان الرومان ، فاستطاعت دولتهم ان تنزل الى البحر سنة ٢٤٢ اسطولاً قوياً ، حطم الاسطول القرطاجي سنة ٢٤١ ق م . واضطر القرطاجيون في نهاية هذه الحرب ان يدعنوا ويقبلوا الشروط الثقيلة التي وضعتها عليهم رومة ، التي صارت لأول مرة دولة بحرية قوية .

**الحرب الثانية** - استمرت ١٢ سنة (٢١٨-٢٠١) - بعد الحرب الاولى



ثار الجنود المستأجرون على قرطاجنة لانها لم تؤد لهم رواتبهم ، فتمكن القائد هملقار بقدرته وذكائه من اخضاعهم ( ٢٤١-٢٣٧ ) واوقف ذكاه مدة تسع سنوات لجعل القبائل المتعددة أمة واحدة ، واظهار معادن الفضة والذهب الكائنة في تلك المقاطعة . ولكنه قتل سنة ٢٢٨ . وكان هنيبال اصغر اولاده في التاسعة عشرة من عمره لما مات ابيه . فتسلم قيادة الجيش صهره اسدروبال ، ولكن لما مات هذا سنة ٢٢١ اجتمع الجيش على اختيار هنيبال للقيادة . وكان عمره آنذ ٢٦ سنة . فظهر باقدامه اهائيته للقب « نسل الاسد » الذي نعت ابيه به اولاده . فانه استطاع ان يوسع تخوم قرطاجنة الى حدود نهر الايبر . ولم يبق من شواطىء اسبانيا الشرقية سوى ساغنم فأخضعها بالقوة رغم تحالفها مع الرومان . فاستاء هؤلاء وطلبوا من قرطاجنة تسليمهم هنيبال فأبوا بعد لأي . فشهرت رومة الحرب عليهم . وحدثت اربع معارك بين هنيبال والرومان ، فاز فيها كلها ، وهي معركة تسينو وترايبا وترسينوس اما الرابعة وهي معركة كاني سنة ٢١٦ فقد ادهش بها هنيبال العالم . فان جيش الرومان كان آنذ اعظم جيش جهزته رومة للحرب . ولكن مهارة هنيبال مكنته من تطويق هذا الجيش واعمال السيف في رقابهم . وذبح منهم سبعين ألفاً ( على رواية بوليب او نحو ٤٣ ألفاً على رواية ليني ) واسر بضعة آلاف ، ولم ينج سوى شرذمة صغيرة . وروى ليني ان ماغو اخا هنيبال الذي نقل هذا الخبر الى قرطاجنة افرغ في مجلس الاعيان مكيالاً من الخواتم الذهبية التي اخذت من اصابع فرسان الرومان ( ميار عد ٣٤٢ ) .

وهكذا تسنى للشاب القرطاجني الباسل وهو في الثلاثين من عمره ان يتغلب على عدو جبار في اربع معارك . ويهلك ثلاثة من فيالقه في مدة سنتين فنال بحق لقب اعظم القواد الساميين ( براستد عد ٧٩١ ) .

ولو ادرك خلفاء الاسكندر اهمية هذا العراك العظيم لظلت للشرق ميزته . ولكنهم شغلوا باختلافاتهم ، بينما المشيخة الرومانية استطاعت بجنكتها السياسية ان تثير يونان الغرب ضد المكدونيين . وتحول دون ارسال النجدات لهنيبال . فضاقت انتصاراته الاولى ، ومني بالفشل بعد اقامته في ايطاليا سبع سنوات ينتظر وصول النجدة واذا برأس اخيه « اسدروبال » يلقي بين يديه وهو ينتظر نجده

بذهاب الصبر فلما نظر رأسه قال بجزن : « قد عرفت يا قرطاجنة ما قضي به عليك » وكان ذلك سنة ٢٠٧ ق م .

وعاد هنيبال الى افريقيا لما عرف ان سيبيو ضيق الحناق على قرطاجنة ، والتقى الجيشان في زاما ، ففشل هنيبال في هذه المعركة ، وكان هذا الفشل اول وآخر انكسار لقيه هنيبال . لانه بعد انتهاء الحرب ترك قرطاجنة ، لطلب الرومان من قرطاجنة تسليمه ، فقصده سوريا اولاً ثم برحها الى آسيا الصغرى حيث مات مسموماً سنة ١٨٣ ( وعمره ٦٣ سنة ) لما عرف ان مضيئه ينبغي تسليمه لاعدائه .

مرب مائة - استمرت ثلاث سنوات ( ١٤٩-١٤٦ ق م ) - انقضى بين الحربين الثانية والثالثة نحو نصف قرن . استطاعت فيها رومة ان تسود على شرقي المتوسط كما سادت على غربيه بعد فوزها في قرطاجنة في معركة سينوسفاتي سنة ١٩٧ حاربت فيليب الخامس ملك مكدونيا لمساعدته القرطاجيين واضطرته ان يتنازل عن كل ما فتحه . وفي معركة مغنسيا سنة ١٩٠ انتصرت على انطيوخوس الكبير ( السلوقي ) واستولت على جزء كبير من الاناضول .

وفي معركة بدنا سنة ١٦٨ سحق القائد الروماني القوة التي جهزها برسوس بن فيليب الخامس لاسترداد ما خسره ابوه . ولم تقم بعد ذلك قائمة لمكدونيا . وبعد هذه المعركة استأقت رومة من اعيان اخايا الف شخص وجعلتهم رهينة في ايطاليا حيث ظلوا هناك ١٧ سنة ، وكان بين هؤلاء بوليب المؤرخ الذي كتب انباء هذه الحوادث مبيناً كيف صارت رومة سيدة العالم .

في اثناء ذلك استأنفت قرطاجنة نشاطها التجاري . خافت رومة نتيجة تقدمها هذا . وقررت بتأثير كاتو احد اعضاء المشيخة تدمير قرطاجنة لتأمين مقبة وجودها . ورأت حجة شهرة بها الحرب عليها وعرف القرطاجيون غرضهم فقرروا ان يموتوا موت الكرام او يصونوا مدينتهم من الدمار فلم تكذب تعلن الحرب حتى صارت قرطاجنة معملأ كبيراً للأسلحة . يعمل فيه الرجال والنساء والأولاد ليلاً ونهاراً . فأذيت اواني الهيكل والتماثيل لتعمل اسلحة . وتزعت مواد



الابنية وصارت ادوات للجنود . وجزت غد ثر النساء ليعدل منها حبال للمنجنقيات .  
الامر الذي دهش له الرومان ولاسيا حينما رأوا من نزعوا منهم سلاحهم يقاتلون  
مسلحين فوق الاسوار .

غير ان هذا لم ينقذهم من الفاجعة . لان حفيد سيبو ( افريكانو الصغير )  
استطاع ان يفتح قرطاجنة بعد حصار اربع سنوات . ولم يبق من اهله البالغين  
سبعمئة الف سوى خمسين الفا . وظلت النار تلتهم المدينة مدة ١٧ يوماً فساوت  
الابنية الارض . وحرثها الرومان لاعتين كل من حاول تجديدها .

روي بوليب المؤرخ الذي نظر خرابها ، ان سيبو الصغير لا رأى ركامها دمع  
وردد قول هوميروس : « لا بد ان يأتي يوم تسقط فيه تروادة المقدسة ويسقط  
بريام رب الخراب وشعبه » ( ميار عد ٣٥٩ ) .

وفي السنة نفسها التي دمرت قرطاجنة احرق الرومان كورنتوس ، فقضي على  
الحرية اليونانية سنة ١٤٦ وصارت الحكومة اليونانية ذات التاريخ المجيد والحضارة  
السامية ، تابعة لرومة ما عدا اثينا التي لا لها من ذكرى حسنة بقيت لها حريتها وظلت  
موطناً لكل ما هو شريف وجليل ( براستد عد ١٧٠ و ٨٠٨ ) .

اتتهى بسقوط قرطاجنة العراق الذي دام نحو ١٢٠ سنة وضمت املاك  
قرطاجنه الى رومة ودعيت ولاية افريقيا . كما ان سيبو دمر ايضاً نومانديا في  
اسمانيا سنة ١٣٣ واصبحت اسبانيا كلها قسماً من املاك الدولة الرومانية .

## ٥- نماذج الجمهورية وسقوطها ١٣٣ - ٣١ ق م

الانتصارات العظيمة التي حازتها الجمهورية الرومانية ، جعلت المدينة الصغيرة  
( رومة ) سيدة لاتيوم أولاً ، وسيدة ايطاليا ثانياً ، ثم سيدة القسم الاعظم مما  
حول المتوسط ثالثاً . ( ميار عد ٣٦١ ) .

ولكن التاريخ اخذ يعيد نفسه . ومثى بلغ المرء القمة لا بد له من  
الانحدار . فان عظمة الجمهورية آلت بالنتيجة الى انحطاطها وتمهيد السبيل للامبراطورية .  
واول الحوادث التي ادت الى هذه النتيجة ، حرب العبيد الاولى في سيسليا  
( ١٣٤ - ١٣٢ ) فان نظام الاسترقاق الذي ظهر بأرداء مسارته حمل العبيد على

الثورة. ولجأ مئتا ألف منهم الى السلاح ضد الدولة . وظلت الحكومة تناضهم  
بجسائر باعظة مدة ثلاث سنوات حتى اخمدت الثورة . وفي اثناء ذلك حاول  
الاخوان طيباريوس وغايوس كراخوس ان ينقذوا الطبقة العاملة من البؤس الذي  
اتزله بهم الاعيان . ولكن هؤلاء . فتكروا بالاول سنة ١٣٣ وبالثاني سنة ١٢١ .  
فخلد العامة ذكرى الشهيدين واقامت لها بعدئذٍ النصب في الساعة العمومية .

واستشار الاشراف بالمنافع العامة ، جرأت جوغرتا ملك نوميديا على قتل  
الولاة الرومانيين . واعبت الرشوة دورها في هذه الآونة . فسلم بها جوغرتا من  
القصاص . وخاطب رومة بعدئذٍ قائلاً : « ايتها المدينة المرتشية انك تودين ان تبيعي  
نفسك لو وجدت من يشتريها » . ولكن غايوس ماريوس انتصر اخيراً على جوغرتا  
سنة ١٠٦ بعدما اقلق رومة خمس سنوات . كما انتصر سنة ١٠١ على البرابرة  
الذين ارهبوا الدولة .

ولم يكد ينتهي خطر البرابرة ، حتى نشبت الحرب الاهلية بين رتب  
الرعايا الثلاث واستمرت ثلاث سنوات ( ٨٩-٨٦ ) ، وانتهت اخيراً باذعان رومة  
لشروط التي عرضها الثائرون . فصار لرومة دستور ضيق الخناق عليها ، ولكنها  
رضيت به لحاجتها اذ ذاك الى نظام نيابي تحفظ بسره امبراطوريتها الواسعة . ونبه  
هذا افكار الناس الى ثورة لقلب الحكومة الجمهورية التي صارت آلة بيد الاشراف  
واقامة امبراطورية توقف هؤلاء عند حدهم .

فاستمنح متريدات السادس ملك بنطس هذه الفرصة ، وحكم سيفه في  
رقاب ثمانين الفا من الايطاليين القاطنين في الاناضول ، ثم انار يونان اوربا على  
رومة . ووصل الخبر الى رومة فأحدث ضجة عظيمة . وخمل القائد ماريوس على  
القنصل صولاً طالباً عزله . فاحتكم الاثنان الى الحسام . وتحارب الرومان لأول  
مرة داخل اسوار المدينة . فاندحر ماريوس وقاد صولاً الحملة ضد متريدات سنة  
٨٨ ق م ، وعاد فائزاً الى رومة سنة ٨٣ ، ففتك بعدد كبير من الاعيان محازبي  
ماريوس مستولياً على املاكهم . قيل ان احد الاعيان لما رأى اسمه في لائحة  
المحكوم عليهم بالقتل قال : « واسفاه ان قصري علة قتلي » ( ميار عد ٣٧٢ ) .  
وكان بين المحكومين يوليوس قيصر لانه من اقرباء ماريوس ، ولم يكن  
له آنئذٍ من العمر اكثر من ١٨ سنة ، فشفع فيه بعضهم فعفا عنه . ولكنه بعدما



تفرس فيه قال « ان في هذا الفتى ماريوسين كثيرين » .  
بعد هذا زاول صولاً الحكم المطلق ثلاث سنوات ( ٨٢-٧٩ قم ) ثم  
استعفى فجأة ومات بعد سنة ، وكان هذا الحادث من مهيئات فكر الشعب  
لحكومة الفرد .

وعلى اثر وفاة صولاً سنة ٧٨ قم ، نهض حزب العامة يطلب إلغاء  
القوانين القديمة . وكانوا قد تعلموا الاستفادة من الزعيم الحزبي . فوجدوا ضالتهم  
بشخص بومبي احد ضباط صولاً ، الذي امتاز في حرب اسبانيا فانتخب قنصلاً  
سنة ٧٠ وخدمه الحظ بقضائه الاخير على متريدات في الحرب الثالثة التي  
شهرت ضده ( ٧٤-٦٤ قم ) وكان متريدات خصباً مخيفاً لرومة يذكره الرومان  
برعب كثالث الخصمين القديرين هملقار وهنيال .

بعد مؤامرة كتلين ( ٦٤-٦٢ قم ) ظهرت الحكومة الثلاثية ، حكومة  
قيصر وكراسوس وبومبي . الذين استمالوا الناس اليهم ، الاول بديموقراطيته مع  
انه من الاعيان ، والثاني بثروته العظيمة ، والثالث بمهارته الحربية ، فسلموهم  
السيادة العليا عن طيبة خاطر . ومع ان قيصر لم يكن قد تجاوز الاربعين من  
سنه الا انه كان لولب العصبية الحاكمة . ولع نجمه خصوصاً بعدما قُتل كراسوس  
سنة ٥٤ قم . اذ نال انتصارات عظيمة في غربي اوربا غطت على شهرة بومبي .  
فلما تراحم القائدان على السيادة العليا ، فاز قيصر وانخزل بومبي ، وفر هذا الى  
مصر فاغتيل حالما نزل الى برها سنة ٤٨ قم . وبعدهما قضى قيصر على فتنة  
سليل متريدات بنخمسة ايام سنة ٤٧ بعث برسالته الوجيزة البليغة المشهورة :  
« فيني فيدي فيني » ( اتيت فنظرت فغلبت ) ومنذئذ صار يوليوس قيصر سيد  
العالم ونصب تمثاله بين تائيل ملوك رومة القدماء السبعة .

من مآثر قيصر وضعه قوانين ذقيقة لسيادة الدولة ، واصلاحه الحساب  
السنوي القمري لجعله السنة ٣٦٥ يوماً ، مضيفاً اليها كل رابع سنة يوماً .  
وجد لقيصر رهط من شر الاعداء سعوا لاسقاطه فلم يفلحوا . فقتلوه  
غيلة في ١٥ آذار سنة ٤٤ قم ، ولم يكن له من العمر اكثر من ٥٦ سنة . وكان  
بين قاتليه احد الذين سبقت له النعمة عليه . فدافع قيصر في اول الامر عن  
نفسه دفاع الابطال . واكسبه لما وقع نظره على بروتس قال له : « وانت ايضاً

يا بروقس » ، ثم لف وجهه بردائه واستسلم للقتل قائلاً : « الموت خير من الحياة مع صديق خائن » .

ووقع النزاع بعد قتل قيصر على العرش . ثم تم الاتفاق سنة ٤٣ قم على تجديد حكومة ثلاثية ثانية . قوامها انطوني سكرتير قيصر ، وليدس احد قواده ، واكتافيوس ابن اخيه . واقتسم الحكم الثلاثة العالم الروماني ، فكان نصيب اكتافيوس الغرب وانطوني الشرق وليدس افريقيا . وثار قاتلوا قيصر على الحكومة الجديدة ففشلوا في معركة فيلبي سنة ٤٢ . ثم طرد لبيدس فعادت الحكومة الى يدي سيدين ، انطوني في الشرق واكتافيوس في الغرب . ولم يطل الامر على هذا الحال حتي وقعت الحرب بين اكتافيوس وانطوني فانتصر اوكتافيوس في معركة اكتيوم سنة ٣١ وبانتصاره انتهى قرن الثورات والحروب الاهلية الذي بدأ سنة ١٣٣ قم . وفوز اوكتافيوس هذا كان العلامة الفارقة لفوز قوة الفرد النهائية ( براسند عد ٨٧٧ ) .

## ٦ - رومة الامبراطورية

لما عاد اكتافيوس الى رومة سنة ٣٠ منحه المشيخة لقب اوغسطس (السميد) وكان اللقب المخصص لمنصبه في ما سبق (الاول) ولكنه منح بعدئذ ايضاً لقباً آخر لا يمنح الا للقائد الظافر وهو امبراطور . ومع ان اكتافيوس لم يتعرض للمشيخة بشيء ، بل منح السلطة التي له المشيخة وعامة الشعب سنة ٢٧ قم . لكن السلطة الحقيقية انما ضبطتها يده القويتان والناعمتان معاً دون ان يكون له معارض وكانت كتائب الجند رهن اشارته .

كانت الامبراطورية التي على رأسها اوغسطس حدها الجنوبي الصحراء الكبرى ، وحدها الغربي الاطلانتك ، وحدها الشمالي الين والدانوب ، والحد الشرقي الفرات . ويرجح ان الجيش الذي كان يأتمر بأمر اوغسطس يبلغ نحو ٢٢٥ ألفاً ( براسند عد ٨٨٣ ) .

ظل زمام السلطة بيد اوغسطس مدة نصف قرن تقريباً . وعقبه على العرش اربعة من سلالاته كانت مدة ملكهم بالتسلسل نحو نصف قرن آخر ( ١٤-٦٨ م )



فتم باوغسطس وسلالته قرن السلم الاول .

فقد خلفه سنة ١٤ طيباريوس ابن زوجته ( من زوج سابق ) ولما مات طيباريوس سنة ٣٧ خلفه غايوس ابن حفيد اوغسطس الملقب كاليغولا وهو في الخامسة والعشرين من عمره . فلما مات هذا سنة ٤١ خلفه كلوديوس - حفيد طيباريوس وعم كاليغولا - وهو في الخمسين من عمره . فلما مات خلفه نيريون سليل اسرة اوغسطس من جهة والديه كليهما . وهو في السادسة عشرة من العمر . وكانت السنوات الخمس الاولى من ملكه . من احسن الادلة على تعقل ربيب سنكا الفيلسوف . ولكن نيريون خلع العذار بعد ذلك ، وارتكب كل محذور . حتى صار اسمه مرادفا لكل ما هو شرير ومتناه في القبح ( براسد عد ٩٠٤ ) فتهرم اهل رومة من سلوكه الشائن . ومقتته نفس المقربين اليه . وأباحت المشيخة دمه ، فانتحر سنة ٦٨ وهو في الرابعة والثلاثين من عمره بعدما ملك ١٤ سنة ، وانتهى بوقته قرن السلم الاول .

**العصر الفلافياني** - كان نيريون سادس وآخر امبراطور من اسرة قيصر . فلما مات ترشح للعرش ثلاثة اشخاص قتلوا الواحد بعد الآخر وهم غلبا واوتو وفيتليوس وتسلم العرش سنة ٦٩ فاسباسيان الشيخ المحبوب قائد كتائب فلسطين قبتي على العرش عشر سنوات ولما توفي سنة ٧٩ خلفه ابنه تيطس « صديق ومسرة الانسانية » ثم خلف تيطس اخوه دومتيان ( ٨١-٩٦ ) وبذلت الاسرة الفلافيانية المالكة جهودها لاستتباب الامن فكان لها ذلك ، ومن اهم مآثرها تأمين الثغور الشمالية .

**الملوك الصالحون** - وخلف الاسرة الفلافيانية خمسة ملوك احسنوا ادارة المملكة فأنسوا الناس الآلام التي سببها دومتيان في اواخر عهده . فلقبهم الرومان بالملوك الخمسة الصالحين . وهم زفا ( ٩٦ ) وتراجان ( ٩٨ ) وادريان ( ١١٧ ) وانطونيوس بيوس ( ١٣٨ ) واوريليوس الفيلسوف ( ١٦١-١٨٠ ) ، وفي ايام الاخير او بعد ست سنوات من ملكه ، اخترق برايرة الجرمان الحدود الشمالية للدولة . وانهاوا انهيال السيل عليها . فانهار جدار السلم سنة ١٦٧ بعد استقرار مدة قرن كامل ، هو قرن السلم الثاني لاوغسطس .

قرره الاضطراب - خلف اوربليوس ابنه كومود سنة ١٨٠ ، ولكنه كان بنس الخلف لاييه . اذ استيقظت - بعد مدة من ملكه - فيه طباع نيرون احد اسلافه على العرش . فادى ذلك الى شرور عظيمة ولكن المملكة نجت اخيراً من الطاغية المجنون بقتك اهل به سنة ١٩٢ .

وصين العرش بعده مجزم ارومة القياصرة الحمصين سبتيميوس سيفيروس ومن خلفه لمدة ٤٢ سنة (١٩٣-٢٣٥) وبعدما انتهى عصرهم بمدة غير طويلة اخذت الايدي تتقاذف العرش الملكي تتقاذف الكرة . وظهر في التاريخ العصر الذي دعاه المؤرخون «عصر الطغاة الـ ٣٠» (٢٥١-٢٦٨) وكان البرابرة يتجاوزون الحدود وكادوا يمزقون الدولة لولا ان يقض الله لها وجود خمسة ملوك حازمين . وضعوا حداً لهذه الفوضى وهم كلوديوس واوريليان وناسيتوس وبروبس وكاروس (٢٦٨-٢٨٤) .

وعقب هؤلاء ديوكايتيان العظيم (١٨٤-٣٠٥) الذي قابل جبون بينه وبين اوغسطس فقال : كان غرض الاول ستر القوة غير المحدودة التي للامبراطور وغرض الاخير اظهار هذه القوة . فاضطر لوضع نظم ادارية جديدة منها قسمته الدولة الى قسمين شرقي وغربي واستعانت به على ضبطها باقامة شريك له جعل مركزه الغرب واتخذ هو نيوميديا (ازميد) قاعدة للشرق الذي جعله حصته . ثم اقام معاونين آخرين احدهما للقسم الشرقي والآخر للغربي سماهما قيصرين وبوت هذا الامبراطور تحولت السيادة الى قياصرة مسيحيين اولهم قسطنطين الملقب بالكبير ، ويستثنى من هؤلاء يوليان المرتد .

### ومقدمة ما مر

- (١) ان الرومان قبيلة شرقية الاصل ظعن من الاناضول الى اوربا . واقامت في وسط ايطاليا نحو اربعة قرون قبل بناء رومة .
- (٢) ان روميلوس احد المتسلسين من هؤلاء ، بنى رومة سنة ٧٥٣ ق م ثم ملك وخلفه ستة ملوك آخرون في مدة ٢٤٤ سنة فعظم شأن رومة ووفرت ثروتها .



(٣) لما امتدت تخوم المملكة تحولت الحكومة جمهورية سنة ٥٠٦ ق م  
ضبط زمامها قنصلان يختارهما الاشراف لمدة محدودة . فذلت الجمهورية الصعاب .  
(٤) حدثت حروب قرطاجنة فانتصرت رومة وضم اليها صقلية واسبانيا  
وافريقيا .

(٥) حدثت منازعات اهلية ولكنها ادت الى اتساع تخوم الدولة اذ  
اصبحت فرنسا اقلياً رومانياً وصارت رومة اعظم دول العالم .  
(٦) تحولت الحكومة الى الملكية في ايام اوغسطس في اوائل المسيحية  
وساد السلام منذ ايامه الى منتي سنة يدعوها المؤرخون قرني السلام الاول  
(٣١ ق م - ٦٨ م) والثاني (٦٩ - ١٦٧ م) ثم تلت ذلك ثورات هداها سيفروس .  
وبعد انقراض الاسرة المحمية حدث الانفجار العظيم ، تم نظم الدولة ديوكليتيان .

### الحوادث ذات الصلة الخاصة بمصر

بعدما لخصنا تاريخ الدولة الرومانية منذ نشأتها الاولى حتى بلغت غاية  
عظمتها في عهد امبراطوريتها - اذ تحولت ارومتها ( رومة ) من مضرب لرعاة  
الغنم ، الى قرية ، الى مدينة محصنة ، الى امة صغيرة ، الى مملكة ذات صولة ، الى  
جمهورية ذات بأس وشرف ، الى امبراطورية حتى لها الدهر رأسه - وكانت المنطقة  
المحمية احد اجزائها . ننتقل الآن من التاريخ العام الى الخاص ، لنوقف القارىء  
على الحوادث ذات الصلة المباشرة بمصر او المماس لها :

### ١ - ربيع الصدى

مرّ بنا في الحلقة السابقة ان الدولة السلوقية التي ارتفع لواؤها على  
الاصقاع السورية من طورس شمالاً حتى اقصى فلسطين جنوباً فسحت لخص  
المجال للاستقلال الاداري فرتعت هذه المنطقة بظل حكومتها الوطنية نحو قرن  
ونصف من الزمان ، ولعل القارىء يتطال بنظره ليعرف ما كان مصير الاقطار  
المجاورة لخص بعدما احتلت الدولة الرومانية البلاد السورية بواسطة قائد قواتها

الشهير يومبي سنة ٦٤ ق م . ولاملأ هذا الفراغ الذي يؤدي اهماله الى وجود نقص في مادة التاريخ تكون موضوعاً للنقد . نعقد هذا الفصل بما امكن من الاجاز غير المخل .

لما تقلص ظل الدولة السلوقية عن سوريا ظهرت فيها الدولة الرومانية التي عرف القارى . مكانتها العظيمة التي وصلت اليها في الآونة المبحوث فيها . ولم يكن دهاؤها السياسي اقل من حنكتها الحربية . لذلك لم تجد من الحكمة ان تسرع لقلب الحالة التي كانت عليها البلاد السورية في اخريات ايام الدولة السلوقية .

وكانت عدة مقاطعات في سوريا قد ظهرت بمظهر الاستقلال او ما يشبه الاستقلال . وتآلفت حكومات وطنية لادارتها نظير الرها في الشمال الاقصى واليهودية في الجنوب . وسوريا المجوفة اذ لانت قاعدتها الكبرى « دمشق » للعرب الذين دخاوها وتشبثت قاعدتها الثانية « حمص » بحكومتها الوطنية . فرت القيادة الرومانية بهذه الحالة - التي اعتبرتها غير مستقرة - مرور الكرام منتظرة السوانح لتغييرها . وساعدتها الظروف بالغا . استقلال اليهودية لكثرة ما نشب الخلاف بين الاهلين وحكوماتهم ولاسيا في ايام هيروودس الكبير فانتهى امرها بنفي ارخبلاوس سنة ١١ م واصبحت بعده اليهودية اقلياً رومانيا عينت له الدولة نواباً لتدبير شؤونه عرفنا منهم ١٤ والياً ، في ما يلي اسماؤهم وتاريخ ولايتهم :

|                   |    |             |    |
|-------------------|----|-------------|----|
| (١) كوبرنيو       | ١١ | (٨) فارو    | ٤٤ |
| (٢) امبيفيو       | ٠٠ | (٩) اسكندر  | ٤٦ |
| (٣) روفو          | ١٤ | (١٠) كومانو | ٤٨ |
| (٤) كراتو         | ١٥ | (١١) فيلكس  | ٥٢ |
| (٥) ييلاطس البنطي | ٢٥ | (١٢) فستوس  | ٦٠ |
| (٦) مرشلو         | ٣٥ | (١٣) البين  | ٦١ |
| (٧) اغريبا الاول  | ٤٠ | (١٤) فلور   | ٦٥ |

وفي ايام هذا الاخير بدأت الثورة اليهودية التي انتهت بهدم اسوار اورشليم وحرق الهيكل سنة ٧٠ .



على ان سوريا الشمالية دخلت تحت السيطرة الرومانية منذ فتح البلاد السورية القائد بومبي ووضع لها ولاية ، عرفنا منهم ٤٠ والياً حكموا المنطقة المشار اليها ، وما انضم اليها بعدئذ نحو ١٣٠ سنة واليك اسماءهم وتاريخ ولاية كل منهم :

|       |                               |               |
|-------|-------------------------------|---------------|
| ٢٣ قم | (٢١) مسأ                      | ٣٠ قم         |
| ٥٩    | (٢٢) مرقس بن شيشرون الخطيب ٢٩ | (١) سكاور     |
| ٥٨    | (٢٣) فارون ٢٦                 | (٢) فيليب     |
| ٥٧    | (٢٤) اغريبا ٢٣                | (٣) مرسلينو   |
| ٥٤    | (٢٥) ساتورنقيو ١٢             | (٤) كابينو    |
| ٥٣    | (٢٦) قولنميو ٠٠               | (٥) كراسو     |
| ٥٢    | (٢٧) فلورو ٠٥                 | (٦) لونجينو   |
| ٥٠    | (٢٨) ساترنينو ٠٥ م            | (٧) بيلولس    |
| ٤٧    | (٢٩) كورينو ٠٦                | (٨) سليون     |
| ٤٦    | (٣٠) سيلانو ٢٠                | (٩) قيصر      |
| ٤٥    | (٣١) بيزون ٢١                 | (١٠) باسو     |
| ٤٤    | (٣٢) ساترنينو ١٩              | (١١) باتو     |
| ٤٤    | (٣٣) فلاكو ٢٣                 | (١٢) مرقس     |
| ٤٣    | (٣٤) فيتليو ٣٥                | (١٣) كاسيو    |
| ٤١    | (٣٥) بترونيو ٣٩               | (١٤) دي لابلأ |
| ٣٩    | (٣٦) مرسو ٤٢                  | (١٥) سكسا     |
| ٣٨    | (٣٧) لنجينوس ٤٥               | (١٦) باسو     |
| ٣٤    | (٣٨) كديراتو ٥٢               | (١٧) سوسيو    |
| ٠٠    | (٣٩) كرمولو ٦٠                | (١٨) بلانك    |
| ٣١    | (٤٠) غالو ١٥                  | (١٩) بيليو    |
|       |                               | (٢٠) ديديو    |

## ٢ - قلص ظل الاستقلال في المناطق السورية

بعدما توطد قدم الامبراطورية في الدولة الرومانية . وبعدها آنت من نفسها قدرة على تعميم سيطرتها في كل الاصقاع . اخذت تهتم بجعل البلاد السورية كلها اقليماً واحداً رومانياً . على انما تدرعت بالحكمة لابرار هذه الفكرة الى حيز الوجود . فوضع اوغسطس اربعة فيالق من الجند تحت امرة الوالي ، وفوض اليه استخداما وقت الحاجة . وظهر الولاة الرومانيون مع الحكمة حزمًا وجداً لتنفيذ الخطط التي قررت الدولة تطبيقها . وشعر الذين نالوا الاستقلال في ما سبق بتأثير الثورات المعلية ، ان قوتهم ضعفت ازاء القوة التي تستخدمها السلطة الرومانية ، والوسائل العديدة التي تكفل للسلطة فلاحها في ما ترمي اليه من الاغراض السياسية ، فأخذ هذا الاستقلال يتضائل شيئاً فشيئاً حتى كاد يغيب اثره . وبدأت طلائع هذه الحركة بصورة متعددة الجهات .

ففي ايام كلوديوس انضمت الابلية الى سوريا سنة ٤٨ م .

وفي ايام فاسباسيان انضمت كوماجنه سنة ٧٢ .

وفي ايام تيطس انضمت منطقة حمص سنة ٧٩ .

وفي ايام دومتيان انضمت خلكيس سنة ٨١ .

وفي ايام تراجان انضمت دمشق وتدمر سنة ١٠٦ .

فاستقلال حمص الاداري انتهى اذن حوالي سنة ٧٩ ومن هذا التاريخ انتظمت في سلك البلاد المنضوية الى لواء الدولة الرومانية . وسرت عليها النظم والقوانين التي سرت على سائر المناطق . على ان انتظام المنطقة الحمصية في سلك المناطق الاخرى الخاضعة للدولة الرومانية ، لم يخسر ما مكانتها التي كانت لها في ما سبق . فان الولاة الرومانيين شعروا بما يخلج في صدر الحمصيين من الاخلاص لمن يحسن معاملتهم . فأولوهم اهتماماً خاصاً جعلهم يستسهلون معه الانتماء الى رومة . والذي ساعد بالاكثير على حسن التعامل بين الحمصيين والمستعمرين ، ان يومي لما اكتسح سوريا جلا عدداً كبيراً من اهالي البلاد الى ايطاليا فالتشروا في مقاطعاتها كلها . وبين هؤلاء عدد من الحمصيين الذين رأوا مجالاً واسماً للعمل فيها لان الرومانيين



خسروا في الحروب التي قاموا بها ، عدداً كبيراً من السكان . بحيث بارت الاراضي لقلة عدد الفلاحين فيها . فـلأ الحـصيون هذا الفراغ بما عرفوا به من مقدرة على الحراثة واستثمار الارض ، التي كان لهم الملم كافـ بمعرفة ما تصلح له من انواع المزروعات . وبعض هؤلاء المزارعين نال كرامة عظيمة لحررته الدولة الرومانية من الرق وخولته جميع حقوق الرومانيين ( ليني ٦:٣٩ ) .

### ٣ - المحصبون في الجيش الروماني

بعدما انضوت سوريا الى لوا . رومة ، وبعدها عرف القادة الشجاعة التي تختلج في صدور المحصبين ، ضموا الى مدربي الجنود الايطالية فريقاً منهم . مرنوهم على النظام العسكري فظهروا تفرقاً في دربتهم . بالنظر لما استقر في طبيعتهم من ميل للاعمال العسكرية . وقد عرفنا من التاريخ الروماني ان هذه المزية ظهرت في عدة امكنة وازمنة .

ففي الفرقة الاوغسطية الثالثة التي اقامت في نوميديا ( تونس ) المؤلفة من الشبان السوريين كان فيها رهط من المحصبين . ولما انتخب فاسباسيان امبراطوراً سنة ٦٩ م نقل فرقة السورية معه الى رومة . وقد روى المؤرخ تاشيت ( ٢٤:٣ ) ان الفرقة الغالية التي اسرعت لنصرة هذا الامبراطور كان افرادها يحبون الشمس عند شروقها ، وتلك كانت من مزايا المحصبين بنوع اخص .

وكانت الفرقة التراجانية الثانية التي اقامت في الاسكندرية مؤلفة من عدد كبير من السوريين وفيما بينهم نخبة من المحصبين . ولما اخضع تراجان داكيا ( رومانيا ) نقل اليها عدداً ليس بقليل من الرها وقدمر ، ولا مرية في انه كان بينهم عدد من المحصبين ( اوتروبيوس ٦:٨ ) .

وقد وجد بقرب سور ادريانوس شمالي انكلترا ابيات نظمها احد الضباط في مدح إلهته السورية .

وفي التاريخ ايضاً ان احد القياصرة الذي ثلوا من ذكرنا ، قد انتدبوا سرية من الرماة المحصبين عددها الف جندي للاقامة في بانونيا ( المجر ) . وقد ترك هؤلاء مكاتبات عديدة حيث حاوا دالة على احتفاظهم الشديد بتقليداتهم

الوطنية وديانة ابائهم . وبعض هذه الكتابات ما برح باقياً حتى الآن . ومعظم هذه الكتابات باللغتين السريانية واليونانية ( المقتطف ٥٠: ٥٤١ ) مما يدل على ان هذا حدث قبل القرن الثالث الذي ازدهرت فيه مدرسة بيروت الشرعية ، التي فسح فيها مجال لدرس اللغة اللاتينية .

ولا نستغرب بعدما ذكر ان يكون معظم الجيش الذي جرده اسكندر سيفروس على المانيا ، كان من المشاركة عموماً والمحصين خصوصاً . لان الامبراطور المذكور حمى المنبت . فلا غرو في استخلاصه المحصين الذين عرف فيهم الاخلاص والحماسة .

#### ٤ - هيكل الشمس والحجر الاسود في حمص

مما جعل لمنطقة حمص اهميتها في نظر الدولة الرومانية ، غير ما مر ذكره ، وجود هيكل الشمس فيها والحجر الاسود الذي صين فيه . فكانت موضع احترام معظم الاضلاع الرومانية فضلاً عن السورية منها . وقد كان السوريون يحلون هذا الهيكل جداً ويعتبرونه ملاذاً مقدساً . من لجأ اليه يجرم مسه بسوء وان كان مجرمًا .

ودلت الآثار - عدا ما ذكره المؤرخون - على اهمية الحجر المحفوظ في هذا الهيكل . ولم تكن آتخذ عبادة الحجارة السوداء امراً غريباً . فقد جاء في الخطوط المسمارية ذكر سبعة حجارة سوداء ، كانت تعبد في هيكل ارك في بلاد اليونان .

وعبادة الحجر الاسود في حمص اخذت شهرة عظيمة حتى في ايام الملوك الرومانيين . وقد وجدت صورة هذا الحجر منقوشة على مصكوكات في سوريا وسلوقية والرها وسواها فضلاً عن حمص نفسها ( الدبس ٢٦٥: ١ ) .

وقد انتهت سدانة هذا الهيكل في القرن الثاني ، الى اسرة شريفة يظن انها من ذرية امراء حمص الوطنيين السابق ذكرهم في الحقبة السابقة . واشتهر من افراد هذه الاسرة الكاهن الوثني الجليل الذي طارت شهرته في الآفاق باسم باسيان . فأقبل كبار الرجال في العالم يخطبون وده . والمروي ان



هذا الرجل الكبير ، كان مزداناً باخلاق عالية وآداب سامية جعلته موضع احترام الجمهور ، وهيأت ذريته لتسّم اعظم المراكز في الدولة الرومانية . وقد خدم الحظ هذه الاسرة بتهينة الاسباب التي بلغت بهم الى المنصة التي ارتقوا اليها كما ترى في ما يلي .

## ٥- سبتيميوس سيفيروس في مصر

سبتيميوس سيفيروس افريقي الاصل ولد في ١١ نيسان سنة ١٩٦ م ودرس الفقه في رومة فنبغ في القانون ، وتولى عدة مناصب حكومية في ايام اوريليوس وابنه كومود . وكان قائداً عسكرياً ماهراً احبه الجند جداً لانه كان ذا عطف شديد عليهم . ومما يؤثر عنه قوله للرومانيين : ايها الابناء ارضوا الجند ولا يهينكم من بقي .

ففي ايام كلود بن اوريليوس الذي تسّم عرش رومة (١٨٠-١٩٢) حدث حادث جلال . وذلك ان احد المحصين المدعو يوليوس اسكندر ، ترأس عصاة عاثت في البلاد فساداً لدرجة اقلقّت الحواطر ، وخشي الامبراطور كومود شرها . فلم يرَ بداً من ايفاد قائد مشهور بجزمه ومقدرته العسكرية لكبت الثائر وتهذبة الاضطراب . فلما بلغ سيفيروس المنطقة التي اعتمس بها الثائر المذكور طوقها بجنده وضيق عليه الخناق ، وحال دون وصول الزاد والمؤونة اليه . فلم يجد وسيلة للبقاء على ما هو عليه . ورأى الفرار من هذا المأزق الحرج اولى به . واذا وجد منفذاً لا تصل اليه يد القائد . فر مع صديق له ينبغي النجاة بنفسه . ولكن الجند الذي طوق المنطقة التي كان فيها كان شديد السهر على الثائر . فلم يفته المسعى الذي اراده . ولم يكد يجتاز المضيق الذي اراد المرور به ظناً منه انه يستتره عن عين الرقباء ، حتي تآثره فرسان الرومان . وكان جواده كريماً ، فلم يدرك الجند اثره . واكن صديقه قصرت زمالته عن مضارعة جواده بالركض . فأبت عليه مروّته ترك رفيقه فريسة لمطارديه . فتريث حتي لحق به وهو ينبغي ان يردفه وراءه ليجتاز معه الخطر . ولكنه ما كاد يصل اليه حتي ادركه رهط من الفرسان ، وسبقه فريق آخر ليحول دون فراده . واصبح القبض عليه امراً لا بد منه . فلم يشأ ان

يوت اسيراً فسبقهم الى قتل رفيقه ، ثم قتل نفسه . وهكذا ركبت الفتنة (١٧٩) .  
وكان لما قام به سيفروس تأثير عظيم لدى الدولة والامة التي قدرت له  
ذلك اعظم تقدير لحشيتهم مغبة انتشار الفوضى في ايام كانت كثيرة المشاغب  
والاضطراب ، لا تكاد الحكومة تجد راحة في بقعة حتى تجد فتوق في ناحية اخرى .  
وفي اثنا . وجود سيفيروس في حمص . وقع نظره مرة على دومنة بنت كاهن  
حمص ، وكانت بارعة في الجمال . وضمت الى جمال الخلق حسن الخلق . وقد  
مكنها ذكاؤها واجتهادها من تحصيل حظ وافر من العلوم الطبيعية والفلكية .  
فكانت بمرکزها الادبي والحسي مطمح  
الابصار .



جوليا دومنة

فلما رآها سيفيروس سحره جمالها  
وشعر بميل عظيم اليها ، ولاسيا انه  
بفراسته فيها ، توسم المستقبل المجيد الذي  
يبلغه باقترانه بها . غير انه تردد في اول  
الامر بطلبها من ابائها لانها كانت اصغر  
منه بعشرين سنة (جبون والمقتطف ٥١ : ٩٦)  
والكنه اقدم بعد ذلك على اعلان رغبته  
فيها . وذلك على اثر اجتماعه بعرافة شجعتة  
بقولها : ان هذه الفتاة ذات نجم عال  
وحظ حسن . وسيقتن بها يوماً ما رجل  
يتسّم عرش رومسة . فللحال اقدم على  
طلب الفتاة من ابائها . ورأى ابوها في

القائد كفوءاً لها واحس بميل في الفتاة اليه ، فلم يمتنع عن تلبية طلبه . فصارت  
دومنة زوجة للقائد سيفيروس . ورزق من هذا القران عدة بنين منهم كوكلاء الذي  
ولد له في ليون سنة ١٨٨ وجيتا .

وقمت نبؤة العرافة السورية ، فان كومود مات مسموماً في ١ ك ١ سنة ١٩٢  
فاقيم مكانه برتينكس والي سوريا ولكنه لم يستطع ارضاء الجند فثاروا عليه  
وقتلوه في ٢٨ آذار سنة ١٩٣ .



وتنادى الحرس في العطرسية والوقاحة فعرضوا الرئاسة للحراد ، فاجتمع كثيرون من العظماء وذوي الثراء واخذوا يتزايدون بالثمن ، وكان بينهم رجل غني جداً يدعى ديدئوس يوليان . فاستقرت المبايعة عليه ، ونودي به امبراطوراً بعدما نقد الوزعة الثمن وكانت قيمته ازيد من ٤٠٠ الف ليرة انكليزية بعملة هذه الايام (مبار ٤١٥) فلما بلغ هذا الامر الواطى . كتاب الجند في سائر الاصقاع ، اخذتهم ثورة الغضب ، ونادى كل جيش بقائده امبراطوراً . وكان آنشد سيفيروس يقود جيش الدانوب . وهو محبوب جداً من جنوده لعلو همته ، فنادوا به امبراطوراً . كما نادى اقاليم المشرق بنيجر ملكاً . وبريطانيا بالبيوس قيصر . فأسرع سيفيروس بمجنوده الى رومة ودخلها بموكب عظيم وتبوا سرير الملك . وللحال اصدر المجلس العالي الروماني حكماً بقتل ديدئوس كجرم فقبض عليه وقتل بعدما حكم ٢٦ يوماً (بني ١٨٠) . وانقسمت سوريا قسمين انطاكية وبيروت وما بينهما تحزبت لنيجر ، اما سوريا الداخلية واللاذقية وصور من السواحل فانها ايدت سيفيروس . فنقم نيجر على السواحل التي مالأت سوريا الداخلية ، فأرسل كتية الى اللاذقية باغتتها فاستولت عليها ودكتها الى الخضيض . ثم تابع زحفه على صور ففتحها واحرقها . وعول ان يعود بعد ذلك للانتقام من سوريا المجوفة ، ولكنه لم يكد يفعل حتى قدمت جيوش سيفيروس بمجازة طورس غير مبالية بتراكم الثلج فيها . فالتقتا جيوش نيجر وهم من شبان انطاكية . ونشب القتال بين الطرفين ، فانتهصر سيفيروس على خصمه الذي لجأ الى انطاكية ، فلم يجد فيها قوة تدفع عنه الاذى فبرحها ووجهته الفرات . فادركه بعض المطاردين وقتلوه وهو حامل سلاحه ، وكان ذلك سنة ١٩٤ . ثم عاد سيفيروس الى الغرب لمطاردة خصمه الثاني البيوس ، فأدركه خارج مدينة ليون على نهر الرون . فوقع بينهما قتال شديد كانت نتيجته فوز سيفيروس ووقوع خصمه بالاسر . فقتله سنة ١٩٧ واصبح امبراطوراً بلا منازع ، ولم يكن قيصر لرومة لحب بل احد القياصرة الافذاذ .

## ٦- سيفيروس اول القياصرة المحصبين

لم يكن سيفيروس حمصي المولد ولكنه كان حمصي الماطفة ، وكان لزوجته

التي عرفت في التاريخ باسم جوليا دومنة أثر كبير في الدولة في أيامه . فقد كان لها سراي خاصة كانت عبارة عن معهد علم وادب وسياسة . وكانت هي محور تلك الحلقة المؤلفة من اشراف الرومان واعيان السوريين . وقد اعترف لها بهذه الميزة عدد كبير من مؤرخي الرومان انفسهم . واكدوا انها لطفت كثيراً من اخلاق زوجها العسكرية القاسية . وجعلت مدة ملكه طويلة ، في آونة كثرت فيها المشاغبات . وقصرت مدة حكم الملوك بحيث اذا استثنينا مدة حكم سيفيروس الاول والثاني يبقى معدل حكم الامبراطرة الـ ٢٣ الباقيين سنتين فقط اكل منهم (بورتريه: ٥١٩) .

كان سيفيروس كما شهد له ابيكارديوس المؤرخ (٣٦٨) من مضارعي يوليوس قيصر في الشجاعة والبسالة والادارة العسكرية . وهذا انتصر على مقاوميه



سبتيميوس سيفيروس

مع ما هم عليه من قوة ، وبالرغم من الاضطرابات التي جعلت الجند احزاباً متعددة . وانما استطاع أن يضبط العرش لما رأى ان الوزعة استأثرت بالقوة وكادت تكون لها الكلمة العليا . فبعدهما اخذ الفتن الثائرة بسبب العرش أحضر الى رومة اربعين كتيبة من الكهنة المختارين الذين اعتقد فيهم الاخلاص لتقوم مقام الوزعة جاعلاً رئيسهم ثانيه في الملك (بورتريه: ٥٢٠) .

وبعدما وطد سلطته غزا الشرق . و اضاف الولايات الواقعة شرقي الدجلة الى مملكته . وفي اواخر أيامه قصد غربي اوربا فأدب الكلدونيين القاطنين شمالي بريطانيا ولكنه مات في يورك سنة ٢١١ .

وقد كان حظ سوريا عموماً وحصص خصوصاً حسناً بهذا ، القيصر اذ اولى هذه الاصقاع التفاتاً خاصاً وعناية جديرة بالبلاد التي اقام فيها مدة طويلة ، ولا سيما المدة التي كانت بين سنتي ١٨٢-١٨٤ التي اقتزن فيها بجوليا دومنة بنت باسيان كاهن حص ، فدرس حالة البلاد وعرف ما هي بحاجة اليه ، و جهده لتأمين



الطرقات وراحة البلاد بإيجابه على الجند ، عدم الانحراف عن الواجب العسكري وتعويده الشعب على العمل المجدي والانصراف عن الشعب الضار ، لذلك كثرت الآثار في سوريا الدالة على امتنان الشعب من امبراطورهم سيفيروس وامبراطورتهم جوليا دومنة ، كما يرى ذلك في الخططين ١٨٤٣ و ١٨٤٤ اللذين وجدتهما وذنبيكتون ( الدبس ٣ ص ٥٨٣ ) .

ومن آثار عنايته بسوريا قسمته اياها الى قسمين جعل القسم الاول سوريا الشمالية الممتدة من اقصى الشمال الى غاية السهول الممتدة على ضفتي العاصي الى انطاكية وما بين اللكام - ولبنان ، والثاني سوريا الفينيقية والشواطئ البحرية وشرقي لبنان الى البرية وتقع في هذا القسم بعلبك وحمص ودمشق وتدمر . ومن آثار عنايته في هذه البقعة صيانتها الحصون ال ٤٢ الممتدة ما بين دمشق وتدمر . واطلال بعلبك وهي من احسن آثار المشرق واعظمها كان بناؤها في ايام سيفيروس ( الدبس عد ٥٢٧ ) .

## ٧ - كاراكلا ثاني القياصرة المحصنين

مات سبتيميوس سيفيروس سنة ٢١١ بعد ملك مفلح ( ميار عد ٤١٦ ) تاركاً الملك بعده لولديه كاراكلا وجيتا . اللذين سبق له ان اشركهما معه في الملك واعطاهما لقب قيصر . وانما فعل ذلك تفادياً من تغلب احدهما على الآخر بعد وفاته ( بورتر : ٥٢١ ) فلما كلاهما معاً نحو سنة . وفي قلب كل منهما على الآخر من الضغينة مالا يتوقع مثله في اخوين شقيقين ، ولكن امهما تداركت الامر واصبحت بينهما ، فلم يطن الامر على هذه المصالحة حتى عادت النفرة ، وفي اثناء عتاب قام بينهما في غرفة امهما دفع التزق كاراكلا على مهاجمة اخيه بغضب شديد ، فليجأ هذا الى امه ولكن كاراكلا عليه الغضب ففتك به وهو في حضن امه . ثم اسرع الى العسكر يالئهم بعدما انفرد بالسلطة فانقادوا اليه واطمان على مركزه .

من الغرابة ان كاراكلا الذي تولى تهذيبه ايان فتوته استاذ مسيحي ( بورتر ٥٤٥ ) وظهر في زمن شبابه اديباً ورعاً حتى لقبه اترابه « بيوس » اي

التي ، قد انقلب لما تسنم السدة الملوكية الى رجل غضب ملي . بالعجب والقطرسة . ويرى بعضهم ان البيئة التي عاش فيها - وقد اصبح زمام السلطة في الحكومة والجيش في معظم الاحيان ( كما قال براستد عد ٩٦٨ ) بيد جماعة من الرعاع الاجانب - اثر فيه وظهرت آثارها بعد تسنمه العرش . اذ عراه وسواس محبي السيادة والاستئثار بالسلطة . نخشي مزاحمة اخيه فقتله في غرفة امه سنة ٢١٢ ثم تطوح في اعمال شانت اسمه وأدت الى موته وموت والدته حزناً عليه سنة ٢١٧ .

على ان المبادئ التي تلقنها في الصغر لم تمنحها الايام من ذاكرته ولم يزل اثرها في عاطفته . فان ضميره بصيغته شديداً على اغتيال اخيه وحاول



كاراكلا

اسمكات صوت ضميره باستصدار فتوى من الفقيه بابنيان الحمصي ، احد انساب والدته ورفيق والده في التلمذة . فأبى هذا بمآلاته على ما طلب . واجابه ان جريمة القتل اخف وطأة من تصويب ارتكابها . وقد اثر فيه تبكيت ضميره . حتى انه غادر العاصمة ومضى يتلهي بتجواله في الولايات . ولكن ضيقة صدره جعلته يستهدف لاشر مما فعل . فانه اذ كان في اسكندرية اتصل به استقبح بعض اهلها صورته فأمر بمذبة عامة ( مايار عد ٤١٦ ) .

على ان اعترافنا بما صدر عن كاراكلا من مساوي . لا يسوغ لنا نسيان ما اتاه من حسنات . فقد ذكر له المؤرخون ما ملخصه :

(١) منحه حق الوطنية لجميع ساكني الامبراطورية ، فأدى ذلك الى إملاء الخزينة بالرسوم التي تقاضتها من الجميع الذين كانوا يؤدونها بطيبة خاطر لحصولهم على الرعاية الرومانية ، وهذه الفكرة تمخضت بها السلطة الرومانية في فجر التاريخ الروماني ولم تبرز الى الوجود الا في ايام كاراكلا ( مايار عد ٣٠١ و ٤١٦ ) .

(٢) اقامه ما بدأ به من الآثار الخالدة في بعلبك فهو الذي انشأ الرواق والعرصة امام هيكل المشتري ، كما روي في تاريخ الرومان عن ديون كاسيوس معاصر هذا الملك ( الدبس ٤ ص ١٤ ) .



(٣) عرضه معونته على كل من يلوذ به . ومن اقواله لخاصته ان من صاحبه مدة ولم يطلب اليه شيئاً فهو غير واثق به . ومن لم يثق به شك في اخلاصه وساء ظنه (بورتير ٦:٨) .

## ٨- ايليوكابال ٢١٨-٢٢٢

ذكرنا ان كاراكلاً قتل سنة ٢١٧ وهو يحاول اخضاع البرثيين في الشرق . وانما اغتاله رئيس الحرس المدعو مكريينوس النوميدي . ولم يكن الجند راضياً عن اغتيال كاراكلاً لانه كان يغمرهم بأعطياته . فأذعن بعضهم مرغماً ولكن الباقين اعلنوا استيائهم . ومن الناقين المجاهرين الفيلق الحمصي ، الذين اعلنوا اختيارهم للعرش القيصري ايليوكابال ابن سليل الاسرة الباسيانية المحترمة جداً عندهم .

والذي ذكره المؤرخون في سبب ذلك ، ان مكريينوس هفا عده هفوات جعلته مكروهاً من الرومان . منها :

(١) ان ملك الفرس اربطبان بسط سيطرته على ما بين النهرين وجهاز مكريين حملة لاستردادها فلم يفلح . وليس ذلك فقط ، بل رضي بصالحته واطلق له الاسرى ودفع له ١٤ مليوناً من الدراهم ليتغلى له عن بعض المواقع التي احتلها .

(٢) انه ذل لملك الارمن تربيدات فتغلى له على بعض البلاد في الكبادوك ورد عليه امه التي كان قد سبها كاراكلاً .

(٣) انه اهمل شؤون الدولة واقام في انطاكية لمشاهدة الرقص وسماع الاغاني . ولما عوتب ادعى انه انما اقام في انطاكية ليعيد الجنود التي امن بها المشرق ، الى البلاد التي يستقدمهم منها .

(٤) واهم ما اثار المحصين عليه . انه عدا اغتياله وطنيهم كاراكلاً وتسيبيه وفاة امه جوليا دومنة المحصية ، ابعد عن رومة اختها ميثراوبنتيا سوميا ومامة . وكان هؤلاء حاصلات على قسط وافر من الذكاء ، وثروة عظيمة من المال لم يكن يبتخلن بينها في سبيل المجار . وكانت صلتهم بالنسبة بالاسرة المالكة

خير عون لمن على نيل ما يطمحن بأبصارهن اليه . وقد تزلت كل من سوميا وماتمه على ولد واحد ويدعى ابن الاولى افيتوس باسيان ، وابن الثانية اسكندر . فلما ابعدهما مكرينوس من رومة مع والدتهما ميذا ، عدن جميعاً الى حص وجاوران هيكل الشمس فيها . وقدمن ذواتهن ومالهن للمعبد . وقبضت ميذا على مفاتيح الهيكل واقامت اكبر الولدين اعني به افيتوس كاهناً للهيكل وارثاً لجدّه باسيان . فاختنن وامتنعن عن أكل لحم الخنزير اتباعاً لما يجب على سدنة الهيكل ، واظهر من التقوى والورع ما جعله محبوب الجميع ، ودلت الآثار القليلة الباقية على المنزلة العظيمة التي نالتها هذه الاسرة في هذا الدور ايضاً . فقد دعيت ميذا في احداها « الكلية القداسة » وسوميا « الزهرة » اما « ماتمه » فحسبها ما نقل عن ادبها ورصانتها في مراسلاتها لاوريجانوس الشهير .

كان لأفيتوس باسيان آنثدر من العمر ١٤ سنة وكان جميل الصورة معتدل القامة . فاذا ذهب الى الهيكل لاقام الواجب الكهنوتي شخصت اليه الابصار ، وتراحت الاقدام للقرب منه ، وتطالت الاعناق لرؤيته . فيبدو لهم بوشاحه البرفيري المذهب واكيله المرصع بالجواهر والحجارة الكريمة كملك او أعظم . وبذلت جدته ميذا وابنتها المال الوفير للجند . فكاد اعجابهم بافيتوس يبلغ درجة العبادة . واعتقدوا انه ابن كاراكلا الجدير بان يخلف اياه على العرش ( يني : ١٨٢ ) ورأى آخرون انه حفيده ( يورتر : ٥٢٢ ) .

هذه الحالة جعلت العرش ادنى الى افيتوس من قايي قوس ، والاحتراس الذي ابداه مكرين بايفاده فرقة من الجيش لمراقبة الهيكل والقائمين بامرهم لم ينفعه شيئاً ، وصدقت اقوال سوميا انه ان البرفير يغطي كل عيب ، وان الجند يؤثرون نفهمهم المالي على المملكة نفسها . فان ايثار ميذا جدته التاج الملكي على كل ما لديها من المال ، اوصلها في آخر الامر الى ما صبت اليه .

ففي احدى الليالي بينما كان الجند الموكلون بمراقبة الهيكل يغطون في نومهم . اتى افيتوس الى معسكر الجيش الحمصي ، تتبعه مركبات تقبل الاكياس المملوءة ذهباً ، وكان مساء وكان صباح ، واذا الجند ينادون بافيتوس ملكاً ، وسمي اذ ذاك مرقس اوريليوس انطونينوس ايليوكابل ، وكان ذاك يوم ١٦ ايار سنة ٢١٨ .



فلما درى اولبيوس يوليان قائد الجيش المربط في جوار حص وهو احد رجال الحرس الملكي با جرى . اسرع مع رهط من فرسانه الى المعسكر وحاول فتح ابوابه ، فصدده الجند . ثم اعاد محاولته ثانية فلم ينل مأربا . بل بالعكس ارتقى الجند الى اعلى السور وظهروا لرفاقهم ابن كاراكلا . واكياس الذهب التي اتت بها ميذا جدته . فقلب الفرسان للحال ظهر المحن لقائدهم وقتلوا ضباطهم ، وانضموا الى جيش ايليوكابال . فلم يبالي مكرين بادی . بدء لهذه الثورة واعتبرها حركة نسائية ليس الا . ولكنه لما وافاه رسول من معسكر حص وطرح امامه هامة القائد يوليان وهو يهتف بل . صوته : « ابشر مولاي فقد جئت بك برأس ايليوكابال » استغرب هذه الجراءة . وحاول ان يستعمل الوسيلة نفسها التي اوصلت ايليوكابال الى مرماه ، فلم يفلح . اذ عرف الجند ان هذا السخاء انما هو تعليل الخائف ، فأخذ جنوده يغادرون معسكره وينضمون الى فيلق حص ، حتى ان فرقة افاميا برمتها انضمت الى الفيلق .



ايليوكابال

ولما رأى ايليوكابال ان قوته ليس مما يستهان به . طمع بالاستظهار على مكرين والتقى الجيشان على تخوم سوريا وتسلم قيادة الجيش الحمصي خصي لمامه - خالة ايليوكابال - فأحسن اتخاذ استحكامات حصينة ، وتقدمت الجيش ميذا وسوميا مع ايليوكابال ليزيدوه جرأة ، فأخذ الملح قلب مكرين . ففر من الميدان تاركا قادة جيشه وحدهم

للمدافعة عنه . فلما رأى هؤلاء نذالته ، وسمعوا نداء ايليوكابال ووعدته اياهم بابقائهم في مناصبهم ، سلموا سلاحهم وانقادوا اليه ، فأصبح كاهن هيكل الشمس امبراطورا لرومة في ٨ حزيران سنة ٢١٨ .

اما مكرين الذي فر متشكرا وكان ينبغي المناداة بابنه قيصرأ بمساعدة ملك الفرس ، فقد اتى القبض عليه في خلعيديون ، وادرك فرسان ايليوكابال ابنه عند الفرات فقتلوه . ودرى الاب بقتل الابن . فسقط من المركبة فأنخلع كتفه وأتم الجنود قتله بعدما ملك ١٤ شهرا ومات وله من العمر ٥٤ سنة . وبعد هذا الظفر ، برح ايليوكابال حص الى رومة مستصجبا معه الحجر الاسود ، فدخل رومة بثوبه البرفيري ، وميذا وبناتها من خلفه . ولما استقر

على العرش اقام ندوة للنساء جعل امه رئيسة هذه الندوة . اما مامته خالته فاعتزلت أبهة العرش وانصرفت بكليتها لتربية ابنها اسكندر واعداده لاسمى المناصب عن جدارة .

اما ايليو كابل فقد انقاد الى اهوائه الشبابية وكان كثير المجون قليل المبالاة بشؤون الدولة ، وبلغ استياء الرومانيين منه الحد الاقصى لأمرين اتاهما بدون تفكير . اولهما تقديم عبادة الحجر الاسود على آلهتهم . وثانيها اغتصابه احدى عذارى هيكل فيستا . وزاد على ذلك انه سلم اسمى مناصب الدولة الى زمرة من الشبان كانوا يساهمون اعمال الطيش ( بورتز ) .

وشعرت جدته ميذا بالعاقبة السيئة التي تنتظر تصرفه الشائن ، فأوعزت اليه ان يسمي ابن خالته اسكندر قيصرأ ويتخذه ابناً له ليعاونه في المقابلات الرسمية وتدير المملكة وخدمة الآلهة . ولم يكن لاسكندر آنذاك من العمر سوى ١٢ سنة . لكنه كان ذكياً لين العريكة حازماً مع طلاقه وجه . وقد توقعت امه وجدته منه نجاح اسرتهما ، ولأجل هذا الغرض اقامت له مهبدين يرافقونه دائماً لكي لا تزل قدمه الى رذيلة . وكانت نشأته هذه العالية سبباً لميل الجمهور اليه واعتبارهم اياه .

وشعر ايليو كابل بميل الجند اليه لحاول اهلاكه خشية مزاحمته اياه على العرش . ولكن والدته مامته كانت ساهرة على ابنها ، واقامت خداماً تثق باخلاصهم ليعولوا دون وصول كل طعام يبعث به الملك اليه . ولما لم تنجح مساعي ايليو كابل السرية قرر الفتك به علناً . ولكنه خشي الجند ، فأراد ان يسر غور محبتهم له . فأشاع موت اسكندر ليرى تأثير ذلك فيهم . ولكن هؤلاء عرفوا عدم صحة الاشاعة فتهافتوا على القصر الملكي طالبين بالحاح شديد رؤية اسكندر ، فاضطر ايليو كابل اخذاً لثورتهم ان يسير مع اسكندر بين الجند ليروه ويطمئنوا ، فعلا الهتاف بحياة اسكندر ، فاستاءت ام ايليو كابل واثارت وزراءه واصدقائه على الجند ، فحصل عراك بين الحشد العظيم المنتقم الى فريقين انتهى بقتل محازبي ايليو كابل واضطر ايليو كابل ان يختفي في مراحض الجند ، فقتل هناك وجثته في الاسواق ثم طرحت في نهر التيبر . وألحق به إلهه الاسود ، وكان ذلك في ١١ آذار سنة ٢٢٢ ونادى الجيش بابن خالته اسكندر ملكاً باسم مرقس اوريليوس اسكندر سيفيروس .



## ٩- سيفيروس الثاني رابع انطاكية المحمدين

ولد اسكندر سيفيروس في خريف سنة ٢٠٥ من ابوين فاضلين هما جاسيوس مركيان وماتمه باسيان . ودعي وقت ولادته اليكسيان باسيان . وكانت والدته ماتمه من المشهورات بعلوم المدارك وسمو الآداب ، لذلك ثقفت طفلها ثقافة عالية . ولما نشأ سلمته لافضل المعلمين واعلمهم . حتى يقال فيه هروديان (١:٦) انه كان لهذا الملك عند استوائه على العرش كل مسا يليق بملك من وزراء وحاشية وحشم . ولما وسد العرش القيصري الى ابن خالته سنة ٢١٨ صحب امه معه الى رومة . وسنة ٢٢١ جعله ايليو كابل ابناً له بالتربية ومنحه لقب قيصر وهو لا يزال ابن ٢٢



سنة . ثم تغير عليه وعسبه مناظراً له لا يستقر امره بدون هلاكه . فسمى لذلك جهده ولكن يقظة امه انقذته من الخطر الذي اعد له . واجبه الجند كثيراً فأفضى بهم ذلك الى الفتك بايليو كابل وتنصيب اسكندر على العرش فلقب نفسه سيفيروس للاتصال بمن حسب جداً له .

وحالما تسلم العرش شمر عن ساعد الجد لاصلاح ما اورثه اسلافه من الخلل . مستعيناً برأي جدته السديد وحصافة فكير والدته . فانتخب من رجال الندوة ١٦ رجلاً ممن حنكهم الدهر وشهد لهم الجمهور بالفضل ، والف منهم ديوان مشورة . وحظر على ادباب المجون والعازفين على الآلات والمغنين الدخول الى ديوانه .

ورأت والدته ان يستقدم اليه ابن وطنه اوليان الفقيه . وبقية رئيساً للمحرس الملكي ، بحيث لا يقابل الملك احداً بغير حضرته ، فأخذ هذا يرفع اليه دعاوي الناس ويلقنه كيفية حلها او التصرف بها . واقام لجنة من اربعة عشر قنصلاً لمعاونة والي رومة في الدعاوي التي تعرض من احياء المدينة الاربعة عشر . فكان ذلك مجلساً بلدياً للعاصمة ، يحول دون استبداد الوالي او استشاره .

وكان اذا تأخر عن مجلسه فضلاء القوم سألوا نفسه بمطالعة احد الكتب النافعة نظير « جمهورية افلاطون » او « مقالات شيشرون » او « رسائل هوراس » . وكان في كل سبعة ايام يزور معابد الكابيتول مرة ، غير انه لم يكن يسكنر التقدم لها ، ولما عاتبه على ذلك بعضهم اجابه : ان الآلهة تتمر بممارسة الفضائل اكثر من احتكار المال .

ولاجل رفع شأن المرأة الى المستوى اللائق بها ، اقام ندوة للنساء ترأستها جدته ثم امه ، اعطاها سلطة واسعة في تهذيب كل امرأة تتجاوز حدود اللياقة . فأوقف بهذا الخلاعة التي كشفت عن معصيتها وبرزت نهديها ، في عهد ابن خالته ، واكثر الضرائب على الصاغة وباعة الحلي الذهبية والمنسوجات الفاخرة . ليقفل اسباب الترف . كما انه خفضها على الحاجيات ليخفف عبأها عن عائق الفقير . ومما حفظ من مآثراته بشأن التبرج قوله :

« ان شغل النساء بالتبرج لا يبقين لهن من الوقت ما يجملهن اعضاء عاملات في الحياة الاجتماعية » .

« يستبج الرجل مال غيره لاجل حلي المرأة ، وتستبج المرأة غير قلب زوجها لاجل حليها » .

« ان الجوهرة الثمينة لا تستمد قيمتها من معدن آتخر لان جمالها قائم في نفس جواهرها ، فلتتسابق النساء على حميد المزايا وحسن الخصال بدلاً من التهاوت على الازياء » .

على ان سيفيروس الثاني لم يحارب الازياء فقط ، بل حارب المرائين ايضاً . اذ منعهم من تقاضي اكثر من ثلاثة في المئة ، وكان من اقل المالك تمسكاً بالوثنية . مقتصداً في معيشته ولبسه ، نافعاً رعيته بمشاله الصالح . وقد كتب على باب قصره : لا تفعل بالغير ما لا تريد ان يفعله الغير بك .

ومما يؤثر عن محبته لجنده ، انه كان يعني بامرهم بذاته ، فيفتش على المرضي في خيامهم ، ويسأل عن اسباب امراضهم ، ومن يشتد مرضه ينقله الى مستشفيات المدينة ويقدم له العلاج من صندوق الحكومة . وكان يقول : تجب على الجندي الطاعة ، وعلى الدولة حفظ حياة جندها بحسن اللباس والسلاح الجيد ، وحفظ القدمين بالاحذية الواقية من البرد ، واملاء جيبه من الدراهم لكي لا تصغر مروته بسبب الحاجة



وسنة ٢٣١ دفع الغرور ملك الفرس فطلب من اسكندر البلاد التي  
ضبطها الروم . فجهز حملة لمحاربة الفرس ، ورافقه امه في هذه الحملة ، ويظهر  
من خطبته التي القاها في الندوة في ٢٥ ايلول سنة ٢٣٣ انه انتصر على الفرس  
واسترد كل البلاد الواقعة في ما بين النهرين وغنم غنائم وافرة .

ثم بلغه ان الجرمانيين ثاروا وقطعوا الطريق المؤدية الى غاليا (فرنسا)  
فسار بجيشه الى حيث الثوار تصحبه امه ، وخيم على الرين ، واهتم في بادىء  
الامر ان يسترضي الثائرين بالمال تنكباً لنكبات الحرب . ولكن احد قواد



الجيش مكسيموس التراكي اهاج  
الجند على اسكندر ، بحجة انه  
يريد افراغ الخزينة واعطاءها لاعداء  
الدولة وهي من حق الجند الروماني .  
فانصاع الجنود الى كلامه ، فنادوا  
به ملكاً بدلاً من سيفيروس وألقوا  
عليه البرفير الملوكي . وساروا به  
مدججين بالسلاح الى خيمة الملك ،  
حيث كان مع والدته ، فأرادت  
امه ان تأمر الحرس بالقبض على  
القادمين او الحيلولة دون دخولهم ،  
اما هو فقال بل دعوهم يدخاؤن .  
فلما دخلوا فتكروا به وبأمه في ١٩  
آذار سنة ٢٣٥ ، ولم يكن له من  
العمر سوى ٢٦ سنة قضى نصفها

مامة ام اسكندر سيفيروس

ملكاً . ولم يبق لسوء حظ العالم طويلاً كما قال يوسوبت . وشهد له معاصروه  
ومن تلامه انه افضل امبراطور تسنم العرش الروماني من عهد اوريليوس الى  
ديوكليتيان ( ١٨٠-٢٨٤ ) .



## ١٠- منه آثار القياصرة المحصنين

### اولاً- الطريق

رأى الاثريون اثراً واضحاً للطريق الرومانية ممتدة من مياس حمص حتى مصياف . وقد برزت بصورة واضحة في عدة نقاط من الطريق . نظير خربة الجاموس ، وخربة السوداء ، وأم محناية ، وشرقي تلليل ، وغربي كفرلاها ، وتل الذهب ، ثم تضيع هذه الآثار في جهات عقرب وبعرين . ولكنها تعود فتظهر في البياضية والسويداء ومصياف .

وتتجه الطريق بعد مصياف الى الشرق مارة بكنفو والعارمية والعالمية وتل ساحب . مجتازة جسر للعشارنه الى قلعة المضيق فسهل الغاب . ويرجح بعضهم ان رصيف سهل الغاب من صنع الندی بنى اقاميا لانه ممتد منها الى انطاكية فالقسطنطينية ( انظر الجولة الاثرية : ١٣٦ و ٣١٩ ) . وكيفما كان الحال فان حجارة هذا الرصيف ما برحت بارزة في مواضع كثيرة تغيب تارة وتظهر اخرى بازاء اعضاء جبل الزاوية غير مفارقة له .

وعناية الدولة الرومانية بايصال الطريق الى حمص دليل على اهتمامهم بامرها ومن اجدر بهذا الاهتمام وهذه العناية اكثر من القياصرة المحصنين ؟ على ان ما كشف من آثار هذه الطريق يدل على دقة الرومان في تخطيط الطرقات واتقان رصفها . فقد فهم انهم كانوا يخططون الطريق اولا غارزين اوتاداً للدلالة عليها . بحيث يكون عرضها من ٨-٢٠ قدماً . وعندما ينتهي التخطيط الذي يكون في الغالب مستقيماً ، يتزعون التراب من المخطط حتى يبلغوا الطفال فيصلاً بونه بالمدقات . ثم يبسطون طبقة من الحجارة الصغيرة ترص بالمطارق حتي تغور في الطفال وتندغم به . ويضعون فوق هذه الطبقة طبقة ثانية من الحصى والرمل والطين ثم طبقة ثالثة من الحصى والرمل والجير ( الكللس ) وفوق هذه طبقة رابعة من الحجارة المكسرة والطين . وفوق ذلك طبقة غليظة من



الحجارة الصوانية الكبيرة . ينحتونها ويلصقون جانب احداها بالآخرى حتي يكون منها سطح مستو لا نتؤ فيه ولا شق .

وبعد هذا يحفرون على جانبي الطريق خندقاً تجري فيه مياه المطر لكي لا تجرف الطريق إبان سيرها القوي المتحدر . وخشية ان يتلف الطريق مجاوروها ، بنت على جانبيها جدارين . وحظرت بناء منازل بقربها ، او غرس اشجار لكي لا يحد الاصوص وراها مخبأ يبرزون منه بقعة لسلب السابلة .

وبنوا عند كل خمسة اميال محطة للبريد فيها ٤٠ فارساً لنقله ليلاً ونهاراً فكان البريد يقطع في اليوم نحو مئة ميل ، وبهذا وصل الخبر من انطاكية الى القسطنطينية - لما ثار اهل الاولى على ثيودوسيوس - ظهر اليوم السادس مع ان المسافة بينهما نحو ٦٤٠ ميلاً ( المقتطف ٢٠٢ : ٦٤٠ ) .

قال صاحب المقتطف بعد وصفه طرق الرومان : لولا البخار اقلنا اننا قصرنا عن بلوغ شأو الرومان في ما انشأوه من السكك كما قصرنا عنهم في كثير من ضروب المجد اه .

### ثانياً - عمران المنطقة

وفي هذه الحقبة بنيت مئة مدينة في مسافة لا تزيد عن ١٨٠ كيلو على ضفاف العاصي وكلها تدل على سعة حال ساكنيها . ظن بعضهم ان هذه المدن بنيت في ايام السلوقيين ، وظن آخرون انها بنيت إبان وجود الحكومة الوطنية ، ولكن الوقت الذي حدده لها بركات يلائم هذه الحقبة اكثر من سواها . فان السلوقيين هياؤوا الافكار للعمران ، ولكنهم اهتموا ببناء مدن في مواضع خاصة طبقاً لاغراض سياسية .

إن بناءهم المدن المشار اليها نبه افكار المحصين الى العمران الذي يهتم المنطقة الحصية من الوجهة الاقتصادية . فبدى في ابراز هذه الفكرة في عهد حكومتها الوطنية ، ثم اكل في ايام القياصرة المحصين . الذين بدون ريب اظهروا مطلقاً خاصاً للبلد الذي نبثوا في حقله ، ونشأوا ضمنه ، وعرفوا كيف يستثمرون نهريه العظيم اورانتس .

## مأثراً - زرقية نجارة حمص

لما ارتقى الفن الزراعي في حمص وكثرت حاصلاتها . اقتضى الامر ايجاد اسواق لها خارج المنطقة المحمية لوفرة الانتاج . فتم للتعارف بينهم وبين البلاد القريبة ، ثم اتخذوا لهم فيها اسواقاً لمنتجاتهم التي اخذت شهرة عالية من الرواج ، فأقام تجارها لعمالهم مراكز في اهم البلاد الاوربية ، ولاسيما ذات المرافق الكبيرة ، وقد اتصل بنا من اعمال تلك المدن ما يلي :

من اعمال نابولي اوسقيا وبوزولي ، ومن اعمال فرنسا بوردو وليون واورليان ، ومن اعمال بروسيا برلين وتريف .

روى غرينوريوس الطوري ( ك ٨ : ١ و ١٠ : ٢٦ ) انه لما توفي اسقف برلين خلفه في الاسقفية تاجر سوري . وفي كوزنكورديا ( ايطاليا الشمالية ) يستنتج من آثار مقبرة قديمة فيها خصصت بالاجانب ، ان المدفونين فيها جميعهم سوريون واكثرهم من افاميا ( من اعمال حمص آنئذ ) التي كان لها الحظ الاوفر من التجارة السورية . وكان آنئذ عدد العمال في نسج الحرير نحواً من ثلاثة آلاف عامل ( الدبس عد ٥٧٤ ) .



### ٨ مقدمة حوادث حصن في الحقبة السابقة

انضمت حصن حوالي سنة ٧٩ الى المملكة الرومانية ، كما ادغم فيها سائر المقاطعات السورية في اوقات متباينة . ولكن هذا الضم لم ينجر الحصين اباؤهم ولم يكشف انوار ذكائهم . بل ظلوا صرعي الجانب عند الدولة الرومانية نفسها . وقد استعان امبراطورها برجال حصن الاشداء على اكثر المواقع خطراً . وروى احد المؤرخين ان احد القياصرة انتدب الفأ من الرماة الحصين للاقامة في بانونيا ( الحجر ) لتوطيد الامن فيها ، وحسبك دليلاً على الاثر العميق الذي تركه الحصيون في اوربا ، ان احد ادباء الرومان الكبار كتب مامعناه : « ان العاصي صب مياهه منذ مدة طويلة في نهر التيبر حاملاً معه لغتة وعاداته اه » .

مرّ قرن او ازيد وموقف الحصين يتعالى في الهيئة الاجتماعية الرومانية . الى ان تسنى لرهب منهم ان يبلغوا أعلى منصب في الدولة . وهل ثمة اعلى من العرش الامبراطوري ؟ هذا المنصب السامي وصل اليه أنسال كاهن حصن الوثاني الجليل باسيان ، بداعي اقتران سبتيميوس سيفيروس بابنته دومنة ذات الجمال الباهر والعقل الناضج والادب الجم .

فلما مات سيفيروس الاول سنة ٢١١ عن ٦٥ سنة ، قضى منها ١٨ سنة بملك متوج بالنجاح ، خلفه ابنه من دومنة « كاراكلا وجيتا » ، غير ان الاهمية التي كانت آنذ لفرقة

الحرس جعلت اتفاق الاخوين متعذراً . وسعي والدتهما « دومنة » بالتوفيق بينهما ذهب عبثاً . اذ هاجم قصر الوالدة في تلك الآونة بعض القادة المتحيزين لابن الاكبر ، واعملوا سلاحهم بجيتا الابن الاصغر ، واصيبت الوالدة بجرح في يدها بينما كانت تدافع عن ولدها ، وكان ذلك في ٢٧ شباط سنة ٢١٢ (جبون) ، واستأثر كاراكلاً بالعرش بمساعدة الجند الذي اغدق عليه الهبات من مال ابيه المكس في الخزينة فكان ثاني القياصرة الحمصيين .

على ان كاراكلاً اصبح عرضة لتبكييت ضميره بعد الذي فعله . ولاسيما بعد قتله بابنيان الفقيه لانه لم يبرر عمله كما برر سينبكا نيرون . (جبون المباحث ١٦ : ٨٠٤) فترك العاصمة وقضى بقية ايامه متجولاً في الجهات الشرقية من الامبراطورية الرومانية ، فاغتاله مكرينوس في آذار سنة ٢١٧ في جهات حمص .

ولم ينجح مكرينوس في ما سعى اليه ، اذ لم يستتب له الحكم اكثر من سنة وشهرين . ثم اعيد العرش الامبراطوري لثالث القياصرة الحمصيين ايليو كابل حفيد باسيان من ابنة بنته سوميا ، والمقول انه ابن كاراكلاً ، هذا قضى السنوات الاربع التي تسنم فيها العرش بالتurf فله الناس وقتل سنة ٢٢٢ ، وخلفه ابن خالته اسكندر سيفيروس ، رابع القياصرة الحمصيين وآخرهم ، الذي قال فيه المؤرخون انه لم يقيم مثله على عرش رومة منذ مرقس اوريليوس الى ايام ديوكليتيان (١٦١ - ٢٨٤) والذي قال فيه بوسويه ان عدم تعميره طويلاً كان من سوء حظ الدولة الرومانية ، كما كانت قصر حياة سمي اسكندر الم في من سوء



حفظ العالم . وقد استطاع رئيس الحرس ان يثير الجند عليه بحجة انه لم يفلح في حروبه ، وان الدولة بحاجة الى امبراطور عسكري . فقتل مع والدته في ١٩ آذار سنة ٢٣٥ ، وخلفه مفتاله مكسيموس التراكي .

وكانت مدة القياصرة المحصين ذات جدوى كبيرة للمص اذ بلغ عمرانها درجة عالية ، وفتحت لها اسواق في معظم المدن الاوربية لتجاريتها الناجحة ، ووصلت الطرق الرومانية اليها ، وصارت محجة الرواد من كل الاقطار ، في حين ان الدولة الرومانية عانت اوقات عصيبة جداً ، وتكرر انهيار العرش القيصري وضاعت اهميته مدة طويلة بعد انقضاء عهد القياصرة المحصين الذي استمر نحو ٤٢ سنة (١٩٣ - ٢٣٥) .

مختتم

المذكورة الى ضمن صدر كتاب هذه الحقبة

## (١) تيطس ليفي ٥٩ ق م - ١٧ م

وضعه اللاتين بمنزلة هيودوت عند القدماء وماكولي عند المحدثين . اعظم مؤلفاته تاريخ رومة من اقدم ادوارها الى سنة ٩ م . ولم يحفظ من هذا المؤلف البالغة اجزاؤه ١٤٢ سوى ٢٥ كتاباً . وقد آسف المؤرخون كثيراً على ما ضاع من اسفاره لدلالة الباقي منها على اهمية الضائع ، وقد مر بنا اقتباسات كثيرة عنه .

## (٢) تاسيت ٥٥ - ١١٧ م

مؤرخ روماني تولى وهو صغير احدى مأموريات الحكومة وتزوج ابنة اغريقولا ، ثم صار حاكماً في ايام دوميتيان وقنصلاً في زمن نرقا . واشتهر في الخطابة والفصاحة والشريعة ، ومن المؤلفات التي خلفها :

(١) ترجمة حياة اغريقولا وقد تضمنت تاريخ بريطانيا القديمة وهي ميزة الكتاب الخاصة .

(٢) تاريخ جومانيا - وضعه سنة ٩٨ وهو اثنى مؤلفاته . قابل فيه فضائل الجرمانيين غير المهذبين على آثام الرومان المهذبين ، واظهر عظم الفرق بينهما .

(٣) تاريخ رومة وضعه سنة ١٠٥ وضمنه تاريخ رومة من سنة ٦٩ - ٩٦ . ولا يوجد من هذا المؤلف الآن سوى الاجزاء الاربعة الاولى وبعض الخامس الواصل الى سنة ٧٠ م .

(٤) تاريخ مختصر لحوادث سنة ١٤ - ٦٨ . ولا يوجد من هذا ايضاً سوى تسعة اجزاء من ١٦ وبعض قطع من الاسفار الباقية .

وقد وضعه كثيرون بدرجة تومسيديديس . غير أن آخرين انكروا عليهم ذلك واكتفوا بان وضعوه بصف سلفه سلت .



ومما يذكر لتاسيت حماسته ودقته . وانكته ادخل في كتاباته اموراً كثيرة  
كسفت رونقها ولاسيا القم الاخير من تاريخه .

وقد طبع مجموع تأليفه وهو غير كامل في فينا سنة ١٤٦٩ . ومما له صلة في  
المنطقة السورية ذكره الطير المدعو فينيق الذي زعم انه رؤي حقيقة في السنة  
الرابعة والثلاثين لطيباريوس . ونقله عن بوسانياس ان الفينيقيين هم الذين اختطوا  
مدينة ااتوس الساحلية احدى عواصم قبرس التسع ، التي دعيت باسم اماتوس  
الميتولوجي ابن افروديت الخ .

### (٣) بلوترطرخوس ٤٦ - ٥٠

من اشهر الكتاب القدماء المدققين . فاق اقرانه بكتابة التراجم ، ومثل  
المترجمين كما كانوا لا كما يجب ان يكونوا . ولم يكن حكمه خيالياً بل شهد  
با سمعه باذنه وراه بعينه . وشغلته هذه الفكرة عن المسيحية التي انتشرت في  
ايامه فلم يذكر شيئاً عنها . اما لاشتغاله عنها بما ذكر ، او لتعصبه لدينه الخاص الذي  
بواسطته حفظت معظم مكتوباته .

سماه مايار (عد ٢٦٣) امير كتبة التراجم وسيتي ذكره خالداً في العليات  
كؤلف لكتاب شهير . فيه قابل بعبارة بليغة ملائ بالوادر المستحسنة ، رجال  
السياسة والجنود اليونانيين بالسياسة والجنود الرومانيين اهـ . وقد اظهر في هذا  
الكتاب ان اغريقية لم تكن اقل انتاجاً من رومة ، وقد بقي من تراجمه  
٤٦ ترجمة .

على ان له غير ما ذكر ١١ كتاباً في المباحث التاريخية ومن اهمها تاريخ  
حياة الاسكندر التي مرّ لنا اقتباسنا شيئاً عنه من تاريخ المذكور .

### (٤) سويتونيوس

نبغ في الربع الاخير من القرن الاول وغاش الى العقد السادس من

القرن الثاني . ومن مؤلفاته ترجمة حياء ١٢ قيصرأ سود فيها صحائفهم بذكر  
اعمالهم الشريفة .

#### ٥) اريان ( ١٠٠ - ٠٠٠ )

هو فيلسوف ومؤرخ يوناني . ولد في نيقوميديّة وامتحن السياسة فصار والياً  
على كبادوكية . وحارب امة الألانس فظفر بهم و صار قنصلاً . وسنة ١٥٠ رجع  
الى بلاده وانفزل للمطالعة والتأليف فنشر خطب معلمه ابيسكتيتوس الفلسفية .  
وكتب اشياء نفيسة في الفلسفة والجدل والتاريخ والجغرافية والصيد وتنظيم  
السلح والقوات الحربية وغير ذلك . وافضل تأليفه واوسعها «حروب الاسكندر»  
وله غير ذلك من التأليف المفيدة .

#### ٦) لوكيان السميساطي ( ١٣٧ - ٢٠٠ )

من نوابغ القرن الثاني ولد في سميساط سنة ١٣٧ ومال في اول امره  
الى صناعة التماثيل فمهر بها . ثم درس الفقه و صار محامياً . ثم انكب على درس  
الفصاحة والفلسفة . وطاف آسيا وبلاد اليونان وفرنسا وايطاليا . ثم اقام في اثينا  
وعمره اربعين سنة . فألف كتباً كثيرة زدد فيها بعاتات العامة وفند اوهام  
عصره . ولكنه بالغ في اندفاعاته اذ جوف الحقيقة مع الاوهام . واحصيت  
مؤلفاته فبلغت ثمانين مؤلفاً من اهمها تحفته التاريخية « كيف يجب ان يكتب  
التاريخ » وهو حكم مرت عليها العصور وما برحت روعتها ظاهرة ، ومن  
ميزاته الخاصة وقوفه فوق النزعات الحزبية .

ومن الماعاته وصفه معبداً بجوار كركيش بني على طراز حثي قال فيه :  
انه يشبه هيكل سليمان مؤلفاً من دار خارجية وهيكل داخلي يحوي قدس  
الاقداس يفصله عن باقي المعبد حجاب كثيف . على جانبيه عمودان مخروطيان  
وفي الدار الخارجية مذبح كبير من اللوحاس وعلى شماله صورة آلهة ومن



ورائها حوض ماء فسيح كان يسبح فيه السبك المقدس . وداخل الهيكل قرص الشمس وثايل آلهة شتي معظمها منتصبة على اسد او على ظهر ثيران اه .

## (٧) بطليموس

من يوناني مصر نشأ في الاسكندرية واطلع على كتب من سبقه واستخلص منها ، ومن مبتكراته العلمية ، كتابين كبيرين في الجغرافية والفلك . الاول في ثمانية اجزاء ذكر فيها كل الاماكن المعروفة ووصفها باليجاز . راسماً ٢٦ خريطة لعدة مدن ، وخريطة لمجموع تلك المدن . وقد وصل كتابه اليينا سليماً ووجدت منه نسخة يونانية كتبت منذ سبعة مئة سنة محفوظة في دير الروم في جبل آثوس .  
اطبق ليل الجهل بعد بطليموس ولكن كتبه ظلت تثير حناوس الظلم حتى قويت شوكة العرب واستعانوا بالسوريين على ترجمتها سنة ٨٢٧ م . ولد بطليموس في القرن الثاني وبقي حياً الى سنة ١٦١ م .

## (٨) أبيان

شاعر يوناني نبع سنة ١٨٠ م ولد من اسرة شهيرة ونفي ابوه الى مليتوس لعدم مبالاته بالقيصر سيفيروس لما مر في المدينة ، فراققه ابنه المذكور الى منفاه وهناك نظم قصيدته الشهيرة عن الصيد ٣٥٠٠ بيت وقدمها للامبراطور سيفيروس . فسر بها الامبراطور وامر بارجاع ابيه الى وطنه . واعطى الشاعر على كل بيت ذهباً وتوفي ابيان بالطاعون وعمره ٣٠ سنة فقط .

## (٩) اثينيوس

كاتب يوناني نبع في اوائل القرن الثالث . ولد في القطر المصري ثم انتقل الى رومة . وتضلع من العلوم حتى لقب بليبي الثاني . وضع عدة مؤلفات

من أشهرها مؤلفه المدعو في اليونانية « ديينو سوفستي » اي « أدبة الفلاسفة » وهو مؤلف كبير الأهمية حوى نتيجة أبحاث ٢١ عالماً ، استمدوا معلوماتهم من أكثر من سبعة عشر عالماً عرفوهم . وأخص مباحث الكتاب عادات اليونان في ذلك العصر وما سبقه . ومع أهمية هذا السفر رأى فيه النقاد مجالاً للتنكيت عليه من أربعة وجوه : (١) حرف الاسماء في بعض الأحيان (٢) مزج بين تاريخ وآثار (٣) انكسر شرائع الطبيعة (٤) غاص في ايراد قصص غريبة وشؤون غير لائقة . وقع هذا المؤلف في ١٥ كتاباً لم يبق منها الى الآن سوى مجلدين وقطع من الاجزاء الثالث والحادي عشر والخامس عشر وكلها ذات قيمة عظيمة لدى علماء الآثار .

ومن الماعات هذا الكتاب ، ذكره ان اهل هذه المنطقة اول من اصطنع من العاج آلات طرب ( المباحث ١٦ : ٨٤ ) .

## ١٠) ديون كاسيوس

مؤرخ يوناني ولد سنة ١٥٥ ونبع في اوائل القرن الثالث ، فشغل عدة وظائف سياسية ، في ايام برتينكس وسيفيروس ومكرينوس . ونال درجة قنصل سنة ٢٢٩ ثم عاد الى بلاده فأت فيها .

الف تاريخاً لرومة بدأ فيه من ايام اينياس وانتهى فيه الى عهد اسكندر سيفيروس . وقد قضى في جمع مواده عشر سنوات ، وحذا فيه حذو توسيديديس . وهو المؤرخ الوحيد بين قدماء المؤرخين الذي تجرأ على محاربة قيصر ضد بومبي وبروتوس . واحترم الحداثاء كلامه عن سقوط الجمهورية واسفوا جداً لضياع الكتب التي ارخ فيها حكم الامبراطرة منذ فاسباسيان ، وقع مؤلفه هذا في ٨٠ جزءاً لم يبق منها الى الآن سوى ٢٠ كاملة و٦ ناقصة ، وقطع متفرقة من البقية . وما وقع في تاريخه موضع استغراب الحداثاء ، وصفه اليهود بالقسوة وانهم كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ويشربون دمهم ويتمنطقون بامعائهم ويلتفون بجلودهم وقد شطروا كثيرين من رؤوسهم الى اقدامهم الخ ١١١



## نوابغ المحرّسين في هذه الحقبة

### (١) تومينوس الافامي

ولد في افاميا في القرن الثاني . ويجهل المحققون الطريقة التي حصل بها معارفه . لكنهم رأوه ميالاً للباحث الدينية وتجريحها فلسفياً . ويرجحون انه من ذوي المذهب الانتحائي (أكلاكتيك) ولعله قرأ كتب فيلون فعرف مبادئ اليهودية . ثم افضى به ذلك الى درس التوراة والانجيل والاخذ عنهما . وامتاز على فلاسفة عصره بحرية نزعه وكثرة اقتباساته (المباحث ١٦ ص ٧٢٥) .

### (٢) جوليا دومنة ١٦٦-٢١٧

هي ابنة كاهن حمص الجليل المدعو باسيان ، ولدت في حمص سنة ١٦٦ وكانت ذات جمال بارع وذكاء سام وظل لها جمالها وذكائها حتى آخر حياتها ، فقال فيها جيون المؤرخ الانكليزي (ص ٢٩) كانت حتى في ايام شيخوختها ذات جمال باهر وعقل راجح قل وجوده في بنات جنسها . اهتم والدها بثقافتها منذ صغرها فنشأت ذات خبرة واسعة في الفلسفة والادب وصديقة للفنون ولكل عصرية .

وخدمها الحظ او خدم بها سبتيميوس سيفيروس القائد الروماني الشهير فأحبها واقتن بها يوم اوفد بجبهة عسكرية الى حمص . فارتفع بعدئذ الى اسمى مقام في الامبراطورية . اذ لبس الارجوان الروماني ، وبفضل ذلك حكم عدة امبراطرة من دم سوري حمصي مملكة عظيمة تعد ازيد من مئة مليون نسمة . وبفضل هذه الامراة الممتازة بقوة تفكيرها ، دعا هؤلاء الامبراطرة ثلاثة من فقهاء بيروت وحمص وصور . وهم بابنيان واوليبيان وبولس الى تسلم اسمى الوظائف القضائية . اي وظيفة قاضي قضاة ، فأرسلوا الشرع الروماني بطهم وعدهم الى الذروة العليا (السيدات لأدي ٣٤٤:٦) .

وسهلت على زوجها ادارة المصلحة في اصعب الظروف بتدريسها الدوة النسائية . على انها عانت بعد موت زوجها ألم قتل ابنها الصغير جيتا ثم قتل ابنها كاراكلاً مما ادى الى موتها حزناً سنة ٢١٧ .

### (٣) بابنيان الفقيه ١٥٠-٢١٢ فما بعد

ولد في حمص سنة ١٥٠ ثم طلب العلم في مدرسة بيروت الفقهية . وكان رفيقه في التلمذة سبتيسيوس سيفيروس . وبابنيان من انشاء جوليا دومنة بنت كاهن حمص التي تزوجها سيفيروس . وما لبث هذا السري الطالب ان تفقه بالشرائع والبلاغة فدرع فيها وعلا كعبه . فصار استاذاً في المدرسة التي تلقى العلم فيها . ومنها رنت حصاة شهرته حتي بلغت رومة فقربه مرقس اوريليوس اليه واستند اليه منصباً خطيراً ، ظل حتي اعتلى رفيقه سيفيروس الاول اريستو الدولة ، وصارت نسبته جوليا دومنة امبراطورة ، فعلا نجمه اذ استوزره القيصر وجعله امير الحرس الامبراطوري . فقفى السنوات السبع الاخيرة من سلطنة سيفيروس ناهضاً باسمي مناصب الدولة . وكان مستشار الامبراطور ، يرشده بآرائه الصائبة الى سواء السبيل . فقدّر له سيفيروس اخلاصه وعهد اليه وهو على فراش الموت ان يعتني بالاميرة المالكة ويحفظ الوحدة بين افرادها .

لكن كاراكلاً لم يراع وصية ابيه . اذ قتل اخاه جيتا واراد ان يستصدر فتوى يدر بها عمله الشائن ، فحاول استدراج بابنيان الى ذلك فأبى ، واجابه بما اصبح بعدئذ قولاً مأثوراً : « ان جريمة القتل اخف وطأة من تصويب ارتكابها » ، فاستاء كاراكلاً من بابنيان واهدر امراً بقتله سنة ٢١٢ .

### (٤) ايليودور البياني

هو كاتب يوناني اللغة نشأ في عصر اسكندر سيفيروس اشتهر ببيانته الرائع ، وقد ألف عدة روايات نالت استحسان اهل هذا الفن في عصره . وما بقي منها دل على عقلية ناضجة وآداب حسنة . وكان يضع في ذيل كل رواية توقيعه بهذه الصورة : « مؤلفها ايليودور الفينيقي الحمصي ابن الشمس » .



## (٥) اوبيان الافامي

ولد في افاميا من منطقة حمص ونبغ سنة ٢٠٦ م واشتهر بقوة شاعريته ودل على علو كعبه في الشعر قصيدته الشهيرة المدعوة « سيناجتيكة » وهي من القصائد الممتازة بروحها الشعرية ونظمها الدقيق . ترجمت الى لغات اوربا وانتشرت في تلك الاصقاع بحيث لم تخل مكتبة اديب منها . وهي عندهم اشبه بالمعلقات عند العرب .

## (٦) اولبيان الفقيه - ٢٢٩

هو دوميتيوس اولبيان من مواليد القرن الثاني للميلاد ، ورفيق بابنيان الحمصي في مدرسة الشريعة البيروتية ، فهو ان لم يكن حمصي المولد فهو حمصي النشأة لانه زامل بابنيان في المدرسة وفي مناصب الدولة ايام القياصرة الحمصيين كانت له مكانة حسنة في عهد سيفيروس الاول وكلاهما ، ولكن ايليوكبال ابعده عن رومة ، وظل منفياً حتى تولى العرش الامبراطوري سيفيروس الثاني سنة ٢٢٢ ، فاستقدمه اليه وادناه منه وولاه زعامة الحرس البريتوري ثم اتخذه مشيراً له .

وكانت نفسه تواقه للصلاح فأجبه اهل رومة وقدروا فضله ومواهبه . غير أن الحرس ثاروا عليه حينما اراد اصلاح ما فيهم من عيوب سنة ٢٢٨ ونصره الاهلون بغية وقاتته فوقعت بين الفريقين معركة دامية دامت ثلاثة ايام وفي نهايتها اضرم الجيش النار في بعض البيوت وتهدد الباقين . تخاف الاهلون وتخلوا عن اولبيان ، فلاذ يحمي الامبراطور فتواقع الجند ودخلوا السراي ، فأسرع الامبراطور والتى عليه رداءه ليرتدوا عنه . فلم يمنعه ذلك من الاقدام على قتله امام مولاة سنة ٢٢٩ .

والمتراجم عدة اسفار شرعية تناهز العشرة يرجع اليها المتشرعون الرومان

حتى الآن -

## الحقبة الثامنة

حمص

في أيام التدامرة

٢٣٦ - ٢٧٣ م

نوطه

في هذه الحقبة كان لحمص صلة قريبة جداً بالانباط قاطني تدمر ،  
ورافعي لواءها عالياً . فوجب ان نلم بتاريخ هذه الامة المامة تجعل تاريخ حمص  
مفهوماً لمطالعيه بدون حاجة لمراجعة ما كتب عنها والتفتيب عما مر بها .

### ١- الانباط في صوره اللغة

جاء في تاج العروس ( ٢٢٦ : ٥ ) النَبَط ( مثل حبّاش ) جبل ينزلون  
بالبطائح بين العراقيين . ويقال انما سموا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الارض .  
وفي حديث ابن عباس : نحن معاشر قريش من النبط من اهل كوثي ربي .  
قيل ان ابراهيم الخليل ولد بها وكان النبط سكانها . وفي حديث عمرو بن معدي  
كرب ، سألته عن سعد بن ابي وقاص فقال : اعراقي في جبهته نبطي في  
جبهته . اراد انه في جباية الخراج وعمارة الاراضي كالنبط حذقاً بها ومهارة فيها .  
لانهم كانوا سكان العراق واربابها . وفي حديث الشعبي ان رجلاً قال لآخر  
يانبطي . فقال لا حدّ عليه كلنا نبط . يريد الجوار والدار دون الولادة اه .



## ٢- اصل الانباط

وفي قاموس الكتاب (٤١١:٢) ان نسل نبايوت بكر اسمعيل (تك ١٣:٢٥ و ١ اي ٢٩:١) يظن انه استوطن بلاد العرب بقرب وادي موسى وانهم النباطيون المذكورون في تواريخ اليونان والرومان . وكانوا رعاة (إش ٦٠:٧) وكانت سالع مدينتهم الرئيسة اه .

وقال بورتر (١٩٤) كان لاسماعيل اثنا عشر ولداً صاروا ١٢ قبيلة ونزل اكثرهم في نجد . اما نابت (نبايوت) فسكن الحجاز مع جهم . وقيل ان نابت هذا استلم سدانة الكعبة من ابيه . ثم عند موته تسلمها جهم . وكان كبير جهم مضاى قبل بنو نابت رئاسته . ولما وقع الخلاف بين جهم ومديان عضد بنو نابت جهم حتى طردوا المديانيين من ارض مكة . وبقي بنو جهم مالكيها قروناً كثيرة . وسكن بنو نابت معهم وكثروا وعظم شأنهم . وللمؤصلين في منبت اسلة الانباط اقوال متفاوتة . ذكرها زيدان في تاريخ العرب قبل الاسلام . يمكن الجمع بينها وتلخيصها بما يلي : انهم من نسل نبايوط حفيد ابراهيم الخليل من ابنه اسمعيل . لما رحل بهم ابراهيم كان حظ ذرية بكره المذكور جبل شمر في اواسط بلاد العرب . ثم ترحلوا بعد مدة لا يعرف مقدارها الى العراق لما فيها من الخصب . فلما داهمهم آشور بانيبال في اواخر القرن السابع قم واذلهم في ايام ملكهم ناكش ، صعب عليهم ذلك واخذوا يستعدون للهجرة ، ولما غزا نبوخذنصر سوريا الجنوبية رأوا فيها مجالاً لمعاشهم فهجروا العراق وقطنوا في وادي العربة المعروف بالغور . الواقع ما بين البحر الميت وخليج العقبة حيث كان الادوميون .

## ٣- تاريخ الانباط

في المقتطف (٣٣ ص ٤٣ و ١٣٢ و ١٩٣) مقال ممتع للاستاذ جبر ضومط اتى فيه على نشأة الانباط وتقلبهم في التاريخ . وخلاصة ما اورده عنهم :

انهم قدموا الى بلاد الروم على اثر غزوات نبوخذنصر لليهودية . لانه بعدما احتل المواقع التجارية على البحر الاحمر ما بين ايلة والمهجم ( مدينة غربي صنعاء اليمن ) توارد اليها تجار بلاده الانباط وانتشروا فيها وغالطوا التجار العرب . وصارت « سالع » قاعدة البلاد بابلية ، والسيادة فيها للانباط ، وظل ذلك شأنها في ايام الفرس . وفي ايام اليونان امتد نفوذهم على البلاد المجاورة لما لقاعدتهم سالع من المنعة الطبيعية ، ولما لتجارتهم من الرواج .

وقد ظهرت اهمية النبطيين في القرن الرابع فذكرها ديودور الصقلي بقصة طويلة هذا ملخصها : كان بطليموس الاول ملك مصر قد اجتذب قلوب الانباط اليه بحسن سياسته . لما رأى فيهم من عزة ، ولما توقعه من الاتصال بهم كتجار خبيرين . فلما حمل انطايفون - احد خلفاء الاسكندر - على بطليموس سنة ٣١٢ ولم يكن له بد من المرور بسالع ( التي سماها اليونان بطرا ) عاصمة الانباط حاول محالفتهم على خصمه فأبوا ، لانهم سبقوا خالفوا بطليموس . فنقم عليهم واراد اذلالهم . ولكنه شعر بصعوبة نيل بغيته . لبطولة الانباط ولوجودهم في قفر قاحل . فانتظر فرصة خروج رجالهم من المدينة للنزول او للملاقة القوافل التجارية . فدخل المدينة ونهبها وقفل غائماً . فلما اتصل الخبر بالمقاتلين من الانباط كمنوا له على الطريق الذي عاد منه . ففككوا رجاله كلهم وبالكد استطاع هو النجاة بنفسه . وحاول الاثثار لنفسه منهم فجز حملة ثانية قادها ابنه ديتريوس . ورأى الانباط كثرة القادمين فأخذوا لانفسهم الحيلة لاتقاء الخطر الذي تعرضوا له فأحكموا سدّ صهاريجهم المنقورة في الصخر المخزون فيها ماء الشتاء ، واعتصموا بعضهم في الجبال المجاورة وبعضهم في المدينة . وشدد ديتريوس الحصار . ولما طال المطال اطل عليه احدهم من السور وخاطبه بما ملخصه :

« ايها الملك : اننا انما رضينا الاقامة في بادية لا مطمع لأهل المدن فيها حلوها من مرافق الحياة ، فراراً من العبودية . فلماذا تحاربونا ؟ وأية نتيجة ترجون من قتالنا ؟ »

« اننا نستطيع ان نقدم لك ما تصل اليه ايدينا مقابل جهادك ، على ان تدعنا وشأننا . اما اذا ابيت إلا إطالة الحصار فكُن على ثقة من انك لا تجني من تعبك سوى الفشل . لانك لا تجد اليك سبيلاً ما دمنا ممتنعين في هذا »



الحصن المنيع . واذا قدر لكم الفوز فانما تفوزون بجثث أموات وصخور صماء .  
لا تستطيعون مساكنتها اه ه ه .

فتأثر ديمتريوس من كلام الرجل وارتد عن المدينة فعاد القوم لا كانوا  
عليه . وقد ذكر الانباط بعدئذ في سفر المكابيين الاول ( ٢٤: ٥ و ٢٥  
و ٣٣: ٩ ) كلمة قوية يعتمد عليها .

ويفهم من يوسفوس انهم كانوا مستقلين عن العرب الى ايام اسكندر  
يانيوس ( ١٥٠-٢٨ ق م ) . ويفهم من مؤرخي اليونان ان الانباط انشأوا دولة  
منظمة لها ملوك ووزراء . دعي معظم ملوكهم باسم الحارث ( اريثاس ) وعبادة  
( اوباداس ) ومالك ( ماليكوس ) . وشملت مملكة الانباط في اتساعها معظم  
شمال جزيرة العرب ويدخل فيها موآب والبلقاء وحران وسينا ومديان واعالي  
الحجاز . ومن مدنها الشهيرة بطرا وبصرى واذرع وعمان وجرش والكرك  
والشوبك وايلة والحجر ( مدائن صالح ) .

وفي ما يلي ما عرف عن مشاهير ملوكهم :

( ١ ) الحارث الاول ١٦٩-١٤٦ ق م - عاصر انطيوخوس ابيفانيس  
السلوقي وبطليموس فيلوباتر . ويظن ان الانباط ساعدوا الاول قفاز على المصريين

( ٢ ) زبدي ١٤٦-١١٠ - عاصر اسكندر ملك سوريا وبطليموس  
السابع وذكر في سفر المكابيين .

( ٣ ) الحارث الثاني ١١٠-٩٦ - عاصر بطليموس الثامن واسكندر  
بانيوس ولقب ابروتيموس ( المكرم الشريف ) .

( ٤ ) عبادة الاول ٩٠-٨٧ - لم يجر في ايامه ما يستحق الذكر .

( ٥ ) ريبال الاول ٨٧ - وكذلك ابنه ريبال .

ولذلك حسب بعضهم ان المدة من وفاة الحارث الثاني الى ايام الحارث  
الثالث هي جزء من مدة حكم هذا الاخير .

( ٦ ) الحارث الثالث ٨٧-٨٢ - من اهم ملوك الانباط . له شأن

عظيم في التاريخ . اذ تغلب على سوريا المجوفة ، وملك دمشق سنة ٨٥ ق م برضى  
اهلها اكرههم بطليموس . ولقبه السلوقيون فيلهلين ( محب اليونان ) ووجدت  
له مسكوكات يونانية في هذه المدينة . وتدخل في المنازعات التي وقعت بين  
الاميرين المكابيين هركان وارستوبولس . فأيد هركان وحاصر اورشليم ، ولكن  
ردء عنها الرومان سنة ٦٥ ، ولكنه بعد ثلاث سنوات جدد الثورة فانتصر  
عليه سكاوروس سنة ٦٢ .

(٧) عبادة الثاني ٦٢-٤٧ - كان رجلاً سلميًّا فلم يحدث في ايامه  
ما ينقله المؤرخون عنه .

(٨) مالك الاول ٤٧-٣٠ - عاصر هيرودس الكبير وجرت بينهما  
حروب طويلة كانت سجلاً بين الفريقين . وكان له تدخل في المنازعات الرومانية  
فتحزب لبومبي اولاً ثم لقيصر ثم لمرقس واوكتاف ، وفي الخط الرابع من  
الخطوط النبطية ، ذكر اقامة مذبح في السنة ١١ للميكوس ( مالك المذكور ) .

(٩) عبادة الثالث ٣٠-٩ - في ايامه حدثت حملة غالوس القائد الروماني  
على بلاد العرب سنة ١٨ ق م ، وقد استمد معونة الانباط فيها كما روى  
سترابون ، وبما عرف ان هذا الملك وثق بوزيره سيلوس ، وكانت ثقته في غير  
محلها ، اذ اوقع هذا العداوة بين مولاة وهيردوس . ثم قصد رومة يبغى من  
اوغسطس تصديه ملكاً على بطرا ، فلم ينجح لمعارضة نقولا الدمشقي سفير اليهود اياه .

(١٠) الحارث الرابع ٩ ق م - ٤ م - وهذا ايضاً من مشاهير ملوك  
الانباط . وهو حو هيردوس انتياس قاتل المصدق ( م١٤ : ٣ ) وقد شهر  
الحارث الحرب على انتياس هذا لزوجاه بهيروديا على ابنته . وقد فاز الحارث  
عليه فاستغاث هيردوس بالقيصر طياريوس ، فأمدته بفيتلوس احد قواده ، ولكن  
هذا تباطاً ، فلما توفي طياريوس سنة ٣٧ صرف الجند وعاد الى انطاكية ،  
لان كاليغولا كان راضياً عن الحارث ، وظلت دمشق تحت سلطة الحارث  
وبوجود نائبه فيها فرّ بولس الرسول متديلاً بزنبيل من على السور ( اع ٩ : ٢٤  
و ٢٥ و ٢ كو ١١ : ٣٢ ) .



(١١) مالك الثاني ٤٠-٧٥ - خلف اياه الحارث وكانت مدة ملكه ٣٥ سنة شاركته فيها امرأته شقيقة ، وقد وجدت نقود عليها اسم هذه الملكة . كما وجدت آثار في السنة السابعة عشرة لملكه . وقد عرف عنه انه انجد بجيشي فاسباسيان على اليهود سنة ٦٧ .

(١٢) ريبال الثاني ٧٥-١٠١ - يظهر انه لما ملك كان حدث السن فاقبست عليه وصية والدته شقيقة ، ولما استرشد اشرك معه بالحكم زوجته جميلة . وقد توفى الى اتقاء الاخطار الموجهة لدولته فلقبه قومه سوتر (المنقذ) .

(١٣) مالك الثالث ١٠١-١٠٥ م - هو آخر ملوك الانباط وقد ذل امام كزيتيوس بلما الذي اخضع العربية الصحراوية للامبراطور تراجان سنة ١٠٥ .

#### ٤ - البترا

هي مدينة تاريخية اثرية تقع ما بين بحر الميت وخليج العقبة . كانت عاصمة الادوميين ومن اشهر مدن العالم القديم . ولم يبق منها الآن سوى خرائب اثرية تعرف باسم وادي موسى .

كان اسمها القديم « سالع » وهو لفظ عبراني معناه صخر ولذلك دعاها اليونان « بطرا » وهو اللفظ اليوناني الذي نترجم به كلمة سالع العبرانية . ومعنى الاثنين صخر او صخرة . وقد وصل اللفظ اليوناني للعرب فمدوا الالف ظناً منهم ان اللفظ عربي الاصل ووضعوا له ثل التعريف فصار البترا .

كانت هذه المدينة لاول عدها بالوجود مسكناً للحوريين والامارة فيهم لآل سمير ، الذين سمي الجبل كله باسم اميرهم (سمير) ومن هؤلاء . اتخذ عبسو (أدوم) بن اسحق زوجة اسمها اهوليامة . وخالط آل عبسو (أدوم) آل سمير فغلبوا عليهم . وتنوسي ذكر الحوريين ، فعرفت البلاد باسم الادوميين . واستمر هؤلاء في هذه المنطقة لا ينازعهم فيها منازع مدة ليست بقصيرة .

ثم حدثت بينهم وبين شاول ملك العبرانيين منازعات سنة ١٠٨٢ ق م (١ ص ٤٧:١٤) وانتهت بدون ان يكون لها كبير امر .

ولما كانت ايام داود عادت المنازعة بين العبرانيين والادوميين فغاز داود عليهم سنة ١٠٤٠ ( ٢ صم ١٣: ٨ و ١ اي ١٣: ١٨ ) بعد جهاد عظيم اشار اليه النبي في زبوره ( ١٠٨: ١٠ - ١٣ ) .

ثم عصى الادوميون في ايام سليمان باغراء هود سنة ٩٨٤ ( ١ مل ١٤: ١١ ) فقمهم سليمان واستعبدهم وظلوا مستعبدين لاسرائيل نحو قرن من الزمان . وفي ايام يورام عادوا الى الثورة فاستطاعوا ان ينالوا استقلالهم بعد حرب شديدة سنة ٨٩٣ قم ( ٢ مل ٢٠: ٨ - ٢٣ ) .

فلما كانت سنة ٨٣٩ هاجمهم أمصيا وفتح مدينتهم الحصينة ، وسماها يفتثيل اي الخاضعة لله ( ٢ مل ١٤: ٧ ) ثم عادوا فتمردوا عليه فنقم عليهم ورمى من رؤوس شواهدهم عشرة آلاف اسير سنة ٨٢٧ ( ٢ اي ١٢: ٢٥ ) .

وفي ايام اشعيا ( ٧٦٠ - ٧٠٠ ) صارت الى موآب فنصصها اشعيا ( ١٦: ١٠ و ٤٢: ١١ ) ان تؤدي الجزية من الغنم الى صهيون فيكون لها فرح وابتهاج .

وظلت بعد ذلك المناوشات بينهم وبين اليهود قائمة بفوز هؤلاء . تارة واولئك اخرى ، حتى جاء نبوخذنصر وقضى على اليهود في القرن السادس قم . فشبت الادوميون بهم . وخيل اليهم انهم يستطيعون بعد هذه الهزيمة التي آلت باليهود ان يضموا اليهودية اليهم ( ار ١٦: ١٩ وحز ٣: ٣٥ ) ولكن جنود الكلدان التي سبق لها الزحف على البلاد العربية وتدويخ نجد والحجاز غطت خيولها على بلاد ادوم واستولت عليها ، فأصابهم ما اصاب ابناء عمهم اسرائيل . وفر اهل القرى والمزارع الى الجهات المجاورة . وبقي من بقي في المدينة تحت الحصار . واخيراً اضطر هؤلاء ايضاً ان يستسلموا فقتل من قتل منهم وعاش من استسلم . واستولى على المدينة نسل نبايوط وصارت محطة لقوافل التجارة ( م ٣٣: ١٣٩ ) .

كان حظ البتراء في ايام النباطيين حسناً جداً . اذ صارت المدينة مركزاً مهماً للتجارة ، وظلت كذلك الى ايام اليوفان ، فحاول انطونيون فتحها سنة ٣١٢ ففشل . غير ان البطالسة الذين وجهوا عنايتهم الى البلاد المصرية واهتموا بتحسين موانئهم على البحر الاحمر ، حولوا خطة التجارة الى بلادهم ، فضعف شأن البتراء وقل غناها .



وفي القرن الثاني قم كاثر العرب النبط اذ خالطوهم واصبحوا ذوى السيادة دونهم ، وصاروا مملوكاً عرفوا بملوك النبطيين (م ٣٣: ١٩٨) فكان للبتراء في ايامهم عزة ومنعة ظلت الى اوائل القرن الثاني الميلادي حين ضمها ترايان الى الدولة الرومانية سنة ١٠٦ .

وذكرها سترابو وبلييني ويوسيفوس وجيروم ذكراً حسناً . ولما انتشرت النصرانية في ما بين فلسطين ومصر صارت مركزاً دينياً ذكرت اساقفته حتى سنة ٥٣٦ م . وبعد ذلك لم يعد يحجر لها ذكر مدة ثلاثة عشر قرناً ، حتى اخذ يزورها المستشرقون الاثريون ، نظير سياتن سنة ١٨٠٧ ، وبركهارت سنة ١٨١٢ ، ومنجلس سنة ١٨١٨ ، وغيرهم سنة ١٨٦٤ الذي وصفوها واخذوا عنها رسوماً ذات قيمة عند الاثريين .

يدخل الى خرائب هذه المدينة الاثرية من جهة الشرق بمضيق طوله نحو ميل ونصف يدعى السبق ، على جانبيه آثار كثيرة منقورة في الصخر تعتبر من اقرب ما صنعته يد انسان ، من اهمها هيكل يسمونه خزنة فرعون ، ومسرح عظيم منحوت في الصخر فيه ٣٣ صفاً من المقاعد تسع نحو اربعة آلاف متفرج . وثمة غرائب اخرى منها الصرح المدعو قصر فرعون ، وقوس النصر ، وعدة هياكل وقبور بعضها ذات شأن .

### دولة النمامرة

مر بنا ان الانباط الذين استوطنوا جنوبي فلسطين في القرن السادس ، قبضوا بايديهم النسيطة على زمام التجارة فيها . وتولوا نقل البضائع الشرقية الى مصر وسواها . اذ كانوا يحملون المر وسواه من العطورات ، وقار التحنيط الى مصر وشواطئ المتوسط . واضطروا كتجار يجنون الحياة الوادعة ، ان يصانعوا البطالة والسلبين . فلما ظف عولاء ألفوا دولة مستقلة استمرت نحو ثلاثة قرون ، غير ان هذه الدولة بدأت تضعف بعد فتح الرومان سوريا ، ثم سقطت في اوائل القرن الثاني واصبحت ولاية واحدة عرفت باسم « العربية الصحيرية » وجعلت بصرى قاعدتها .

على ان العرب الانباط لم يخسروا نفوذهم بسقوط دولتهم الجنوبية . لان الرومان اتخذوهم حماة لحدود سوريا الجنوبية . ومنحوا امراءهم الرتب العالية ، حتي ان احدهم صار فيا بعد امبراطوراً باسم فيليب العربي سنة ٢٤٤ . وقد استفاد من هذه المحنة اهالي تدمر . الذين سبق لهم استيطان هذه البقعة ، من العهد الذي قدم فيه الانباط الي جنوبي سوريا . حين تخطى بعض القادمين آنسدر سوريا الجنوبية الي الشمال الشرقي من الشام . واحتلوا المنطقة المعروفة الآن ببلاد تدمر . واخذوا يتعاطون التجارة بنقل بضائع الشرق الي الغرب ، والشمال الي الجنوب وبالعكس . فدر ذلك عليهم ارباحاً وافرة ، جعلت قاعدتهم تدمر من ابهى وازهى المدن السورية .

ويقدر الاثريون ان القوافل كانت تمر بتدمر منذ القرن السادس ق م تحمل من اليمن او الحبشة الجوز والعبد والند الي العراق . وتحمل من العراق لآلى البحرين ، ومن الهند الحرير الصيني ، والعاج الي الشام ومصر واوروبا . وكانت التجارية البرية تسير اولاً بطريق بطرا ، فلما سقطت تحولات الي تدمر فزهت واعتزت . ويخيل للواقف على اطلال تدمر الآن ان الناس كانوا يروحون ويحيئون في شوارعها الكثيرة الاعمدة والاروقة وبين ايديهم السلع المجلوبة من اصقاع شتى . وقد علا صياح الباعة للمزايدة والمساومة . والناس يتراحمون بالمناكب لابتياح ما يريهم ( زيدان ص ٨٤ و ٩٢ ) .

وبين الباحثين خلاف في اصل انباط البترا . وتدمر اهم عرب ام آراميون ؟ فقال بعضهم انهم عرب واخذ برأيهم المرحوم جرجي زيدان صاحب الهلال . وذهب آخرون الي انهم آراميون وقال بقولهم المرحوم جبر ضومط استاذ العربية في الجامعة الاميريكية . واقوى حجج هؤلاء الاستدلال من آثارهم المكتوبة بالآرامية انهم آراميون ، ولكن الاولين دفعوها بان الانباط كانوا يتكلمون العربية ، وانما كتبت آثارهم بالآرامية لانها كانت في ايامهم اللغة الرسمية للمفاوضات السياسية والتجارية . وقد تفرع من هذه اللغة القلمان النبطي والتدمري . ومن حجج القائلين بعروبيتهم : (١) ان مؤرخي اليونان وهم اعرف الناس بهم . وقد عاصروهم دعوهم عرباً . (٢) ان اسما ملوكهم كالحارث وعبادة ومالك في بطرا ، واذينة وحيدان وزينب في تدمر عربية . وتدل على انهم عرب ،



اذ الاعلام دخل كبير في بيان اصول الامم .  
وثمة دليل آخر .أخوذ من اصل الاسرة المالكة في تدمر التي جدها  
الاعلى السعيدع الذي روى عنه المسعودي وابن خلدون ما ملخصه :  
ان اول الحروب التي تعالى أوارها بين السعيدع ويوشع بن نون كان في  
بلاد ايلة التي ذكرها عوف بن سعيد الجرهمي من قصيدة جاء فيها :

الم تر ان العلقمي بن هوبر      بأيلة أمس لحمه قد تمزعا  
تداعت اليه من يهود جحافل      ثلاثون ألفاً حاسرين ودرعا  
فامست عداداً للعالميق بعده      على الارض مشياً مصعدين وفزعا  
كان لم يكونوا بين اجيال مكة      ولم ير راء قبل ذاك السعيدع

ولما ملك يوشع اريحا قاعدة الشام اذ ذاك وتم له الامر ، اوفد قوماً  
من رجاله الى الحجاز فملكوه وانتزعوا من قبضة ملوكه (العالمقة) يثرب وبلادها .  
ثم ملكوا اذينة بن السعيدع على مشارف الشام والجزيرة من ثغورهم .  
وذكر ابن سعيد في ما نقله عن الكتب التاريخية التي اطلع عليها في  
خزانة بغداد ، ان مواطن العالمقة كانت تهامة ارض الحجاز ، نزلوها يوم خروجهم  
من العراق امام الناردة من بني حام . واستمروا الى ان جاء اسمعيل وآمن به  
من آمن منهم . وتفرد لهم الملك الى ان كان منهم السعيدع بن لاوذ بن  
عالميق الذي خرجت في عهده العالمقة من الحرم . اخرجتهم ثبهم ( من قبائل  
قحطان ) ففارقوا ونزلوا بعمان المدينة منهم بنو عبيل بن مهلايل بن عوض بن  
عالميق . ونزل ارض ايله بنو هوبر بن عالميق وكان السعيدع سمة لمن ملك  
منهم الى ان كان آخرهم السعيدع الذي قتله يوشع بن نون (البستاني ١٠ : ٩٠) .

### نذكر

اما تدمر قاعدة انباط التدمرة فهي مدينة قديمة العهد جداً ورد ذكرها  
في التوراة ( ١ مل ١٨ : ٩ و ٢ اي ٨ : ٤ ) وذكر ثمة ان بانيتها سليمان بن داود .  
والمراد بما ذكر انه حسنهما وذاك في ابليتها . ويوجد بين الباحثين نظر فيما

اذا كانت تدمر سليان هي نفس تدمر زينب . على أن الادلة توفرت على ان تدمر المذكورة في التوراة ، هي نفس تدمر القديمة التي ذكرت في التواريخ العربية . وزعم التدمير القدام . انها اقدم عهداً من سليان . بل ذهبوا الى ان ما بين انشائها وسليان ، ما يوازي ما بين سليان وعهدا الحديث . وكيف كان الحال فالاعتراف بتقدم عهدا امر لا يُنظر فيه . وقد دعت في القرن الثالث قبل المسيح بلميراس وهذا الاسم الحديث ومعناه « مدينة النخل » له نفس المعنى الذي للفظ تدمر القديمة . وقد ذكرها بهذا الاسم بليني في تاريخه الطبيعي ، وأبيان في تاريخه العام .

وبداعي المنافسة القائمة بين دولتي الفرس والروم في تلك الايام ، نال زعماء تدمر التفات ملوك الدولتين معاً اذ كانت كل منهما تبغي التحاذ تدمر عوناً لها على منافستها . فأصبحت تدمر سيدة الشرق ونال اذينة الاول رتبة المشيخة الرومانية .

وفي ايام غالين نال اذينة الثاني زوج زينب (زينوبيا) لقب ملك الملوك مكافأة له على استرداده البلاد التي سبق لسابور فتحها ) بعدما حاصر المدائن مرتين . وسمى سنة ٢٦٤ الحاكم العام لسوريا وما اليها .

مات اذينة سنة ٢٦٦ تخلفته زوجته زينب وكانت لها الشهرة العظيمة في التاريخ . غير ان الحظ خانها بعدما اقلت العرب في قلوب الرومان . فسقطت اسيرة سنة ٢٧٣ بيد القيصر اورليان . وبعد أسر زينب ثار الشعب على الحرس الروماني الذي ابقاه القيصر في المدينة وذبحوه برمته . فأمر القيصر بقتل كل حامل سلاح فيها مع عدد غير قليل من الفلاحين والشيوخ والنساء والاولاد . فأثرت هذه الضربة القاضية في تدمر تأثيراً عظيماً . وارجعتها الى خلف مسافة طويلة . حتى خيل لبعضهم انها لا تقوم لها قائمة بعد ذلك .

واسكن التنقيب في الآثار والبحث في ما بقي من الاسفار ، دل على انها احتفظت بشيء من اهميتها مدة وجود الدولة الرومانية . ويظهر من تواريخ العرب ان تدمر احتفظت بخصانتها بعدما فتحها خالد بن الوليد الى اواخر القرن السادس للهجرة . فقد بقي فيها من السكان عدد لا يستهان به في القرن السابع الهجري . وبعد هذا التاريخ قل ذكر تدمر ، مما يدل على تضائل اهميتها . وظلت كذلك



الى القرن السابع عشر من الميلاد حيث اخذ الاثريون يرتادونها حتى الآن للاطلاع على آثارها التاريخية العظيمة .

وموقع تدمر الى الشمال الشرقي من دمشق . والى الجنوب من الفرات في طرف بادية الشام الشمالي . وكل ما الى جنوبها قفر لا ماء فيه ولا نبات . وموقعها هذا افادها جداً اذ جعلها محطة القوافل السائرة من العراق الى الشام وبالعكس ، اذ يضطر المسافرون ان يتحولوا عن البادية ، التي لو سهل اجتيازها لكانت مسافة السفر قصيرة . ولكنهم تفادياً من معاناة السير الشاق فيها ، كانوا يتجهون الى الشمال الغربي على حدود الفرات . ثم يؤمنون تدمر فيستريحون فيها . ثم ينطلقون جنوباً الى دمشق . وبهذا اصبحت تدمر على جانب عظيم من الاهمية . ويظهر ان هذه القوافل الحاملة حاصلات اليمن والحبشة الى العراق كانت تمر بتدمر في القرن السادس قبل الميلاد ، اذ لا بد لها من ارتيادها والاستراحة فيها . وزادت اهمية تدمر لما سقطت بئرا في اوائل القرن الثاني الميلادي . وكانت هذه تشاطر تدمر الموقف التجاري فلما سقطت انفردت تدمر بارتداد القوافل اياها ، واتسع نطاق تجارتها حتى بلغت قمة مجدها في القرن الثالث . ونيلها هذه الاهمية في التاريخ وجه اليها انظار الدولة الرومانية ، فحاول اقطاب الرومان بسط سيطرتهم عليها . ولكنهم لم يفلحوا وباءت مساعيهم بالخيبة فاكثفوا بما تسنى لهم من التدخل القليل في شؤونها .

غير ان ادرينانوس تمكن من وضعها تحت حمايته سنة ١٣٠ وشخص بذاته اليها فحسبها وسماها باسمه ادرينانوبوليس وقد عثروا على نقش في احد حجارتها الاثرية يوازي تاريخه سنة ١٣٧ . وفي ايام سبتيموس سيفيروس هارت مستعمرة رومانية ، ولكنه عهد برئاسة الحكومة فيها الى زعيم من اهلها يدعي شرايحي (سورايسكو) .

## الحوادث المحيطة في هذه الحقبة

### نوطه

قبل ان نأتي على ما اتصل بنا من الحوادث التي حدثت في منطقة حمص في هذه الحقبة ، نجد من المناسب ان نوطي . لما يذكر ما قاله العلامة براستد ( عدد ٩٦٨ ) وهو رسم يحمل للحالة التي تمر بها هذه الحقبة قال :  
« لما انقرضت سلالة سيفيروس سنة ٢٣٥ حدث الانفجار العظيم . اذ قام الجنود البرابرة في الاقاليم او الولايات . ونهبوا في كل اقليم شخصاً سموه امبراطوراً فجعلوا لهؤلاء الامبراطرة الصغار ، مندوحة للاقتتال والتطاحن في سبيل الارتقاء الى عرش عالم البحر المتوسط . وكانوا كلما نادوا بامبراطور ، لا يلبثون يسمعون نبأ اغتياله . وتكرر هذا الاغتيال مرة بعد مرة ، حتي بلغ عدد الامبراطرة الذين اغتيلوا في تسعين سنة ، ثمانين امبراطوراً جميعهم من قادة جند البرابرة ... »

« وبان في الشرق خطر جديد بانتعاش المحبة الوطنية في صدور ابناء مملكة فارس القديمة ، وعودة الحياة القومية اليهم . فهب زعماءهم من العائلة الساسانية وقلبوا عرش فرتيًا سنة ٢٢٦ وانشأوا في بلاد فارس اسرة ملكية جديدة متهدبة . ولما استتب لهم الاستيلاء على الهلال المخصب ، واتخاذ « قطيسفون » عاصمة لهم على دجلة الى الشمال من بابل ، قام شرق جديد على انقاض العصر الحالية التي كان الدهر قد ضرب عليها حجاب النسيان ، ... وبذلك عاد التنافس بين الشرق والغرب كما كان قديماً بين اليونان والفرس . وكانت رومة زعيمة الغرب ، وفارس الجديدة زعيمة الشرق . »

« وفي الوقت الذي كانت فيه اسرة سيفيروس آخذة في الانحطاط ، كانت مملكة الفرس الجديدة ترقى الى ذروة العزة والمنعة ، حتي صارت مدواً يرهب جانبه ، على الحد الشرقي للامبراطورية الرومانية . التي اصبحت مهددة من الشمال ومن الشرق . ولكن قيام مغتصب ضمن حدود المملكة ... كان



وسيلة لانقاذ رومة من عدو خارجي . فقيام احد الولاة الشرقيين الذي استقل واتخذ تدمر مركزاً للملكه كان منجاة لرومة ، لان استقلاله حذاه على الدفاع عن تهم الامبراطورية الشرقي على حسابه الخاص اه » .

## ١ - صلة تدمر بدمر

الذي يدرس آثار تدمر المحفوظة فيها حتى الآن ، ويطالع نتيجة البعثات الاثرية ٤١ نقل من هذه الآثار الى المتاحف الاوربية ، يعلم ان آل السميذع قديمو العهد في تدمر . وان الجدل الاول لآل آذينة المتفرعين من اسرة السميذع قد نشأ في القرن الثاني وعرف باسم نصور ثم تلاه وهبلات خيران الذي اعان سبتيميوس سيفيروس في حربه مع البرثيين بارشاده اياه الى المواضع التي تهم معرفتها وبتقديمه المؤن لجنوده . مما جعل سيفيروس الاول يرخص له باضافة لفظ سبتيميوس الى اسمه ، كما رخص اوغسطس لهيردوس الكبير ان يصدر اسمه بلفظ يوليوس ، وقتلا سبتيميوس خيران هذا افراد هذه الاسرة الذين لعبوا دوراً هاماً في تاريخ هذه الحقبة .

روى دي فوكيه في خطوطه السامية ، ان تدمر كانت تجمع في محافلها - عدا سكانها الاصليين - اناساً من قبائل متعددة . منهم البرثيون والارمن واليونان واليهود والعرب الذين هاجروا من اليمن الى سوريا فظن بعضهم العربية الصخرية وحوران وظعن بعضهم الى دمشق وبعلبك فتدمر .

ووجد في حوران اثر وهو الخط ال ٢٣٠٨ هذا نصه : « اثر لكمة اقامه لما اذينة بعلمها » ويرى الاثريون انه اقيم في ايام هيردوس الكبير . او في ايام اغريبا ، قال دي برسفال انه رئيس بني السميذع الذي كان ذا دولة صغيرة على تخوم سوريا والبرية في النصف الثاني من القرن الثاني ، غير ان ودينسكتون يرى ان هذا الرئيس كان في القرن الاول بدليل وجود خط آخر في السويدا كتب باليونانية في ايام كومود في القرن الثاني يستنتج منه وجود بطن او أسرة تدعى بني السميذع سابقة لذلك الخط وان السويدا كانت موطناً لهذه الاسرة كما يزيد ذلك خط آخر رقمه ٢٤٩٥ ( الدبس ٣ ص ٥٩٩ ) .

لذلك كانت الصلات قوية بين قاطني حصن وتدمر ، لا بين السكان الاصليين فحسب ، بل بين الذين هاجروا واستوطنوا هذه البقعة ، وقضت المصلحة المشتركة والمنافع المتبادلة بين البلدين بعطف احدهما على الآخر بكل مناسبة . ومن آثار هذه الرابطة الوثيقة وجود تمثال جمبليك - احد امراء حصن من الاسرة الوطنية التي ملكت فيها في الحقبة الماضية - بين آثار تدمر الباقية حتي الآن . وقد ظهر هذا العطف على آتفه في ايام القياصرة المحميين الذين وجدت هذه الصلة سبيلاً الى نفوسهم فشملوا تدمر بالتفات خاص يكاد يضاهي التفاتهم الى حصن منبت هذه الأسلة . وقد برز هذا العطف بصورة جلية في ايام سبتيميوس سيفيروس . الذي ابدى من ضروب العناية بحمص وما اليها ما حفظته له الآثار الخالدة وورعته بطون الطروس . فانه لم يكتف بتسويد الأمن في هذه المنطقة . بل عا كل اثر للفتن وقطع دابر اللصوصية لتأمين السابلة وترويج التجارة ، وحسبك شاهداً على ذلك الاثنان والاربعون حصناً التي انشئت مابين دمشق وتدمر . اذ عباها بالرجال وكفاهم مؤونة الزاد والاعتدة لتأمين المسافرين ودفع الغوائل عنهم ، فاعترف له بهذه المنة التدمرية القديما . ونقشوا اسمه على آثارهم . وشرف كثير من قادتهم ورؤساء العشائر فيهم بتصدير اسمائهم باسمه تقديراً لفضله .

وقد تابع خلفاؤه سيرته هذه ولاسيا اسكندر سيفيروس الذي نظر الى تدمر بنفس العين التي نظر بها الى حصن منبت ارومة القياصرة المحميين .

## ٢ - اغتيال سيفيروس الثاني ونورة التدمرية

مرّ في ما مضى شيء عن حزم سيفيروس ونزى ان نذكر في صدر هذا الفصل ، ما ابداه من الحزم مع الجند . مما كان سبباً لاغتياله كما يرى المحققون من المؤرخين . فان سيفيروس جهز حملة لصد اردشير الفارسي رأس الدولة الساسانية عما طمح ببصره اليه ، من البلدان الشرقية التي بسطت عليها السيطرة الرومانية لجهز حملة سنة ٢٣١ وسار بها نحو البلاد الفارسية واتخذ انطاكية معسكراً لقواته المجهزة . وكان في ضواحي انطاكية الغربية مواقع جميلة جداً ونزهة ،



وفيهما الفيضة الملتفة الاشجار حيث شلالات دفنة الجميلة . فاتخذ الجند تلك الفيضة مباءة للفساد . ودرى سيفيروس بالامر فحظر على الجند دخول تلك الفيضة ، فثار العسكر وضجوا فأشرف عليهم اسكندر ، وقال لهم بجزم : « انما يوجب صراخكم اعداءكم لا ملككم . فاعمدوا سيوفكم وعودوا الى اماكنكم ، فان صغيتكم هذا لا يفيدكم شيئاً » ، فكانت كلماته الحازمة هذه رقية سحر بها الجند وعادوا الى اماكنهم هادئين .

على انهم بعد مدة عاد اليهم الفكر غير المرتب وحجته نقتهم على من وقف حائلاً دون تطوحيهم في اهوائهم ، فلما انتهت المارك مع الفرس بعد سنتين اخذ بعض الضباط الناقين يشيعون بين الناس ان القتال انتهى على غير نتيجة فاصلة ، بينما دلت خطبة سيفيروس التي القاها في الندوة في ٢٥ ايلول سنة ٢٣٣ على فوزه على ١٢٠ الف فارس بقتل عشرة آلاف منهم وأسر كثيرين وقتله ٢٠٠ فيل واكتسابه ٣٠٠ فيل احضر منهم الى رومة ١٨ فيلاً . على ان اشاعة السوء غلبت لاستعداد العامة لقبولها اكثر من الحسنى وان حقت ، فاننا نشر بين الناس امر عدم مقدرته على ادارة الشؤون العسكرية ، وقام بنشر هذه الاذاعة مكسيمينوس التراكي الذي احسن سيفيروس الاول اليه واتخذ حاحباً . ثم رماه اسكندر سيفيروس وجعله قائداً عاماً لما رآه فيه من البطولة ، فطمع بالعرش ومالاه الجيش على ما فكر به ، فكان اسبقهم الى قتل ولي نعمته سنة ٢٣٥ وتسلم العرش موضعه .

ولما درى بالامر الحمصيون ثار ثائرم واشترك بالعاطفة معهم التدامرة الذين سبقت لهم الحسنى من القياصرة الحمصيين ووقفوا تجاه الدولة الرومانية موقفاً سلبياً استمر عدة سنوات يهدأ قارة ويشتد أخرى . وشغل القياصرة عما هو حادث في سوريا بالاضطرابات التي سادت العاصمة ، اذ تسلم العرش في مدة ثماني سنوات خمسة امباطرة قتلوا كلهم وهم غورديان الاول والثاني وبيبيان وفيليبس العربي الحوراني الاهل سنة ٢٤٤ ؛ فوقفت الثورة السورية عند ذاك وهدأت الخواطر لتسلم السدة احد مواطنيهم .

### ٣ - ثورة غوتايان

وحالما تسنم السدة فيلبس العربي اهم بتنظيم شؤون الدولة التي عمت الاضطرابات فيها لعدم رضى الاهلين عن القياصرة . الذين كانت سيرتهم مشوبة بالآثام والمغاصي . ولم يزعمهم وازع خاص او علم . فبادر فيلبس الى تلافي هذا الخلل . ووجه عنايته بنوع اخص الى سوريا فأوفد اليها اخاه بريسكوس وعينه قائداً للجيش فيها . فهدأت الخواطر وحسنت الحال . ولكن لم يمض وقت طويل على ذلك حتى حدث ما ذرت منه قرون الثورة فيها وسببه . ان داكايوس خان مولاه الامبراطور فيليبس واغتاله سنة ٢٥١ فثارت فتنة في المشرق حمل لواءها بطل اسمه غوتايان ارتأى بتهمونت انه من سلالة غوتاب سليلة الملوك القدماء . في حص ولكن هذه الفتنة تقلص ظلها لما فتك غالوس بداكايوس .

### ٤ - اذينة الاول

مر بنا ان آل السמידع الاسيرة ذات الشأن ، كان لها نفوذ عظيم في الشرق . وقد حفظت لها الآثار خطوطاً كثيرة دلت على قدم عهدها في هذه البلاد ، ومن الانصاب التي ذكرها فيها ما اقيم في عهد هيردوس الكبير ، ومنها ما اقيم في شطر القرن الثاني الاخير . وقد حكموا زمناً طويلاً تحوم الاملاك الرومانية . ففي هذه الحقبة عرف احد افراد هذه الاسيرة الممتازين بكفاءتهم باسم اذينة ابن حيران بن وهبلات بن نصر بن السמידع ، وقد دعي في احد الخطوط الاثرية « رجل الندوة » ( خط ٢١ ) مما دل على اهميته عند قومه . هذا راعى جانب القياصرة المحصين ايام سؤددهم وجعل كلمتهم مسموعة مطاعة في الشرق كما ساعد ابوه حيران سبتيميوس سيفيروس . ولكن لما دالت دولتهم بقتل سيفيروس الثاني سنة ٢٣٥ اولى رومة قفاه ، اذ لم يبق ثمة ما يوجب عليه مراعاة جانب الحكومة . ولما تقادى به الامر ولم يجد ما يميل به الى جانب السلطة ، لكثرة مساوى القائمين بامرها ، قلب لهم ظهر المحن



والف عصابة ينبغي بها خلع نير الروم . ولكن قبل إحكام عمله انفضح سره فأرسلت الحكومة قوة لمطاردته فأمسك وقتل وتفرق رجاله في كل سبب وكان ذلك في اواخر سنة ٢٥٠ .

## ٥ - ميراثه ابه الذينة

كان لاذينة المذكور ولدان اكبرهما اسمه حيران واصغرهما اذينة . وكان اكبر الاخوين داهية يحفظ من حوادث التاريخ في حقيقته الشيء الكثير . ولم ينس ان جده شرايحي (سورايسكو) قد قبض على زمام الاحكام في ايام سبتيسيوس سيفيروس فأحسن ضبطها ، وكان له كرامة خاصة في ايام القيصر المذكور الذي جعل تدمر مستعمرة رومانية وجباها بعطف خاص لانتها ضمن نطاق المنطقة الحصية . التي كانت سيدة منزله ومديرة معه شؤون الدولة ابنة كاهنها . فطمحت نفس حيران الى تسلم هذا المركز بعد قتل ابيه ، ولم ير في اتباع سياسة ابيه ما يكفل له الحياة ، بل بالعكس يعرضه لنفس النتيجة التي وصل اليها ابيه ، فسلم الروم وتقرب اليهم . وكانت مصلحة هؤلاء تقتضي وجود من يركن اليه في البادية الشرقية . فأولوه عطفهم ونصبوه حاكماً لتدمر سنة ٢٥١ ومنعوه لقب رجل الندوة وامير تدمر ، كما يرى ذلك في الخط ال ٢٢ من خطوط تدمر الاثرية ، ورأى هو ان يعزز مركزه لنيل ثقة القيصر غالوس فالتبس ان يتوج اسمه باسم اول القياصرة الحصيين . فسمح له وعرف بعدئذ باسم سبتيسيوس حيران ، وظل عزيز الجانب مرتفع المكانة عند الرومان حتى توفي سنة ٢٥٨ .

## ٦ - سيرته بطمع بالعرش

في اثناء حكم حيران على تدمر حدث في الدولة الرومانية حادث هام ، وهو ان سابور الفارسي داهم البلاد الرومية بجيشه ينبغي استرداد البلدان التي احتلها الرومان في الشرق ، فهاجم انطاكية وعاث فيها فساداً واتزل بالاهلين امر الاهوال ، وجلا من جلا منهم ، وترك فيهم فتى من الرومان يدعى سيرياد .

كان قد نشأ عند البرابرة ثم قصد بلاد فارس واغرى ملكها سابور على مهاجمة انطاكية ففعل ، وكان ما كان من فتكه بالاهلين بدون شفقة ، وبعد ما اتم فتح المدينة التي داهمها على غرة حين كان الاهلون في حفلة ، عاد الى بلاده وترك سيدياد في انطاكية ولقبه قيصرأ . فتولى منطقة انطاكية مدة . ولكن لما علم الاهلون بقدم واليربان هجموا عليه واذاقوه كأس المنون .

## ٧ - سابور ومهس وواليربان

سابور الاول ملك الفرس هو ثاني ملك من ملوك الدولة الساسانية الفارسية توجه ابوه في حياته سنة ٢٣٨ فلما مات خلفه على العرش الفارسي ، وكان ذا مطامع واسعة ومطامح عالية ينبغي ان يعيد لمملكة فارس مجدها السابق . ورأى ما يعاني العرش الروماني من الاضطراب ، فأحب اغتنام هذه السانحة ، لاسترداد ما فقدته دولة الفرس السابقة ، فشن الغارة على الرومان ، ودري بالامر واليربان فجهز القوات اللازمة لصدده عما ينبغي . واتخذ الرومان الرها معسكراً لجيوشهم وصد الفرس عن التقدم نحو آسيا الصغرى وسوريا . وحدثت معارك كثيرة فيها سابور ووقع واليربان قيصر الروم اسيراً بيده سنة ٢٦٠ وبقي يعاني ذلة الاسر ست سنوات حتى توفي .

اما سابور فتابع فتوحاته واقتحم سوريا فدانت له البلاد كلها عدا حص التي لبثت في موقفها السابق ، وتعددت الاقوال في سلامة حص من عبث الفرس واشهرها قولان : الاول ان حص نجت من مطامع الجند السابوري بحماية الهما لان سابور احترم الهيكل الذي احترمه جمهور السوريين . والثاني : ان الجيش الفارسي ظل معظمه في الشمال لاجتياح آسيا الصغرى ولم يصل الى حص الا فرقة صغيرة لم تجرأ ان تمس شعائر الاهلين ، وعلى كل حال فان حص لبثت سالمة من الاذى ابان غزوة سابور .



## ٨- اذينة الثاني وكوبنوس ( كبات )

ذكرنا في ما مرَّ ان اذينة الاول الذي قتله الروم سنة ٢٥١ ترك ولدين خلفه ، حيران واذينة ، وقد مالا الاول الرومان فسلموه احكام البادية وظل فيها الى ان توفي . اما الثاني فقد كان رقيق الاحساس ذكي الفؤاد ثبت الجنان كبير المطامع منذ الصغر . واذ كان ممثلاً نقمة على الرومان لقتلهم اياه لم يرضه ما فعله اخوه الكبير . ولكنه لم يستطع عمل شيء وهو حدث . فلما اشتد ساعده هجر المدينة ولاذ بالجيال يعيش من صيده ، والتف حوله رهط من شجعان البادية اذ رأوا فيه امارات البطولة بادية ، فكاشفهم بما قام في نفسه على الرومان فارتاحوا الى ما ارتاحت اليه نفسه وعاهدوه على تأييده في ما يسعى اليه .

فلما مات اخوه سنة ٢٥٨ عاد الى تدمر وفي جرائه ما يستوجب الاحترام ، غلتي من قومه كل ما يزيد في امانيه رغبة . فلم يمرَّ به وقت طويل حتي اخذ يضرهم في صدور القوم حب الاستقلال . وخدمه الحظ في انه ابرز فكرته هذه ابان ضعف السلطة في الدولة الرومانية . ونهوض كثيرين من الايمان وقادة الجيش يطلبون العرش ، وامن سولت لهم أنفسهم هذه الامنية مكريبنوس المصري حاكم الشرق الذي استأثر بحكم سوريا وأقام ابنه كيات نائباً عنه فيها وسلم زمام الغنم للاحد رجاله الاذصكياء المدعو بليست ، وسار بجندة الى رومة ليقبض بيده الصولجان ويلبس تاج القيصرية ، ولكنه ما كاد يتبطن البلاد حتي اخذ لجند ينفض من حوله قطعة قطعة ، وقام عليه احد خدمه واعتاله في الليل . فلما اتصل نبأ ذلك بمدن الشرق خافوا نتيجة الانقياد له . فثاروا على ابنه كيات ( كويتوس ) فلاذ بجمص وتحصن فيها . فحاصره اذينة وازداد الهرج في المدينة اذ انقسم الاهلون الى شطرين ، الاول وهم اصحاب السيطرة العائشون بنعمة الدولة الرومانية مالوا لتأييد كيات بحجة انه لائذ بالمدينة فعلها ان تحميه . والثاني عامة الشعب الذين شئت نفوسهم كل روماني لصكثرة ما عانوه من الاضطرابات بسببهم .

وفي اثناء ذلك كان بليست يبذل كل ما يعلمه من الوسائل لتحصين المدينة والوقوف في وجه المهاجم القوي . فأتقل كواهل الاهلين بحمل ادوات الحصار . وانهمك قواهم بالتدريبات العسكرية لمكافحة من لا رغبة لهم بمحاربته وكانت بسالة اذينة وشدة واقدامه على اقتحام اشد الاخطار عدا خبرته في الفنون الحربية ، من ادعي الدواعي لالقاء الرعب في قلوب الذين يميلون الى المقاومة .

وادرک بليست بدهائه صعوبة الموقف وانه اذا طال الحصار يصبح فريسة لاحد اثنين ، الغازي التدمري ، او الناقين المحصين . فرأى غفلة من كليات ففتك به ثم وقف على السور قبالة اذينة وزعم ان صداقته لاذينة جعلته يفتك بالتمرد ليعيد السلام الى المدينة التي يحبها . ثم رمى رأس كيات من على السور تأكيداً لصدق قوله . وامر بفتح الابواب ليدخل الجيش التدمري . فدخل اذينة ظافراً ولكنه شفق على العصاة من الاهلين او المنضمين اليهم على غير رضا منهم . ولم يلحق باحدهم ضرراً . وقر بليست على الزعامة مشروطاً عليه طاعة تدمر ، فوعد .

ولما برح اذينة المدينة زاحفاً بجنده نحو الشمال لثشر سيادته على ما بين النهرين وما كان الى الشرق منها ، اغتم بليست فرصة غيابه فلبس الارجوان ونادى بنفسه قيصراً في حصص . ولما خشي مغبة عمله اعلن للملأ المحصي انه لا يحكم على احد خارج اسوار المدينة ( يني ١٨٢ وادي شير ١٧٦ ) فلم يعبأ به احد في اول الامر . ولكن احد المحصين استنقل ظله ففتك به وهو في زدهته الخاصة . فأصبحت حصص كالمستقلة تحكم نفسها بنفسها تحت اشراف امير تدمر اذينة الثاني .

## ٩- اذينة الثاني يظهر الروم على الفرس

لما وقعت الحرب بين الفرس والروم ، وقاد واليريان جيوشه على سابور ، احب استمالة اذينة . فانعم عليه بلقب قنصل وقدم له هدايا ثمينة ، ولكن اذينة النائم على الروم لقتلهم اباه أبي قبول موالاتهم فلم يعبأ باللقب ووزع الهدايا



على مشايخ القبائل ، فلما انتهت الحرب بفوز الفرس وأسر والديان سرّاً اذينة لان موالة الفرس لتدسر ضرورية لرواج تجارتهم ، والاستعانة بملكهم سابور على الروم للاخذ بثأر ابيه منهم ، فأرسل يهتي . سابور بفوزه ، ويعرض مناصرته اياه في كل حرب تقع بينه وبين الروم . ولكن الفوز ابطر سابور فرفض طلب اذينة وألقى هداياه في النهر ومزق رسالته . وقال للموفدين اني لا أريد موالة امير تدسر بل خضوعه المطلق لسلطتي ( الدبس عد ٥٤٤ ) .

فاستشاط اذينة غضباً من هذه المعاملة واقسم انه لينتقم لشرفه من ملك الفرس وليبدل فرجه ترحاً . فجمع لديه رؤساء المشائز البدوية وذكرهم بالاضرار التي اثرها سابور بهم ولاسيما تخريبه مدينتهم « عطرة » واهتمامه لسلب ثروتهم وحرثهم . وان تركه على ما هو عليه من مناهضة الروم يخشى منه على وجودهم . لان تقليص ظل الروم عن سورية يؤدي الى القضاء على مصالحهم الحيوية . فتارت النخوة في رؤوس الزعماء ، وحالفوه على محاربة الفرس معها كلف الاسر . فلما وثق اذينة من قومه أخبر غاليلان ابن واليريان انه ينبغي مطاردة الفرس واعادة البلاد التي استولوا عليها واسترداد كرامة الروم التي عبث بها سابور باسر ابيه واليريان . فشجعه غاليلان وامر الحامية الرومانية الموجودة في تدسر ان تنضم الى جنوده . فاصبح عند اذينة جيشاً عرمرماً توجه به نحو معسكر الفرس . فلما رأى سابور انه اصبح بين يدين جيش الروم من الشمال وجيش العرب من الجنوب ، سار بجيشه نحو الفرات تاركاً وراءه حاميات بغية صد القوات التدمرية . غير ان هذه الخطة لم تطبق لان اذينة اسرع فقتك بهذه الحاميات واقناها عن آخرها . وعرف الجيش الروماني بتجاح اذينة فاسرعت قواتهم من الرها ، وقطعوا الطريق على الجيش الفارسي الذي حاول اجتياز الفرات . واضطر سابور ان يترك للجيش الروماني كل ما غنمه من سوريا ليفتح له الطريق . غير أن هذا لم يوقف اذينة عن مطاردة الفرس فجذ وراهم وقد اقبل عليه كثيرون من البلاد التي مرّ بها يتطوعون في جيشه بغية الغنائم . وظل يسير والنهر حليفه في كل الميادين حتى استرد كل المدن التي استولى عليها سابور في الجزيرة . واخضع نصيبين وحاصر المدائن مرتين . واستحوذ على جانب من خزائن سابور وسبي بعض نسائه . ومع انه أسر كثيرين من ولاية

الفرس وارسلهم الى رومة ، لكن يده لم تصل الى واليريان لانقاذه من الاسر .  
وشعر غاليان بالموقف الهام الذي وصل اليه اذينة ، فأحب استخلاصه  
لنفسه ليتقي به خطر الاعداء الكثيرين الذين يحيطون به . فاعترف له بحق  
الرئاسة على البلاد التي دوحها . وسماه رئيس الجيش الملكي ومنحه لقب الغازي .  
وكان ذلك في السنة الثالثة لملكه سنة ٢٦٢ .

فتمشط اذينة بما ناله من ظفر ونفر ، فوالى حملاته لتطويع العصاة . وقام  
بخدمات جلي للقيصر جفلة يسميه ملك الشرق بل ملك الملوك ( امبراطوراً )  
وأمر بضرب نقود على اسم اذينة نقش عليها صورته ووراءه بعض الاسرى  
من الفرس . فدانت لسلطوته سوريا والجزيرة والافاضول ، وقام باعباء الملك  
احسن قيام ، ولكنه اشرك معه في سياسة ممالكه ابنه هيروديس سنة ٢٦٤ .

## ١٠ - اغتيال اذينة وابنه في حصن

عظم شأن اذينة وبلغ قمة المجد ، وظهر اعلية للسيادة التي اقلت مقاليدها  
اليه . اذ اوجد ألفة بين فئات المنضوين الى لوائه وقرب الابعاد بين المتنافرين  
لاسباب شتى ، ومن امثلة ذلك ايقافه تعصب غلاة الوثنية في حصن عند حد ،  
وكفه اضطهادهم للنصارى ، لكي يقضي على اسباب التنافر ويوجد أمة موحدة  
الاهداف . وراجت سوق التجارة في ايامه فعاش الناس في مجبوحة من العيش .  
ومضت سنتان من تاريخ سيادته العليا خالها الناس يوماً واحداً لكثرة ما عمهم  
من آثار النعمة وبسطة اليد .

وكان اذينة يقضي الصيف في حصن تخلصاً من حر تدمر ، ويعود في ايام  
البرد الى تدمر . ففي صيف سنة ٢٦٦ بينما كان راقداً في صرحه في حصن  
اغتالته يد اتيمة . ووجده الحاجب في الصباح مذبحاً . فعظم خوف الحاجب  
واسرع لاطلاع هيروديس ابن موله على الفاجعة غير المنتظرة ، فوجده هو  
ايضاً جثة لا حراك بها ، وقد غمست ثيابه بدمائه .

واضطربت الافكار لما انتشر هذا النبأ في حصن . وأخذت الناس تتأول  
اسباب حدوث هذه الجناية الفظيعة . وتعددت آراء المخمين . . . قائل ان احد



الحصيين اغتاله طمعاً بغيره او دفعاً لمغرم . ورده العقلاء بان الحصيين كافة يحبون اذينة ومصلحتهم مرتبطة بحياته فلا يعقل اقدام احدهم على ذلك . وظن بعضهم ان جندياً فعل ذلك . ولكن الكرامة التي نالها اذينة من رومة جعلته يحسن معاملة الجند الروماني جداً لدرجة تبعد هذه التهمة عنهم . وبالعكس بعضهم في سوء ظنه فانسب الجناية الى زينب زاهماً ان طموحها الى الزعامة دفعها الى ذلك . ولكن هذا الزعم يورده انها لم تكن مكفوفة عن الزعامة ، لان اذينة كان لا يستطيع صبراً عن بعدها عنه ، فقد كان يدينها اليه في كل مناسبة . بل كانت تشاركه في اهم معاركه وكان لها يد في فوزه على الفرس . وقد قدر لها زوجها شجاعتها وأصاله رأيا في حل المضلات التي تعرض له . وكثيراً ما ذكرها باعجاب واصحاب امام قاداته وبطائنته الخاصة ، فلا يعقل ان ترتكب هذه الحيانة وهي الحكيمة الباسلة

غير ان هذه التقولات قضي عليها اخيراً وعرف القاتل الحقيقي ، وهو ما نلخصه عن زوناراس ( ٢٤: ١٢ ) في مايلي : ان حيران أخت اذينة ماتت عن ولد اسمه مهنا ( مهنا ، معنو ، مونيوس ، موني ، اناو ) وكان هذا يطمع في الحلول محل ابيه حيران في السيادة ، فلما صار الامر الى عمه ، لم يكن راضياً . ولكنه لم يجد الى مقاومته سبيلاً ، فأرغم على السكوت الى حين . فني بعض الايام خرج عمه الى الصيد واستصحب معه ابن اخيه مهنا المذكور . فأبصر صيداً فرمى به بسهم قبل الملك فقتله . فلم يرق ذلك عمه وعاتبه على تعجله ، لان حق التقدم في الرماية للملك ، وانما يتقدم غيره اذا سمح له . وأغضى اذينة عن ذلك لصدوره عن شاب لم يستطع ضبط نزوة الشباب . ولكنهم بعدما اجتازوا موضع الحادثة الى سواه ، رأوا صيداً آخر . فأعاد مهنا الكرة ورمى الصيد بدون مراعاة خاطر عمه . فاستاء اذينة ، وأمر ابن اخيه بالتزول عن جواده لكي لا يعود مثلها . فلم يطق الفتى هذه الاهانة وظهر امتعاضه الشديد بإشارة تهديد ابدائها لعمه . فأمر اذينة بسجنه فقيده اليه ، ثم توسط له بعضهم فعفا عنه وأخلي سبيله . ولكن الشاب حفظ ذلك في دخيلته ، ولما رأى ساحة تأمر مع بعض الاشقياء على اغتيال عمه وابنه هيروديس ليخلوا له المركز ، لان اولاد عمه الآخرين كانوا دون الرشد . وقد ابرز هذه الفكرة بالفعل

في احدى الليالي ، وقضي الامر .  
وبرعونة فتى جموح لم يخف عاطفته المنعرفة ، بل اقدم للحال على  
تسلم زمام الاحكام غير عالى . باسراة عمه زينب ، وغير مبال بتاتم عمه وابنه  
هيروديس ، الامر الذي لفت اليه الانظار ، وغرابة ما اتاه اوقعت الشبهة عليه ،  
اذ طاف الجند المدينة معززين بمساعي شركائه في الجريمة ، ومنادين بمنا خلفاً  
لعمه اذينة المقتول اغتيالاً مع ابنه هيروديس . فجرت ضجة عظيمة في المدينة  
واضرب جبل الامن . اذ خشي الاهلون غضب الرومان من جهة ، ونقمة  
زينب من جهة اخرى . غير أن رجال الشحنة توقفت الى معرفة الجاني بعد وقت  
قصير وبحث دقيق . فثارت على القاتل ثائرة الحميين ، واقتحموا دار الامارة  
بجراة ، واتزلوا مهذا عن العرش وقتلوه للحال . فبدأت الاضطرابات ، وعساد  
الهدؤ الى السكان . وانطلقت بقتل مهذا يد زينب ، فأخذت اولادها وعرضتهم  
على الاهلين ، وقد ألبستهم الارجوان ، فنادى الجمهور بابنها وهبلات ملكاً ،  
وبولديها الصغيرين حيران وتيم الله قيصرين . وبما ان وهبلات ما برح قاصراً  
اقيمت زينب وصية عليه وكان ذلك سنة ٢٦٧ .

## ١١ - زينب ملكة الشرق

ضبطت زينب بصفقتها الوصية على ابنها زمام السلطة . ودبرت شؤون  
الدولة بكل حكمة وحزم ، وكانت زينب بديعة الصورة حسنة الهندام ،  
ولكن جماها لم يطوح بها الى وادي التهلك بل لزمت جانب العفاف فصانت  
هيبتها من العبث . وقد حوت في صدرها قلباً لا يخاف الاهوال ، وفي رأسها  
دماغاً طموحاً الى المعالي . فشغلت بذلك عن سفاسف الامور ، ومزال الاقدام  
وروي انها كانت تفقه كل اللغات التي يتكلم بها اهل تدمر واثينا ، وازدافت  
الى ذلك اللغة اللاتينية ايضاً . وكانت مولعة بمطالعة كتب هوميروس وافلاطون  
فتفوقت في الشعر والفلسفة . وهذا التفوق جعل منزلها كعبة الرواد ينسلون اليه  
من كل حديب وصوب . وهي نفسها كانت تستقدم اليها كل ذي استعداد  
المباحث الفلسفية . فاستقدمت اليها من اثنا لونيون الفيلسوف الحمصي الاصل



الذي استوزرته ، ومن انطاكية بولس السامساطي الذي كان يغشى منزلها اية ساعة شاء . وكانت هياة حكومتها اشبه بحكومة ملوك رومة : ومما كانت تمتاز به الفروسية . فانها كانت من اقدر الناس على ضبط شهيمة الخيل . فكانت تركب جوادها ، وتحسر عن ساعديها ، وتعلو رأسها خودة ، وتحطب في جنودها بصوت جهير كانت له اعظم روعة في النفوس .

بهذه المواهب الممتازة ملكت زينب قلوب رعيتهما . فأصبحوا رهن

اشارتها ، يقدونها بكل عزيز وغال . ما استنفرتهم لامر الا نفروا اليه خفافاً وثقالاً . ولا اوفدتهم الى خطب الا كانوا اسبق من جيادهم اليه .



ولما رأت زينب مكاتبتها في قومها والتفاف رجالها حولها ، استيقظ في نفسها طموحها الى المجد وشعرت ان الاكتفاء بضبط زمام الاحكام في تدمير وما جاورها انما هو قعود لا يرضاه ذور النفوس الكبيرة ، الطامعون الى التفرد بالعظمة ، وقد مر بها من عهد قريب من حوادث الدولة الرومانية ما جعل نجم التمنيات العالية قريباً من راحتها . اذ استحسكم

زينب عن ثقال لها موجود في الفاتيكان

الاضطراب في الامبراطورية الرومانية ، واخذ الزعماء كل يستقل في مقاطعته ، وليس في اولئك المتجاسرين من هو بكفائتها للحكم والسيادة . بل كان لها من حب قومها وما اوتيته من الذكاء والجرأة ، ما لم يكن لسواها من الطامعين بالعرش . ويظهر ان لونيخين الفيلسوف شجعها ، وغذى هذه الفكرة في دماغها ،

وقوى هذا الميل في قلبها . بل حثها على احياء المملكة السلوقية في الشرق فوجدت هذه التشجيعات هدى في نفس زينب وفكرت في تجهيز حملة تنيلها ما املت . ولكنها في اول الامر ترددت في اية جهة تقتحم . واخيراً قر رأيها بعد استشارة من تثق به ان تشن الغارة على اقليم بثنيا ( القسم الشمالي الشرقي من ولاية خداوندكار الآن ) .

**معركة بثنيا** — ولما استقر رأيها على ذلك جهزت حملة كبيرة سلمت قيادة الجيش التدمري لبطل تدمري الاصل يدعى زباي وسلمت القيادة العامة لقائد مدرب تلقى دروسه العسكرية في بلاد اليونان بدي زبدي . فسار هذا الجيش العرمرم الى آسيا الصغرى بقلوب مليئة بالبهجة . كأنما يسير الى عرس ابتغاء نيل رضى زينب ملكة الشرق . فصادفت هذه الحملة نجاحاً باهراً . وبسبب الاضطراب الذي كان يسود معظم النحاء الاناضول . استقبل الاهلون الجيش التدمري بكل ترحاب حيثما حل . ولكن بثنيا قاومت القوة مقاومة شديدة . وامدها غاليلان بجيش عظيم اذ خشي على سلامة الملكة فيها لو نجحت حملة زينب هذه ، فبادرت لملاقاة جيش غاليلان بما حشدته من الجنود المدربة على القتال احسن تدريب . وقادت هذه القوة بذاتها وعسكرت مع فلول الجيش السابق في شمالي سوريا حيث استعرت لظى القتال بين الفريقين وكانت النصره فيه لجيش زينب . وقتل اذ ذاك هراكيان قائد جيش الرومان وكان ذاك سنة ٢٦٨ .

**معارك مصر** — وفي اواخر سنة ٢٦٩ عولت زينب على فتح الاقطار المصرية . فجهزت جيشاً مؤلفاً من سبعين الف مقاتل (زوسيموس) بقيادة زبداي قائدها الاول . وزحفت هذه الحملة على مصر واستولت على الاعمال الشمالية منها . فقلق لذلك قيصر رومة وارسل من قبله الى مصر قائداً مدرباً يدعى برويس . فنزل في مصر السفلى وضم الى جنوده المتطوعين من المصريين . وهاجم الجيوش التدمرية عند منف . فلم تكن النتيجة على ما يريد ، اذ انكسر جيشه وتفرق شذر مذر ، ازاء شجاعة الجيش الزينبي ، ووقع برويس نفسه اسيراً في قبضتهم ، فصعب الامر عليه جداً فانتحر .

وباستيلاء زينب على مصر ، اصبحت حدود مملكتها ممتدة من الشمال



الى اقاصي آسيا الصغرى . ومن الشرق الى الفرات . ومن الجنوب الى ساحل النيل . ومن الغرب الى البحر المتوسط . فعظم شأنها وزينت عاصمتها زينة جميلة جعلتها مشابة لاعظم العواصم بما اضافته اليها من الابنية الفخمة والحصون المدهشة .

## ١٢ - زينب واورليان

سراً الشرقيون للفوز العظيم الذي نالته زينب والمجد الذي تكتسبت به هامتها . وقد وجدت نقود مضروبة في الاسكندرية مؤرخة في السنة السابعة لوهبلات ، ما دل على ان عظمة زينب ظلت لامعة الى سنة ٢٧٢ ( الدبس عد ٥٤٥ ) وكان في اثناء ذلك قد تولى السدة الرومانية رجل بانوني الاصل ، انتظم منذ صباه في سلك الجيش الروماني ، وتمكن بقوة بدنه وشجاعته الممتازة واعماله الحربية من الارتقاء السريع الى المناصب العالية في الدولة الرومانية . وقد لقبه جنوده « بالقابض على السيف » . فلما اضطربت احوال الدولة بعد موت واليريان وغاليان وكاود الثاني ، نادى به جيش الطونة الذي كان تحت امرته امبراطوراً سنة ٢٧٠ ، وحالما تسلم السدة اخذ يهتم برتق الفتوق الكثيرة في الدولة ، فرد القوط الى عبر الطونة وانتصر على القبائل الجرمانية ، وحصن رومة بأسوار منيعة ليحميها بها من هجمات البرابرة (البستاني ٦٢٦:٤) واستغرقت هذه الاعمال مدة سنتين تقريباً ، كانت زينب في اثناءها تسرح وتفرح لا تحسب الدهر حساباً ، وقد اطعمها فوزها في كل الميادين ، فلقبت ابنها اوغسطساً وأزالت اسم القيصر عن النقود التي سكنتها ( زيدان ص ٨٦ ) .

فكان وقع هذا النبأ على اورليان عظيماً جداً . فبدأ ثورة الطونة ، وأرضى القوط بولاية داكيا ، لينصرفوا عن ازعاج المملكة بالهجمات المتواصلة (بورثر ٥٢٧) ثم اخذ يستعد لحشد شوكة التدمير .

فأرسل حملة عظيمة على مصر عهد بقيادتها الى بطل مغوار اسمه بروكوبيوس ، جرت بينه وبين التدمير في مصر معارك شديدة ، كانت نتيجةها انتصار الجيش الروماني واخراج التدمير من مصر بالقوة .

وكانت هذه المعركة بداية افول نجم زينب ملكة تدمير العظيمة . فان

اورليان الذي حسب لزيب حساباً ، جهز جيشاً عظيماً قاده بنفسه ، بعدما استوثق من اخلاص البلاد الاوربية له . فبلغ بيثنيا حيث لقيه الاهلون بالترحاب كمنقذ ينبغي خلاصهم من الغازية الشرقية . ثم واصل سيده الى انقرة ، حيث طرد منها القوة التدمرية المعسكرة هناك . وسار مسير الظافر الى انطاكية ، حيث كانت زينب قد اعدت قوة عظيمة لصد الجيوش الرومانية عن التقدم . فجرت هناك معركة هائلة فاز فيها فرسان زينب على خيالة الرومان . ولكن مشاة الرومان كانوا اكثر عدداً من مشاة تدمر واكثر استعداداً للمعركة تمكنوا من زحزحة التدمرية من اماكنهم ، وبتقهرهم اضطر الجيش كله ان يعود الى



خلكيس (قنسرين) . وخاف كثيرون من الانطاكيين سطوة اورليان فقرروا من الجيش التدمري ، ونفروا الى البادية . ولكن اورليان تدارك ذلك بدهائه وارسل منادياً يؤمنهم على حياتهم واموالهم ، فعاد اكثرهم الى المدينة .

اما فلول الجيش التدمري ، فلم يجدوا لهم مستقراً في غير حمص وهناك جمعت زينب سبعين الف رجل واقامتهم وراء معقل وحصون تقيمهم سهام الاعداء . واتخذت السهل الفسيح

اورليان عن قتال في الفاتيكان ميداناً للعراك العظيم المنتظر . واستغرب الناس لم ارادت زينب مكاحفة الرومان في السهل ، ولم تلذ بأسوار المدينة وقلعتها ؟ في حين انها لو فعلت ذلك لانتزعت بالرومان بلاء عظيماً وكبدتهم خسائر جسيمة لا يستطيع تعويضها بسهولة ، ونسب المطلعون على اسرار الملكة ذلك الى امرين :

الاول - انها لم تكن تريد ان تظهر امام خصمها بظهر الضعف ، لكي لا يطمع بها وبعتر .

الثاني - انها بعدما رأت خور هزيمة الانطاكيين وخيانة المتجندين منهم ،



خافت حدوث خيانة جديدة تجعلها اسيرة في حصص بعيدة عن عاصمتها ومشيرها .  
وقد اسرّت الوجه الثاني الى بعض من استخلصتهم مصرحة انها لا تثق  
ببقاء اهل الشام على ولائها لانهم لم يألفوا اشباه تلك السيادة البدوية (زيدان: ٨٧)  
فاستاء المحصيون مما نقل لهم عن سوء ظن زينب بهم . وشعروا انها تأبى  
مشاطرتهم المجد الذي تتطال اليه بفوزها على الرومان . فانحلت عوامل اجتهادهم  
وكان هذا من اهم دواعي فشل التدامرة في المعركة الناشئة في سهل حمص .  
ولما نشبت المعركة أبلى العرب والارمن فيها بلاء حسناً ووقعوا في الجيش  
الروماني خسائر عظيمة . فنذر اورليان ان يبني هيكلًا للشمس متى اتيح له  
الفوز الذي يرجوه . فآثر هذا النذر في افئدة الذين كانوا يعتبرون الشمس اعظم  
معبوداتهم . ومعظمهم من هذا الفريق الذين خيل اليهم ان الآله الباعث النور  
كان يعني بجمع صفوف الجند المشتتة من الرومان ويردها الى ساحة القتال .  
فانحلت قلوبهم وخيل اليهم ان هذا المعبود قد ترك شعبه وانحاز الى اعدائهم .  
اما زينب فعقدت مجلس مشورة مع اركان حربها فقرروا الرجوع الى  
تدمر ، لتصورهم ان الجيش الروماني يتمرد عليه اجتياز القفر الخفاف ، والتعرض  
للبدو الرحل على الطريق .

ولكن اورليان الصعب الشكيمة ، أبى الا متابعة القتال حتى النهاية .  
فأمر جيشه بعدما اخذ لنفسه شيئاً من الراحة ، بمتابعة الزحف الى تدمر عاصمة  
القفر ، المحصنة جديداً والمحاطة بخليج وأسوار تجعل اقتحامها من اصعب الاعمال  
وأشقها .

وكانت زينب قد كتبت الى اورليان رسالة تظهر فيها عدم عجزها عن  
مقاومته والفوز عليه ، وأعلنت له انها لم تحسر من رجالها أحداً ، لان الذين  
قتلوا في المعارك انما هم من الروم وسواهم من غير التدامرة . فاستاء اورليان  
من هذه الرسالة ، وأذاع ما كتبه له بين المحصين وسواهم من اهل الشام ،  
فاستأثروا جداً لذلك . وانضم على الاثر عدد كبير منهم الى جيش اورليان  
يتفانون في سبيل نصرته ، خوفاً من تغلب زينب واستبداد اهل البدوة فيهم .  
وحمل الجيش الروماني على تدمر حملة عنيفة جداً ، خيل لاورليان فيها  
انها القاضية . وان الجند المتحمس يستطيع في مدة قصيرة ان يدك أسوار

تدمر الى الحضيض . غير أن التداصرة اظهروا من البسالة ما يذكره لهم التاريخ بالتقدير . ولما رأى اورليان عناء زينب كتب لها رسالة هذا موداعها :  
« من اورليان عاهل العالم الروماني وغيازي الشرق ، الى زينب ومن يلوذ بها .

« انه كان الاجدر بكم ان تعملوا بذاتكم ما انا آمر به في هذه الرسالة وهو : ان تستسلموا اليّ وانا اعدكم بابقائكم احياء . اما زينب فتعزل مع اسرتها الى المحل الذي اعينه لها بعد مشورة رجال الندوة . وتتخلى عما تملكه من نفائس وذهب وفضة وحرير وخيل وجمال الى خزانة رومة . وتظل حقوق التدسرين محفوظة » .

فأجابته زينب بما موداعه :

« من زينب ملكة الشرق الى اورليان الاوغسطس .  
« لم يجسر احد ان يطلب ما طلبته برسالتك . وستقضي الحرب بيني وبينك . انت تبغي استسلامي وتجهل ان كليوبترا فضلت الموت على ان ين عليها ملك بالحياة . . . اني متوقعة نجدة سريعة من الفرس . وقد لاذ بي الشرقيون والارمن . واذا كان لصوص سوريا قد اثزلوا الوبال بجنودك ، فماذا تكون حالتك عند موافاة المدد الينا ؟ . . . آتئذ بلا ريب تتغير لهجة الصلف التي ابديتها الآن » ( فوبيسكو ٢٦ و ٢٧ ) .

فلم يبق بعد هذه الرسالة القاسية لدى القيصر سوى أحد أمرين .  
افتتاح المدينة عنوة ، او التضييق عليها ليستسلم اهلها بسبب الجوع . ولما لم تنجح الوسيلة الاولى ، لاذ اورليان بالثانية . فوقعت المدينة في ضيق شديد لنفاد الاقوات منها . فلم ترَ زينب اخيراً افضل من الفرار خلسة الى بلاد الفرس . واثارتهم على الروم لرفع الحصار عن المدينة .

فعلت متن فاره . وجدت في السير نحو العراق ، غير أن فرسان الرومانيين تأثروها وادركوها عند الفرات . فقبضوا عليها وعادوا بها الى تدمر .

وبلغ ذاك النبا المحاصرين ، فأوقع البلبال في صفوفهم فاستولى اورليان على المدينة بعد معركة قصيرة الأمد ، ولم يضر بأحد من الاهلين ، ولا كنهه أخذ كنوز المدينة الثمينة .



وعقد اورليان مجلساً لحاكمة العصاة . فلما احضرت زينب بين يديه وسأها  
عن سبب تمردها ؟ اجابته بما ملخصه : « لم يكن غالياً اهلاً للامبراطورية  
فاحتقرته ، وانفت من طاعة من سار سيرته ممن خلفه ، واما انت فقد اظهرت  
بعمالك انك حري بان تود وتطاع فلا استنكف بعد الآن من طاعتك » .  
وروى بعضهم ان زينب ألقت تبعه الحرب على مستشاريها ، فحكم  
باعداد المستشارين وبينهم لونيخين الفيلسوف ، الذي تقدم الى العقاب غير مضطرب  
ولا وجل . وقيل ان الامبراطور أراد انقاذ زينب من القتل ، فألقى تبعه الحرب  
على المستشارين فقتلوا وبينهم لونيخين ، الذي لم يجرأ القيصر أن يراه خشية ان  
يحملة منظره الوقور على الانكفاء . عن قتله .



زينب حين القبض عليها

ويروى ان زينب طلبت العفو عن لونيخين ، فأبى الامبراطور . فطلبت ان  
تقتل عوضه فقال معاذ الله ان اقتل ملكة المشرق .  
هكذا كانت نهاية هذه الحرب التي صفت في نهايتها زينب باغلال  
ذهبية ، وسيقت الى رومة سنة ٢٧٣ .  
وبعد براح اورليان المدينة مع جيشه ووصوله الى تراكييا ، ثار التدمير



وقتلوا الحامية الرومانية ، وأقاموا عليهم مملكة انطيوخوس ابن حيران اخي اذينة ، فعاد اورليان اليهم وقتل بهم فتصكاً ذريعاً ، لم تقم بعده لتدمر قائمة ( مسمن ) .

اما زينب فقد روى « جيون » ان اورليان احسن معاملتها . وقدم لها مزرعة نخمة جداً في تيفولي التي تبعد عشرين ميلاً عن العاصمة . واصبحت ملكة الشرق السورية من الامهات الرومانيات ، اذ زوجت بناتها الى أسر رومية نبيلة وذريتها لم تندثر الى آخر القرن الخامس .

### فصل في حوادث حمص في هذه الفترة

لما اغتيل اسكندر سيفيروس آخر القياصرة الحمصيين ، ثار الحمصيون وشاركهم التدامرة الذين احسن اليهم القياصرة المذكورون وظلوا كذلك حتى قتل مكسيموس التراكي سنة ٢٣٨ ، فبدأ تأثرهم واطمأنت خواطرهم ، خصوصاً لتولي فيليب العربي عرش السلطنة سنة ٢٤٤ . غير أن اخاه بريسكوس اظهر تحزباً للرومان ابان ولايته سوريا ، فأحدث تحزبه هذا فتنة في الشرق كان بطلها غوتابيان الحمصي سليل اسرة ملوك حمص القدماء ( آل سمسيفرام ) . وفي اثناء الاضطرابات التي حدثت في الدولة الرومانية لتزاحم قادة الجيوش على العرش ، ظهرت اسرة السميدع في تدمر وأيدها الحمصيون ، فنبغ منها عدة شخصيات لها قيمتها في التاريخ . منها اذينة بن حيران ، الذي هوى على رومة وألف عصاة لخلع نيرها عن الشرق . ولكن مساعيه باءت بالفشل اذ اكتشف الرومان امره قبل ان تنضج فكرته . فأمسك وقتل وتفرق رجاله سنة ٢٥٠ .



ومنها حيران بن اذينة المذكور الذي مالا الرومان فأقاموه  
واليأ على تدمر ( ٢٥١ - ٢٥٨ ) ومنح الحق بان يتوج اسمه  
بلفظ سبتيميوس .

وفي ايام حيران هذا حدثت حركة سيرباد الذي سمي نفسه  
قيصراً في انطاكية وأيده الفرس ، ولكنه لم يقو على توطيد  
مركزه فأمسك وقتل .

ومنها اذينة الثاني ، الذي في ايامه هاجم سابور المنطقة الحصية  
فلم ينل منها مأرباً ، وظلت وحدها سالمة من أذى الجيوش الفارسية  
اما احتراماً لمعبودها او لسبب آخر صانها من التبذل .

وفي ايامه حاول مكريينوس المصري نيل الامبراطورية ،  
فنادى بابنه كويتوس ( كيات ) قيصراً في حمص ، وذهب هو  
الى رومة لتسليم العرش القيصري ، ولكن اذينة قضى على هذه  
الآمال بمحاصرته ابنه في حمص ثم قتله .

وتمكن اذينة من الانتقام من سابور الذي ألبى محاسنة اذينة ،  
ورفض قبول مساعدته . فاستطاع اذينة ان يسترد البلاد التي  
فتحها سابور ويعيدها الى الروم ، فقدّر له غالبا هذه المأثرة العالية  
ولقبه ملك الملوك سنة ٢٦٤ .

ومنها مهنا بن حيران اخي اذينة ، الذي اغتال عمه اذينة  
وابن عمه هيروديس في حمص لاسباب صبيانية سنة ٢٦٦ .

ومنها زينب زوجة اذينة الثاني التي بهرت العالم باقداها على  
جلائل الامور ، وبلوغها درجة من السؤدد لم يتوقع احد ان  
تنالها امرأة في ظروف مثل ظروفها ، فحفظ لها مؤرخو الغرب

انفسهم ، ما لم ينقلوا مثله من اخبار الشرق ، وقد بسطت سيطرتها على الاناضول والقطر المصري ، وظل ذلك شأنها الى ان خسرها هذا المجد الامبراطور الروماني الحازم الشجاع اورليان (٢٧٠ ٢٧٥) فاسترد البلاد التي اغتصبها واقتادها الى رومة اسيرة وفي رجليها قيود ذهبية سنة ٢٧٣ .

### الملعون الى منطقة مصر منه كتاب هذه الحقبة

الملعون الى تاريخ هذه الحقبة كثيرون ، من مشاهيرهم زوسيموس وزوناراس وفوبيسكو وميمون وسوام ، غير ان هؤلاء نبغوا في غير هذا العصر ، فنؤجل تعريف القارى بهم لدن وصولنا الى الوقت الذي عاشوا فيه ، ونقتصر على اثنين من معاصري هذه الحقبة وهما :

### (١) يوليوس الافريقي

ولد في ليبيا (شمال افريقيا) ثم انتقل الى فلسطين بعدما قضى مدة في الاسكندرية واشتهر في ايام القياصرة الحمصيين ومات في عمواص نحو سنة ٢٤٠ م . اكب في حياته على درس التاريخ وترتيب حوادثه ، ووضع مؤلفاً دعاه «خرونوغرافيا» وقع في خمسة اجزاء ، ضمنه ذكر الحوادث التي وقعت منذ الخليفة الى المسيح ، ثم أتى على خلاصة ما حدث من ميلاد المسيح الى سنة ٢٢١ ، ووضع في آخر السفر جدولاً يتضمن حوادث كل سنة بمفردها . وقد استفدنا مما كتبه عن القياصرة الحمصيين .

### (٢) تريييلليوس بوليون

مؤرخ روماني عاش في اواخر القرن الثالث ، وهو أحد مؤلفي تاريخ



اوغسطس . وضع تاريخاً للإمبراطرة منذ فيليب العربي الى كلود القوطي . لم يبق من مؤلفه هذا سوى تاريخ نهاية حكم واليريان ، وغاليان والطغاة الثلاثين ، واطراء كلود القوطي . ومؤلفه هذا وإن كانت قيمته الادبية ضعيفة ، لكن ما حواه من التفاصيل الكثيرة يجعله جزيل الفائدة لمحي التاريخ .

### مؤلفه المظفحة الحمصية

#### (١) اذينة بن اذينة ( ٢٣٥-٢٦٦ )

هو سبتيميوس اذينة ، ولد في اواسط العقد الرابع من القرن الثالث ، ونشأ شجاعاً مغامراً ، وملك في اواسط القرن الثالث بعدما تزوج زينب الشهيدة في التاريخ ، واراد في اول امره الاتفاق مع سابور ضد الروم لقتلهم اياه ، ولكن هذا أبى ذلك فنقم عليه وغزاه ونهب ذخائره واسترد البلاد التي اغتصبها من الرومان ، فنهجه غاليان لقب الغازي وامبراطور الشرق ، وتأنق مجده بعد ذلك الى ان اغتاله مهناً ابن اخيه سنة ٢٦٦ في حمص .

#### (٢) زينب ملكة الشرق

ولدت في اواسط العقد الخامس من القرن الثالث ، لامير عربي ما بين النهرين ، وذهب بعضهم الى انها حمصية ومن ذرية كليوباترا رافقت زوجها في غزواته وحروبه لسابور ، ولما قتل زوجها سنة ٢٦٦ خلفته في الملك باسم ابنتها وهيلات . وظلت تجاهد في سبيل تعزيز العرش التدمري ، مدة خمس سنوات برهنت فيها عن قوة بعطشها واصالة رأيها ، فقد ادخلت الاناضول ومصر ارض الملوك من آبائها ، ضمن البلاد الواسعة التي فرضت عليها حكمها . وهزمت القادة الرومانيين الذين ارسلوا لمحاربتها . فأخذت الدول المجاورة تحطب ودها ورعاياها يظهرون

الخضوع والطاعة القلبية لها . ولما سار اورليان بجياله ورجاله نحوها ، واخذ يوغل في البلاد باسطلاً سيطرته على مقاطعاتها واحدة بعد الاخرى بانتصارات باهرة ، ظلت رابطة الجأش تتوقع ان يتسنى لها تحدي قوة الروم وبطشهم . فلما هزمت جيوشها قرب انطاكية وحمص ، ارتدت نحو تدمر مستعدة للدفاع فيها عن نفسها ، وهي شديدة الأمل في ان بعد المسافة بين الجيش الروماني وعاصمتهم تهون عليها الفوز عليه بمساعدة خصومه الفرس ، ولذلك رفضت كل دعوة الى الصلح ودافعت بكل قواها عن قاعدتها بالوسائل الحربية القديمة ، ولكن ذلك الدفاع لم يجدها نفعا ، فقد سقطت المدينة بأيدي الرومان ، وأسرت الملكة قرب شاطئ الفرات حيث كانت ممتطية ناقه قلوص . بغية الوصول الى بلاد الفرس واستئثارهم على الرومان ، فاعتقلها اورليان واخذها مصفدة باغلال ذهبية الى رومة ، ولكنه اعترف لها بقدرتها شأن الابطال الذين لا ينكرون على خصومها ما فيهم من مواهب اذ قال : ان من يستخفون بزئب ويتحدثون باستهتار عن حرب التظت نيرانها ضد امرأة يجهلون ما هي عليه هذه المرأة من البطش وقوة العارضة ، ويستحيل عليهم معرفة ما اعدت هذه المرأة الجسورة للحرب من حجارة المعازل وسهام تراش وكل نوع آخر من القاذفات ، وكيف انها فتحت في كل جدار من جدران حصونها نافذتين او ثلاثة ركبت فيها الآلات والمنجنيقات القاذفة نيراناً صناعية اه .

وقد خفي عن هؤلاء الهازئين حكمة زينوبيا في آرائها وثباتها في مواقفها وبسالتها مع جنودها ودقتها في ما تقتضيه ظروفها من حلم تارة وشدة اخرى ، فلولاها ما انتصر اذينة على الفرس ولم ينكف العرب والسراكسة والارمن عن اثاره القتنة لولا خوفهم من بسالتها ( تريبلليوس ) .

وقال فيها جيون : ضارعت زينب كايوباترا بجبالها ، ولكنها فاقتها بمفاقها وشجاعتها . وقال في موضع آخر : انها اجمل افراد جيشها واشجعهم .

### (٣) لونجينوس الفيلسوف (٢١٣-٢٧٣)

من نباتات رياض حمص الممتازة ، الفيلسوف الذائع الصيت لونجينوس ،



الذي رنت حصة شهرته في عصره ، وفي ما وليه من العصور . ولد لونيوس سنة ٢١٢ ، اعني في نفس السنة التي ولد فيها خصمه وعدوه اللدود الامبراطور اورليان ، وذلك من غرائب الصدف . وأعطي وقت الولادة اسم ديونيسيوس ثم اطلق عليه اسم كاسيوس لونيوس . ولا ندري اصل تسميته باسمه الوثني كاسيوس ؛ ويظن انه أخذ هذا الاسم عن ولي او ظهير روماني .

تلقى دروسه الاولى في مسقط رأسه « حمص » على خاله فرونتون الذي احبه جداً ، واوصى له وهو حي بكل ما يملكه . ولم يقف بلونجين اجتماعه عند حد ما تلقاه من خاله ، بل برح حمص متعلباً المعرفة من مظانها . حتى حطت به عصا التسيار في الاسكندرية احدى مراكز العلم الشهيرة في ذاك العصر . فدخل مدرستها العظيمة التي انشأها اموينوس سكاس فيلسوف ذلك العصر ( ٢٤١ + ) فتعرف هناك باوريجان الفيلسوف الوثني تلميذ سسكاس ، واخذ عنه معلومات جمة . وأبت نفسه التواقة الى العلم ، الوقوف عندما حصله في الاسكندرية . فقصد اثينا وهي كعبة العلوم فخط رحاله فيها . وقضى هنالك مدة ثلاثين سنة ، درس في اولها ثم أخذ يدرس . ومن المتخرجين في مدرسته برفيريوس الصوري الشهير . وهناك طارت شهرة لونيوس حتى بلغت وطنه الاصلي . وكانت زينب قد علت منصة السيادة في تدمر على اثر وفاة زوجها . فرأت في شخصية لونيوس البارزة ما يعزز موقفها ، فاستقدمته من اثينا معللة اياه بالاماني الجليلة فلم يرد طلبها . وحضر في اول الامر كاستاذ يدرسها مع الفصاحة اللغوية اليونانية . ولكنها استوزنته بعد ذلك وجملته مستشارها الخاص ، لما آنت فيه من الحكمة وسعة الاطلاع .

واشتهر لونيوس بسعة الاطلاع والمقدرة على الانتقاد ، فسماه تلميذه برفيريوس « النقاد » . ودعاه افنابيوس « المكتبة الحية » او « المتحف المتجول » ومع انه خالف زميله بلوتين في آرائه الفلسفية الحديثة ، قال عنه بلوتين المذكور ( ٢٧٠-٢٢٠ ) وان لم يكن لونيوس فيلسوفاً لكن لا شك انه من اكابر العلماء . ( الدائرة البريطانية ) .

وقد نال لونيوس اعتبار الشرق لما ازدان به من الاخلاق الطيبة والتزاهة في الرأي . وحسبك ان تعلم انه وهو متحدر من دم يوناني ، وقد ربي في

بيشة وثنية ، اعترف ان عنجهية الروماني تبعده من كل قلب . وقد صرح اكثر من مرة ان الرجل الروماني انما يصير حسن المعاشرة حينما يتزع من مخيلته اعتقاده بانه كبير وعظيم . ولم ينكر ان التدمريين اقرب الى المسامرة باخلاقهم من الرومانيين . وان هؤلاء انما تحسن معاشرتهم اذا استطاعوا التخلق باخلاق التدمرية اه .

والكن من المؤسف ان هذا الفيلسوف النابغة قتل ظالماً سنة ٢٧٣ ، لان اورليان نسب اليه كتاباً شديد اللهجة بعثت به زينب الى القيصر المذكور . ولم يكن الكتاب من كتابته ولا من انشاءه كما يرى المحققون من المؤرخين . وانما املته زينب على احد كتابها وبعثت به الى اورليان . فنسبه الى لونيخين لانه مستشارها واقدر من كان في تدمر على انشاء ذلك الكتاب . فلما فاز على زينب ووقع لونيخين في اسره فتك به . ولم يقبل فيه شفاعاة ولا رجاء .

#### ٤) برفيريوس الصوري (٢٣٣-٣٠٥)

برفيريوس لم يكن حمصي المولد لكنه حمصي النشأة والتربية . اذ ولد في صور ، ودعاه اهله ملكو ، ولكنه فضل اخيراً الاسم اليوناني شأن كثيرين من اترابه . درس الفصاحة على لونيخين الفيلسوف الحمصي في اثينا ، ثم قصد رومة حيث انكب على تلقي الفلسفة عن بلوتين المصري . ولزمه سبع سنوات حتي توفي بلوتين سنة ٢٧٠ ، فتضلع بجميع علوم عصره وألف في معظمها بخاطر سريع وانشاء سهل .

وقد ترك مؤلفات كثيرة حفظ بعضها الى الآن ونفذ البعض الآخر ، وفي معظمها ما يستحق التقدير .





## الحقبة التاسعة

محص

في دور المسيحية الاول

سنة ١ - ٣٠٥ م

نوطنة

قبل ان نأتي على وضعية محص إبان دخول المسيحية اليها وانتشارها فيها ، لا نجد بدأ من الالام بما يجب معرفته عن ظهور المسيحية وعوامل انتشارها في العالم . ونجد من التزاوة الواجبة ان نخلي المجال ونعطي حق الكلام بهذا الشأن لغير رجل الدين . ليجد القراء على اختلاف نحلهم قابلية جيدة لهضم ما يلقيه في روعهم علامة مدني . استوعب تاريخ العصور القديمة بدقة وتجرد تام يجعله مسوع الكلمة عند مختلف الاجناس والمذاهب . وهو الدكتور جيمس هنري براستد ، الذي نلخص ما قاله بهذا الشأن في ما يلي :

### ١ - نشأة المسيحية

كانت الحياة العقلية في الامبراطورية الرومانية في نأخر مستمر . فتقهقرت الآداب والعلوم فيها . غير ان مفكري الرومان والطبقة العاقلة فيها ، الذين طالعوا فلسفة الرواقيين والايبيكويين اليونانية في المقالات البليغة التي نشرها شيشرون ، اقلعوا عن عبادة الآلهة الرومانية . واتخذوا من التعاليم الفلسفية ديانة طبقوا عليها سلوكهم اليومي . غير أن هذه الديانة لم تتعرض للسيرة الشخصية

ولا للحياة المقبلة . فكان الناس في كل انحاء الامبراطورية ، وهم في وسط متاعب الحياة الكثيرة ، وتحت تجارها القاسية ، يتوقعون حافظاً الهياً ينقذهم من براثن الاستبداد وآلام الحياة المنحرفة .

فلما ظهرت المسيحية وجدت في الشعب الروماني استعداداً عظيماً لقبولها ، اذ كان جوهر تعليمها « ابوة الله وأخوة البشر » التعليم الذي سبق فلهج اليه عاموس النبي العبراني اذ رأى في « يهوه » إله الخنزير الابوي الذي لا يسر بسفك الدماء . ولا المجازر البشرية .

ظهر يسوع العبراني في فلسطين ، وركز بهذا التعليم الجليل الذي فاق ما علم به انبياء اليهود ، فأبغضوه وأماتوه في زمن طيباريوس . وظهر يهودي خيَّام في طرسوس اشتهر بالفصاحة وشدة العارضة ، وبمحبته الحارة لسيدته علي الدوام ، شرع يحول في آسيا الصغرى وبلاد اليونان حتى رومة . وحيثما مرَّ يغادر وراءه جماعة قادمة الى الايمان بتعليم ذلك السيد . فألفت هذه الجماعات صفاً طويلاً يمتد من اورشليم الى رومة ، كتب اليها رسائله باليونانية فطولت برغبة شديدة وانتشرت بسرعة . وفي اثناء كتابته الرسائل كتب تاريخ يسوع بالآرامية التي كان يركز بها . لكن هذا التاريخ فقد ، وظهر بعده اربع سير حياته . دونها اربعة من الكتبة معتمدين في ما كتبوه على التاريخ الآرامي المذكور آنفاً . وشاعت هذه السير الاربع واقبل الناس على مطالعتها اقبالاً عظيماً ، وكان لها بينهم منزلة الاولى ولتعليمها القول الفصل . وسميت البشائر الاربع وضمت بعد ذلك مع رسائل بولس وغيرها في مجلد واحد باللغة اليونانية سمي العهد الجديد .

ومع ما كانت عليه ديانات الشرق الاخرى من المكانة ، ومع ما كان لها من الجاذب ، لم تستطع ان تولي اتباعها مواسة ومصاحبة حياة سامية جداً ومملوءة رافة وشعوراً مع الغير ، كحياة المعلم العبراني الجديد . الذي كان لدعوته البسيطة « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين » مفعول عظيم في قلوب الملايين من الرومانيين النعابي ، ما لم يكن لمناسير الامبراطورة الرومانيات اجمع . وقد اصفى لندائه هذا العبد والمعتق ، والصانع والمختر ، والوضع والمزدرى المقيم في ثكنة الحكومة ، مأوى الفقراء في رومة . وبعد زمان لبى النداء كثيرون فوجدوا



فرماً في الرجاء الذي اولده فيهم ذلك التعليم السامي . وفي قرن السلم الثاني (٦٩-١٦٧م) برزت الديانة الجديدة على سائر ديانات الامبراطورية الاخرى اهـ . ملخصاً ( براستد عد ٩٤٤-٩٥٢ ) .

## ٢ - نهضات سديرة ضد المسيحية

حال ظهور المسيحية قامت ضدها خصمان ليس من السهل التغلب عليهما ، وهما الاول اليهود الذين استمدوا قوتهم من الاساس الالهي المتين الذي اسندوا اليه نظرياتهم . والثاني الوثنيون الذين استندوا الى قوتين احدهما نظرية وهي المستمدة من الافلاطونية الحديثة والثانية عملية سياسية وهي المعتمدة على قوة الامبراطرة الذين بيدهم السلطة ، فأثار الفريقان على المسيحية حرباً شديداً ضحي فيها عدد ليس بقليل من القوى الحيوية في المسيحية كما ترى .

(١) بنيت المسيحية في حقل اليهود نفسه وضمن نطاق المبادئ الاسرائيلية . اذ لم يكن من قصد مشترك المسيحية ابطال الناموس الالهي بل تكميله . واصلاح ما اوجده في تأويله من الخلل ، الزاعمون انهم ناموسيون . والمسيحية في جوهرها لا تختلف مع الاسس التي بنيت عليها الاسرائيلية الصحيحة . لذلك حافظت المسيحية على ما اتزل على انبياء اسرائيل وأيدته بكل قواها بعدما فهمته حق فهمه . ولكن زعماء اليهود رأوا في ما يواد به اصلاح ما فسد ، القضاء على امانتهم الدنيوية . فقاموا ضد المسيحيين بكل قواهم ، وضعوا بهاجهم غير المرتب عدداً ليس بقليل من المسيحيين .

فضحي في اول هياج سنة ٣٦ استفانوس رئيس الشمامسة .

وفي ثاني هياج سنة ٤٤ يعقوب الكبير بن زبدي احد الخواريين .

وفي ثالث هياج سنة ٦٢ مات رجلاً بالحجارة يعقوب اول اساقفة اورشليم .

ولم يكن اليهود القاطنون في الولايات الرومانية الاخرى اكثر رفقا

بالمسيحيين من اخوانهم في فلسطين ، اذ كانوا يثيرون عليهم الحكام أينما كانوا

زاعمين ان يسوع فاعل شر ، ينبغي قلب العرش القيصري ليملك على اليهود .

ولكن الله رد كيدهم في نخورهم فرفعوا في نفس الحفرة التي حفروها للمسيحيين .



فان الرومانيين شعروا بما يضررونه من النيات على الحكومة بتمردهم المتتابع .  
فحاصر عاصمتهم اورشليم فاسباسيان سنة ٦٧ وتابع ابنه عمله ، حتى هدم المدينة  
مع الهيكل من الاسس بعدما قتل من اليهود عدداً غفيراً ، زعم يوسيفوس  
انهم اكثر من مليون نسمة .

على ان اضطهاد اليهود لا يحسب شيئاً مذكوراً ازاء اضطهادات الامبراطرة

الوثنيين الذين ألقوا في روعهم ان  
المسيحيين يبنون قلب العرش  
الروماني . بدليل مقاومتهم الديانة  
الوطنية ، فحاولوا في بادى الامر  
ايقاف انتشارها بالاضطهاد ، فلما  
لم يفلحوا سعوا للاشاعتها ،  
ولكنهم لم ينجحوا بهذا ايضاً  
بل بالعكس فان المسيحية كانت  
تردد انتشاراً بمقدار مقاومة  
القوة السياسية لها .



واحصى بعضهم الاضطهادات  
الوثنية العظيمة التي تزلت  
بالمسيحيين فبلغت في دورها الاول  
عشرة اضطهادات .

أثار الاول نيرون الظالم  
سنة ٦٥-٦٨ والثاني دوميتيان  
سنة ٩١ والثالث ترايان سنة ١٠٤

يوسيفوس المؤرخ ( انظر صفحة ٢٩٤ )

والرابع اديان سنة ١٢٦ والخامس اوريليوس سنة ١٦٢ والسادس سيفيروس  
الاول سنة ٢٠٣ والسابع مكسيموس سنة ٢٣٧ والثامن داكوس سنة ٢٥٠  
والتاسع واليريان سنة ٢٥٧ والعاشر ديوكليتيان سنة ٣٠٣ .

والاخير اعظم الاضطهادات وافظعها اذ تفتن الطغاة فيه بتعذيب المسجونين  
فالوخز بالحرايب ، وتزع الاظفار ، والكي بالحديد المحمي ، وتشذيب الجيم باظفار جديدة



والتقديد بالافران ، والشئ على النار الخ... هي بعض ما انتجته تلك القرائح الصلبة .  
وقد استغرب بعض المؤرخين وقوع هذه الاضطهادات على المسيحيين من  
امبراطره الرومان مع ما هو معروف من تساهل الرومانيين في الدين . ولكن  
هذا الاستغراب يزول متى عرف ان المسيحية قضت بوجودها على اسباب معاش  
الكهان ، وصناع التماثيل ، واصحاب الخانات والملاهي ، فثار هؤلاء في وجهها  
ولقي نداؤهم في الشعب والحكومة تربة قابلة الاثار للاسباب التالية :

- (١) ان المسيحيين حاولوا احلال المسيحية محل الوثنية التي هي الديانة  
الوطنية والامبراطور كاهنها الاعظم .
- (٢) منافاة المسيحية لسائر الاديان الموجودة في الامبراطورية .
- (٣) رزية الحكومة باجتماعات المسيحيين السرية .
- (٤) حساسة المسيحيين الاولين بحيث ان بعضهم كان لا يخشى تمزيق الاوامر  
الامبراطورية المذاعة ضد المسيحية .

باضطهاد ديوكليتيان اترع كاس التعاهل على المسيحيين ، اذ وضع بعده  
حد لهذه الشدة . وشعر ديوكليتيان نفسه بالخطر الذي افاقاده اليه صهره  
المتعصب للوثنية ، فعافت نفسه العرش الذي يعرض صاحبه لخداع ذوي الاغراض  
الجائرة ، فاستقال سنة ٣٠٥ ولزم منزله في سالونا (دلماتية) حتى مات سنة ٣١٢  
غير آسف على العرش .

ومما هو جدير بان يروى عنه انه بعد اعتقاله الملك ، حاول شريكه اغراءه  
بالرجوع الى العرش ، فأجابه بما يأتي : لو جئت الى سالونا ورأيت الملفوف الذي  
انشته في بستانبي بيدي لما كلمتني في الامبراطورية .

ومن مآثراته : لا شيء اصعب من ادارة الاحكام ادارة حسنة . لان  
اتفاق اربعة او خمسة اشخاص على رأي ، يؤدي بهم الى اقتناع الملك باتباع  
ارادتهم . والملك اذ يكون كالحليس لا يعرف الحقيقة . فهما كان قويم الرأي  
ينخدع بمطامير فيسقط فريسة في يد ذئاب الخبث ، الذين يخفون عنه  
الحقائق اه .

### ٣ - انتشار المسيحية في العالم وتنظيمها

بالرغم من القوى التي وقفت ضد المسيحية لاول ظهورها ، وبالرغم من ان مبادئها صعبة التطبيق ، وبالرغم من ان مشرعيها حكم عليه بالصلب كجرم ومعظم الذين قاموا بالدعوة لها كانوا أميين فقراء لا أحزاب لهم . برغم كل ذلك انتشرت في وقت قصير في معظم أنحاء العالم . برزت من اورشليم حيث قتل راضعها ، وبلغت سوريا الشمالية ثم اخترقت الاناضول واجتازت البحر في اوربا وشمال افريقيا ، وقد انتظم في سلكها كثير من الشرفاء والاعيان حتي من الاسرة القيصرية الحاكمة ، وحسبك ان تراجع احصاء دقيقة قام به المؤرخ المدقق شاردن ترز الانكليزي لمعرفة عدد المسيحيين في كل القرون لتري غوها السريع ، ففي القرون الثلاثة الاولى التي رزح فيها المسيحيون تحت ضغط الامبراطرة الوثنيين ، بلغ عددهم في القرن الاول نصف مليون وفي الثاني مليونين وفي الثالث خمسة ملايين ، اعني شملوا نحو خمسة اسباع الامبراطورية الرومانية وأخذ عددهم يتضاعف بعد ذلك في كل قرن تقريباً ، حتي بلغ مجموعهم الآن أزيد من ستمائة مليون من النفوس .

وقد ماشت المسيحية في ادارتها العامة النظم الرومانية التي كان لها ثلاث عواصم ، الاولى رومة في اوربا والثانية الاسكندرية في افريقيا والثالثة انطاكية في آسيا ، واتبعت المسيحية لاول عهدها هذا النظام . فكان المرجع الاعلى لمسيحي اوربا أسقف رومة ومسيحي افريقيا أسقف الاسكندرية ولاسيا أسقف انطاكية . ظل ذلك شأنهم مدة اربعة قرون تقريباً ، ولكن لما انتقلت العاصمة الزمنية من رومة الى القسطنطينية اهتم قادة المسيحية بترقية الادارة الدينية في العاصمة الثانية التي دعيت رومة الجديدة . فزادت المراجع العليا مرجعاً جديداً وحسب أسقف القسطنطينية المرجع الثاني الاعلى ، ثم تلاه بعد مدة ترقية مركز اورشليم تقديراً لموت مشرع النصرانية فيها ، فأعطي أسقفها المرجع الاعلى الخامس بين المراجع المسيحية كافة .



## صوت حمص الخاصة بهذه الحقبة

### نوطته

عرف المحصرون في كل الادوار انهم شديداً التمسك في المبادئ التي يقتنعون بصحتها . كثيرون الاندفاع بتأييد ما يجد الى قلوبهم سبيلاً . فهم متعصبون ابداً لما يستقر رأيهم عليه لا يترشحون عنه بغير شق النفس ، وبالجد الجزيل وبعد تواتر الادلة ونصوح البينات . وكثيراً ما أيدوا بتصرفهم قول افلاطون : ان خطر لأحد تغيير شيء من القواعد الدينية فان ما يحاوله انما هو ضرب من الجنون ( بوسويت : ١٦٩ ) وقد تابعوا رأي سقراط الذي اوجب على كل واحد اتباع الديانة الوطنية .

في هذه الظروف الحرجة وازاء هذه الرغبات الصلبة ، حاول المبشرون بالمسيحية نشرها في حمص .

## ١ - مرور بطرس وبومنا بحمص

ليس من السهل الوصول الى مدونات يفهم منها كيفية دخول المسيحية الى حمص لسببين الاول : الاخطار التي كانت تهدد حياة المسيحيين وتعطرتهم الى التمسك الدقيق والحرس الشديد على نقل معلوماتهم ذات الشأن بالتقليد الشفاهي احدهم عن الآخر . وقد استشهد كثيرون من حفلة هذه الاخبار فجأة قبل ان تنقل معلوماتهم الجلية الى صدور أخرى تعيا فتروها . والثاني : ان كثيراً من الطوامير التي كتبت بحروف سرية لا يستطيع فتح مغلقتها سوى المسيحيين ، قد وقعت بأيدي خصومهم فأثلفوها وحرموا العالم المسيحي من التفقه بمضامينها النافعة . غير أن عناية خاصة علوية حفظت قطرة من الانباء تكفي لمعرفة ما تهم معرفته . وبما نسرده مأخوذ عن مصادر يوثق بصحتها ، رواها مؤرخون متعددون المشارب صادقوا الالهجة . يستخلص منها ما يلي :

جال السيد المسيح في فلسطين ليرد الناس الى الهدى الذي اضاعوه بمؤثرات شتى . والناس في بجران عميق من حمى الضلالة المنتشرة على وجه البسيطة ، لا في المبادئ فقط بل في الاخلاق ايضاً . وكانت حمص قد سارت سيرة سائر المدن التي وصلت اليها المدنية اليونانية . وقد استمسكوا بعري مبادئ ابعدهم عن الهدى واصطيدوا باوهاق عادات خسرتهم الكثير من الاخلاق الحسنة . في هذه الظروف القلقة ، مرّ بطرس الرسول ويوحنا الانجيلي ، وهما يقصدان الجهات الشمالية من سوريا ، بعدما زارا السامرة سنة ٣٨ م على الأرجح ( اع ١٤:٨ ) وانما اطبعها بزيارة حمص مع ما هو معروف من تعصب اهلها ، ما رآياه من النجاح في تبشير القرى الكثيرة في السامرة ( اع ٢٥:٧ ) . فالتقيا في ضاحية المدينة بفلاح اسمه خريسوموس ، حياه الرسولان بوداعة ، فأجابهما على تحيتهما بلطف وأدب . ولما سألاه عن مبيت يقضيان فيه ليلتهما . دعاهما للمبيت عنده . والفلاح متعلم من جودة الارض وطمانتها سخاء النفس والبعد عن الصلف والكبرياء .

فلما أمّا منزله لقيا فيه كل اكرام وحسن ضيافة . فقضيا ردهاً من الليل يتحدثان معه عن بدائع الكون وعظمة المكون . ووجد الرسولان متسماً ابث افكارهما المسيحية ، فألقيا بذارهما بصورة لطيفة جداً ، لقيت في الفلاح وأسرته آذاناً صاغية وقلوباً واعية . وقد حجب اليهم حديث الليل امساك الضيفين ثلاثة ايام . سمعوا فيها منها ما لم يكونوا يسمعون من قبل . ولذهم بنوع أخص ان ذاك الجليلي الذي انتهت اليهم انبأؤه ، انما كان صديقاً للطبقة العاملة من البشر . وقد بذل جهداً عظيماً ليخفف عنهم اثقال البؤس وضروب الجور التي تحملوها مدة طويلة من الارستوقراطيين . فنقم هؤلاء عليه وقتلوه ظلماً وعدواناً ، لأن الشعب مال برمته اليه ، ووجد فيه رفي تعاليمه السامية خير عزاء على مصائب الحياة المديدة ومصاعبها .

فوجدت هذه الاحاديث التي تسمعها الطبقة العاملة بارتياح ، متسماً في صدر الفلاح وأسرته . فاستزادوا الرسولين منها ولم يبق بينهم وبين النصرانية الا القليل . فأودعهم الرسولان الارشادات اللازمة ، ثم برحا المدينة الى جهة اخرى على أمل العودة اليها ثانية .



## ٢ - فريسيوموس بشرطه فماً

مرّ على ما ذكر نحو عشرين سنة كان فيها خريسيوموس الفلاح ، مثال التلميذ الناجح ، الذي يلذه نشر ما يعرفه بين قومه . وقد لقي كلامه تأسيراً عميقاً بين اترابه من الطبقة العاملة في المدينة . ولم يحل التعصب الذي ملك قلوب المحصين للوثنية ، دون اقتناع البؤساء . منهم بصحة المبادئ المسيحية . وفي اثناء ذلك زار يوحنا الانجيلي مدينة حمص منفرداً ؛ فأعجب بما رآه من نشاط خريسيوموس وتأثير مساعيه . اذ التف حوله عدد من المنتصرين الذين لم ينعمهم سعيهم لنيل الرزق بالوسائل المشروعة ، عن الاهتمام بخلاص نفوسهم . ودرس المبادئ الجديدة التي يتخلص بها ظل الاستبداد ويرتفع الضغط عن الطبقة العاملة . ورأى في هذا المجموع الصغير بعدده ، الكبير بنشاطه واجتهاده ، حباً لخريسيوموس الذي فقهته المبادئ الجديدة التي تلقنها . فأولته قوة حجة يدحض بها السفسطات المنتشرة في الوسط . ومقدرة على بسط مبادئه وافهامها لمن يريد . فأقامه الرسول مرشداً لتلك الفئة بعدما شرطه موصياً اياه ان يعني بامر تابعيه ولا يتوانى في توسيع نطاق الدعوة . كما اوصى مريديه به خيراً .

وبعدما ودعه الرسول ظل هذا القطيع موضع اهتمامه . فرأى بعد مدة ان يوفد الى حمص غايوس الدربي ( ا ع ١٩ : ٢٩ و ٢٠ : ٤١ ) لتسلم القيادة العليا للرعية فيها . فسامه اسقفاً وارسله الى حمص لمراقبه سير المسيحية فيها وتنظيم من تبناها .

فلما قدم غايوس الى حمص ورأى ذلك القطيع المجتهد سعى بتدشين محل خاص للعبادة فيها . وكان ثمة منزل شرقي المدينة لارملة تقية اسمها بربارة اتخذته خريسيوموس مركزاً لعمل الكرازة . فكرسه غايوس كنيسة ، وعرفت تلك الكنيسة بعدئذ باسم ارشائيا او كنيسة بربارة ( عن مخطوط قديم في دير القديس اليان بمحاص ) .

### ٣ - اميليا امير السبعين في حصص

نقل العلامة ميخائيل الصكبير المؤرخ في الصفحة ٩٣ من تاريخه نقلاً عن ابن الصليبي مطران آمد سنة ١١٧١ طبقاً لنسخة سريانية مخطوطة موجودة في المتحف البريطاني تحت رقم ١٧١٩٣ مؤرخة في سنة ٨٧٤ م ما يلي : « ان ميليا السادس من المبشرين السبعين قد كرز بالمسيحية في حصص وبعليك والوستن وحماة ومات في شيزر » فاذا صح هذا ولعله صحيح . تكون كرازة هذا الفاضل قد ولت مرور يوحنا الانجيلي بجمص الذي ذكر اعلاه . وكان لكرازته الاثر الكبير فيها بحيث استند اليه خريسوموس وتأيد كلامه به . ومن الممكن انه برح حصص قبل مجي غايوس او بعده بقليل . لاطمئنانه على القطيع الصغير الذي وجد من يهتم بامره .

كان مسيحيو حصص يجتمعون في منزل بربارة المذكور سابقاً للعبادة واسماع الكرازة ، بصورة مستترة خشية الوثنيين الذين كان تعصبهم في حصص بالغاً حده الاقصى . على ان الوثنيين لم ينتهبوا بادىء بد . لاجتماعات المسيحيين في ذلك المنزل وخروجهم منه زرافات ووحداً بعد قضاء ليلتهم فيه . لانهم اعتادوا في مثل هذا الوقت انه يؤمروا منازل الاعيان لتناول المنبات والتحدث عن الماويات الحاصلة . بحيث يقضون مدة غير يسيرة في مثل ما ذكر ثم ينصرفون الى اعمالهم الخاصة خارجين من منازل الوجوه كخروج المسيحيين من معبدهم . لذلك لم يلفت هذا المشهد المؤلف المكرار الحصريين الوثنيين الى المتنصرين منهم . على ان تعصب الوثنيين الشديد في حصص جعل انتشار المسيحية بطيئاً فيها ووجود هيكل الشمس الذي كان محجة الزوار من اقاصي الاصقاع الرومانية جعل للوثنية الكلمة العليا فيها . عدا انها مذهب الحكومة الرسمي . غير أن هذا كله لم يوقف ندير المسيحية في المدينة . وقد هزأت غيرة المسيحيين الاولين بكل صعوبة ومشقة . ولكن لما تصكاث عدد المسيحيين فيها ولم يعد امرها خافياً استيقظ التعصب الديني في قلوب الوثنيين واخذوا يترصدونهم بحرص وشدة ، ومن عرف انه مسيحي كان نصيبه الموت لا محالة .



## ٤ - اضطهاد النصارى في حمص

ثبت كثيرون من متنصري حمص ازاء هذه التجارب ولزموا ايمانهم حتى الوفاة . فبعضهم لاذوا بالاحراج والمغاور للنجاة من الموت . وبعضهم هجروا المدينة الى سواها من المدن التي تؤمن بها المعبة . وسمع رهط منهم بأن التفتيش على النصارى في الاناضول اخف منه في حمص . فترح كثيرون الى تلك الاصقاع ، عرفنا من هؤلاء يوحنا السرياني الذي أمّ شمالي الاناضول حيث اماسيا الفلاطية وهناك ولد له ابنه نيقيطا الذي اهلته تربيته الحسنة لاعتلاء سدة رومة باسم البابا انيقيطس ( ١٥٧-١٦٨ ) .

اما مسيحيو حمص فكانوا كسائر مسيحي سوريا عرضة للاضطهادات التي كان يشيها امبراطرة رومة ضدهم ويزيد كرههم على اولئك ان مواطنيهم كانوا أشد تعصباً من سواهم في المدن الاخرى واكثر قسوة وصلابة . لكنهم تشبثوا بأذيال الحكمة فظلت لهم بقية الى ازمنة الراحة . وكان عددهم يزيد تارة وينقص اخرى بحسب الظروف الطارئة عليهم من شدة او رخاء . ومع ان المدة التي قضاها سيفيروس الاول في سوريا كانت قصيرة ( ١٨٢-١٨٤ ) ارتاح فيها مسيحيو حمص . بالنظر لشدة المذكور في حفظ النظام . ولكنه بعدما تسم العرش ، ورأى ازدياد نفوهم ، رابه امرهم . فأصدر امراً باضطهادهم لتخليه انهم اعداء المملكة الرومانية . فنال مسيحي حمص عذاب شديد تحملوه بصبر جميل . وتقاطر اذ ذاك كثيرون من الناسك الى المدينة لتشجيع المسيحيين . وحضهم على الثبات في الايمان . وقد عرفنا من هؤلاء الآباء البررة ، الناسك اونوفوريوس الذي قدم الى المدينة في اوائل القرن الثالث . وجال بين المسيحيين يزي صلوك فقير يشجع وينشط ويعظ ويبشر . حفظت بمساعيه البقية الباقية من التشتت وزاد عددها بمن انضم اليها من المؤمنين الحدباء الذين منهم احد وجهاه المدينة كايثوفون وزوجته لفكيي والدا القديس غلاكيون الشهيد .

## ٥- النعاش المسيحية في القرية الثاني

بعد اضطهاد سيفيروس الاول سنة ٢٠٣ واضطهاد داكوس سنة ٢٥٠ ارتاح المسيحيون نحو نصف قرن . فسمح فيه المجال للبشرى في حمص في هذه الفترة . لان الاضطهاد الذي اثاره مكسيموس التراقي كان قصير الابد . ولم يصل تأثيره الى حمص فانضم كثيرون من اهلها الى النصرانية وانتعشت المسيحية لدرجة ان مامه الحمصية الاصل والددة الامبراطور اسكندر سيفيروس . كانت المعلم اوريجانوس الشهير مستوحاة اياه عن بعض القضايا اليمانية . ثم استقدمته الى انطاكية حيث كانت يومئذٍ وسمحت له ان يعظ الشعب الذي سروراً عظيماً ( اوسابيوس ك ٢١: ٦ و ٢٣ و ٢٦ وابن العبري تاريخه المدني السرياني ص ٥٥ ) . كما ان ابنها سيفيروس الثاني ، وضع صورة السيد المسيح مع قناثيل الالهة الرومان ، وكان يظهر احترامه الجزيل للديانة المسيحية ( البستاني ص ٥٥٦ ) . وقبل الاضطهاد الذي اثاره داكوس واستشهد فيه غلاكيون وزوجته ابستيمي الحمصيان ، عين سلوانوس الفلسطيني الاصل اسقفاً لحمص . فرعا الابرشية الحمصية مدة اربعين سنة رعاية حسنة . ازهرت في اثنائها احسن ازدهار . ولم يوقف انتشارها اضطهاد داكوس المذكور سنة ٢٥٠ ، ولا اضطهاد واليريان سنة ٢٥٧ ، ولا اضطهاد اورليان سنة ٢٧٥ ، بل ظلت سائرة بنجاح وانضم كثيرون من وجهاء المدينة الى النصرانية منهم اليان الطبيب الشهير الذي استشهد سنة ٢٨٤ بعدما استشهد سلوانوس المذكور بسبعة ايام .

## ٦- اكتشاف مقابر مسيحية تحت وجه الارض

يرجع لها من عهد هذه الحقبة

في خريف سنة ١٩٢٣ و ربيع هذه السنة ( ١٩٤٠ ) ابرز حسن الحظ والصدفة غير المقصودة بالذات الى الوجود ثلاث مقابر مسيحية يظن انها من



عهد هذه الحقبة ، الاولى في دار واقعة في محلة المنكويين الكائنة في الضاحية القبلية من محلة باب السباع ، والثانية والثالثة في الضاحية نفسها في عرصة المدرسة الداخلية الانجيلية التي استأجرتها مؤخراً السلطة الافرنسية بمناسبة الحرب لتجعلها مستشفى للمرضى في لواء حمص .

وقد كان صاحب الدار الاولى يبغي حفر أساس لبيت في الدار المذكورة فمثر على فراغ في اثناء الحفر ظنه لاول وهلة مغارة ، وتوقع ان يجد في هذه المغارة خبيثة مالية اعتاد القدماء اخفاءها خوف الطغاة في عصر مضى ، واذا بالحفر يقوده الى غار واسع ثم يجد بمثابة الحفر عدة حجر وآثار أخرى لم يعرف مغزاها . كما ان ادارة المستشفى المنشأ حديثاً في الضاحية المذكورة ، أمر بعض الافراد بتخطيط ممر في الساحة يمتد من الشمال الى الجنوب تغرس على جانبه اشجار تظله ففعلوا ، واكتنهم في اثناء حفرهم بؤرة لنصب احدى الاغراس رأوا فراغاً تابعوا الحفر فيه ، واذا هناك درج ينتهي بعد عمق مترين او أكثر الى فسحة واسعة اقيمت فيها عدة مدافن ، ووجد عند المدخل هيئة شخصين يتقدم الاول عن الثاني قليلاً ويده مصباح خزفي صغير ، وبصف هذين الشخصين عدة رسوم بشرية محفورة على الجدار ، واخبرنا الجندي الذي درس هذا الموضوع اكثر من سواء من رفاقه ، ان الشخصين الاولين كانا منتصبين قبل ان يدخل الهواء من النافذة ، فلما دخل سقطا الى الارض ركعاً من التراب ، وقد رسم مخطط هذا المدفن الذي نشر صورته في مايلي بعد حفره على الزنك .

ووجد الجنود الموكلون بخدمة المستشفى المذكور غاراً آخر يشبه المذكور قبله موقعه الى شرقيه ببضعة امتار ، مما دل على ان هذه البقعة كانت مدافن المسيحيين ولتصوير الواقع لقارئ هذا التاريخ نصف المدفن الاول ملخصين ما يلزم عما نشرناه في جريدة حمص في العدد الصادر في ٧ و ٢٠ ت ١ سنة ١٩٢٣ .

### ماوروس قديم

ذهبنا مع رهط من الاصدقاء لرؤية ماوروس المكتشف حديثاً ، ولما وصلنا الى المحل المقصود . تولنا اليه على سلم خشبي تناهر درجاته العشرين

فوجدنا باباً يتجه قبلة طوله ١٨٥ سانتياً وعرضه ٨٠ سانتياً . اجتزنا الباب الى الناورس فوجدنا طوله من الشمال الى الجنوب ٨٨٠ س وعرضه من الشرق الى الغرب ٢٨٠ س ، وفي المحل اربعة مدافن احدهما في الجهة الشمالية قبالة الباب ، والثلاثة الباقية في الجانب الغربي ، وقد رسم فوق كل منها شكل مربع مستطيل اطاره طرابيشي اللون . وفي وسط المربع مكتوب باليونانية اسم الواقف في المدفن . وقد تمكنا بعد جهد من فك مغلفات المدفن الاول وبعض الثاني ، اما الثالث والرابع فقد تعذرت قراءة ما عليهما لتقدم العهد عليها وغياب أثرها . وترجمة ما كتب على الاول ( هنا ارتاح المغبوط فيليطس الشهيد ) وعلى الثاني « ارتاح المغبوط العظيم . . . المتوحد . . . » وما بقي لا ترى حروفه . ولكن وجد في آخر بعض السطور ثلاثة حروف لم يتخللها حروف صوتية ، اما ان تكون مختصر كلمات يعرفها واضعوها واما ان تكون تاريخياً هجائياً ، فان كان الاخير فهي بحسب الالبجدية اليونانية تساوي ٥٨٩ ، فاذا كان تاريخياً سلوقياً كما نرجح فهي سنة ٢٧٨ للميلاد والله اعلم .

اما المدافن في الجهة الغربية فطول كل من المتطرفين ١٦٠ س والمتوسط ٢١٥ س والرابع الشمالي ٢٠٠ س وفوق كل من المدافن على رأس المربع المستطيل دائرة رسم في وسطها شكل صليب بيزانطي وفي طرفه الاعلى شبه ايبسلون مائل كأنما هو علامة الرجاء . وقبالة الصلبان الثلاثة المرسومة في الجهة الغربية ثلاثة صلبان اخرى في الجهة الشرقية . وفي وسط الجدار الشرقي شبه مذبح صغير . وكل ما ذكر دليل انتشار المسيحية وتأصلها في حمص ، وعلى ان ثمة انقلابات كثيرة مرت في التاريخ غيرت اوضاعها القديمة حتى انه ليتعذر على الذهن استعادة تمثيلها .

## ٧ - ديوكليتيانوس ومجرة حمص

ديوكليتيان هو آخر الامبراطرة الوثنيين الرومانيين ، واضطهاده الذي اثاره على المسيحيين بحسب اعظم اضطهاد عاناه هؤلاء . على ان التزاهة التي يجب ان ترافق المؤرخ في كل ما يدونه ، توجب علينا انصاف الرجل رغم الاضرار



الكثيرة التي اوقعها بمشاطرينا الوطنية والدين . فقد رأينا في تضاعيف مطالعتنا . ان الرجل خدع في ما ارتكبه من منكر وصم به في التاريخ ، واننا كان على الحقيقة وسيلة لقضاء مآرب غيره . وقد تعب ضميره كثيراً بعدما فعل ما فعل ، وعاف العرش وأبى الرجوع اليه لكي لا يتجدع مرة ثانية بما خدع به أولاً . هذا من جهة مقاومته النصرانية ، اما من الجهة المدنية فقد شهد له التاريخ انه كان من اعظم امبراطرة رومة . واعترف المؤرخون الناقدون انه ثالث ثلاثة من الامبراطرة العظام الذين كان لكل منهم عصر عرف باسمه ، وهم اوغسطس ومرقص اوريليوس ، وديوكليتيان ( براسد عد ٩٧٦ ) وفي مدة ملكه انشأ ابنية عظيمة جائلة المقدار ، ومدناً كثيرة كبيرة منها ميلانو وقرطاجنة ونيقوميديا . وسن شرائع كثيرة دلت على حكمة رحمن ادارة ( البستاني ٨ : ٢٦٩ ) .  
ومما يذكره له السلف الحمصي تجديده سد بحيرة حمص الذي سبق الاسكندر العظيم ، فأنشأه او قواه ، في مدة ستة قرون عراه وهن وخشى ان ينهار فيصاب الري بضربة قاضية ، فأصدر أمره باصلاحه واعادته الى الحالة التي كانت له يوم انشائه ، فظل السد الى عهد قريب يشهد لديوكليتيان بهطفه على هذه المنطقة النائية .

### فلاصة المعروف عنه حصص في هذه الحفنة

كان حظ حصص من المسيحية كساثر المدن السورية القديمة يعني انها تحسب رسولية لان احد الرسل زارها ، وكان له يد في تنصير قسم من اهلها ، واذا صححت رواية المخطوطات القديمة التي ظالمناها بذاتنا . وما نقله مطارنة حصص السالفون عن تحقيقات علماء الشرق المسيحي ، وما رواه ابن الصليبي فقد اشترك في تأسيس كنيسة حصص مع الرسولين الكبيرين بطرس ويوحنا ، عايوس الدربي وميليا احد المبشرين السبعين .

وقد انتشرت في حمص بالرغم من تعصب اهلها الشديد للوثنية وظلت تسير - وان ببطء - نحو النجاح عاماً فعاماً ، ولم تستطع الاضطرابات التي ثارت ضدها ان تلاشها فضلاً عن عدم ايقافها . وانقضى القرنان الاول والثاني ، وهي متابعة سيرتها المثلى بدون تبجح وبكل حكمة وتؤدة . تتقي الاخطار التي تعرض لمثلها اخوانهم في المدن الاخرى .

وكان المسيحيون يقيمون فروض العبادة ويسمعون الكرازة في كنيسة ارشائيا القديمة التي كانت في ما سلف منزلاً لارملة تقية تدعى بربارة . كرسته لاجتماع المسيحيين ثم تحول كنيسة . ومنذ اواسط القرن الثالث رعى هذه البيعة أسقف صالح فلسطيني الاصل يدعى سلوانوس اعتبره المؤرخون الاسقف الاول ، اذ لم يحفظ لنا التاريخ الكنسي العام اسم سواه ، اما لعدم وجود أسقف قبله في حمص بسبب شدة تعصب الوثنيين فيها . والاكتفاء بنيل ما تحتاجه البيعة روحياً من أساقفة احد الاصقاع المجاورة . واما لعدم اشتهار أساقفتها لاضطرارهم الى التكتّم الشديد للسبب المنوه عنه . ثم ضاعت القماطير التي دونت فيها اسماء أساقفتها بشدة الحرص والتوازي عن الانظار .

ولكن بالرغم من كل هذا فقد حفظ لنا التاريخ بين ثناياه اسماء جمهرة من نوابغ النصرانية في حمص في أواخر هذه الحقبة ، اعني من نصف القرن الثالث الى آخره . مما نأتي على ملخص ما نعرفه عنهم في ما يلي .



## الملحون الى منطقة حمص من كتاب هذه الحقبة

الملحون الى البلاد السورية من رجال الدين في هذه الحقبة كثيرون ، نختار منهم اثنين لانهما كانا اكثر تبسطاً في آرائهما في اصل نشأة هذه البلاد مقبسين ما عرفاه من سبقهما من الدارسين وهما :

### (١) اكلينفوس الاسكندري (١٥٠-٢٢٠)

هو تيطس فلافيوس من اشهر معلمي النصرانية ، ولد وثنياً في اواسط القرن الثاني . وتفرغ منذ حداثة لدرس الفلسفة ، فجاب بلاد اليونان وايطاليا ومصر . وتضلّع من الفلسفتين الرواقية والافلاطونية ، وخالط المعلمين النصارى ، فأثر فيه ما سمعه منهم . ولاسيا ما وعاه من خطب بانيين مدير المدرسة المسيحية في الاسكندرية . فاهتدى الى النصرانية ، وصار معاوناً لاستاذه المذكور في المدرسة ، ثم خلفه في ادارتها سنة ١٩٠ ونال شهرة عظيمة ، حتي تقاطر اليه الطلبة من اقاصي البلاد ، وبين هؤلاء اوريجانوس العلامة الشهير . فسامه ديتريوس قساً وظل يدير المدرسة الى سنة ٢٠٢ ، ولما حدث اضطهاد سيفيروس برح البلاد المصرية الى فلسطين ، فبقي فيها مدة ثم عاد الى الاسكندرية ومات فيها . وقد ترك مؤلفات كثيرة دلت على غزارة علمه ، وفي مطالعتها من اللذة ما لا يوجد مثله في مؤلفات القدماء . ولا سيما ما ذكره عن تاريخ العالم لاحتوائه على اقوال كثيرة منقولة عن مؤلفين لم يبق لتأليفهم أثر ، ومن ذلك ما رواه عن منطقة حمص .

### (٢) ديونستوس الاسكندري (٢٤٧-٢٦٥)

اشهر أساقفة العصر الاولي المسيحية ، ولد وثنياً في اواخر القرن الثاني

وتربى تربية كلها اجتهاد في التحصيل ، وطالع الكتب المسيحية فصار نصرانياً وتلمذ لاوريجانوس الشهيد ، ولما تفقه في الدين المسيحي تولى التعليم والوعظ . فسيم شماساً فقساً ثم مديراً للمدرسة التي تخرج فيها فساسها بالعلم الصحيح والادب القويم . حتى قبض على عصا الرعية في كنيسة الاسكندرية خلفاً لايراكلاس سنة ٢٤٧ وظل فيها نحو عشرين سنة ، وقد نفي باضطهاد داصكيوس فظهر جراً فائقة ، ولما توقف الاضطهاد استعد لرحلة واسعة تفقد فيها رعيته سنة ٢٥٤ فشدد الصغيري النفوس واصلح الاخطا . التي ارتاها بعضهم ، وبعد جهاد عظيم توفي سنة ٢٦٥ تاركاً للبيعة مؤلفات ذات قيمة ، اغترف منها اوسابيوس المؤرخ الكبير أغلب مواد الجزئين السادس والسابع من تاريخه ، ومعظم ما ألفه ما برح محفوظاً في احدى مكاتب فينسيا .

## نوابغ حمص النصراني في هذه الحقبة

### (١) اونوفوريوس الناسك

لم يكن اونوفوريوس حمصي المولد ولكنه عاش في حمص مدة طويلة ، خدم فيها نفسيات الحمصيين . وكان وسيلة ذات أثر حسن بتقليصه ظل الوثنية من بيوت كثيرة فيها ، وكان الباعث لحضوره الى حمص الاضطهاد الذي اثاره سيفيروس الاول سنة ٢٠٣ ، ونفذ سيكوندوس حاكم سوريا وكانت شدته ظاهرة بنوع اخص في حمص . فأسرع هذا الناسك لتنشيط المسيحيين فيها وتوطيد اقدامهم على صخرة الايمان ، ولكي يتسنى له نيل بغيته جاب المدينة بزي معلوك فقير . ودخل منازل كثيرة بدون وجل ، فلم يكن وسيلة لثبات المتنصرين فحسب بل قاد كثيرين الى المسيحية ، ومن هؤلاء كليتوفون وزوجته لوكيبي والدا القديس الآتي ذكره ، ويرجح بعضهم ان هذا الناسك هو نفس القديس اونوفوريوس الذي يقيم الشرقيون ذكراه في ١٢ حزيران ، وقد توفي في اواخر القرن الثالث .



## (٢) غلاكتيون وزوجته ابستيمي

هو ابن الوجيه كليثوفون من زوجته لوكيبي . كان ابواه وثنيين فتنصرا بواسطة السائح اونوفريوس وبعد تنصرهما رزقهما الله هذا الولد في النصف الاول من القرن الثالث . وقد أحسن والداه تربيته بروح مسيحية فنشأ خيراً مثالاً للتهديب الصحيح والفضيلة النقية ، وقد نبحر في المبادئ المسيحية بواسطة الناسك اونوفريوس المذكور . فلما شب زوجه والداه بابنة مولودة لافاضل الوثنيين . ولما عرفت ان زوجها مسيحي وكانت تحبه جداً وتحترمه تابعته بدون تردد على عقيدته التي تفقحت فيها . ومالت نفسها الى الجهاد في سبيل نشرها في البيئة التي كانت لها بها صلة عميقة . فكان ذلك مدعاة لاثارة غضب الوثنيين عليها وعلى زوجها . ولما قصرت يدهما معاً عن نيل ما يطمحانه ، هجرا جميع ولاذا باحد أديرة طور سينا . فلما ثار اضطهاد داهوكيوس سنة ٢٥٠ كان من حظهما الاستشهاد في ذلك الاضطهاد في ٥ ت ٢ سنة ٢٥٠ ، ويقيم ذكراهما الشرقيون في يوم استشهاده كل سنة .

## (٣) الاسقف سلوانوس

سلوانوس فلسطيني الاصل نشأ في قيصرية فلسطين في الشطر الاول من القرن الثالث للمسيح . وفيها زهد في العالم وترهب فكان خير نموذج للرهبان . ولما ذاع خبر أدبه وتقاه استقدمه اسكندر أسقف اورشليم ( ٢١٢ - ٢٥١ ) واختصه بذاته بعدما سامه شماساً فقساً . ولما ازداد عدد المسيحيين في حمص بحيث اصبحوا بحاجة الى أسقف يملأ الفراغ الذي حدث بسبب الاضطهادات ، طلب بابيلا أسقف انطاكية من أسقف اورشليم المذكور معاونته بإرسال اكليريكي صالح يصلح ان يكون اسقفاً لحمص . فرأى اسكندر في سلوانوس الضالة المنشودة . فبعث به الى بطريرك انطاكية ، فسامه للجال اسقفاً وأرسله الى حمص حيث رعاها حق الرعاية مدة اربعين سنة ، وكان لقدوته الصالحة تأثير كبير في المدينة . لانه لم يقصر خدمته على ابناء مذهبه فقط ، بل كان

يد يده لمؤازرة أي من كان بحاجة الى مؤازرته ، فقربته هذه المزايا من قلوب العامة ، وجعلت المسيحية التي يرأسها مثل هذا الزعيم الصالح محترمة الجانب . وعطف الوثنيون على المسيحيين في ابان الاضطهادات التي أثرت ضدهم في سنتي ٢٥٠ و ٢٥٧ ، وتنصر عن يده عدد كبير من وجهاء الوثنيين بل ومن انساب العترة المالكة ، ومن هؤلاء ايليان الطبيب الحمصي الشهير الآتي ذكره . ولكن لما حدثت الاضطرابات في حمص في ايام نومريان اعتقل سلوانوس وشماساه لوقا وموكيوس ، وقتل الكل على مشهد من الملا في ٢٩ ك ٢ سنة ٢٨٤ .

#### ٤) ايليان الطبيب الحمصي الشهيد

هو أشهر نوابغ النصرانية القدماء في حمص ، ولد من أب يمت الى ملوك رومة بصلة ومن أم فارسية الاصل ذات تهذيب حسن ، فاستفاد من اخلاق والدته وكرهت نفسه اخلاق والده الوثنية ، فأخذ يبحث عن ديانة أرقى فاهتدى بعد طول البحث الى الديانة المسيحية ، وكان قد أتم المأماً واسماً بفن الطب على أثر مرض والدته الطويل . فأخذ يهتم بنفوس مرضاه كما اهتم بتطبيب اجسادهم ، وكان لسلوانوس أسقف حمص الفضل الاوفر في تهذيبه الصحيح وتلقينه المبادئ القويمة . فلما أتي القبض على الاسقف المذكور وشماسيه في ايام نومريان وحكم عليهم بالاعدام ، لم يجد الطبيب ايليان بداً من مقابلتهم على الطريق ومصاحبتهم فأمسك هو أيضاً ، وبعدما قتل اولئك قتل هو أيضاً با تزال خمسة مسامير كبيرة في رأسه وطرح في مغارة ، حيث أسلم الروح في ٦ شباط سنة ٢٨٤ .

وقد وضعنا له ترجمة مفصلة بكتاب كامل دعونه اثاره الاذهان في ترجمة الشهيد الحمصي اليان ، فمن اراد التوسع بمطالعة ترجمته فعليه بمراجعة هذا السفر الجليل .

سليم



## الحقبة العاشرة

حمص

بعد النصرانية وقبل الاسلام

٣٠٥ - ٦٢٢ م

ملخص تاريخية عهد العرب

نوطه

هذه آخر حقبات القسم الاول من تاريخ حمص وهو تاريخها قبل الاسلام وفيه اهم موضوع تلذ مطالعته ابناء الضاد واعني به تاريخ العرب قبل الاسلام. وانما وجب التعرض له لصلات العرب الوافرة في هذه الحقبة بتاريخ حمص الخاص لذلك اوجبنا على انفسنا ان نلهم به إلمامة تضم اشتاته منذ عرف حتى الاسلام. واننا لنجد من الانصاف ان نعترف لعلماء الغرب بما بذلوه من الجهود الجبارة وانفاق الاموال الطائلة في البحث والتنقيب لالقاء نور على كثير من زوايا الموضوع التي ظلت خافية مدة طويلة. كما اننا لا نغبط حق وهط من المشاركة الذين استطاعوا ان يدلوا المستشرقين انفسهم على بوادر فاتتهم وردوا بعض ما جنحوا فيه الى ما هو اهدى سبيلاً.

ونلخص هنا ما اجمله الفريقان مما له صلة بتاريخ حمص مسندين كل رأي فيه نظر الى مرتبته.

## ١ - العرب في صدر التاريخ

العرب اخوان الاشوريين والآراميين والفينيقيين والعبرانيين فهم ساميون بدليل ملاحمتهم وقاماتهم ولغتهم .  
موطنهم الاصلي جزيرة العرب وعاشوا . في حال البداوة مدة طويلة يسرحون في البادية ، يرعون الماشية ثم يأوون الى المضارب . ويقتاتون بلبان الانعام ويكتسبون من صوفها .  
وكان من حظ بعضهم انهم نزلوا في بقاع خصبة فتحضروا اذ بنوا لاول امرهم بيوتاً بسيطة ثم شادوا المعقل والحصون .  
غضت بلاد العرب بابنائها فطلبوا لهم مواطن جديدة فكانت الهجرة الامورية في القرن السادس والعشرين قم على رأي باتون الاميركي وونكلير الالماني ، ثم حدثت الهجرة الآرامية حوالي القرن السادس عشر والانباط في القرن السادس قبل المسيح ، وهذا التزوح التاريخي حمل علامتين المذكورين على القول ان المهاجرات الشعبية كانت تحصل في كل الف سنة مرة .  
فاذا صح ظن بعض الباحثين من ان الاموريين والآراميين والانباط عرب ، فان خروجهم مكنهم في الجزيرة والعراق والشام . اذ لا يتعذر عليهم الفوز على القبائل الضعيفة النازلة في مشارف الشام بعد ان تغلبوا على السوريين . ويرى رولنسون الانكليزي ان العرب استولوا على ككلديا مدة ٢٤٥ سنة ( ١٥٤٦-١٣٠٦ ) او ( ١٥٥٩-١٣١٤ ) م ١٨١٤ .  
والظاهر ان معظم النازحين قصدوا ما بين النهرين اولاً ثم تخطوها الى سوريا ، ثم سرح بعضهم في البادية الكائنة ما بين مصر وسوريا .  
وروى ماسبيرو ان الاموريين نزلوا شرقي الاردن وعلى ضفاف العاصي .  
فنازعهم العمونيون الذين تابعوا مصادمة القبائل العربية السارحة في البادية كالعالمقة وسواهم ، الذين نزحوا وسرحوا حول الاراضي الحصبة من بوغاز السويس حتي ضفاف الفرات . يخافهم الاهلون في سوزيا الشمالية كما هاجهم قاطنو الجنوب .  
وكثيراً ما قصد غزاتهم سوريا المجوفة واصطدم بهم المسافرون الى دمشق .



## ٢- العرب في ايام عت وأشور

قبلاً خرج الاسرائيليون من مصر الى الشام سيقهم اليها من الشمال  
الآراميون والحثيون ، وكان العرب عوناً للحثيين في حروبهم مع المصريين ،  
وكادوا يوقعون رعمسيس الكبير بدهية لولا ان انقذه الحظ منهم . وبعد  
الحروب الحثية المصرية هدأ صوت العرب فلم يسمع لهم ذكر حتى ايام الاشوريين .  
ففي غزوة تغلث بلاسر سنة ٧٤٢ لسوريا ذكرت حبشية ملكة العرب .  
ولما استولى على بعض مدن اسرائيل سنة ٧٢٧ خافه ملك غزة ولاذ بالعرب  
فأجاروه فنقم عليهم تغلث بلاسر واكتسح البادية التي لم يطاقها فاتح قبله .  
وفي ايام سرجون ثار العرب على آشور يتقدمهم ملكا حث وغزة ،  
وأيدهما صيني قائد جيوش ملك موآسري ، ف وقعت الحرب عند رافيا وانتصر  
الاشوريون سنة ٧٢٠ فاسترضوه بالهدايا ، وذكرت اذ ذاك بين مقدمي الهدايا  
شمس ملكة العرب وايتامارا ملكة سبا .

واهتم أسرجدون بكسر شوكة العرب ليأمن جانبهم ويظفر بتجارهم ،  
ولاسيما ما كانوا ينقلونه من اليمن الى سوريا ومصر . فحامل ادوم وزحف على  
قطري بازو (بوز) وخازو (عوص) مجتازاً السهول القاحلة والحزون الجرداء  
حتى لقي العرب وراء النجف ففتك بثمانية من زعمائهم ، منهم ستة ذكور وانثيان .  
وذكر العرب بصورة مهينة في ايام آشوربانيبال لما عصاه اخوه وأيده  
قائدان عريبان . وامتدت مساحة القتال من شمالي سوريا الى مصب الفرات ومن  
دمشق الى البتراء ، واخيراً فاز الاشوريون ، وانتهت المعركة الفاصلة على سفح  
جبال حوران وأسر الزعيان العريبان ، وكان القفر يومئذ غاصاً بالعرب (باتون) .  
وروى ماسبيرو انه كان بين الاسرى قائد اسمه ابياته ، فأخلى ملك آشور  
سبيله وجعله ملكاً على العرب تحت سيادة آشور . فلما وصل ابياته الى بلاده  
حالف تاتان ملك الانباط وعصى الاثنان على آشور ، فزحف عليهما آشوربانيبال  
سنة ٦٤٢ مجتازاً الفرات ، وفاز فوزاً عظيماً اذ سبي النساء والاولاد وسلب  
الانعام وعاد الى بلاده مثقلًا بالغانم وبيع الجمل الواحد بنصف شافل (كذا يقول الرواة)

### ٣- العرب في ايام كلدة وفارس

اوقفت هذه الحرب اندفاع البلاد نحو سوريا بعدما رأوا ان قبائل أدوم ومواب وعمون يعاونون آشور عليهم .

فلما سقطت الدولة الاشورية ولع نجم نبوخذنصر ، ثار العرب عليه مع من ثار ، وطردوا الادوميين من اطراف الشام الى جنوبي اليهودية ، واكتسحوا بلاد مواب فأضاعوا كيائها الوطني . فأثار ذلك غضب نبوخذنصر فأضرم حرباً زبوناً على العرب اكتسح فيها قسماً من بلادهم الاصلية ، فأوهنت غزوته العرب ولم يرد ذكرهم في التاريخ بعد ذلك مدة طويلة .

وفي ايام الفرس ذكروا بصورة لا تدل على القوة وذلك حين اراد نحميا تجديد سور اورشليم فوجد بين خصومه جشم العربي .

وبعد حملة كبيز على مصر ورد في التاريخ انه واثق اميراً عربياً ساد على البذو الضاربين في القفر الممتد مسافة ٩٠ كيلو من ينيوس ( خان يونس ) آخر المعاقل السورية الى بحيرة سريون . فعاهده الامير المشار اليه على ان يقدم لجيشه ما يلزمه من الماء مدى الطريق ، فاستفاد كبيز من اجتياز القفر سنة ٥٢٥ .  
يُذكر العرب بعد ذلك حينما ثارت قبرص على الدولة الفارسية تحت امرة افاغوراس ( ٣٩١-٣٧٩ ق م ) صاحب سلاميس . وعضد الثوار ملك عربي فأنجده على فتح أدوم ، ولكن ارتحششتا أرصد لقتال مناهضيه جيشاً فاز عليهم ( ولكن ) بعد عشر سنوات ( بورتر : ١٧٢ ) .

### ٤- العرب في ايام السلوقيين

مرت سنوات بعد ذلك والعرب في العراق والجزيرة والشام قبائل متبدية . لم يسمع عنهم الا ما له صلة بالدول الكبرى . من ذلك ما حصل في ايام اسكندر بالاس الذي اضطر ان يلوذ بقبائل العرب في شمالي سوريا ، فلما ضابط بطليموس زيديثيل العربي اضطر ان يرسل له رأس بالاس سنة ١٤٦ .



ومما رواه كاتب المكابيين ان ايلكوثيل امير العرب اخذ على عهده  
تربية الطفل ابن بالاس ، وظل تحت حمايته حتى طلبه تريفون فسلمه بعد الحاح  
ووعده بانه سيسند اليه منصب ابيه .

وروى يوسيفوس ان العرب في جنوبي سوريا تكاثروا عددهم وعادت اليهم  
منعهم ، ففازوا على موآب وجلعاد ، وغلبوا اسكندر يانيوس ، واضطر هذا  
ان يرد الصقعين الى ملك العرب لكي لا ينضموا الى خصمه ديمتريوس سنة ٨٩ ق م .  
ويظهر ان تكاثر العرب لم يقتصر على جنوبي سوريا بل تخطاها الى  
الشرق حتى استلقت ذلك انظار الدولة السلوقية . فاستنجد فيليبس العرب على  
اخييه ديمتريوس فأنجدوه بقوة تزعمها امير اسمه زيزون فظفروا وغنموا .

واخلص العرب لفيليبس خالوا دون وصول اخيه دانيس الى دمشق  
وفسحوا المجال لفيليبس حتى تمكن من الاستيلاء عليها . ولما اعتقل فيليبس  
واراد اخوه الاغارة على اليهود قابله ببعشرة آلاف فارس يقودهم الحارث وفتكروا  
به وفر جيشه . وملك الحارث سوريا المجوفة سنة ٨٥ ق م .

## ٥- العرب في العهد اليهودي الأخير

روى يوسيفوس ان اسكندر يانيوس ( ١٠٥-٧٨ ق م ) كان قد غزا  
البلاد المجاورة فامتلك منها ١٢ مدينة . بعضها لادوم وبعضها لسواهم ، فلما وصل  
الستراع بين هركان واخييه اريسطوبولس . اشار انتباتر الادومي على الاول ان  
يسمعين بالحارث ملك العرب على اخيه . ففعل هركان بنصيحتته وواعد الحارث  
بإرسال ١٢ ألفا له اذا أعاد اليه عرشه . فزحف الحارث بخمسين ألفاً بين  
فارس وراجل ، وحارب اريسطوبولس في الهيكل فحاصروهم العرب . ضيقوا عليهم  
الحناق ، وفر معظمهم الى مصر تفادياً من مس الهيكل بسوء ، ولولا قدوم  
بومبي وتأييده اريسطوبولس لثم الامر على ما يريد هركان .

ويرى المؤرخون ان العرب اوغلوا في شمالي سوريا وسرحوا في قفارها  
وانشأوا دولة عربية في حمص قبل الزمن الروماني ، حفظت لنا الروايات اسما  
عدة من ملوكهم ، ولهذه الاسماء صيغة عربية حرفها النقلة من الاعاجم (المباحث ٣: ٢٧٠)

وارتأى العلامة بورتز ان اللغة العربية اجتاحت سوريا في الزمن الذي ملك فيه كثيرون من امراء العرب في المدن السورية ، اذ وجدت سنة ١٨٥٥ كتابات يونانية في حوران فيها اسماء عربية ، وأيد هذا الرأي العلامة دوسو . ويرى مؤرخو العرب ان قدماء الايطوريين كانوا من العمالة ، فلما بادوا بقي من اعقابهم انخاذ ينسبون الى الظرب بن حسان . فلما انتضى امرهم اعتزت قضاة وامتدت مسارحها بين الشام والحجاز ، وكانت الرئاسة فيها لبني تنوخ ، ونبع منهم ثلاث ملوك وهم النعمان بن عمرو ومالك بن النعمان وعمرو بن مالك . بدأت ولاية هؤلاء الملوك في صدر النصرانية . واختلفوا فيما اذا كانت غزة تنوخ في اوائل سيادة الرومان أم بعدها ، فرأى البعض ان غزة تنوخ كانت قبل ذلك ثم غلبهم بنو سليح فأقرهم تيطس على ملك العرب سنة ٧٠ م . لا يحقق مؤرخو العرب المشاهير زمن وجود العرب في سوريا ، ولكن المستخلص من اقوالهم على تفاوتها ، ان العمالة كانوا اقدمهم وجوداً في ضاحية الشام . وان آخر ملوكهم عمرو بن الظرب عاصر مالك بن فهم ملك بدو ما بين النهرين ، فلما تحارب الفريقان قتل ابن الظرب ، فملكته بعده ابنته الزباء التي اغتالت جزيمة الوضاح بحيلة فقتلها بشارة ابن اخته عمرو بن عدي (البستاني ٩: ١٦٧) وجرت هذه الحوادث في اوائل التاريخ المسيحي ، والذين وقعت بينهم هذه الحروب من العراق . اما قبائل الشام فمعظمهم بنو قضاة رحلوا من بلاد حمير فذل منهم بنو كلب في دومة الجندل وتبوك . وبنو سليح بين غزة وجبل الشراة ، وانتشر الباقي بين الشام والحجاز . وتحضر بعض التنوخيين بعد ظفر عمرو بن عدي بالزباء ، فعهد اليه بملك العرب ، ثم غلبهم بنو سليح . وبعد سيل العرم خرج قوم من الازد من اليمن ينتجعون فلما بلغوا الحجاز اقام بعضهم في سرّ الظهران وهم بنو خزاعة . وذهب الباقيون الى الشام والفرات ، فذل الاولون على ماء اسمع غسان فنسبوا اليه ، ثم ساروا فقتلوا جبال الشراة وملك الغساسنة بعد حروب ، ما بين الحجاز والشام مما يلي دمشق والاردن فجاوروا الضجاعم وبني سليح .



## ٦- العرب في عهد الرومان

ظهر من الآثار التي انتهت تاريخها الى الزمن الروماني ، ان العرب كانوا يأتون فيخيمون في القفر ينتجعون المراعي والمياه . ويتنقلون بانعامهم من موضع الى آخر ، حتى يستقروا في اوقفها لمصلحتهم . فيبنون القرى والمزارع ويحاط معظمهم سكان البلاد المحاذية البادية ، فيتأثرون بالبيئة التي يحاطونها . لذلك غلبت على بعضهم المناهج اليونانية وعلى البعض الآخر المناهج الآرامية . ويظن البعض ان الفضل في دخول الحضارة اليونانية بين العرب ، الى هيرودس الكبير اذ ظهرت آثار الحضارة في بلاد من كانوا على طاعته . ودل التاريخ على ان العرب النازلين في الشرق والشمال من سوريا ، كانوا مائلين للملاينة الرومان لقربهم منهم . اما الجنوبيون فظل لهم شيء من الاستقلال لمناختهم البادية . واهتم الرومان بشرقى سوريا فبنوا بعض الحصون في ما وراء تخوم الحضر ، ولم يبالوا بعرب الجنوب لان حصون اليهودية كافية لدفعهم .

اما عرب الشمال الشرقي فقد كانوا كثراً والرئاسة فيهم لبني السبيدع ، وقد تحضروا فسكنوا تدمر وتكاثروا فيها . وقد عرف القارىء من امرهم الشيء الكثير في الحقبة الثامنة . الى ان دالت دولتهم بعد معركة انطاكية وحاص وخراب تدمر ، وكان بين الحمازين لزيب ملكة تدمر قوم من بني سليح ، انذين سبقت لهم موالة الروم وانما حازبوا زيب لعزل الروم بني سليح عن الامارة واقامة الضجاعة مكانهم .

والضجاعة بطن من سليح من قضاة قدموا من البحرين مع من قدم من اليمن الى الشام في اواسط القرن الاول . وكان بنو تنوخ آنئذ ملوكاً للرومان على عرب الشام . فغلب بنو سليح التنوخيين وتولوا مكانهم مدة . ثم انحصر الملك في الضجاعم واتصل الى عمرو بن مروان بن الحاف ، فتنصروا واثبتهم القياصرة ملوكاً على العرب . الى ان خرجت غسان من مارب وتولت بالشام فجاءت الضجاعم ورئيسهم آنئذ داود اللثقي بن هبولة . فلما اراد هذا جمع الاتاوة من غسان ، امتنعوا . فاقتتلوا ففاز الضجاعم وأدت غسان الاتاوة .

فلما نشأ جذع بن عمرو في غسان طالبه عامل الضجاعم بدينار . فاستمعه فأبى ، فثارت الحرب بين غسان والضجاعم . ففاز الغسانيون وخافوا الضجاعم على ملك عرب الشام من قبل القياصرة ، وكان آخر ملوك الضجاعم زياد بن هبولة ( البستاني ١١ : ١٢٢ ) .

قيل كان للحارث الغساني ابنة جميلة اسمها حليلة . دفع اليها ابوها قدراً ( فيه طيب ) وقال لها خاتي به قومك حتى يباحوا ، فجعلت حليلة تخلق القوم تحضهم على القتال . فرّ بها شاب فلما خلقتة تناولها وقبلها . فصاحت وشكت ذلك الى ابيها . فقال لها اسكتي ، فما في القوم اجدم منه حين اقبل على تقبيلك . فاما ان يبلي غداً بلاءاً حسناً فأنت له . واما ان يقتل فننال منه الذي تريدين . فأبلى الفتى بلاءاً عظيماً وكان سبب فوز غسان على الضجاعم ، فزوجه حليلة ، وكان يوم حليلة من اعظم ايام العرب .

ولما انتهى الامر للغساسنة في اول القرن الرابع ، اقرهم الرومان على حكم العرب . وكانت منازلهم ممتدة من تدمر شمالاً الى اقصى البلقاء جنوباً . ومن اشهر هذه المنازل صواوين تدمر والسويدا والجولان والقناطر واذرح والقسطل ودومة الجندل والابلق ومارد وتيا وسواها .

ونفض الغساسنة باعباء الامارة نهوضاً حسناً حتى نالوا لقب بطارقة . ولما وقعت الحرب بين الاكاسرة والقياسرة سنة ٥٠٥ نال الحارث الغساني من القيصر انسطاس لقب ملك . وحباها السلطة المطلقة على كل القبائل العربية الخاضعة للروم ( بروكوب ) .

وكان بين عرب الشام ( الغساسنة ) وعرب العراق ( اللخمين ) عدا . جعل الاخيرين ينضمون الى الاكاسرة ، كما انضم الاولون الى القياصرة . وهذا العدا يرجع الى زمن جذية وخلفه عمرو بن عدي .

## ٧ - شي من تاريخ عرب الحيرة

اول من حكم عرب العراق آل تنوخ ، ومنهم جذية الابرش . وصار اليكم بعده الى ابن اخته عمرو بن عدي من آل نصر ( فرع من لخم )



وملوك الحيرة كلهم من آل نصر الا ستة دخلا .

اتخذ عمرو الحيرة قاعدة لحكمه في اوائل الدولة الساسانية ، فعاصر سابور وثلاثة بهرامات ، وخلفه ابنه امرؤ القيس الاول ، وعاصر من ملوك الفرس بهرام الثالث ونوسي وهرمز وسابور ذا الاكتاف . ولما قضى نجبته في حوران خلفه ابنه عمرو . وفي ايامه حدثت الحرب بين الفرس والروم . وكان سببها ان عرب الحيرة ساروا نحو ما بين النهرين فواقفوا عريها وكان ذلك في بدء تسود الغساسنة ، فلقى منهم عرب الحيرة الامرين وانحاز بعضهم الى الروم ، ولكن كان عددهم قليلاً فلم يشعر الفرس بغياهم ، وتوفي عمرو بن امرؤ القيس بعد نهاية الحرب .

في اثناء ذلك حاول سابور الاستيلاء على ما بين النهرين ، فأوغز الروم الى بدو الشام لاقلاق الامن في طريق الفرس ، واكتفوا بهذا وبتحصين المعابر . فتال الفرس بعض الفتوحات .

ولما مات قسطنديوس وخلفه ابن عمه يوليان الجاحد سنة ٣٦١ اخذ يستعد لغارة شعواء ، فأقبل عليه عرب الشام وانضم اليه عدد كبير من الفرسان . فزحف بجيشه الكشيف سنة ٣٦٢ ، ولما صار عند ملتقى نهري بليك والفرات قدم له بعض مشايخ العرب هدايا ثمينة بينها تاج من ذهب فقبله الامبراطور شاكراً واحسن استقبالهم .

وصبر الفرس على جيش الروم حتى توغل في البلاد فتصدوا له وفيهم قوة عربية يقودها زعيم سماه الفرنجة (رودوساس) وأصيب يوليان بسهم اصمى فؤاده ومات ، فنادى الجيش بجوفيان خلفاً له ، فصالح هذا الفرس وعاهدهم . ولكن هذه المعاهدة لم تطل لان جوفيان مات وخلفه والنتيان الذي اشرك معه اخاه والنس وعهد اليه بادارة السلطنة في الشرق ، فكان من اوائل عمله استفزاز سابور للحرب . فأغار على الروم يؤيده عرب الحيرة سنة ٣٧١ ، فكانت الحرب بطيئة السير وفاز الروم بمساعدة الغساسنة بحفظ التخوم سنة ٣٧٦ . سكنت ضوضاء الحرب حتى توفي سابور سنة ٣٧٩ خلفه اخوه ، ثم تولى الاربيكة سابور بن سابور ، فاتفق مع الرومان على شؤون ارمينيا ، وانعطف على اياد فضرها لانها اعانت العدو عليه ( او لانهم تخلفوا عن نجدة ) .

ومات سابور خلفه اخوه بهرام فقتل ، وخلفه يزوجرد . هذا تطف بالنعمان الاعور ملك عرب الحيرة وأيده بقوة ، فكان النعمان من أشد ملوك العرب نكاية باعدائه وأبعدهم غزواً هاجم الشام مراراً وأوقع باهلها وسبي وغنم وكان عنده كتيبتان احدهما فارسية الرجال اسمها الشهباء ، والثانية تنوخية اسمها دوسر . كان يغزو بهما من لا يطيعه من العرب .

وتوفي النعمان خلفه ابنه المنذر ، والمنذر هذا فضل على بهرام جور لانه اعانه في حروب كثيرة . ولا سيما حينما زحف الروم وحاصروا نصيبين التي كانت آتخذ بيد الفرس . وصبوا قوتهم على الفرس ومن معهم فأنزلوا بهم الرعب ، ففروا لا يلبون على شيء . ووقع كثير منهم في الفرات مثقلين بالسلاح (تيوفانس) . فاستنصر بهرام المنذر فلباه واجتاح سوريا من جهة ثانية فاضطر الروم لعقد الصلح . ومات المنذر خلفه الاسود الذي حارب الفساسنة وأسر بعض امراءهم ، فأراد ان يعفو عنهم فخال دون ذلك ابن عمه ابو اذينة الذي قتل الفسانيون اخاه فأغراه على قتلهم بقصيدة مطلعها :

ما كل يوم ينال المرء ما طلب      ولا يسوغه المقدار ما وهب  
وانصف الناس من ان فرصة عرضت      لم يجعل السبب الموصول مقتضيا  
الى ان يقول :

والعفو إلا عن الاكفاء مكرمه      من قال غير الذي قد قلته كذبا  
قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد      رأيت رأياً يحجر الويل والحرب  
لا تقطن ذنب الافعي وترسلها      ان كنت شهياً فاتبع رأسها الذنبا

ومات الاسود خلفه اخوه المنذر ، ولم تطل مدته خلفه النعمان بن الاسود وفي ايامه عادت الحرب فاضطربت بين الفرس والروم فتقضى مدة حكمه القصيرة خارج الحيرة يحارب الروم في الجزيرة وسوريا . وقد نصر امير غسان الجيش الروماني بفرسانه فأنعم عليه القيصر بلقب ملك العرب .

ومرت ظروف على عرب الحيرة ثم تولى زعامة العرب فيها المنذر الثالث ابن امرى . القيس المعروف بابن ماء السماء ، وكان ملكاً عظيماً لا يصطلي له بنار ، شن الغارات مراراً على تخوم الروم فسامها مالا يطاق من السلب والنهب .



مغتناً فرصة اشتغال الروم بحرب الفرس فدخل سوريا من غير المواقف الدفاعية  
فاكتسح الاقطار حتى بلغ خاكيس (عنجر) فأحرقها وعاد مثقلاً بالغنائم  
(المباحث ٧٥٦:٤) .

ويرى العلامة دوسو عن تولدكي ان عرب الشام تمقبوه بامرة ملكهم  
الحارث فانتصروا عليه في نيسان سنة ٥٢٨ .

وسنة ٥٣١ اشار المنذر على قباذ ملك الفرس بتخيير مواقع الحرب مع  
الروم ، لان محاربتهم في اعالي النهرين حيث الحصون المنيعة والذخائر الوفيرة  
والاقوات الكثيرة تسهل الفوز للروم ، بينما اجتياز الفرس الفرات حيث لا حصون  
ولا جيوش تصدهم تخولهم الفوز على الروم وفتح انطاكية الغنية . فانصاع قباذ  
لرأي المنذر وأرصد لهذه الحملة ١٥ الف فارس ، اجتازوا الفرات عند قرقيسيا  
وساروا على محازاته حتى صاروا تجاه خط انطاكية فاتجهوا غرباً فبلغوا بلدة  
اسمها كابولا موقعها على الشط الشمالي من السبخة (بحيرة الملح) غير انهم وجدوا  
الروم بانتظارهم اذ اتصلت اخبارهم بالقائد الروماني فضبط الطريق وحال دون  
مرورهم ، ومعه عشرون ألفاً بينهم كثيرون من العرب ، فاكتفى الفرس من الغنيمة  
بالاياب . فتمقبهم الروم وادركوهم عند الفرات حيث جرت معركة عظيمة بين  
الفريقين ، لولا ارتداد البدو لكان فوز الروم عظيماً . فوبخ كسرى قائده  
ازاريت ، اذ لم تشمر غارته هذه سوى خسارة المال والرجال . وعزل المنذر عن  
ملك الحيرة . وعهد به الى الحارث بن عمرو الكندي .

## ٨ - سبي عن ملوك كندة

كندة بطن من كهلان اصلهم من البحرين هجروها الى حضرموت في  
زمن لا يمكن تحديده ، واقاموا في مرتفع اسمه كندة ظلوا هناك دهوراً وهم  
على وفاق مع الحميريين ، ثم جاء زمن وقع فيه خلاف بين القبيلتين ، فرحات  
كندة واختار زعيمها حجير بن عمرو اكل المزارع النزول في بطن عاقل ، وكان  
الاشخيون ماكروا بلاد بكر بن وائل فخاربههم حجير وأنقذوا ارض البكرين  
منهم ، فأجمعت كلمة القوم على احترامه حتى مات ودفن في بطن عاقل (زيدان: ٢١٥) .

فأفضت الحكومة بعده الى ابنه عمرو فاقتصر على ملك ابيه فدعي لمقصود . فلما مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو ، وكان حازماً كبير المطامع مسموع الكلمة . فلما رأى تغير قباز على المنذر بن ماء السماء ، تصدى له وظل يناوحه حتى ولاء قباز على الحيرة وعزل المنذر . فعظم شأن الحارث الكندي بين القبائل وتقربوا اليه بالطاعة فولى اولاده الاربعة على معظم قبائل العرب . اما الحارث فلم يطل امره بعد ذلك ، اذ مات قباز وخلفه انوشروان فرد المنذر الى الحيرة ففر الحارث بآله واولاده على الهجن . وتعبه المنذر على الخيل ، تغلب وايد وهره ، واخذت تغلب ٤٨ اسيراً من بني اكل المرار ، وفيهم عمرو ومالك ابنا الحارث ، فقدموا بهم على المنذر فقتلهم جميعاً ، وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلوننا  
فلو في يوم معركة اصيلوا ولكن في ديار بني مريننا  
ولم تفسل جماجمهم بفسل ولكن في الدماء مرملينا  
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيوننا

وكان امرؤ القيس غائباً عند مقتل ابيه فلما علم بقتله رجع وهو يعلم عجزه عن الاخذ بثأره لقوة عدوه وقلة انصاره ، فاستنجد بالقبائل وهو يحب اليمن والحجاز ونجد متذكراً فلم يغثه احد . فاستودع اذراعه السموأل صاحب حصن الابلق وسعى لاستنصار قيصر الروم لان ملوك الحيرة نصروا اعداءه الفرس على الروم ، ولم يكن له سبيل الى القيصر . فوسط الحارث بن ابي ثمر الغساني ، فأرسل معه من اوصله الى القسطنطينية سالماً . ولكن اشياً اضاع على امرؤ القيس سعيه ففقد في القسطنطينية ولم ينل بغيته .

اما المنذر فانتقم منه الحارث الغساني في يوم اباغ ، اذ قرر الملاك الغساني واللخمي ان يتبارزا ابناؤهما فمن فاز ابنه كانت الغلبة له ، فأرسل الحارث ابنه « ابو كرب » وارسل المنذر فارساً لحياً فقتل ابن الحارث فأرسل الحارث ابنه الثاني فأصابه ما اصاب الاول ، وعرف الحارث آثماً ان المنذر غدر به ولم يكن المبارز ابنه ، فحمل عليه حملة صادقة ، وقتل عرب الشام



باعدها فتنكاً ذريعاً وقتل المنذر نفسه وجمهرة من كبار قومه .  
واخلص اللخميون الاكاسره كما يستدل على ذلك مما فعله المنذر ابن المنذر لما  
حاول ملك الروم اغراءه بالانضمام اليه فخدعه وافضى الى مولاه الفارسي بما اتفقا  
عليه فحسر الروم سفنهم بدون جدوى سنة ٥٨٢ .  
وكان الفساسنة ايضاً عوناً للقياصرة ، وكان لهم حول وطول ، واذا ركبوا  
للحرب بلغت عدتهم الوفا مؤلفة .

### مواضع مهمّة الخاصة بهذه الحقب

#### ١- بناء الملكة هيلانة كنيسة بجمص

الملكة هيلانة هي زوجة قسطنديوس خاورس ووالدة الامبراطورة قسطنطين  
الكبير اول امبراطورة الروم المنتصرة . وهي حورانية الاصل ولدت سنة ٢٤٧  
وتوفيت سنة ٣٢٨ . تنصرت ولها من العمر ٦٤ سنة . وبعد تنصرها اظهرت  
من الغيرة على النصرانية ما يفوق وصف الواصفين ، فانها قدمت بذاتها الى  
فلسطين سنة ٣٢٦ للتنقيب عن آثار النصرانية فيها وبذات في هذا السيل اموالاً  
عظيمة . وبنت كنائس كثيرة في اصقاع متعددة . ومنها كنيسة حمص التي  
قال فيها المسعودي ما يلي :

« خرجت امه ( ام قسطنطين ) هيلانة الى ارض الشام ، فبنت الكنائس  
وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح عندهم ، فلما  
صارت اليها حاتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيداً وهو عيد الصليب وهو  
لاربعة عشرة تخلو من ايلول . وهي التي بنت كنيسة حمص على اربعة اركان .  
وذلك من عجائب بنيان العالم . واستخرجت الكنوز والدقائق في مصر والشام  
وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشيد دين النصرانية . وكل كنيسة بالشام  
ومصر وبلاد الروم فانها بنتها هذه الملكة هيلاني ام قسطنطين . وقد جعل  
اسمها مع الصليب في كل كنيسة لها اه .

## ٢- قسطندي بمر محص سنة ٣٣٨

لما مات قسطنطين الكبير سنة ٣٣٧ اقسّم المملكة اولاده الثلاثة ، قسطنطين الثاني وقونسطانس وقسطندي ، فكان نصيب الاول فرنسة واسبانيا وبريطانيا ( وهي منطقة جده كلوروس ) والثاني ايطاليا وافريقيا والثالث بلاد اليونان والاناضول .

وما كاد يبلغ خبر موت قسطنطين الكبير حتى تحرك الفرس لمناصبه الروم الشر ، وساقوا جيوشهم نحو نصيبين وشدّدوا عليها الحصار . فلم اعلم قسطندي بالامر جهز حملة قوية وجاء انطاكية سنة ٣٣٨ . وعلم وهو فيها ان جيوش سوريا مختلفة النظام منحلة الروابط خشي ان تسوء النتيجة فيما لو قاد الحملة وهي على ما هي عليه من سوء التدريب ، فرأى ان يشرف بذاته على تدريب الجيش في سوريا . فبدأ بتدريبها على الحرب بحضوره بالذات موعزاً الى القادة ان يطرقوا كل ابواب الحرب . وبالرغم من الاتعاب التي عاناها لبث مراقباً تدريب القوات حتى جاء على آخرها . وبعد ذلك سار في تشرين الاول من السنة ذاتها الى بلاد الفرس مجتازاً حمص وبعليك . حتى التقى بالاعداء في ما بين النهرين ، ووقعت المعارك بينهما ففاز عليهم فوزاً مذكوراً . وطلب الفرس هدنة فلم يرفض قسطندي طلبهم ، لعله بحاجة الجيش الى الراحة بعد جهاد شاق . ورأى من اصاله الرأي الاقامة في انطاكية للحيولة دون تكرار غارات الفرس . فزهت انطاكية بوجوده فيها ووسع ميناءها سلوكية لتستطيع ان تقبل في حوضها سفناً كثيرة .

## ٣- بولس المعترف انتهى الى محص سنة ٣٤٧

بولس المعترف من نوابغ عصره ، ولد في تسالونيكي في اواخر القرن الثالث وتعلّم في شبابه لمتروفانس القسطنطيني . وحضر المجمع الاول النيقوي سنة ٣٢٥ فكان سكرتيراً لوقائمه . وبعد وفاة اسكندر انتخب ابناً بركية القسطنطينية



سنة ٣٣٥ . ولكن صراحتة عرضته لنقمة الاريوسيين . فسمعوا لدى الحكومة  
بنفيه خمس مرات . رغم محبة الشعب له وعدم وجود ما يؤاخذ به .  
فأبعد في المرة الاولى الى البنطس سنة ٣٣٦ ، ولكن أعيد منها بعد سنتين .  
وأبعد ثانية الى سلانيك سنة ٣٣٩ ، وأعيد منها سنة ٣٤١ .  
ونفي ثالثة الى تريف سنة ٣٤٢ ، وأعيد منها في السنة نفسها .  
وأبعد رابعة الى سنجار فخص سنة ٣٤٧ ، ثم أعيد منها الى مركزه .  
ونفي خامسة الى قوقوز سنة ٣٥٠ فقطع الزاد عنه مدة سنة ايام بمساعي  
الاريوسيين . ولما لم يمت دأهمه هؤلاء . في محبسه وأماتوه خنقاً . والذي يجدر بالذكر  
ان ابعاده في المرة الرابعة الى سنجار أثر بصحته ، فسمى المحصيون لدى الحكومة  
بوسائل شتى حتى سمحت بنقله الى حمص ، فقفى فيها مدة كان فيها مشال  
الراعي الصالح الغيور ، وكما استأنس المحصيون بوجوده بينهم ، تغذى هو  
كثيراً لما ناله من عطف الشعب المحصي واحسانهم وفادته .  
ولما توسط قونسطانس لدى اخيه قسطنطي بارجاع الاساقفة الارثوذكس  
الى مراكزهم سرّاً المحصيون بعودته الى سدة الرسولية ، ولكن اصابتهم غصة  
عميقة لمفارقتهم اياه .

#### ٤ - فراب مارانو كوبرس

حدث في ايام يوليان الزائع حريق في دفنة وتلاه جوع انتشر في الشرق .  
ويقال ان سبب المجاعة انما كان بعدم حكمة يوليان المذكور ، فانه لما جاء  
الى انطاكية اراد ارضاء اهله ، فبالغ جداً بوسائل هذا الارضاء ، لانه عدا  
تعيينه نحو متين من اعيانها اعضاء في السنوات ، واباحته للاهلين حرية انتخبهم  
قضاتهم الجدد ، سامح اهله بالاموال الباقية عليهم من رسوم سابقة ، واخفض  
المكوس بحيث لم يبق منها سوى جزء من خمسة . فأطمع ذلك العمال والفلاحين  
فتهاملوا في عملهم وحرثة الارض قتل الانتاج . فحدثت المجاعة واستصرخ الفقراء  
الامبراطور ، فأمر الاغنياء باسعافهم واضطهد ذوي الثراء ، فضج فريقا الفقراء  
والاغنياء معاً فأمر باعتقال اعضاء السنوات . فثار الجمهور واضطر الامبراطور ان يبرح

انطاكية غاضباً لمحاربة الفرس . ولكنه لم يرجع اذ أصابه سهم ومات في سنة ٣٦٣ وخلفه يوفيان ، ولكن امر هذا الامبراطور الرصين لم يطل فانه بعدما انتهى الحرب بصورة حفظ فيها مكانة الدولة البيزنطية . وعاد الى انطاكية حيث اُلبس فيها التاج القيصري ، وهذا المشاغب الحاصلة . سار نحو القسطنطينية لقضاء بعض المهام الضرورية فيها ، فمات على الطريق في ١٧ شباط سنة ٣٦٤ في الشهر الثامن للملكة والثالثة والثلاثين من سنيهِ . ويظن ان أحد الحُصيان دس له السم في الطعام ( اميان مرشلين ) . خلفه والنتيان الذي بذل جهدهم برتق الفتوق التي حدثت في ايام يولييان ، فأصدر امراً بمعاقبة الولاة الذين اكرهوا الفلاحين على ترك حقوقهم للقيام باعمال عمومية سواها ، وحتم على الفلاحين ان يلازموا حقوقهم دون كل عمل آخر ، فدرت الحقول ثمراتها وخفت بذلك دواعي القلق بسبب المجاعة .

وكانت في جوار افاميا عصابة قد تألفت بسبب المجاعة ، فأقلقت الخواطر وارتكبت من انواع الشقاوة ما لا يقدر . حتى ارهبت جميع المدن المجاورة ، وتنادى بهم الامر حتى استصرخ الناس الامبراطور ، فأمر بتأليف كتبية للقضاء على هذه العصابة المؤذية ، وكان بين رجال هذه الكتبية نخبة من ابطال حص الاشداء ، الذين بهم القضاء على القلاقل التي حدثت في بقاع تمت الى منطقتهم بصلة . فداهمت هذه الكتبية العصاة في بلدة يقال لها آنذر « ماراتوكوبرس » وبعدها طوقت البلدة ومنعت عن اهلها كل مؤازرة هاجمت المعتصمين بها ، فأنزلت بهم البوار بعدما تركت المعتصم قاعاً صفصفاً ( بنى ١٩٦٠-١٩٨ ) .

## ٥ - جهود هامة البابا في مصر

السابق لقب أعطي ليوحنا ( يحيى ) بن زكريا ، لانه سبق فيها افكار الناس في اليهودية لمحيى المسيح . ولد قبل ولادة المسيح بستة اشهر ونشأ محباً للانفراد واعتزال الناس . ولما بلغ الثلاثين من العمر أخذ يدعو الناس الى التوبة والصلاح . وكان ذا عيشة قشقة لم يشرب في كل حياته مسكراً ولباسه من وبر الابل متمطقاً بسير من جلد . ومع انه كان متواضعاً مع الطبقة العاملة



كان شديد الصلابة مع مخالفى الشريعة مهما عظم شأنهم . وأدى مسلكه هذا الى سجن هيردوس انتيباس اياه ، لانه ونجته بشدة على اقترانه بهيروديا امرأة اخيه فيليبس خلافاً للشريعة . واخيراً قطع رأسه وهو فى الثانية والثلاثين من عمره . واعترف يوسيفوس المؤرخ اليهودي للسابق بمزاياء العالية اذ قال فيه ( ٧: ١٨ ) انه كان رجلاً سامي التقوى حض اليهود على الاستمساك بالفضيلة ، وان لا يقتصروا على عدم اقتراف الاثم ، بل يجب ان يقرنوا طهارة الجسد بنقاوة النفس . فتبعه جمهور غفير لسماع تعليمه . حتى خشي هيردوس ثورتهم عليه . فحبسه فى قلعة ماخرون ، ثم قتله بعد ذلك .

والمروى فى تقايد متسلسل ان هامة السابق بعدما قطعت باصر هيردوس سلمت الى هيروديا فوضعتها فى جرة ، ودفنتها فى بعض منازل الدار الملكية ، وتنوسى امرها . وبعد مدة طويلة حضر راهبان الى اورشليم ، فاهتديا الى موضع وجود الهامة ، فحفظت باحترام . وصدف ان جاء رجل فاخوري لزيارة بيت المقدس ، وعرف باصر الهامة . فبذل كل نفيس وغال فى سبيل الحصول عليها . وعاد بها الى مدينته حمص ، وحفظها بحرص فى منزله مظهراً نحوها كل عوامل الاحترام . وحصل على غبطة وافرة وحظ حسن لوجودها عنده . ولما شعر بدنو اجله سلم الهامة الى شقيقته ، واخبرها انها افضل كثر يجب الحرص عليه ، واوصاها بتوقيرها . فحرصت عليها حرص اخيا نفسه . فلما توفيت انتقلت الى ايدي كثيرة بالتداول الى ان اتصلت الى يد قس اريوسى المذهب طرده ارثوذكس المدينة ، فلاذ بمغارة خارج المدينة والهامة معه . فلما مات بقيت الهامة فى الغار المذكور وقد خفي امرها ، فظلت كذلك ان كشف امرها فى ٢٤ شباط سنة ٤٥٣ فنقلت باحترام الى الكنيسة الكبرى فى زمن الامبراطور ماركيان . وفى رواية ابن العبري ( ص ١٤٤ ) ان ظهورها انما كان سنة ٤٤٩ فى زمن نيودوسيوس الصغير .

فظلت الهامة فى الكنيسة المذكورة الى اواسط القرن التاسع ، حيث نقلت آنثذر الى القسطنطينية فى عهد القيصر ميخائيل ورئاسة البطريك اغناطيوس . وانما رضى المسيحيون بنقلها الى القسطنطينية خشية تبذل هذه الذخيرة بأيدي لا تعرف قيمتها .

## ٦- الامبراطور انسطاس في حماة وحمص

الامبراطور انسطاس ديكوروس (الانخيف) ولد سنة ٤٣٠ ، وتوفي سنة ٥١٨ .  
بعدها ملك في القسطنطينية ٢٧ سنة . كان من حرس الامبراطور زينون ، فلما  
توفي سنة ٤٩١ اقيم انسطاس ملكاً بسعي اريادنة زوجة زينون ، التي سبق لها  
ان احبته . وبعد ستة اسابيع تزوجها انسطاس . ثم شرع في اخاد الفتن الثائرة  
في الدولة . ورد عادات الفرس عن البلاد بحرب استغرقت سنتين ونيف ،  
وانتهت بصلح سنة ٥٠٥ . وظهرت مشاغب كثيرة دينية في ايامه لظهاره الميل  
للمونوفيزيت .

ومن آثاره في منطقة حمص انه مكث في حماة مدة ، اهتم فيها بتحصين  
المدينة المذكورة ، وسد الثغرات التي وجدت في سور حمص . نقل ذلك ابن  
خلدون ( ٢١٧:٢ ) عن ابن المسيحي . وذكر ذلك ابن بطريق ( ١٩١:١ ) .  
وأشار المنبجي ( ٣١٨ ) الى بالوس الراهب الافامي الاصل الذي قطن  
في حمص . وفيها انشأ عدة مؤلفات في موضوعات شتى في ايام الامبراطور  
انسطاس المذكور اعلاه .

## ٧- أثر الزلازل في حمص

روى المؤرخون ان زلازل عظيمة حدثت في سوريا الشمالية وامتد تأثيره  
الى حمص ، احدها وقع سنة ٤٤٧ ، وتلاه آخر سنة ٤٥٨ ، وتبعه آخر سنة ٤٩٤ ،  
وعقب ذلك زلزالان آخران في سنتي ٥٢٦ و ٥٢٨ . وكانت الاولى اشد زلازل  
انطاكية قتل فيها ٢٥٠ ألف نفس كما قال جبون . فتهدمت منازل كثيرة ،  
وتركت ضحايا عظيمة ، وبسبب فقر شديد في البلاد انتج ثورة هائلة في  
انطاكية . فهاجر كثير من اهلها الى حمص التي بالرغم مما اصابها استطاعت ان  
تؤوي عدداً ليس بقليل من مهاجري المدن المجاورة ( قادش : ٥٥ ) .  
على ان الذي درس تاريخ حمص القديم ورسم لها صورة في ذهنه ، يكاد



لا يصدق ان حص الحاضرة هي نفس حص الفابرة التي قرأ عنها ما قرأ .  
وانما يوقفه موقف الاستغراب ازاء ما رآه وما سمعه ، ان الزلازل وسائر النكبات  
الطبيعية . مع الجائحات البشرية غيرت وجه المدينة ، وقلبت مظاهرها الماضية رأساً  
على عقب ، واضاعت الكثير من معالمها التاريخية .

## ٨- اُثرانه نصرانياته في حمص

بين الكتابات اليونانية التي وجدت في مدينة حمص وجوارها ، كتابات  
نصرانية الواحدة من تاريخ سنة ٥٣٨ م عليها صورة الصليب ، وفيها استغاثة  
بالعذراء مريم واسم بعض الكهنة نشرها الاب لامنس .  
ووجد في حمص ايضاً صليب من البرونز طوله ٣٠ سنتيمتراً بعرض ١٤ س  
عند عارضتيه . وعليه كتابة يونانية مفادها الاستغاثة بالقديس جاورجيوس لاجل  
شخص يدعى عزميريوس ، يظن انه قائد الجيوش الذي وجد سنة ٥٨١ .  
وقد نشر هذا الاثر الموسيو شلوربرج الاثري الشهير ( شيخو ) .

## ٩- كسرى انوشروان في حمص

كسرى انوشروان من اشهر ملوك الفرس واعظمهم واعدلهم . وقد ضرب  
بعدله وتزاهته المثل . روي ان رسول قيصر الروم قدم عليه ، فرأى في ايوانه  
اعوجاجا يشين حسن بنائه ، فدهش وسأل عن سبب ذلك ، فقال له بعضهم :  
ان لعجوز بجانب هذا الايوان بيتاً طلب الملك منها شراءه بالثمن الذي تريده  
قأبت بيعة بصورة من الصور ، فلم يغضبها الملك ، وسبب بقاء هذا المنزل  
الاعوجاج الذي تراه في الايوان .

روي صاحب الاخبار الطوال (ص ٦٩) ان كسرى انوشروان اعلن الحرب  
على قيصر الروم لانه لم يجبر خالد بن جبلة الغساني على رد ما أخذه من النعمان  
بن المنذر بالغزو . فتوغل كسرى في ما بين النهرين وهي اذ ذاك بأيدي الروم  
فاحتل مدينة دارا والرها وقنسرين ، ومنبج وحلب وانطاكية وسبي اهلها الى

العراق . وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب طيسفون مثل انطاكية دعيت الرومية وولى امرهم رجلاً نصرانياً من الاهواز يدعي يزدفنا .  
فكتب قيصر الى كسرى يسأله الصلح . فكره كسرى البغي فرد له المدن التي اخذها على ان يؤدي له ضريبة في كل عام .  
ولما قفل كسرى اصابه مرض شديد فمال الى مدينة حمص ، فأقام بها بين جنوده الى ان تآكل للشفا . وكان قيصر يحمل اليه كفاية عسكره الى الى ان شخص .

وكان اكسرى ابن اسمه انوش زاد ، كانت أمه نصرانية ذات جمال أعجب بها كسرى وحاول اغراءها على ترك النصرانية والدخول في المجوسية فأبت . وتبع انوش زاد دين أمه ، فأمر بحبسه في جنديسابور . فلما غزا كسرى بلاد الشام وبلغ انوش زاد مرضه ومقامه في حمص ، استغوى اهل السجن وأثار نصارى جنديسابور وسائر الاهواز ، وكسر باب السجن وخرج وطرده عمال ابيه من الاهواز ، وضبط الاموال وأشاع موت ابيه ويم العراق . فدرى كسرى بالامر فكتب الى نائبه في طيسفون ان يسعى بأخذ انوش زاد أسيراً ففعل . وعوفي كسرى فانصرف الى دار ملكه اه بتلخيص ( انظر ايضاً الطبري ١: ٩٣-١٢١ وابن الاثير ١: ١٥٤ وابن العبري ١٤٩: ١٤٣٨ ) .

## ١٠- ابيه ماء السماء يرفض حمص ويسبي العذارى

هو أشهر ملوك لحم وأطولهم باعاً وأجراًهم على مقارعة الخطوب . وكان في ايام قباز ملك الفرس . اغتتم فرصة استياء قباز من قيصر الروم لعدم تأديته النفقات اللازمة للجيش الفارسي المكلف بحراسة المعابر ، التي يجتازها الدابة للبعث في بلاد الروم . فجهز المنذر المذكور حملة سار بها الى حدود الروم فنهب المدن الشهيرة فيها ، ثم تحطأها الى انطاكية وأفاميا ، فقتل وأسر ودمر . وبلغ اخيراً الى حمص فناها من جوره ما نال سواها . وروى ميخائيل الكبير ( ١٧٨: ٢ ) انه فاجأ دير مار توما الرسول الكائن في حمص واختطف منه ٤٠٠ عذراء وقدمهن ذبيحة للعزى . روى هذا الخبر دادا الناسك الذي كان



احد الاسري ، ورأى بعينه ما حصل ورواه بعد عودته من الاسر .  
وفي رواية اخرى ان الاسيرات كنَّ ٤٠ راهبة ، اراد المنذر الاحتفاظ بهن  
ليضمن الى حظاياه . ولما عرفن سوء نيته وقد نذرن العفاف فاتفقت كلمة  
المذكورات عندما قربن الى الفرات . على ان يرمين بانفسهن بالنهر فيمتن قبل ان  
يدنس عفافهن . وهكذا فعلن اذ غافلن حارسهن بحجة انهن يردن الماء لارواء  
عطشهن ، وما كدن يبلغن الشاطئ . حتى سمع صوت وقوعهن في قلب النهر ، ولم  
تصل الايدي لخراجهن منه الا جثثاً هامدة متمثلات قول القائل :  
المنايا ولا الدنيايا وخير من ركوب الحنا ركوب الجنازة

## ١١ - المنذر به الخارث الفسافي يقتل في مصر

لما مات الخارث بن جبلة الفسافي سنة ٥٦٩ او سنة ٥٧٠ بعدما حكم  
٤٠ سنة ، خلفه ابنه المنذر ، وحالما ضبط زمام السلطة وكان بطلاً مغواراً شهد له  
التاريخ المدني بمواقف عديدة اظهر فيها بطواته الفائقة ولا سيما في معركتي عين اباغ  
٢٠ ايار سنة ٥٧٠ ومعركة سنة ٥٨٢ ، مما جعله رهبة في عيون اعدائه وأوقفهم  
موقف التحفظ ازاءه ، وقد عرف له الروم هذه المزية فلقبوه بطريقاً وألبس التاج  
وسمي المنذر ملك العرب . ولم يلبس ابوه قبله سوى الاكليل ( زيدان : ١٩٤٠ ) .  
على ان شهرة هذا البطل المدرب اوجدت له حساداً لدى السلطة القيصرية .  
ووصلت همسات الوشاة الى اذن القيصر . فأوغر الى البطريق مركيان الرومي  
ليقتاله . ولكن المنذر أحس بالمؤامرة فشق عصا الطاعة على الروم وثار على الدولة  
مدة ثلاث سنوات .

فلما أغار عرب الحيرة على سوريا اضطر القيصر ان يصالحه في صيف  
سنة ٥٧٨ ومات يوسينوس بعد ذلك في ٦ ت ١ سنة ٥٧٨ .  
وفي ٨ شباط سنة ٥٨٠ زار المنذر القسطنطينية مع ابنه طيباريوس الثاني  
فاستقبل بحفاوة وانعم عليه القيصر بالتاج . وسعى المنذر اذ ذاك لنيل العفو عن  
اتباع مذهبه ، وعقد مجمع لهذه الغاية في ٢ آذار سنة ٥٨٠ .  
وعول القائد البيزنطي موريق ان يغزو في هذه السنة مع المنذر احدي

ولايات الفرس فوجد الجسر الكبير (على الفرات) مهدوماً فارتد خائباً ، ونسب ذلك الى تواطؤ المنذر مع العدو وأبلغ ذلك للقيصر . فحاول المنذر دفع هذه التهمة عنه باغارته على اراضي عدوه امير الحيرة (النعمان بن المنذر) فأحرق عاصمته بالذار وعاد بغنائم عظيمة . ولكن عمله هذا لم يدفع الشبهة عنه ، لان الافواه الدساسة ما برحت توالي نسج اختلاقاتها . وصدرت اوامر خصوصية الى حاكم سوريا الروماني ماغنوس صديق المنذر ليلقي القبض عليه . فاستقدمه هذا الى حواريين (التي ارتقت آنئذ الى رتبة المدن) ليحضر تدشين احدى الكنائس المشيدة حديثاً فيها . فلبى العاهل العربي طلبه . ولكنه ما كاد يصل حتى ألقي القبض عليه وأرسل مخفوراً الى العاصمة . فأقام فيها مع احدى نسائه وولديه وابنته . وكان هذا حوالي سنة ٥٨١ . ومات طيباريوس في ١٤ آب سنة ٥٨١ . ولما ملك موريق سنة ٥٨٢ وكان لا يزال حاقداً عليه نفاه مع احد كبار الحاشية المدعو سرجيوس الى صقلية . وكانت مدة حكم المنذر ١٣ عاماً . فثار اولاده الاربعة ، وأخذوا يشنون الغارة بقيادة النعمان اخيهم الاكبر ، على املاك الدولة وينهبونها ، فألقوا الرعب في قلوب حامية بصرى فتدخلت لهم عن الدخائر الحربية .

واخيراً جهز القيصر حملة بقيادة الحاكم الروماني ماغنوس . وأنفذ معها أخا آخر للمنذر ليخلفه في وظيفته ، وكان على غير مذهب اخيه . ولكن هذا توفي بعد عشرة ايام . وتمكن القائد البيزنطي من اعتقال النعمان بالحيلة . ولما وصل الامير العربي الى العاصمة عومل فيها معاملة أسير حر ، في حين ان كبار الدولة أشاروا بقتله . ويستدل من تاريخ افاغريوس ان وصول الامير العربي كان في ايام موريق . لكن ملحق تاريخ يوحنا الاسيوي يفهم منه ان وصوله حدث بين ١٤ آب سنة ٥٨٢ و ١ ايلول سنة ٥٨٤ . ويرجح ان التاريخ الاخير اقرب الى الصواب وكانت مدة حكم النعمان سنة واحدة فقط .

ولما بلغ نبأ أسر النعمان الى سوريا انقسمت العرب ١٥ فرقة ، وانحاز بعض الزعماء الى الفرس . واتبع بعضهم المذهب الخلكيدوني ، وبعضهم ألقوا السلاح وظلوا محافظين على مذهبهم القديم ، نظير اهالي الحديثة وباعربايا والقريتين - في ناحية حمص - والنيك (انتهى ملخصاً عن فرنسوانو عن مخياثيل الكبير .



وفي رواية الرحامي (ف ٢٤) ان المنذر انما أمسك بخيانه صديقه مانيوس الحمامي السوري الذي حضر من الرها زاعماً انه ينبغي الاغتسال في المياه الحارة قرب حص (لعلمامة ابو رباح) فلما بلغ القرية كتب للمنذر يقول اني مريض وأتمنى ان أراك بعد فراق طويل . فذهب المنذر حالاً لمقابلته مصحوباً بالهدايا . ولما عرف مانيوس بقدومه ترك القرية وجاء الى حص حيث استقبل فيها المنذر وفرق رجاله القليلين في المدينة . ولما كان المنذر على باب المدينة فاجأهم الرجال الموعز اليهم باعتقاله فكبلوه بالحديد وسلوه الى الدوق فأرسله حالاً الى العاصمة اه .

### فصل في الحوادث

أهم الحوادث التي حدثت في حص في هذه الحقبة مروية في ما يلي :

(١) اهتمام هيلانة والدة قسطنطين الكبير ببناء الكنائس في الشام وسواها ، ومنها بناؤها كنيسة حص سنة ٣٢٦ التي ذكرها المسعودي باعجاب . وليس من السهل ان تعرف الكنيسة المشار اليها لانقلابات كثيرة حدثت في المدينة . ولأن معظم كنائسها تحولت الى جوامع . ولا ندري أيها هي الكنيسة التي بنتها هيلانة اذا كانت لا تزال في الوجود .

(٢) مرور قسطندي بحمص سنة ٣٤٠ واهتمامه بتدريب الجيش وتأهيله لمحاربة الفرس . وربما كان سهل حص الواسع موضع تلك التمرينات العسكرية .

(٣) اهتمام الحمصيين بيولس المعترف بطريرك القسطنطينية الذي أبعد الى سنجار ، وأتي به الى حص سنة ٣٤٧ ، وأظهر الحمصيون من اكرامه وحسن وفادته ما أنساه آلام الغربة وجور الحكام .

- (٤) بناء دير مار مارون في منطقة حمص الذي قال ابو الفداء (ص ٦٥) انه بني لسنة خلت من ملك ماركيان أعني سنة ٤٥١ .
- (٥) قضت الدولة البيزنطية على عصابة ماراكوبريس في جهات افاميا بمعاونة نخبة من ابطال حمص الاشوش نحو سنة ٣٧٨
- (٦) وجدت هامة السابق ( يحيى بن زكريا ) سنة ٤٥٣ في ايام أسقفها اورانيوس بعد اختفائها في غار مدة طويلة .
- (٧) اهتمام انسطاس ببنيان حماة ، واصلاح ثلمات سور حمص في اول ملكه حوالي سنة ٤٩٣ .
- (٨) ايواء الحمصيين مهاجري انطاكية بسبب الزلزال العظيم الذي أصابها سنة ٥٢٦ مما حفظه لهم التاريخ .
- (٩) وجد في حمص اثران نصرانيان ، تاريخ الاول سنة ٥٣٨ والثاني سنة ٥٨١ .
- (١٠) كسرى انوشروان يهاجم الروم ويحتل عدة مدن فيها فيصاب بمرض يستشفى منه بالبقاء في حمص مدة ليست بقصيرة ويعود منها معافى الى عاصمته .
- (١١) ابن ماء السماء يغزو بلاد الروم ويسبي من حمص عدداً من العذارى بغية تحظيهن ، وأبت الصيانة التي اشتهر بها الحمصيون على هؤلاء الرضا بما أراده ، ففضلن الموت غرقاً في الفرات على الاستسلام لما يشين .
- (١٢) المنذر الغساني البطل المشهور ، الذي حسده بعض معاصريه ، فأوقعوا نفرة بينه وبين العرش البيزنطي ، أدى بعد مدة الى اعتقاله في حمص بخيانة صديق له .



الطاهره الى محسن من كتاب هذه الحقة

(١) اوسابيوس القيصري (٢٦٥-٣٤٠)

ولد في فلسطين ودرس في انطاكية ، وأكمل دروسه في الصعيد .  
ثم انشأ مدرسة في قيصرية ، واستفاد من المكتبة العظيمة التي جمعها صديقه  
بفيل . واخيراً صار أسقفاً على قيصرية سنة ٣١٥ . وانكب على استثمار معارفه  
ولاسيما التاريخ ، فدعي أبا التاريخ الديني ، كما سمي هيرودوت أبا التاريخ الدنيوي ،  
ووقع تاريخه في عشرة كتب ، بدأ فيه من ميلاد السيد المسيح الى سنة ٣٢٦ .  
وله غير التاريخ المذكور عدة مؤلفات . منها الاستعداد الانجيلي ، وعى كثيراً  
من الآثار القديمة ، وعدة فقرات من تاريخ سنكونياتون التي استفدنا منها ما  
يخص نشأة حمص . ومن تأليفه الكرونيكون أي تاريخ السنين من خلق العالم  
الى سنة ٣٣٠ وغير ذلك .

(٢) اميان مرسلين (٣٣٠-٤١٥)

ولد في انطاكية وطلب العلم فحصل قسطاً وافراً منه . ولما اشتد ساعده  
تجند وشاهد عدة حروب . ورافق يوليان الجاحد في غزوة الفرس ، واعتزل الجندية  
بعدما قضى فيها ٢٠ سنة . واتخذ القلم بدل الحسام . وأقام في رومة مصكباً  
على كتابة تاريخ الرومان باللاتينية متماً ما تركه تاسيت المؤرخ من سنة ٩٦-٣٧٨  
فوقع مؤلفه في ٣١ كتاباً . لم يبق منها الى الآن سوى الاجزاء الثمانية عشر  
الاخيرة المحتوية على تاريخ سنة ٣٥٣-٣٧٨ ، ولهذه الاسفار قيمة تاريخية لانها  
مرويات شاهد عيان . وبالرغم من انه وثني فقد لزم جادة الاعتدال في ما كتبه  
عن المسيحية . وقد طبع تأليفه لأول مرة سنة ١٤٧٤ في رومة ، وطبع اخيراً  
في برلين سنة ١٨٧١ .

### (٣) جيروم « ايرونيسموس » ( ٣٣١-٤٢٠ )

من مشاهير علماء الرومان ، ولد في ستريدون (دلماسيا) ودرس في روميه سنة ٣٦٣ اليونانية واللاتينية والادب والفصاحة . ثم زار ولايات غاليا وسواحل بريطانيا . وسنة ٣٧٢ قدم الى سوريا مع رهط من اصدقائه ، واعتزل في انطاكية حيث درس العبرانية والكلدانية . وسنة ٣٧٦ زار الاماكن المذكورة في الكتاب المقدس . واذ اراد التبحر في اليونانية تتلمذ للنازيانزي سنة ٢٨٠ وعاد الى اوربا لمراجعة الترجمة اللاتينية . ثم عاد الى الشرق سنة ٣٨٥ وفيها ختم حياته سنة ٤٢٠ .

وقد ترك مؤلفات كثيرة ههنا منها ترجمته تاريخ اوسابيوس الى اللاتينية ، الذي اكمله الى سنة ٣٧٨ . وقد دلت كتاباته على توقد ذهن واعتصام شديد بما اعتقده حقاً .

أفادنا كثيراً بما حفظه من منشورات الاقدمين عن الشام ، وما كتبه عن السلوقيين في سوريا .

### (٥) سقراط المؤرخ ( ٣٨٠ - بعد سنة ٤٤٠ )

ولد في القسطنطينية ، وأخذ فيها اصول اللغة عن امونيوس النحوي . ثم انكب بعدئذ على درس الفقه ، ومارس المحاماة مدة ثم اعتزلها . وأخذ يكتب تاريخه المشهور متحريراً الصدق والتدقيق مع سهولة العبارة ، فوقع تاريخه في سبعة كتب متماً به تاريخ اوسابيوس من تنصر قسطنطين الى سنة ٤٤٠ .

### (٤) سوزومانس ( ٣٩١-٤٥٠ )

ولد في فلسطين وظهرت منه النجابة في الصبا ، فتضلع من الرياضيات وفهم الاسفار المقدسة . ثم قصد القسطنطينية حيث تماطى المحاماة فيها ، وكان



ميله الى التاريخ اكثر منه الى المهنة ، فالف تاريخه المشهور ابان عمله وضمن في تسعة كتب . اشتمل الاولان منها على خلاصة الحوادث من ميلاد السيد المسيح الى خلع ليسنيوس وهما مفقودان . وباقي كتبه تصل الى وفاة اورنوريوس سنة ٤٢٣ انشاؤه احط درجة من انشاء سقراط ، ويظن انه انتحل بعض اقواله .

#### (٦) تيودوريت الشريف (٣٨٧-٤٥٨)

ولد في انطاكية من والدين حسيين أحسن تربيته ، ولما توفي والده تنسك في احد الاديار وتسقف على قورش سنة ٤٢٠ وحضر المجمع الاقنوسي سنة ٤٣٠ . وتوفي بعدما وضع تاريخه المشهور في خمسة كتب ، بدأ به من سنة ٣٢٦-٤٣٩ . وتمتاز عبارته بوضوحها وخلوها من التعقيد اللغوي . وقد فضله بعضهم على سقراط وسوزمين بتحري الحقيقة التاريخية ، فنجوا من انتقادات كثيرة وجهت الى زميليه المذكورين . وفي ما رواه افادات كثيرة لموضوعنا التاريخي .

#### (٧) زوسيموس المؤرخ

كاتب يوناني نبغ في القرن الخامس في عصر تيودورسيوس واورنوريوس . ويلقبه الكتاب بالكونت زوسيموس . كان وثني المذهب متعصباً لرأيه . فطعن بالنصارى طعناً شديداً ، في تاريخه الذي وضعه لرومة في خمسة اجزاء ، ألقى فيه على تاريخ رومة والرومانيين منذ تأسيس رومة الى سنة ٤١٠ . وقد ترجم مؤلفه هذا الى بعض اللغات الاوربية ، وأخذنا منه حاجتنا لنشأة المدن السورية .

#### (٨) داماس (٤٨٠ - بعد ٥٣٣)

ولد في دمشق ، ومنها اخذ الافرنج اسمه « داماس » وتلمذ لمارينوس الفيلسوف الافلاطوني . ولكنّه لم يتقيد بمذهبه . وعلم في اثينا الى ان اقل

يوستينيان مدارس الوثنيين سنة ٥٢٩ فذهب الى بلاد الفرس ، فلم ينل الحرية التي توقعها ، فعاد الى وطنه بعد صلح الفرس مع الروم سنة ٥٣٣ حيث قضى حياته التي لا نعلم متى انتهت .  
مما كتبه « تاريخ نخبة الفلاسفة » وصل اليها منه فقرات افادتنا في ما كتبناه .

### (٩) اسطفان البيزانطي

جغرافي فراء ايطي نبع في اوائل القرن السادس ، وقد وضع قاموساً جغرافياً ، يحسب اول كتاب ظهر من نوعه في التاريخ . ولم يبق من هذا السفر النفيس الا ما لحظه ارمولاوس احد معاصري الامبراطور يوستينيان . وهو يدل على عظم الفوائد الجغرافية التاريخية القديمة التي حواها الاصل . ولذلك طبع الاوربيون الملخص المذكور عدة مرات .

ومما ذكره هذا المؤلف انه كان للفينيقين ثلاث محطات : (١) في حماة على شاطئ . العاصي (٢) في تبسك على الفرات (٣) في نصيبين قرب ينبوع دجلة . ومن آرائه الخاصة ، ان جبيل اول مدينة قامت في لبنان بل في العالم اجمع ( اخذه عن بطن ٢٢:٢ ص ٣٧٥ الخ ) .

### (١٠) ساويروس الانطاكي ( ٤٥٩ - ٥١٨ )

ولد في مدينة سوز ودعي باسم جده ساويروس ، هذبه والداه التهذيب الاولي . ثم ارسله الى الاسكندرية حيث درس البيان . ثم انتقل الى بيروت فدرس الفقه والفلسفة . وبعد انهائه العلوم اعتمد في طرابلس سنة ٤٨٨ . ثم اشتغل في المباحث النظرية التي قامت في عصره . فأيد نظرية المونوفيزيت في شخصية المسيح ، فانتخبوه بطريركاً سنة ٥١٢ فساس الكرسي ست سنوات ، ثم نوله القيصر يوستينوس ، فسار الى مصر حيث ظل فيها ٢٠ سنة ، وتوفي في ٨ شباط سنة ٥٣٨ .

ترك اسفاراً كثيرة معظمها جدي وبعضها في مواضيع فلسفية ، وضعها كلها



باللغة اليونانية ، وترجمت الى السريانية في حياته وبعد وفاته ، ومنها رسالة بعث بها الى الحمصين بعد براحه انطاكية سنة ٥١٨ ، يحذرهم فيها من شخصين سماهما غريغوريوس البنطي وأنشعيا الارمني ، قال عنها انها انتحلا الدرجة الاسقفية بدون استحقاق . وقد نشر هذه الرسالة المستشرق الانكليزي بروغش .

### (١١) بروكوب المؤرخ (٥٠٠-٥٦٥)

مؤرخ يوناني ولد في قيصرية كبادوك ودرس الفصاحة في القسطنطينية ، وعين كاتباً للقائد بليزار فصحه في حروبه في آسيا وافريقيا وايطاليا . وعينه يوستنيان والياً للقسطنطينية حتى توفي . من أهم تأليفه تاريخ البليغ المفيد لحوادث ايامه وقع في ثمانية كتب . كان لنا في بعض مواده فائدة خاصة .

### (١٢) افاغريوس الحموي (٥٣٦- بعد ٥٠٤)

ولد في حماة ، ولما تضرع من العلم والادب تعاطى المحاماة في انطاكية . ثم قصد القسطنطينية فنال ثقة طيباريوس ثم موريتي الملكين . وارتقى في ايامهما الى مناصب عالية . ولكن ارتفاع منزلته لم يشغله عن خدمة العلم . فآلف تاريخه الشهير الذي وقع في ستة اجزاء ، بدأ فيه من سنة ٤٣١ الى سنة ٥٩٤ متمماً به تاريخي تيودوريت وسقراط . وقد شهد له الموثوق بصحة نقدهم ، انه فاق غيره من المؤرخين بايراد الحقائق ناصعة . واستفدنا من نقاط كثيرة فيه . ترجم تاريخه من اليونانية الى اللاتينية وطبع مع تأليف اوسابيوس وسقراط وسوزومين وتيودوريت سنة ١٥٤٤ .

### (١٣) يوحنا الاسيوي (٥٠٧- بعد ٥٨٥)

ولد في آمد (ديار بكر) ودخل الاكليريكية سنة ٥٢٠ وساح في

انطاكية سنة ٥٣٢ ، ومصر سنة ٥٣٤ ، والقسطنطينية سنة ٥٣٥ . حيث مكث عند الوطني بروبس بن اخي الامبراطور انستاس ، وسم مطراناً لآسيا سنة ٥٥٨ ممثلاً المونوفيزيت في القسطنطينية الى سنة ٥٦٦ . وظل حياً الى سنة ٥٨٥ . حيث وضع تاريخه الذي بدأ فيه من ايام تيودورسيوس الصغير الى ايام يوستينيان . ولاحظ بعضهم ان ارقامه التاريخية تتأخر عما ذكره سواء نحو عشر سنوات . وأفادنا هذا المؤرخ كثيراً بما كتبه عن العرب مما له صلة بجمص .

### مآهر المحققين

#### (١) اونوريوس السفسطائي

الذي عرفناه عنه انه كان مقيماً في حمص . وكان يتولى فيها تدريس الراغبين في البيان والفقه . فقصده الطلاب من جهات للأخذ عنه . وقد اخذ عنه :

#### (٢) سالوست الحكيم

هو أحد حكماء سوريا وعلمائها الاعلام . ولد في حمص ، وأخذ الفقه والبيان عن اونوريوس السفسطائي المذكور اعلاه . وصار من أشهر الخطباء بعدما حفظ خطب ديوستين الشهير . وبعدهما رنت حصة شهرته بالبيان والفقه ، درس الفلسفة في الاسكندرية . ثم قصد أثينا للتوسع في معلوماته ، فأخذ كثيراً عن بروكاس (٤١٢-٤٨٥) ولما غير استاذ مذهب الافلاطوني ترك سالوست المدرسة وزهد في الدنيا .

#### ٣ رومانوس المرنم

ولد في حمص في اواسط القرن الخامس . ثم سافر الى بيروت ، فخدم



فيها برتبة شماس عدة سنوات . ثم قصد القسطنطينية في اواخر القرن الخامس ، حيث كان مرنم كاتدرائية آجيا صوفيا العظيمة . وظهرت هناك هبته الفنية فلقب ميلودس ( العذب الترنيم ) وقد ترك مما نظم نحو الف قطعة موسيقية عرفت باسم قنذاق بعدئذ واشتهر بانه اول واضع لهذا النوع من النظم .

#### ٤) بطرس بن يوسف الحمصي

رجل تقي نبغ في اواخر القرن الخامس ، واشتهر ببسطة يده في سبيل الاحسان . ومن مآثره التي رواها بعض المؤرخين ، انه بعدما نال امنيته بزوال عقرة زوجته بواسطة راهب صالح زار منزله ابان سروره بجمص لزيارة الاماكن المقدسة ، بنى ديراً عظيماً وحبس عليه ربيع قرى تكفيه ، وفوض للراهب رئاسة الدير . فنجح الدير كثيراً وقصده كثيرون من الزاهدين في العالم ، حتى بلغ عددهم ٦٣٠٠ . وظل الدير المشار اليه يذكر في التواريخ الى سنة ٨٥٨ . وكان موقعه بين حمص وافاميا ، وبعد التاريخ المذكور لم تقف له على أثر .

#### ٥) سمعان الصالوص

ولد من أسرة شريفة في الرها في اواخر القرن الخامس . ولما شب زار الاماكن المقدسة . وهناك زهد في الدنيا وترهب ، وقضى في منسكه نحو ٣٩ سنة . ثم غادر خلوته وطاف يعظ الناس ويحضهم على الصلاح . واختار أخيراً الإقامة في حمص منذ سنة ٥٤٥ الى سنة ٥٦٠ وفيها كانت وفاته . وانما لقب الصالوص لتباليه في حب الله .

## مطابقة محص في هذه الحقبة

### (١) اناطوليوس

كان من آباء المجمع النيقوي سنة ٣٢٥ وشهد المجمع الانطاكي سنة ٥٢٤٠.

### (٢) اوسابيوس

صاحب التأليف النفيسة والخطيب المصقع اشتهر ومات في زمن قسطنس الملك ودفن في انطاكية .

### (٣) بولس الاول

شهد المجمع الذي عقد في ساوقية سنة ٣٦١ . واتهم باستقامة رأيه ولكن سوزومينوس المؤرخ نفى هذه التهمة عنه .

### (٤) غاسيوس

ذكره باسيليوس الكبير وغريغوريوس النازياتزي في ما كتباه كصديق صحيح الايمان .

### (٥) غمزي

فيلسوف شهير ألف كتاب طبيعة الانسان الذي دل على سعة علمه ودقة نظرياته .



(٦) كيرياكوس

كان صديقاً للذهبي الفم ، وقد حضر مجمع القسطنطينية سنة ٤٠٤ حيث انتصر للذهبي الفم ضد خصومه .

(٧) ميبايوس

شهد المجمع الانطاكي الذي عقد سنة ٤٤٥ وحضر المجمع الحلاكيديوني سنة ٤٥١ وتوفي اثناء انعقاده .

(٨) اورانيوس

تم في عهده وجود هامة السابق في حمص سنة ٤٥٣ .

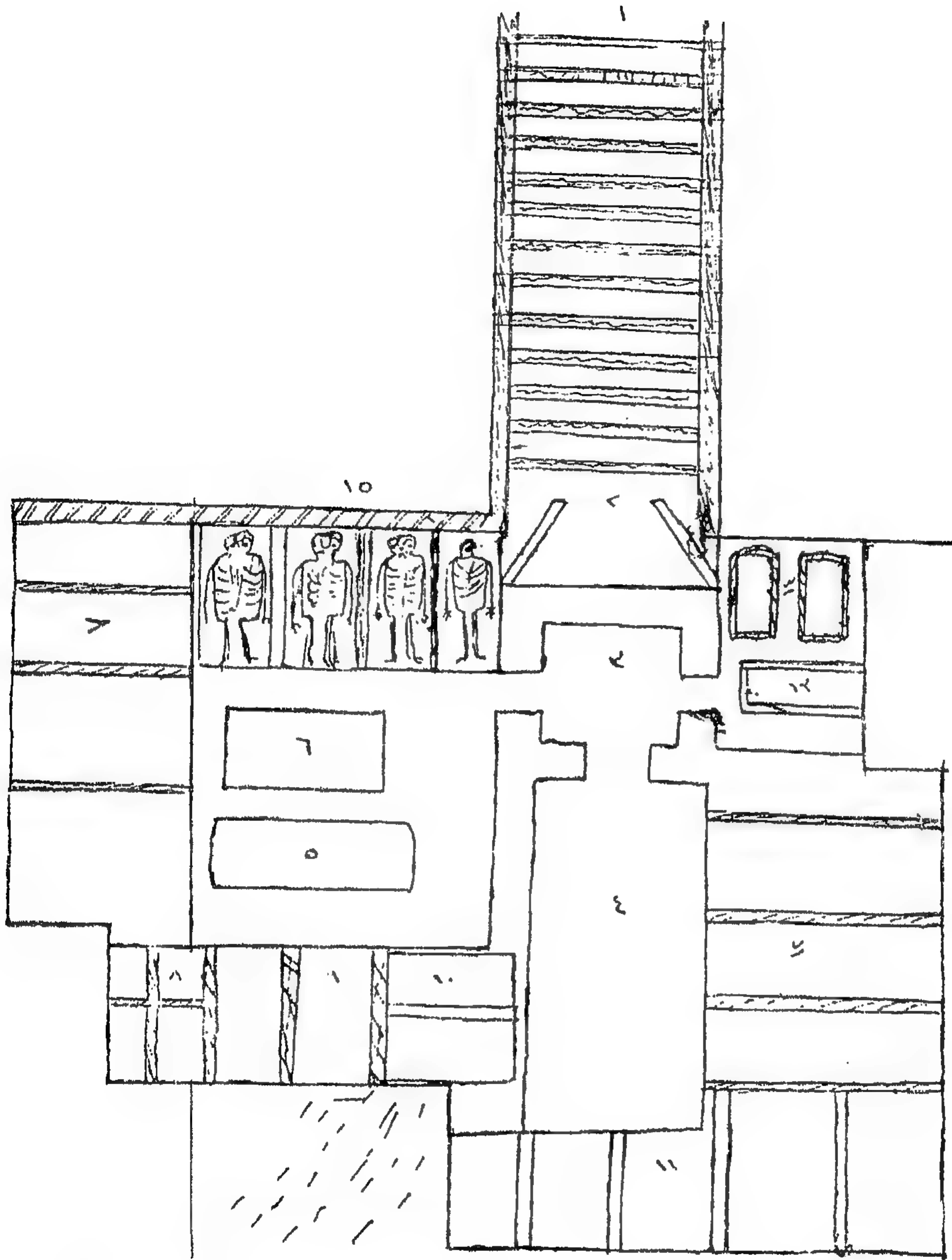
(٩) مرقس

شهد مجمع القسطنطينية المنعقد سنة ٥٣٦ ووقع على اعمال المجمع الخامس المسكوني سنة ٥٥٣ .

(١٠) يوحنا

عاصر سمعان الصالوص ولما توفي هذا الاخير سنة ٥٧٠ كان الاسقف لا يزال حياً بعد .

مبني



رسم مخطط مصغر لمدفن وجد في باحة المدرسة الانجيلية ( انظر صفحة ٣٩٥ )

حاشية : وجد بين الباب وحجرة الانتظار (٢ و ٣) هيكلان عظيميان منتصبان في يد احدهما مصباح خزفي فلما فتح الباب ودخل الهواء انهارا .

(١) درج (٢) مدخل (٣) حجرة انتظار (٤) معبر داخلي (٥) جرن حمام (٦) ارض فخارية (٧) قبور كبار (٨) قبور اطفال ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ قبور رجال ايضاً (١٤) قبور اطفال (١٥) مواضع رفات



## خام

# عظات وعبر من تاريخ حمص العام

## نوطته

إذا كانت الفائدة من مطالعة التاريخ الاتعاظ والاعتبار كما يرى فلاسفته .  
فجدير بنا بعدما بلغنا نهاية القسم الاول من تاريخ حمص ، ان نودع في ذهن  
قارئيه شيئاً مما مر بالحاطر الكليل ، من عبر التاريخ العام . بعدما المنا  
بالكثير من امثاله في تاريخ حمص الخاص . وما بدا لنا ملخص في ما يلي :

### ( ١ ) - الامم القديمة

#### ( الامداد بقدر الاستعداد )

من اكثر الامم القديمة اتصالاً بالبقعة المحمية خاصة ، وبالبلاط الشامية  
عامسة ، سبع امم هم الحثيون والمصريون والاراميون والفينيقيون والاسرائيليون  
والاشوريون والكلدانيون .

وقد قطن معظمهم في هذه البلاد وعاشوا فيها . وكانت لهم فيها سعة  
من العيش . ويسكاد المرء لا يصدق الآن ان هذه البقعة الصغيرة المحصورة ما  
بين دجلة وبحر الروم تتسع لسبع ممالك من اعظم دول الارض قدماً يعدون  
بالملايين . وهي تعجز اليوم عن اعالة العدد القليل من السكان . بل يضطر  
الكثيرون منهم ان يهجروا بلادهم التماساً للرزق في بلاد نائية .

افتغرت طبيعة البلاد ام تحولت استعدادات ساكنيها ؟

وهل نحن في ايجاد تحليل صحيح لذلك مفكرون ؟

## (٢) - أينما واسبارطة

( لا حياة لعلم بدون عمل وبالعكس )

قال افلاطون : من اكتفى بالرياضة وحدها صار وحشاً ضارياً . ومن قصر همه على الفنون لا يلبث ان يتخلف ويتدهل . والرجل الحقيقي من جمع بينهما .

وقد اكد الزمن صحة نظرية افلاطون هذه في مواطنه انفسهم . فان الاسبارطيين ظنوا ان مقومات الحياة تنحصر في الرياضة فنشأوا امة حربية لها في عالم الجهاد اسطورة خالدة . ووجه الاثينيون اهتمامهم كله الى العلوم فتركوا لهم مجداً عريضاً في تاريخ الفكر البشري . غير ان دولة الاولى المؤسسة على القوة فقط ، لم تقوَ على الوقوف امام الناموس العام ، فزال سلطانها لضعفها من النواحي الاخرى . كما ان الاثينيين لم يستطيعوا الاعتصام بالعلم وحده فسقطوا امام عظمة اسبارطة الحربية وخسروا موقفهم المجيد .

فهل نحن لحقيقة ذلك قاهمون ؟

## (٣) - بموسنين الخطيب وفيلسوس المكردوني الفائح

( الكلام الصادر من القلب يبلغ القلب اما الصادر من الشفتين فلا يتجاوز الاذنين )

قال بعضهم : ليس الخطيب من يتجه الى النفوس باسانه ، بل من يتجه اليها بروحه . فتجد في الفاظه وفي رنة صوته ونظرات عينيه وحركات جسمه كلها مظاهر الاخلاص لما يقوله . فاذا لم تكن اقواله في السامعين موسيقى الفاظ رنانة كانت مبعث حياة جديدة .



هكذا كان ديوستين في تحريضه الاثينويين على فيليبس المكدوني .  
اجل ان قوة فيليبس غلبت قوة ديوستين ولكنها كانت غلبة وقتية ، فان  
تأثير خطب ديوستين الاحدى عشرة ظل الى ما بعد موت فيليبس وديوستين  
وبلغ الهدف الذي رمي اليه الاخير .

فهل تعدد فينا من كذلك يخطبون ؟

( ٤ ) - فرطجة ورومة

( الاخلاص يستلزم التضحية )

اشتهر الفينيقيون في التاريخ بخوضهم البحار بغية التجارة ، وظهرت اهميتهم  
خصوصاً في القرن الثاني عشر حيث أموا غربي اوروبا وشمالي افريقيا . وبينهم  
عدد كبير من المحصين الذين كانت مدينتهم قاعدة فينيقية اللبنانية . وقد سموا  
احدى المدن التي استعمروها في اسبانيا باسم قادس حصن منطقة حمص المنيع .  
على ان نجاح الفينيقيين السلمي اقلق بال الدولة الرومانية ، فانارت عليهم  
ثلاث حروب استغرقت الاولى ٢٣ سنة والثانية ١٧ والثالثة ٤ . انتهت الاولى  
بظهور قوة رومة دون فوزها ، وانتهت الثانية بظهور قوة قرطاجنة دون فوزها  
وانتهت الثالثة بدمار قرطاجنة .

والعبرة في الحرب الثالثة ( ١٤٩ - ١٤٦ ق م ) التي ارادت فيها رومة تدمير  
قرطاجنة للتخلص من مزاحمتها على المجد . فلم تكذب تعلن الحرب حتى صارت  
قرطاجنة معسلاً كبيراً للأسلحة يعمل فيه الرجال والنساء والاولاد ليلاً ونهاراً .  
اذيبت اواني الهيكل والتأثيل لتعمل اسلحة وتزعت مواد الابنية لتكون  
ادوات حرب للجنود . وجزت غداثر النساء ليجدل منها حبال للمنجنقات .  
فدهش الرومان حينما رأوا الامة التي سبق لهم تزع سلاحها منها تقاتل ببأس  
وهي مسلحة .

ظل العراك اربع سنوات وفاز الرومان بامنيتهم من تدمير قرطاجنة .  
واكن التاريخ حفظ للفينيقيين هذه المأثرة .

انهم فضلوا ان يموتوا موت الكرام على ان يعيشوا عيشة الاذلاء .  
فهل نحن لمثل هذه التضحية في سبيل كرامتنا القومية  
مستعدون ؟

### ( ٥ ) - بين اليونان والرومان

( اللطف يغذي العظمة والطرمذة تسممها )

كان اليونان ادباء وشعراء ورسامين وتقاشين يعبدون الجمال ، ويعنون  
بكل ما يجعل المرء جذلاً مسروراً . وقد سبحوا في جو من الخيال جعلهم  
يهزأون بكل ما هو غير يوناني ، وكل من لم يكن من دم يوناني دعوه بربرياً .  
فلم يتأزجوا مع الامم التي خضعت مرغبة لسيطرتهم .

اما الرومان فكانوا عمليين لا قيمة عندهم لغير المادة وقد قصرت همهم  
على الشؤون العمرانية واثاء المواد التجارية . فلم يطأوا بقعة الا حملوا اليها  
القانون ، ولا فتحوا صقلاً الا اصلحوا طريقه ، وما استقرت اقداسهم في مكان  
الا اغروا ثروته .

وقد استألوا المستعمرين اذ لم يعاملوا اهالي البلاد المفتوحة معاملة المسودين  
شأن اليونان . بل ضمهم اليهم بالتدريج بحيث لم تمر مدة طويلة ، حتى كان العلم  
الروماني يظلل بلاداً ليس فيها سوى الرومان . قسم منهم روماني الدم والقسم  
الآخر روماني القلب .

اخذ الرومان الاداب عن اليونان . ولكن هولاء لم يحسنوا السياسة كما  
احسنها اولئك . وبينما كان اليونان يحسبون كل غريب في ولاياتهم بربرياً ،  
كان الرومان يحسبون كل من اطاع القانون رومانياً .  
فقصر امد عز الاولين وطالت سيادة الآخرين .

فهل نحن لاغلاط غيرنا متجنبون ؟



## (٦) - اليهود والرومان

( الاتحاد يوصل ذويه الى الهدف والتفسيخ يضييع كل جهودهم )

اصطدم اليهود بالرومان عدة مرات ولكن كرتين من هذه الاصطدامات كان لهما مظهر واحد . طمع الرومان بنشر سيطرتهم ، وطموح اليهود الى الاستقلال . ولكن النتائج جاءت عكس المقدمات كما ترى :  
الاصطدام الاول حدث في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد ، ابان فتوة الدولة الرومانية وطموحها الشديد الى بسط سيطرتها . وكانت الامة اليهودية قد تعودت الخضوع لغير اليهودي بعدما احنت عنقها للاشوريين والكلدان والفرس واليونان .

والاصطدام الثاني حدث في اواخر القرن الاول الميلادي ، ابان اتحام معدة الرومان لكثرة ما استعمروه من الاصقاع . وبعدها استعاد اليهود لذة طعم الاستقلال وطمحت ابصارهم اليه ؟ فلم نجح المكابيون بالامس وفشلت ذرايعهم اليوم ؟ يقول فلاسفة التاريخ ان اسباب فشل الاخيين مع المساعدات الطبيعية التي كان بإمكانهم استخدامها ، ناتج عن امرين جوهريين :

( ١ ) تعدد القادة وتفاوت خططهم

( ٢ ) عدم اخلاص الزعماء واتخاذ مصالحهم الخاصة هدفاً لهم .

هذان الامران كانا سبب استنزاف قوى الامة . وتمكين الرومان من اذلال القادة والمقودين معاً .

فهل نحن بهذه النتيجة متعظون ؟

## (٧) - سقوط الدولة الرومانية

( استئثار الزعماء وانغماس المقودين في الكسل والشهوات  
من ادعى دواعي الانهيار )

لم تبلغ دولة من الدول القديمة ما بلغت الدولة الرومانية من العظمة وطول  
البقاء . ولكنها لما بلغت اوج عظمتها اخذت تحفر قبرها بيدها .  
اذ تحول النظام الروماني من جمهورية الى ملكية في ايام من عرف كيف  
يضبط الدولة وأوصلها الى القمة ، ولكن من خلفوه لم تكن لهم مقدرته .  
فتراحم ادعاء السيادة على السلطة . واخذوا يستعينون بالجيش على نيل مطامعهم  
الدائية . فانتقلت السلطة من الرأي الرشيد الى القوة الفاشية . والامة التي علمت  
العالم القانون والنظام اصبحت اسيرة الجور والفساد .  
ثم استسلمت الطبقة العليا الى الانانية والبطر وانغمست الطبقة السفلى  
بالكسل والشهوات .  
وكثر الصراع بين الطبقتين فانتخر قلب الدولة وسقطت اعمدتها . اذ  
لم تستطع الامة ان تقف ازاء الغزاة البرابرة الذين داهموا من الغرب والجنوب  
فقضوا عليها مستعمرين اسبانيا وبريطانيا وايطاليا والنمسا وفرنسا .  
فهل نحن عن مثل هذه المواقف مبتعدون ؟

## (٨) - المناطق العربية

( الارض للمجاهدين )

زعم بعض الكتاب ان سبب مهاجرة الاهلين للاقاليم الشرقية ، انما نتج  
عن القحط الشديد الذي تولى بها . والحقيقة ان المحل الذي يحصل احياناً في منطقة  
من المناطق ، لا يكفي وحده للهجرة واقفار البلاد من سكانها . وانما يؤدي



الى هذه الحالة اختلال السياسة من جهة وكسل الاهلين من جهة اخرى . فاذا حصل سبب ثالث انصرفت النفوس الى براح تلك المنطقة .  
وانما ينفرد المحل ( القحط ) حينما تكون ثمة اسباب طبيعية او اقليمية تسبب الجذب . والمناطق ليست في شيء من ذلك . فقد وجد ما بين حص وتدمر آثار مئة رضى لعصر الزيتون ، بل دلت الجغرافيات القديمة على ان الجزيرة العربية نفسها ؛ كانت تطعم في ما سلف عدداً كبيراً يبلغ اضعاف اضعاف القاطنين فيها الآن . يوم كانوا يعملون ويتاجرون كما ذكر بطليموس . وحسبك ان الحرب المصرية العربية كشفت آثار كثرة السكان في ما وراء تهامة . وانما اوصلها الى ما وصلت وجعلها عرضة للهجرة اضطراب السياسة الماضية التي عاف معها الاهلون وطنهم العزيز وقصدوا سواء فعمروه .  
فاذا قضت السياسة الماضية بذلك وخسرت البلاد اثنى ما فيها . ان  
آن الاوان لعودة المهاجرين الى بلادهم ؟ بتشجيع القابضين على زمام السياسة .  
وحنين المتفربين الى وطنهم الاصلي لتتم سعادته بهم ؟  
وهل نحن لبلوغ هذه الغاية عاملون ؟

### ﴿ استدراكات ﴾

لو اتيح للعامل الجاد ان يجد فترة - ولو قصيرة - بعد انتهاء عمله الاول ومباشرة الثاني ، او مباشرة الثاني بعد انتهاء الاول ؛ لكان في امكانه ان يأمن الخطأ في ما يأتيه من الاعمال . واما ان تتراكم حوله الواجبات المستعجلة ويؤاخم احدها الآخر بحيث يضطر ان يباشر احدها قبل انتهاء الآخر - كما يحصل ذلك كثيراً في الشرق حيث يتعذر على المرء المسؤول فيها ترتيب اعماله - فما يستحيل او يتعذر عليه اتقاء الاخطاء .

ذلك كان شأن كاتب هذه السطور ، الذي بسبب تراحم الواجبات عليه وكأها او جامها مما يستلزم كد الذهن وعرك الجبين . اضطر ان يقدم معظم مواد هذا السفر للطبع على مسوداتها بدون تبليض ، ولم يجد بعد الطبع متسعاً من الوقت لمراجعة « البروقات » فظهرت فيه عدة اغلاط ، ولكن معظمها مما لا ينفى تصحيحه على فطنة القارى . كإبدال الباء بالياء والنون بالتاء والى باللام وفي بالياء او بالعكس . ولعلنا اذا وجدنا سائحة راجعنا المطبوع بدقة ونظمنا جدولاً لاصلاح كل منها في موضعه .

ولكن ثمة ثلاثة استدراكات لا بد من لفت نظر القارى اليها قبل تلاوتها لكي لا يجد عريسة في استيعاب ما يطالعه حيث هي :

(١) يجب ربط آخر ما ورد في الفقرة المصدرة بعدد ٣ ص ١١٥ سطر ٢١ وهي « وتبقى الاسفار كما هي » ، باول الفقرة الواردة بعد عدد ٤ ص ١١٦ سطر ٤ واولها « وان تعبير المؤلف الخ... واهمال ما بينها لانه مأخوذ من مسودة مهمة .

(٢) ان ما طبع في صفحة ٣٥٥ المصدر بجملة « وموقع تدمر » الى آخر الصفحة . موضعه في الصفحة ٣٥٤ قبل الفقرة التي اولها « وبداعي المنافسة الخ .

(٣) يجب تقديم الفقرة الواردة في ص ٤٠٦ سطر ١١ المصدرة بقوله : وبعد حملة كبيز الخ... على الجملة الموردة قبلها في الصفحة نفسها سطر ٩ وارلها « وفي ايام الفرس الخ...

فيستقيم المعنى وتورد الحوادث بحسب حدوثها في التاريخ .

---

## جابر وعشرات الكرام

اذا كان التفكير ميزة ، فالقوة التي تساعد على ابراز تلك الفكرة الى الوجود

ميزة اعم . اذ لولاها لاختنقت الفكرة فضاعت الفائدة . لذلك لا نجد بدأ في ختام كلامنا من التنويه بفضل المحصين الذين بسطوا ايديهم لمعاونتنا على ابراز ما فكرنا فيه من جهة طبع تاريخ حمص البلد المحبوب . ورأينا ان نخلد ذكر السابقين من هؤلاء الافاضل الغير في هذا الجزء من تاريخ بلدهم على ان نسجل اسماء الباقيين في الجزء الثاني اذا انسا الله في الاجل وتوقعنا الى اصداره ، راجين ان تظل اسمائهم بارزة في كل مأثرة حسنة .

وفي ما يلي اسماء الافاضل الذين اسرعوا لمعاونتنا بتقديم اشتراكاتهم التي سددت قسماً من نفقات الكتاب . وما كنا لولاهم لنستطيع القيام بهذا الواجب على ما فينا من عجز مادي ومعنوي والله الموفق .

### اولاً - افاضل من اصقاع شتى قريبة

| نسخة |                                     |
|------|-------------------------------------|
| ٢٠   | غبطة البطريك الكسندروس الثالث دمشق  |
| ٢٠   | صاحب الفخامة هاشم بك الاتاسي "      |
| ٢٠   | بسيم نعمان الحصري مصر               |
| ١٥   | فؤاد وتوفيق البندقي سانباولو برازيل |
| ١٠   | جميل عبد الله الحوري "              |
| ١٠   | جبران عوض نيويورك                   |
| ٥    | كامل حنا ناصيف مكسيك                |
| ٥    | حنا عيسى "                          |
| ٥    | مرشد السلطة واولاده مونتفيديو       |
| ٢    | الارشندريت انطونيوس مبيض لوستراليا  |

### ثانياً - افاضل في سانتياغو شيلي

| نسخة      | نسخة             |
|-----------|------------------|
| ١٠        | ابراهيم عطا الله |
| نصيب اخرس |                  |



| نسخة |            | نسخة |
|------|------------|------|
| ١٠   | زكي كيتلون | ٥    |
| ٥    | حافظ لبنان | ٥    |
| ٣    | عوض عوض    | ٣    |
| ٣    | بديع شاهين | ٣    |
| ٢    | عزيز كلاس  | ٢    |
|      |            | ٥    |
|      |            | ٥    |
|      |            | ٣    |
|      |            | ٣    |
|      |            | ٢    |

والغير انذين اشتركوا بنسخة واحدة هم السادة :

عبد الكريم البحر . جميل يازجي . شكري محيش . نجيب باذنجان  
 جميل شوحى . صادق نقرور . حافظ وجورج عوض . ميخائيل عبود . امين  
 فر كوح . عبده خزام . سليمان حزيون . متري فر كوح . رشيد اخرس . مرهج  
 محيش . ليان حجار . عبد الله حبيب اخرس . ميشيل شقرا . فضول محيش  
 مطانس شكور . شفيق شكور . جبران عطا الله . شكري اخرس . فايق  
 عوض . نجيب بالش . نجيب فلاحه . نظمي بيطار . نقولا سرور . زكي عوض  
 نديم غصن . امين سمان . مسلم حجار . سامي كامل ساره . كامل عوض  
 اليان زكور . نعيم فر كوح . فريز محيش . فؤاد حلي . ابراهيم داود تقلا  
 وصفى حداد . توماني اخوان . شكري كاشي . شوقي حنون . كامل داود حجار  
 مطانس شقرا . مطانس رستم . نجيب درغام . توفيق فروح . خير الله حداد  
 اسكندر اسكندر . امين راغب نور . رزق الله اخرس . سليم حداد .  
 مطانس بالش . عبد اللطيف اخرس .

ثالثاً — افاضل في فالباريسو

| نسخة |                              |
|------|------------------------------|
| ٥    | جمعية الجامعة الحمصية        |
| ٥    | السيدات الحمصيات             |
| ٣    | الجامعة العربية              |
| ٥    | ناجي وانطون وعبد الكريم ملوك |

نسخة

- ٣ عبد المسيح ملوك واخوانه  
٢ عارف وتوفيق عبد النور  
٢ صبحي خوري

ثم المشتركون بنسخة واحدة وهم السادة :

ابراهيم عبد الملك . رفيق كبا . شوقي لويس . تين لويس . جورج لويس  
عبد الزهر . مرهج اورفلي . امين اورفلي . رزق الله صايغ . كامل نقرور  
انطون اورفلي . جورج طرابلسي . نجيب شعبان . روفائيل علا . ميخائيل الزهر  
سليم الخوري . فارس سليمان فارس .

#### رابعاً - افاضل في مناوس البرازيل

نسخة

- ٥ ابراهيم اسبر الشيخ  
٦ ميخائيل اسعد وفضل الله خوري

ثم المشتركون بنسخة واحدة وهم السادة :

جبرائيل صفي . بطرس صفي . عيسى ابراهيم الشيخ . سالم يوسف حليجل  
عبد الله خليل . عيسى النداف . وايم ضو . تاسر كرم . خليل عبد الله .

#### انهم للخلفه المفرغة

هذه هي القافلة الاولى التي اسرعت فبسطت يدها لمعاونة المؤلف ليسرع  
بالتجاوز تاريخ بلدهم المحبوب وابرازه مطبوعاً . وثمة قوافل اخرى حيل بينها وبين  
هدفها السامي بالحرب المفاجئة .

نقول هذا لئلا يتبادر الى الذهن ان من ذكرنا كل ما في الحقيقة . وانما  
سطع نجمهم قبل سواهم بعدم توانيهم فكان لهم حظ السابقين . والا فمن خبر  
المحصين عرف انه يصح فيهم ما قالته تلك المرأة العربية التي احسنت تربية

# فهرس

## القسم الاول منه تاريخ حمص

| صفحة |                                                  |
|------|--------------------------------------------------|
| ٢    | مأثورات عن بليبي                                 |
| ٣    | فاتحة الكلام                                     |
|      | مقدمة عامة - للقسمين                             |
| ٧    | اولاً - تقسيم التاريخ الحمصي - (١) قبل الاسلام   |
| ٩    | (٢) بعد الاسلام                                  |
| ١٠   | ثانياً - تطورات حمص                              |
|      | مقدمة خاصة للقسم الاول من تاريخ حمص              |
| ١٤   | ينابيع هذا التاريخ - توطئة                       |
| ١٧   | المعين الاول لتاريخ حمص القديم - الآثار          |
| ١٩   | (١) الآثار الاشورية                              |
| ٢١   | (٢) الآثار المصرية                               |
| ٢٢   | المعين الثاني لتاريخ حمص القديم - الاساطير       |
| ٢٤   | (١) من اساطير الكلدان (شيشيت)                    |
| ٢٥   | (٢) مصر (انبو وبانا)                             |
| ٢٦   | (٣) اليونان (بروميثيوس)                          |
| ٢٨   | المعين الثالث لتاريخ حمص القديم - قدماء المؤرخين |
|      | من يوسف الصديق الى يوحنا الاسيوي                 |

بذئها فلما سئلت اي هو الافضل فيهم ؟ اجابت ذاك الجواب المليء بالاعجاب : تكلمت ان كنت اعرف ايهم الافضل « كلهم فاضل » وهم كالحلقة المفرغة ، لا يدرك اين طرفاها .



- ج -

| صفحة    |                                   | صفحة                           |
|---------|-----------------------------------|--------------------------------|
| ١٠١     | خاتمة المطاف                      | اهم حوادث هذه الحقبة           |
| ١٠٢     | حالة حمص الاجتماعية في هذه الحقبة | ٨١ اولاً - زحف الحثيين على حمص |
| ١٠٥     | خلاصة ما تقدم                     | ٨٢ ثانياً - الى بقعة آون       |
|         | المعمون الى هذه الحقبة من كتابها  | ٨٣ ثالثاً - المصريون يثأرون    |
| ١٠٩ (١) | يوسف العفيف                       | ٨٥ (١) - معركة مجدو            |
| ١١٢ (٢) | ايوب الصديق                       | ٨٨ المطانيون في منطقة حمص      |
| ١١٣ (٣) | موسى بن عمار                      | ٩١ الاتحاد قوة والتخاذل ذل     |
| ١١٧ (٤) | يشوع بن نون                       | والانقسام موت                  |
|         |                                   | ٩٣ (٢) - معركة قادس            |

## الحقبة الثالثة

حمص في ايام الفينيقيين والبرانيين والاراميين (١٢٢٥-٧٣٢ ق م)

| صفحة        |                                     | صفحة                                       |
|-------------|-------------------------------------|--------------------------------------------|
| ١٣٦         | المعركة الرابعة في ايام داود        | ١١٩ (١) الفينيقيون                         |
| ١٣٧         | الخامسة " " سليمان                  | ١٢٣ (٢) البرانيون                          |
| ١٣٨         | اتحاد مملكتي دمشق وصوبا             | ١٢٧ (٣) الاراميون                          |
|             | (حمص) ملوك صوبا ودمشق المتحدة       | حوادث حمص في هذه الحقبة                    |
| ١٣٩ (١)     | رزون                                | ١٢٩ تراجع الحثيين الى الشمال               |
| ١٤٠ (٢ و ٣) | حزيون وطبريمون (٤) بنهدد الاول      | ١٣١ حملات تغلب بلاسر الاول                 |
| ١٤١ (٥)     | هدديري                              | ١٣٢ تضامن الاراميين ومقاتلتهم مع البرانيين |
| ١٤٢ (٦)     | بنهدد الثاني وحروبه مع الاسرائيليين | ١٣٣ المعركة الاولى في ايام شاول            |
| ١٤٣         | حربه الاولى مع آخاب                 | ١٣٤ " الثانية " " داود                     |
|             |                                     | ١٣٥ " الثالثة " " "                        |

- ب -

القسم الاول من التاريخ - حص قبل الاسلام

الحقبة الاولى

حص في ايام الروثان والعمالقة والاموريين (٢٣٠٠-١٩٠٠ ق م)

| صفحة |                              | صفحة                       |
|------|------------------------------|----------------------------|
| ٣٢   | (١) نشأة حص الاولى           | ٤٩ د - غزوة حمورابي        |
| ٣٦   | (٢) من وضع اسمها ؟           | ٥٠ هـ - سمرام              |
| ٣٧   | (٣) اصل اسم حص               | ٥٣ و - سنوهي المصري        |
|      | (٤) قداما الحصين             | (٧) عمران المنطقة          |
| ٣٩   | الروثان                      | ٥٤ قادس ، جبيل             |
| ٤٠   | العمالقة                     | ٥٥ مريامون                 |
| ٤١   | الاموريين                    | ٥٦ قطنة                    |
| ٤٤   | (٥) الحصيون في النشأة الاولى | ٥٨ العاصي                  |
|      | (٦) حوادث هذه الحقبة         | ٦٠ (٨) لغة الحصين الاقدمين |
| ٤٥   | ١ - غزوة لوكالراغيزي         | ٦٢ خلاصة ما تقدم           |
| ٤٦   | ب - سرجون الاول              | ٦٨ الملعون الى هذه الحقبة  |
| ٤٧   | ج - كدرلاومر                 |                            |

الحقبة الثانية

في ايام المصريين والرعاة والحثيين والمطانيين (١٩٠٠-١٢٢٥ ق م)

﴿ اسم سوريا القديمة ﴾

| صفحة |              | صفحة             |
|------|--------------|------------------|
| ٢١   | (١) المصريون | ٧٦ (٣) الحثيون   |
| ٧٤   | (٢) الرعاة   | ٧٩ (٤) المطانيون |

| صفحة |                               | صفحة                         |
|------|-------------------------------|------------------------------|
| ١٨٥  | (٥) فرعون بنحو                | ١٩٩ خلاصة الحوادث            |
| ١٨٦  | (٦) حملات نبوخذ نصر           | المعمون الى تاريخ حص من كتاب |
| ١٨٩  | (٧) كورش وحص                  | هذه الحلقة                   |
| ١٩٠  | (٨) حص وكبيز                  | ٢٠١ ارميا الحزين             |
| ١٩٢  | (٩) وداريوس الاول             | ٢٠٢ حزقيال                   |
| ١٩٣  | (١٠) ارتخششتا                 | ٢٠٣ دانيال                   |
| ١٩٤  | (١١) ثورة ابن مغابيس          | ٢٠٤ مردخاي ، زخريا           |
| ١٩٤  | (١٢) ثورة ارتخششتا الثاني     | ٢٠٥ عزرا ونحميا              |
| ١٩٥  | (١٣) عصيان ثائيس والي فينيقية | ٢٠٦ هيكائاوس                 |
| ١٩٦  | (١٤) تقلص ظل الفرس عن سوريا   | ٢٠٧ هيروودوت                 |
|      | المدن البارزة في هذه الحلقة   | ٢٠٨ توسيديديس                |
| ١٩٧  | (١) اغبطانه (٢) تفصح (٣) ربله | ٢٠٩ زنيون ، بقراط            |
| ١٩٨  | (٤) سفروايم (٥) عوا (٦) هينغ  |                              |

## الحقب الخامسة

### حص في ايام السلوقيين ( ٣٣١ - ٨٠ ق م )

| صفحة |                                 | صفحة                                      |
|------|---------------------------------|-------------------------------------------|
| ٢١٢  | توطئة - اولاً اليونان القدماء   | ٢٢٢ حزمه ٢٢٣ مغامراته                     |
| ٢١٣  | (١) اليونان قبل الحروب الفارسية | ٢٢٤ بطولته ورقة شعوره                     |
| ٢١٥  | (٢) من الحروب الفارسية          | ٢٢٥ آماله الكبيرة ، استخلاصه اصدقاءه      |
|      | الى الاسكندر                    | ٢٢٦ ضبطه عاطفته                           |
| ٢١٦  | سلسلة ملوك اسبرطه               | ٢٢٦ سلسلة ملوك مكدونيا ، ثالثاً السلوقيون |
| ٢١٧  | ثانياً المكدونيون               | ٢٢٧ خلاصة تاريخهم                         |
| ٢١٩  | شيء عن اسكندر المكدوني          | ٢٣٤ سلسلة ملوكهم في سوريا                 |



| صفحة                                | صفحة                             |
|-------------------------------------|----------------------------------|
| ١٥٤ (١١) ماريجا وسلمناصر            | ١٤٣ حربه الثانية معه             |
| ١٥٥ (١٢) هدازا (١٣) رصين            | ١٤٤ الثالثة معه                  |
| بلدان المنطقة البارزة في هذه الحقبة | ١٤٥ الرابعة مع اخزيا             |
| ١٥٦ افيق                            | ١٤٦ الخامسة مع يورام             |
| ١٥٧ حدراك ، حصر عينان ، زفرون       | ١٤٨ موت بنهدد                    |
| صدد                                 | (٧) خزائيل الاول - وحروبه        |
| ١٥٨ عينون ، قرقر                    | ١٤٩ حربه مع يورام ، حربه مع ياهو |
| ١٥٩ خلاصة الحوادث                   | ١٤٩ ١٨ بنهدد الثالث وحروبه       |
| المعمون الى تاريخ حص من كتاب        | ١٥٠ حربه مع سلمناصر الثالث ، مع  |
| هذه الحقبة                          | زاكير ملك حماه                   |
| ١٦٢ (١) صموئيل الرامي               | ١٥١ (٩) خزائيل الثاني وحروبه     |
| ١٦٣ (٢) هوميروس                     | ١٥٢ حربه مع سلمناصر ومع يواش     |
| ١٦٥ (٣) هسيود (٤) عاموس الواثي      | ملك يهوذا                        |
| ١٦٦ (٥) اشعيا النبي                 | ١٥٣ (١٠) بنهدد الرابع وحروبه مع  |
| ١٦٨ (٦) بيسانديروس الودسي           | يربعام الثاني                    |

## الحقبة الرابعة

حص في ايام آشور وكلدة وفارس ( ٧٣٢ - ٣٣١ ق م )

| صفحة                                    | صفحة                |
|-----------------------------------------|---------------------|
| ١٧٩ الصلة بين الحقبتين الثالثة والرابعة | ١٦٩ (١) الاشوريون   |
| حوادث حص الخاصة                         | ١٧١ ملوك اشور       |
| ١٨٠ (١) سرجون وثورة سوريا الشمالية      | ١٧٣ (٢) الكلدان     |
| ١٨٢ (٢) غزوات سنحاريب                   | ١٧٥ ملوك الكلدان    |
| ١٨٣ (٣) اسرحدون                         | ١٧٥ (٣) الفرس       |
| ١٨٤ (٤) اسور بانينال                    | ١٧٨ ملوك مادي وفارس |

| صفحة |                                 | صفحة                                    |
|------|---------------------------------|-----------------------------------------|
| ٢٨٣  | اغريباس الاول                   | حوادث حمص الخاصة                        |
| ٢٨٤  | اغريباس الثاني                  | ٢٧١ اولاً صلة اليهودية بالمنطقة المحمية |
| ٢٨٥  | ثامناً الآداب اليونانية في هذه  | ٢٧٢ ثانياً حمص تستقل بدون سفك دم        |
|      | الحقبة                          | ٢٧٣ ثالثاً متى تسنى لحمص استقلالها      |
| ٢٨٧  | تاسعاً زراعة حمص                | الاداري                                 |
| ٢٨٨  | خلاصة هذه الحوادث               | ٢٧٤ رابعاً من كان الامير الاول          |
| ٢٩٠  | الممعون الى تاريخ حمص من كتاب   | ٢٧٥ خامساً شيء عن امراء حمص             |
|      | هذه الحقبة                      | ٢٧٥ (١) دابل ملكا                       |
| ٢٩٠  | (١) ارثيديدورس (٢) كايوس سلسيت  | ٢٧٦ (٢) سميفرام (٣) يميليك الاول        |
| ٢٩١  | (٣) نقولا الدمشقي (٤) بوليمستور | ٢٧٧ (٤) اسكندر (٥) يميليك الثاني        |
| ٢٩١  | (٥) ديونيسيوس الهاليكرناسي      | ٢٧٧ (٦) سميفرام الثاني                  |
| ٢٩٢  | (٦) سطرابون (٧) ديودور الصقلي   | ٢٧٩ (٧) عزيز                            |
| ٢٩٣  | (٨) اوبيد (٩) فيلون الجبيلي     | ٢٨٠ (٨) يوليوس سيم                      |
| ٢٩٤  | (١٠) بليني الكبير (١١) يوسيفوس  | ٢٨٠ سادساً منبت اسلة هؤلاء الملوك       |
| ٢٩٥  | (١٢) ابيان                      | ٢٨٢ سابعاً الملكان اليهوديان            |

## الحقبة السابعة

حمص في ايام القياصرة المحصين (٧٩-١٩٣-٢٣٥ م)

| صفحة |                             | صفحة                     |
|------|-----------------------------|--------------------------|
| ٣٠٥  | (٥) تحاذل الجمهورية وسقوطها | توطئة لتاريخ الرومان     |
| ٣٠٨  | (٦) رومة الامبراطورية       | ٢٩٦ (١) اصل الرومان      |
|      | حوادث حمص الخاصة            | ٢٩٧ (٢) عهد الملوك       |
| ٣١١  | (١) رجع الصدى               | ٣٠٠ (٣) الجمهورية الاولى |
| ٣١٤  | (٢) تقلص ظل الاستقلال       | ٣٠٢ (٤) الحروب القرطاجية |

| صفحة                                           | صفحة |
|------------------------------------------------|------|
| حوادث حص الخاصة في هذه الحقبة                  | ٢٤٨  |
| (١) اسكندر وسد بحيرة حص                        | ٢٤٨  |
| (٢) اتفاق الخلفاء على اقتسام سوريا             | ٢٥٠  |
| (٣) انطيوخوس سوتر يسترد حص                     | ٢٥٠  |
| (٤) انطيوخوس الكبير                            | ٢٥٠  |
| (٥) ابيفانيس وحص                               | ٢٥٣  |
| (٦) شجاعة حمصي                                 | ٢٥٤  |
| (٧) مساع لالحاق سوريا المحفوفة بمصر            | ٢٥٤  |
| (٨) معارك في سهول حص                           | ٢٥٤  |
| (٩) قتل تزيقون في افاميا                       | ٢٥٥  |
| (١٠) انقسام الدولة السلوقية                    | ٢٥٥  |
| (١١) غريفوس وشيزريك                            | ٢٥٦  |
| (١٢) انقسامات جديدة                            | ٢٥٦  |
| (١٣) اباء المحصين                              | ٢٥٦  |
| عمران المنطقة المحصية                          | ٢٥٦  |
| (١) افاميا                                     | ٢٥٧  |
| (٢) اريثوسا (الرساتن)                          | ٢٥٧  |
| اللقبة اليونانية تراحم الارامية                | ٢٤٨  |
| خلاصة ماجريات اللقبة                           | ٢٥٠  |
| المعمون الى المنطقة المحصية من كتاب هذه اللقبة | ٢٥٠  |
| اولاً الجغرافيون القدماء                       | ٢٥٣  |
| (١) اوقليدس (٢) ارخميدس                        | ٢٥٤  |
| (٣) ابلونيوس (٤) ايبارخوس                      | ٢٥٤  |
| ثانياً المؤرخون القدماء                        | ٢٥٤  |
| (١) كزازياس الكنيدي                            | ٢٥٥  |
| (٢) بيروز الفارسي                              | ٢٥٥  |
| (٣) مانيتون السمنودي (٤) بوليب                 | ٢٥٦  |
| (٥) ابولودور النحوي                            | ٢٥٦  |
| ثالثاً نوابغ المنطقة                           | ٢٥٦  |
| (١) تيرانيو الغراماطيقي                        | ٢٥٦  |
| (٢) ارشيچنيس الطيب                             | ٢٥٧  |
| (٣) ديودوت الافامي                             | ٢٥٧  |
| (٤) يوسيدون الافامي                            | ٢٥٧  |

## الحقبة السادسة

حص في عهد حكومتها الوطنية (٨٠ ق م - ٧٩ م) من التاريخ العام

| صفحة                                            | صفحة |
|-------------------------------------------------|------|
| (١) عودة الاسرائيليين من السبي وعوامل الاستقلال | ٢٥٩  |
| (٢) ثورة المكابيين (١٦٦ - ١٠٦ ق م)              | ٢٦١  |
| (٣) الدولة الحشمونية ١٠٦ - ٧٠ ق م               | ٢٦٥  |
| (٤) اواخر السيادة اليهودية                      | ٢٦٨  |
| (٥) ثلاثة الاثافي                               | ٢٦٩  |



- ط -

| صفحة |                        | صفحة                                |
|------|------------------------|-------------------------------------|
| ٣٧٨  | ترييليوس بوليون        | ٣٦٦ (١٠) اغتيال اذينة وابنه في حمص  |
|      | مشاهير المنطقة المحمية | ٣٦٩ (١١) زينب ملكة الشرق            |
| ٣٧٩  | اذينة الثاني ؛ زينب    | ٣٧٠ (١٢) زينب واورليان              |
| ٣٨٠  | لونجين الفيلسوف        | ٣٧٦ خلاصة الحوادث                   |
| ٣٨٢  | برفيوريوس الصوري       | الملمعون الى حمص من كتاب هذه الحلقة |
|      |                        | ٣٧٨ يوليوس الافريقي                 |

## الحقبة التاسعة

### حمص في دور المسيحية الاول ( ١ - ٣٠٥ )

| صفحة |                                     | صفحة                                |
|------|-------------------------------------|-------------------------------------|
| ٣٩٧  | خلاصة المعروف عن حمص في هذه الحقبة  | ٣٨٣ (١) نشأة المسيحية               |
|      | الملمعون الى حمص من كتاب هذه الحقبة | ٣٨٥ (٢) نهضات شديدة ضدها            |
|      |                                     | ٢٨٨ (٣) انتشارها وتنظيمها           |
|      |                                     | حمص والمسيحية                       |
| ٣٩٩  | اكليمندوس ( كليمنس ) الاسكندري      | ٣٨٩ (١) مرور بطرس ويوحنا بجمص       |
|      | ديونيسيوس الاسكندري                 | ٣٩١ (٢) خريسوسوموس الفلاح           |
|      | نوابغ حمص                           | يشترطن قساً                         |
| ٤٠٠  | اونوريوس                            | ٣٩٢ (٣) اميليا احد السبعين          |
| ٤٠١  | غالاكثيون ، سلوانوس                 | ٣٩٣ (٤) اضطهاد وثني حمص مسيحيها     |
| ٤٠٢  | ايليان الطبيب                       | ٣٩٤ (٥) انتعاش المسيحية             |
|      |                                     | ٣٩٤ (٦) المدافن المسيحية لهذا العهد |
|      |                                     | ٣٩٦ (٧) ديوكليتيان وسد بحيرة حمص    |

## ح

| صفحة | صفحة                                   |
|------|----------------------------------------|
| ٣١٥  | (٣) المحصيون في الجيش الروماني         |
| ٣١٦  | (٤) هيكل الشمس والحجر الاسود           |
| ٣١٧  | (٥) سبتيموس سيفيروس في حص              |
| ٣١٩  | (٦) سيفيروس اول القياصرة المحصين       |
| ٣٢١  | (٧) كاراكلا ثاني                       |
| ٣٢٣  | (٨) ايليو كابال ثالث                   |
| ٣٢٧  | (٩) اسكندر سيفيروس رابع                |
|      | القياسرة المحصين                       |
| ٣٣٠  | (١٠) من آثار القياصرة - اول الطريق     |
| ٣٣١  | ثانياً العمران                         |
| ٣٣٣  | ثالثاً التجارة                         |
| ٣٣٦  | (١) ليفي (٢) تاسيت                     |
| ٣٣٧  | (٣) بلوترخ (٤) سويتونيوس               |
| ٣٣٨  | (٥) اريان (٦) لوكيان السيساطي          |
| ٣٣٩  | (٧) بطليموس (٨) ابيان (٩) اثينيوس      |
| ٣٤٠  | (١٠) ديون كاسيوس                       |
|      | نوابغ المحصين                          |
| ٣٤١  | (١) تومينوس الافامي (٢) جوليا دومنة    |
| ٣٤٢  | (٣) بابتيان الفقيه (٤) ايليو دورالباني |
| ٣٤٣  | (٥) اوبيان الافامي                     |
| ٣٤٣  | (٦) اولبيان الفقيه                     |

## الحقبة الثامنة

### حصص في ايام التدمير (٢٣٦ - ٢٧٣ م)

| صفحة | صفحة                               |
|------|------------------------------------|
| ٣٤٤  | (١) الانباط في متون اللغة          |
| ٣٤٥  | (٢) اصل الانباط ٣ او تاريخ الانباط |
| ٣٤٧  | مشاهير ملوك الانباط                |
| ٣٤٩  | (٤) البتراء                        |
| ٣٥١  | دولة التدمير                       |
| ٣٥٣  | تدمر                               |
|      | الحوادث المحمية                    |
| ٣٥٧  | (١) صلة حصص بتدمر                  |
| ٣٥٨  | (٢) ثورة التدمير لاعتقال           |
|      | سيفيروس الثاني                     |
| ٣٦٠  | (٣) ثورة غوثاليان (٤) اذينة الاول  |
| ٣٦١  | (٥) حيران بن اذينة                 |
| ٣٦١  | (٦) سيرباد الطامع بالعرش           |
| ٣٦٢  | (٧) سابور وحصص                     |
| ٣٦٣  | (٨) اذينة الثاني وكيات             |
| ٣٦٤  | (٩) اذينة يظاهر الروم على الفرس    |

| صفحة                             | ختمام                           |
|----------------------------------|---------------------------------|
| ٤٤١ (٦)                          | عظاات وعبر. من تاريخ حصص العام  |
| (الاتحاد يوصل الى الهدف          | صفحة                            |
| والتفسيخ يضيغ الجهود)            | ٤٣٧ (١)                         |
| سقوط الدولة الرومانية            | (الامداد بقدر الاستعداد)        |
| (استثنائ الزعماء واستهتار العامة | ٤٣٨ (٢)                         |
| من ادعى دواعي الانهيار)          | (لا حياة لعلم بدون عمل وبالعكس) |
| ٤٤٢ (٨)                          | ٤٣٨ (٣)                         |
| (الارض للمجهدين)                 | المكدوني                        |
| استدراكات                        | (الخطيب المخلص يغلب الفاتح      |
| ٤٤٤                              | القوي)                          |
| جابر و عثرات الكرام              | ٤٣٩ (٤)                         |
| (او المشترك كون فوراً بالكتاب)   | قرطجنة ورومة                    |
| ٤٤٥                              | (الاخلاص يستلزم التضحية)        |
| اولاً افاضل من اصقاع قريبة       | ٤٤٠ (٥)                         |
| ٤٤٥                              | بين اليونان والرومان            |
| ثانياً في ستيياغو شيلي           | (اللاطف يغذي العظمة             |
| ٤٤٦                              | والطرمذة تسميها)                |
| ثالثاً فالبارايسو                |                                 |
| ٤٤٧                              | رابعاً مناوس (البرازيل)         |

## ﴿ فهرس المصورات والرسوم ﴾

| صفحة |                                                  |
|------|--------------------------------------------------|
| ٦٥   | (١) صورة خيالية لتل حص وسهلها ابان نشأتها الاولى |
| ٨٥   | (٢) تومس الثالث                                  |
| ٨٩   | (٣) معبود مصري وجد في حفريات المشرقة             |
| ٩٠   | (٤) رأس تمثال مييطاني وجد في الجبول              |
| ٩٤   | (٥) خريطة مملكة حص في ايام الحثيين               |



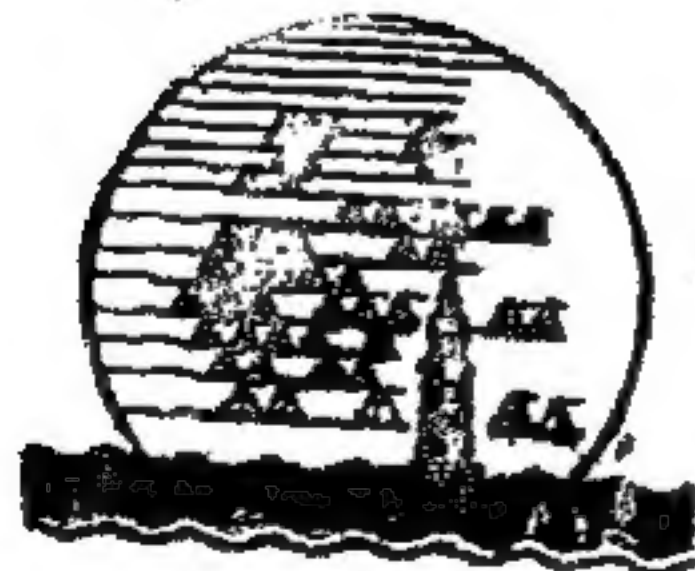
## الحقبة العاشرة

حصص بعد النصرانية وقبل الاسلام ( ٣٠٥ - ٦٢٢ م )

| صفحة                           | صفحة                           |
|--------------------------------|--------------------------------|
| ٤٢٥                            | ٤٠٣                            |
| خلاصة الحوادث                  | توطئة - فذلكة تاريخية عن العرب |
| ٤٢٧                            | ٤٠٤                            |
| الملمعون الى منطقة حصص من كتاب | (١) العرب في صدر التاريخ       |
| هذه الحقبة                     | (٢) في ايام حث واشور           |
| ٤٢٧                            | ٤٠٦                            |
| اوسابيوس القيصري               | (٣) // // كلدة وفارس           |
| ٤٢٧                            | ٤٠٦                            |
| اميان مرسلين                   | (٤) // // السارقيين            |
| ٤٢٨                            | ٤٠٧                            |
| جيروم ؛ سقراط ؛ سوزومين        | (٥) // // العهد اليهودي        |
| ٤٢٩                            | ٤٠٩                            |
| ثيودوريت ؛ زوسيموس ؛ داماس     | (٦) // // عهد الرومان          |
| ٤٣٠                            | ٤١٠                            |
| اسطفان البيزانطي               | (٧) شيء عن عرب الحيرة          |
| ٤٣٠                            | ٤١٣                            |
| ساويروس الانطاكي               | (٨) // // ملوك كندة            |
| ٤٣١                            | حوادث حصص الخاصة               |
| بروكوب الغزي ؛ افاغريوس الحموي | (١) بناء هيكلنة كنيسة حصص      |
| ٤٣١                            | (٢) قسطندي في حصص              |
| يوحنا الاسيوي                  | (٣) بولس المعترف               |
| مشاهير الحمصيين                | (٤) خراب ماداتوكوبرس           |
| ٤٣٢                            | (٥) وجود هامة السابق في حصص    |
| اونور السفسطائي ؛ سالوست       | (٦) الامبراطور انسطاس          |
| ٤٣٢                            | (٧) اثر الزلزال بجمص           |
| الحكيم ؛ رومانوس المرنم        | (٨) اثران نصرانيان             |
| ٤٣٣                            | (٩) كسرى انوشروان في حصص       |
| بطرس الزعيم ؛ سمان الصالوص     | (١٠) ابن ماء السماء في حصص     |
| ٤٣٤                            | (١١) المنذر الغساني في حصص     |
| مطارنة حصص في هذه الحقبة       |                                |
| ٤٣٤                            |                                |
| اناطوليس ؛ اوسابيوس ؛ بولس     |                                |
| ٤٣٤                            |                                |
| الاول ؛ غاسيوس ؛ غيزي          |                                |
| ٤٣٥                            |                                |
| كيريالكوس ؛ بيبايوس ؛ اورانيوس |                                |
| ٤٣٥                            |                                |
| مرقس ؛ يوحنا                   |                                |

| صفحة       |      |                                    |
|------------|------|------------------------------------|
| ٣٧٢        | (٣١) | رسم القيصر اوريليان أسر زينب       |
| ٣٧٥        | (٣٢) | زينب حين اعتقالها                  |
| ٣٨٦        | (٣٣) | يوسيفوس اليهودي المؤرخ             |
| ٤٣٦        | (٣٤) | مخطط مصغر لمدفن مسيحي قديم         |
| صدر الكتاب |      | الشهيد العلامة عبد الحميد الزهراوي |
| =          |      | الشهيد الزكي الفؤاد رفيق رزق سلوم  |

تم الفهرس للقسم الاول من تاريخ حمص  
والحمد لله لا ينتهي



| صفحة |                                                    |
|------|----------------------------------------------------|
| ١٠٠  | (٦) معركة قادس                                     |
| ١٠٨  | (٧) تمثال ميطاني وجد في المشرقة                    |
| ١٣٠  | (٨) نحشوب اله الصواعق الحثي                        |
| ١٦١  | (٩) خريطة مملكة حمص في ايام الآرامين               |
| ١٦٨  | (١٠) رسم هوميروس صاحب الالبازة                     |
| ١٧٣  | (١١) = حمورابي الشهير ملك كلدان القديمة            |
| ١٧٧  | (١٢) = كورش الفارسي                                |
| ١٨١  | (١٣) = سرجون ملك اشور                              |
| ١٨٧  | (١٤) = نبوخذنصر الفاتح العظيم                      |
| ٢٠٧  | (١٥) = هيرودوت ابو التاريخ                         |
| ٢١٠  | (١٦) = ابقرط ابو الطب                              |
| ٢٢١  | (١٧) = اسكندر المكدوني                             |
| ٢٢٨  | (١٨) = روضة جوسيه حيث اقتسم خلفاء الاسكندر المملكة |
| ٢٣٨  | (١٩) = بقعة الزراعة                                |
| ٢٤٩  | (٢٠) كتابة يونانية وجدت على فسيفساء في حمص         |
| ٢٥٠  | (٢١) رسم الاسكندر عند جثة داريوس                   |
| ٢٧٨  | (٢٢) رسم يدوي للصومعة قبل هدمها                    |
| ٢٨٦  | (٢٣) كتابة يونانية وجدت على حجر محطمة في زبدل      |
| ٣١٨  | (٢٤) رسم جوليا دومنة الملكة المحمية الاصل          |
| ٣٢٠  | (٢٥) = سبتيميوس سيفيروس اول القياصرة المحميين      |
| ٣٢٢  | (٢٦) = كاراكلا ثاني القياصرة المحميين              |
| ٣٢٥  | (٢٧) = ايليو كابل ثالث                             |
| ٣٢٧  | (٢٨) = اسكندر سيفيروس رابع القياصرة المحميين       |
| ٣٢٩  | (٢٩) = مامية ام اسكندر سيفيروس                     |
| ٣٦٩  | (٣٠) = زينب ملكة تدمر                              |





